مواقف ومواعظ

مـن حيـاة التابعيـن

الجزء الثالث

عبد العزيز الشناوي

بطاقة الفهرسة

اسم الكتاب : مواقف ومواعظ من حياة التابعين (الجزء ٣)

المؤلف : عبد العزيز الشناوي

الطبعة : طبعة أولى / ١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م

الناشر : مكتبة جزيرة الورد

رقم الإيداع :

مكتبة جزيرة الورد – القاهرة / ميدان حليم
خلف بنك فيصل شارع ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا
٠٢/٢٧٨٧٧٥٧٤ - ٠١٢/٩٩٦١٦٣٥
٠١٠/٠١٠٤١١٥ - ٠١٠/٠٠٠٤٠٤٦

الحسن البصري

مواقف ومواعظ

من حياة التابعين

[١]

الحسن البصري

الحسن البصري

سيد فقهاء البصرة

هو الحسن بن أبي الحسن.

يكنى: أبا سعيد

كان أبوه من أهل بيسان - نيسابور - فسبى فكان مولى زيد بن ثابت الأنصاري.

ولد الحسن في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

حنكه الفاروق بيده.

ودعا الفاروق له فقال:

- اللهم فقهه في الدين، وحببه إلى الناس.

أمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي (صلي الله عليه وسلم).

كانت أم سلمة إذا بعثت جاريتها خيرة في قضاء حاجة فبكى الحسن بكاء شديداً تعطيه أم سلمة ثديها وتضعه في حجرها، وتعلله بثديها، وربما در عليه فشرب منه، فكان يقال: إن المبلغ الذي بلغه الحسن من الحكمة والعلم والفصاحة من بركة ذلك اللبن الذي شربه من أم سلمة زوج خاتم الأنبياء (صلي الله عليه وسلم).

عرف الحسن البصري نعمة الله عليه فنصب نفسه لتعليم المسلمين وإرشادهم وهدايتهم فكانت حلقته بالمسجد الجامع بالبصرة حافلة بالناس، يتحلقون حوله.

فضح الموت الدنيا:

تبع الحسن البصري جنازة، فلما وضعت في لحدها قال:

- يا لها من موعظة بليغة، لو صادفت قلوبا حية، والله لقد فضح الموت الدنيا، ولم يترك فيها لذي نسب فرحا.

ثم أشار أبو سعيد إلى إمتداد القبور فبكى وقال:

- هؤلاء أهل محلة قد كفى من جلس إليهم شرهم، وإن ترحم عبد عليهم وصل إليهم ما ترحم به، عباد الله اعلموا أن القبور منزلة بين الدنيا والآخرة، فاعملوا لمثل هذا اليوم فإنما هم إخوانكم تقدموا وأنتم في الأثر.؟

الرضا بقضاء الله:

دخل أبو سعيد بعض الأديرة - مفرد دير - فإذا هو يرى مجنونًا مقيدًا مغلولاً مشدودًا إلى سارية من الخشب، فسلم عليه، فقال المجنون:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

ثم تبسم المجنون وقال:

- كيف أنت يا أبا سعيد؟

فقال الحسن البصري في عجب:

- كيف ومن أين عرفت اسمي؟

قال المجنون المشدود إلى السارية:

- جالت روحي وروحك في الأسرار، فعرفتك بمعرفة الجبار.

قال أبو سعيد:

- أراك حبيبًا فكيف رضيت لنفسك هذه الحالة؟

قال المجنون المقيد:

- يا حسن وكيف لا أرضى ما رضى لي به محبوبي؟

شعر:

إن كـــان جـــيران الغضـــى ::: رضـــوا بقتلـــي فرضـــا
صـــرت لهـــم عبـــدا ومـــا ::: للعبـــــد أن يعترضـــــا
والله لا كنـــــــت لمـــــــا ::: يهـــوى الحبيـــب مبغضـــا
مـــن لمـــريض لا يـــرى ::: إلا الحبيـــــب ممرضـــــا

لما طبقت الكلام على نفسي:

ذات يوم كان أبو سعيد جالسًا في بيته المتواضع، جاءه وفد من عبيد البصرة وقالوا له:

- يا تقي الدين إن سادتنا أساءوا معاملتنا ونريد منك أن تخطب الجمعة القادمة عن عتق العبيد لننقذ من سوء المعاملة.

واستمع الحسن البصري إلى كلامهم.

ومضت جمعة وأخرى ولم يذهب الحسن البصري إلى ذلك المسجد ولم يتكلم عن عتق العبيد.

وذات يوم جمعة صعد أبو سعيد المنبر وألقى خطبة عن عتق العبيد أثرت بالمصلين إلى حد أن جعلت كل من كان عنده عبد أعتقه بعد أن غادر المسجد بدون مقابل.

ومضت أيام، وإذا بوفد العبيد الذين جاءوا من قبل وصاروا أحراراً بعد تلك الخطبة البليغة، أتوا إلى دار الحسن البصري وقالوا:

- ما جئنا شاكرين، وإنما جئنا معاتبين.

فتساءل أبو سعيد:

- وفيما العتاب يا أخوتاه؟

قالوا:

- يا تقي الدين لقد رجوناك أن تعجل بالخطبة ولكنك تأخرت جمعة وجمعة، ونحن كنا في مسيس الحاجة إلى التعجيل.

فقال الحسن البصري:

- أتدرون ما السر في أنني أجّلتُ الخطبة؟

قالوا:

- الله أعلم.

قال أبو سعيد:

- إنما أجلت الكلام عن العتق لأنني لم أكن أملك عبداً، ولم يكن معي ما أشترى به عبدًا حتى وفقني الله لشراء عبد فاشتريته ثم أعتقته، فلما طبقت الكلام على نفسي أولاً دعوت الناس بعد ذلك فاستجابوا لنداء رب العالمين.

الرأس في الخير، الرأس في الشر:

قال الحسن البصري:

يؤتى يوم القيامة بالميزان فيوضع بين يدي الله تبارك وتعالى، ثم يدعى العباد للحساب، فإذا كان العبد أو الأمة رأسًا في الخير يدعو إليه ويأمر به دعي باسمه، ثم يقرب من الميزان فتوزن حسناته وسيئاته، ولو كانت حسنة واحدة، ولو كانت سيئاته أكثر من حسناته وأثقل من جبال الدنيا، لأن الله تبارك وتعالى إذا تقبل من العبد أو الأمة حسنة واحدة غفر له جميع ذنوبه وإن كثرت.

مساكن الجنة:

قال الحسن البصري في قوله تعالى:{وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٍ} [سورة التوبة الآية: ٧٢].

سأله ابن أخيه في ذلك فقال:

- يا ابن أخي على الخبير وقعت، سألت عنها أبا هريرة وعمران بن حصين فقالا: على الخبير وقعت، هي قصر في الجنة من لؤلؤة بيضاء فيها سبعون دارًا من ياقوتة حمراء، وفي كل دار سبعون بيتًا من زمردة خضراء، في كل بيت سبعون سريرًا على كل سرير فراش لون على لون، على كل سرير امرأة من الحور العين، في كل بيت مائدة، على كل مائدة سبعون قصعة، وعلى كل مائدة سبعون وصيفًا، ووصيفة يعطي الله المؤمن في غداة واحدة ما يأكل ذلك الطعام، ويطوف على تلك الأزواج.

قضاء حوائج الناس:

بعث أبو سعيد جماعة من أصحابه في حاجة لرجل وقال لهم:

- مروا بثابت البناني فخذوه معكم.

فأتى أصحاب الحسن البصري ثابت البناني وقالوا له:

- هيا معنا إلى..

فقال ثابت البناني:

- إني معتكف.

فرجع أصحاب الحسن وأخبروه، فقال:

- قولوا له: يا أعمش أما تعلم أن مشيك في حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة؟

فرجعوا إلى ثابت البناني وأخبروه.

فترك اعتكافه وذهب معهم.

كتاب أهل الإيمان:

ما من عبد ولا أمة يدفن إلا دخل عليه ملك في قبره معه دواة وقرطاس، فيأخذ الملك برأس الميت ويقعده ويرفع إليه ذلك القرطاس ويناوله قلما ويقول له:

- أكتب جميع ما عملت في عمرك الذي وجبت عليك فيه الحدود من خير ومن شر فيأخذ الميت القلم فيكتب، وإن لم يكن في الدنيا كاتبًا، فإن كان العبد من أهل السعادة فأول ما يجرى القلم بيده بإذن الله تبارك وتعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم لأن بسم الله الرحمن لا تكون في كتاب أهل الشقاوة وإنما تكون في كتاب أهل الإيمان والسنة والأمان والغفران.

لأن بسم الله الرحمن الرحيم هي آية الإيمان.

وهي أخبار عن رحمة الله ولطفه جل جلاله.

وإذا لم يثبت في كتابه بسم الله الرحمن الرحيم فقد حل به العذاب في قبره.

فإذا كتب العبد ما عمل من خير وشر شقيا كان أو سعيدًا، يطوي الملك الكتاب ويعلقه في عنقه، فإذا خرج العبد من قبره يوم القيامة جاءه ذلك الملك فأخذ الكتاب وناوله إياه وقال:

- يا ولي الله، أو يا عدو الله أتعرف هذا؟

فيقول:

- نعم أنا كتبته، وأنا عملته.

فيقول له:

- فاقرأه.

فيستقبله منه ما سبق له من سعادة أو شقاوة.

لك فيها أجر:

إن رجلاً حزن على ولد له، وشكا ذلك إلى الحسن البصري، فقال أبو سعيد:

- كان ابنك يغب عنك؟

قال الرجل:

- نعم كانت غيبته أكثر من حضوره.

قال الحسن البصري:

- فاتركه غائبًا فإنه لم يغب عنك غيبة إلا لك فيها أجر أعظم من هذه.

فقال الرجل:

- يا أبا سعيد هونت عليَّ وجدي على ابني.

التوبة:

دخل عتبة على أبى سعيد وكان يفسر قوله تعالى:{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ} [سورة الحديد الآية: ١٦].

وقد أفاض الحسن البصري في تفسيرها حتى أبكى الحاضرين، وبكى عتبة، وكان فاجرًا يعاقر الخمر، ويزور النساء، فلما سمع تفسير أبي سعيد لهذه الآية قام وقال:

- يا أبا سعيد أيقبل الله تعالى توبة الفاجر الفاسق مثلي؟

قال الحسن البصري:

- نعم يقبل التواب الرحيم توبتك.

فارتعدت فرائص عتبة وصاح صيحة عظيمة وخر مغشيًا عليه.

ولما أفاق قال:

- يا تقي الدين هل قبل الرب الرحيم توبة العبد اللئيم؟

قال الحسن البصر:

- وهل يقبل توبة العبد الجافي إلا الرب المعافي؟

فرفع عتبة يديه إلى السماء وقال:

- إلـهي إن كنت قد قبلت توبتي فأكرمني بالفهم والحفظ، حتى أحفظ كل ما سمعت من قرآن.

إلـهي أكرمني بحسن الصوت.

إلـهي أكرمني بالرزق الحلال.

ومن الله على عتبة بدعواته الثلاث.

فالله عز وجل يقبل التوبة من عباده إن كانت توبة نصوحًا.

الوليمة:

دعي الحسن البصري وفرقد السبخي إلى وليمة، فقرب إليهما ألوان الطعام فاعتزل فرقد السبخي ولم يأكل، فتساءل أبو سعيد:

مالك مالك يا فرقد؟ أترى أن لك فضلاً على إخوانك بكسيك هذا؟ لقد بلغني أن عامة أهل النار أصحاب الأكسية.

ودخل أبو سعيد المسجد ومعه فرقد فقعدا إلى جنب حلقة يتكلمون، فسمع الحسن لحديثهم ثم أقبل على فرقد فقال له:

- يا فرقد والله ما هؤلاء إلا قوم ملوا العبادة ووجدوا الكلام أهون عليهم، وقل ورعهم فتكلموا.

ثم قال أبو سعيد:

- قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(إن الله عز وجل يقول إذا علمت أن الغالب على قلب عبدي الأشتغال بي جعلت شهوته في مسألتي ومناجاتي، فإذا كان كذلك كنت أنا المتمثل بين عينيه، فإن أراد أن يسهو عني حُلْتُ بينه وبين السهو، أولئك أوليائي حقا، أولئك الذين إذا

أردت بأهل الأرض عقوبة زويتها عنهم من أجلهم أحببتهم وأحبوني، أجيبهم إذا دعوني، وأعطيهم إذا سألوني، أولئك أوليائي).

الحسن البصري والخليفة الخامس:

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى أبي سعيد يطلب منه أن يكتب إليه بصفة الإمام - الحاكم - العادل.

فكتب الحسن البصري إليه:

اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد - هداية - كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل مظلوم، ونصفة - انصاف - كل مظلوم ومفزع كل ملهوف.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله، الرفيق الذي يرتاد لها أطيب المرعى، ويذودها - يدفعها بعيداً - عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكنفها من أذى الحر والقر - البرد - والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغارًا ويعلمهم كبارًا، يكتسب لهم في حياته ويدخر لهم بعد مماته.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها، حملته كرهًا ووضعته كرهًا، وربته طفلاً، تسهر بسهره، وتسكن بسكونه، ترضعه تارة وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين وصي اليتامى، وخازن المساكين، يربي صغيرهم، ويمون كبيرهم.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح تصلح الجوانح بصلاحه وتفسد بفساده.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر إلى الله ويريهم وينقاد إلى الله ويقودهم.

فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرد العيال، فأفقر أهله وفرق ماله.

واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث، فكيف إذا أتاها من يليها؟ وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم؟

واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده، وقلة أشياعك عنده، وأنصارك عليه فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر.

واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلاً غير منزلك الذي أنت فيه يعلو فيه سؤالك ويفارقك أحباؤك ويسلمونك في قعره فريدًا وحيدًا، فتزود له ما يصحبك يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه.

واذكر يا أمير المؤمنين إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور.. فالأسرار ظاهرة والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

فالآن يا أمير المؤمنين وأنت في مهل قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل.

لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين، فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلاً - عهدًا - ولا ذمة فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك، وتحمل أثقالك وأثقالاً مع أثقالك، ولا يغرنك الذين ينعمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك.

لا تنظر إلى قدرتك اليوم ولكن انظر إلى قدرتك غدًا وأنت مأسور في حبائل الموت، وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبيين

والمرسلين وقد عنت - خضعت - الوجوه للحى القيوم.

إنـي يـا أميـر المـؤمنين وإن لـم أبلـغ بعظتـي مـا بلغـه أولـو النهـى - أصحاب العقول - من قبلي فلم آلك - أقصر - شفقة ونصحًا.

فأنزل كتابي إليك كالمداوي حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو لـه في ذلك من العافية والصحة.

والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

ولما قرأ الخليفة العادل كتاب أبى سعيد فرح به وكتب إليه ثانيـة وطلب منه أن يعظه، فكتب الحسن البصري إليه:

اعلم أن التفكير يدعو إلى الخير والعمل بـه، والنـدم عـلى الشر يـدعو إلى تركه، وليس ما يفنى وإن كان كثيرًا يعدل ما يبقى وإن كان طلبه عزيزاً، واحتمال المؤونة المنقطعة التي تعقب الراحة الطويلة خير من تعجل راحة منقطعة تعقب مؤونة باقية.

فاحذر هذه الدار الصارعة الخادعة الخائنة التي تزينت بخدعها، وغرت بغرورها، وقتلت أهلها بأملها، وتشوفت - تطلعت - لخطابها، فأصبحت كـالعروس المجلـوة، العيـون إليهـا نـاظرة، والنفـوس لهـا عاشقة، والقلوب إليها والهة، ولألبابها دامغة، وهي لأزواجها كلهم قاتلة.

فلا الباقي بالماضي معتبر، ولا الآخر بما رأى من الأول مزدجر، ولا اللبيب بكثرة التجارب منتفع، ولا العارف بالله والمصدق له حين أخبر عنها مدكر - متعظ خائف -، فأبت القلوب لها - الدنيا - إلا حبًا، وأبت النفوس بها إلا ضنًا - بخلا - وما هذا منـا لهـا إلا عشقًا، ومـن عشق شيئًا لم يعقل غيره، ومات في طلبه ولم يظفر بـه، فهما عاشقان طالبان لها، فعاشق قد ظفر بها واغتر وطغى ونسى بها المعارف والمبدأ والمعاد، فشمل بها لبه، وذهب فيها عقله، حتى زلت عنها

قدمه، وجاءته أشر ما كانت له منيته، فعظمت ندامته، وكثرت حسرته، واشتدت كربته مع ما عالج من سكرته، واجتمعت عليه سكرات الموت بأمله، وحسرة الموت بغصته، غير موصوف ما نزل به، وآخر مات قبل أن يظفر منها بحاجته فذهب بكربه وغمه لم يدرك منها ما طلب، ولم يرج نفسه من التعب والنصب خرجا جميعًا بغير زاد، وقدما على غير مهاد.

فاحذرها الحذر كله، مثل الحية لين مسها وسمها يقتل، فأعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها، وضع عنك همومها لما عاينت من فجائعها، وأيقنت به من فراقها، وشدد ما اشتد منها لرجاء ما يصيبك، وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها، فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور له أشخصته عنها بمكروه، وكلما ظفر منها بشيء وثنى رجلا عليه انقلبت به، فالسار فيها غار، والنافع فيها غدا ضار، وصل الرخاء فيها بالبلاء، واجعل البقاء فيها إلى فناء، سرورها مشوب بالحزن، وآخر الحياة فيها الضعف والوهن.

فانظر إليها نظر الزاهد المفارق، ولا تنظر نظر العاشق الوامق، وأعلم أنها تزيل الثاوي الساكن، وتفجع المغرور الآمن، لا يرجع ما تولى منها فأدبر، ولا يدرى ما هو آت فيها فينتظر.

فاحذرها فإن أمانيها كاذبة، وإن آمالها باطلة، عيشها نكد، وصفوها كدر، وأنت منها على خطر، أما نعمة زائلة، وأما بلية نازلة، وأما مصيبة موجعة، وأما منية قاضية.

فخذ الثقة بالعمل، واترك الغرور بالأمل قبل حلول الأجل.

وإياك أن تدخل على اليوم هم غد أو هم ما بعده زدت في حزنك وتعبك وأردت أن تجمع في يومك ما يكفيك أيامك، هيهات كثرة الشغل وزاد الحزن وعظم التعب وأضاع العبد العمل بالأمل.

احذر الحسرة عند نزول السكرة، ولا تأمن أن تكون لهذا الكلام حجة.

نفعنا الله وإياك بالموعظة.

ورزقنا وإياك خير العواقب.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وكتب الخليفة الخامس إلى الحسن البصري:

- كيف حبك الدينار والدرهم؟

قال أبو سعيد:

- لا أحبهما.

فكتب عمر بن عبد العزيز إليه:

- تول - تول القضاء - فإنك تعدل.

من سألني المغفرة لم أبخل عليه.

قال الحسن البصري:

لما تاب الله على آدم عليه السلام هبط جبريل وكذلك ميكائيل وإسرافيل عليهم السلام وقالوا:

- يا آدم قرت عيناك بتوبة الله تعالى عليك.

فقال آدم عليه السلام:

- يا جبريل فإن كان بعد هذه التوبة السؤال فأين مقامي؟

فأوحى الله عز وجل إليه:

- يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب، وورثتهم أنا التوبة، من دعاني منهم بدعوتك تبت عليه كما تبت عليك، ومن سألني المغفرة لم أبخل عليه كما لم أبخل عليك، لأني قريب مجيب.

يا آدم أحشر التائبين من القبور مستبشرين ودعاؤهم مستجاب.

أعددت الزاد للقاء ربي:

جاء رجل إلى الحسن البصري فسأله:

- ما سر زهدك في الدنيا يا إمام؟

قال الحسن البصري:

- أربعة أشياء:

علمت أن رزقي لا يقوم به غيري فاشتغلت به وحدي.

وعلمت أن عملي لا يقوم به غيري فاشتغلت به وحدي.

وعلمت أن الله مطلع عليَّ فاستحييت أن يراني على معصية.

وعلمت أن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء ربي.

من سيدكم!

سأل أعرابي أهل البصرة:

- من سيدكم؟

قالوا:

- الحسن.

فتساءل الأعرابي:

- بم سادكم؟

قالوا:

- احتاج الناس إلى علمه واستغنى هو عن دنياهم.

فقال الأعرابي:

- ما أحسن هذا.

دلال الحور العين:

قال الحسن البصري:

بينما وَلِيٌّ الله في الجنة مع زوجته من الحور العين على سرر من ياقوت أحمر عليه قبة من نور، إذ قال لها:

- قد اشتقت إلى مشيتك.

فتنزل من سرير ياقوت أحمر إلى روضة مرجان أخضر، وينشئ الله عز وجل لها في تلك الروضة طريقين من نور، أحدهما نبت الزعفران، والآخر نبت الكافور، فتمشى في نبت الزعفران، وترجع في نبت الكافور.

وتمشى بسبعين ألف لون من الغنج.

الحسن البصري وميمون بن مهران:

قال ابن ميمون بن مهران:

ما كان أبى بكثير الصيام والصلاة.

خرجت بأبي أقوده في بعض سكك البصرة، فمررت بجدول - مجرى ماء - فلم يستطع الشيخ أن يتخطاه، فاضطجعت له فمر على ظهري، ثم قمت فأخذت بيده، ثم ذهبنا إلى بيت الحسن البصري، فطرقت الباب، فخرجت إلينا جارية سداسية فقالت:

- من هذا؟

قلت لها:

- هذا ميمون بن مهران أراد لقاء الحسن.

فقالت الجارية:

- كاتب عمر بن عبد العزيز؟

قلت لها:

- نعم.

قالت:

- يا شقي ما بقاؤك إلى هذا الزمان السوء.

فبكى الشيخ.

وسمع الحسن البصري بكاءه فخرج إليه.

واعتنقا ثم دخلا، فقال ميمون بن مهران:

- يا أبا سعيد قد أنست من قلبي غلظة فاستلن لي منه.

فقرأ الحسن البصري:

بسم الله الرحمن الرحيم:{ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾} [سورة الشعراء الآيات: ٢٠٥ - ٢٠٧].

فسقط الشيخ فرأيته يفحص برجله كما تفحص الشاة المذبوحة فأقام على ذلك طويلاً، ثم أفاق، فجاءت الجارية فقالت:

- قد أتعبتم الشيخ قوموا تفرقوا.

فأخذت بيد أبي وخرجت به.

طعم الموت:

قال الحسن البصري:

لما مات خليل الرحمن اجتمعت إليه أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقالوا:

- إن الله تعالى اتخذك خليلاً من بين سائر الأنبياء والرسل، فإن كان الموت خفف عن واحد فأنت هو، فأخبرنا كيف وجدت طعم الموت؟

قال إبراهيم عليه السلام:

- أواه، وجدته والله شديدًا، والذي لا إله غيره وهو أشد من الطبخ في القدور، والقطع بالمناشير، أقبل ملك الموت نحوي بكلوب من حديد، فأدخله في كل عضو مني، ثم استل الروح من كل عضو حتى جعله في القلب، ثم طعن في القلب طعنة بحربته المسمومة بسم الموت، فلو إني طبخت في القدور سبعين مرة لكان أهون عليَّ.

فقالوا:

- يا إبراهيم لقد هون الله عليك الموت فإذا كان هذا حال الأنبياء فما يصنع المخطئين؟ كفى بالموت طامة.

وإذا بجبريل عليه السلام عندهم يسمعهم فقال لهم:

- يا أرواح الطيبين ما بعد الموت أشد وأطم وأعظم من الموت.

ألبسهم الله عز وجل نوراً من نوره:

قيل لأبي سعيد:

- ما بال المتعبدين أحسن الناس وجوها؟

قال الحسن البصري:

- لأنهم خلوا - أثناء قيام الليل - بالجليل فألبسهم نورًا من نوره.

ودخل الحسن البصري على الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز فقال له:

- عظني يا تقي الدين.

فقال الحسن البصري:

- صم عن الدنيا، وأفطر على الموت، وأعد الزاد الليلة صبحها يوم القيامة.

الفقيه:

سأل عمران القصير أبا سعيد عن شيء وقال:

- إن الفقهاء يقولون: كذا وكذا.

فقال الحسن البصري:

- وهل رأيت فقيهًا؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه عز وجل.

انظروا إلى هذا البائس:

كان أصحاب أبى سعيد يجلسون عنده فأتاه آت فقال:

- يا أبا سعيد دخلنا آنفا على عبد الله بن الأهتم فإذا هو يجود بنفسه.

فانطلق الحسن وأصحابه إلى دار عبد الله بن الأهتم، فقال أبو سعيد:

- يا أبا معمر كيف تجدك؟

قال عبد الله بن الأهتم:

- أجدني والله وجعًا، ولا أظنني إلا لمابي.

ثم سكت أبو معمر قليلا وتساءل:

- ولكن ما تقولون في مائة ألف - درهم - في هذا الصندوق لم تؤد منها زكاة ولم يوصل منها رحم؟

فقال أصحاب الحسن البصري:

- يا أبا معمر فلم كنت تجمعها؟

قال عبد الله بن الأهتم:

- كنت والله أجمعها لروعة الزمان، وجفوة السلطان، ومكاثرة العشيرة.

فقال الحسن البصري:

- انظروا إلى هذا البائس أنى أتاه الشيطان فحذره روعة زمانه، وجفوة سلطانه، عما استودعه الله إياه، وأعمره فيه، خرج والله منه كئيبًا حزينًا ذميمًا مُليمًا، إيها عنك إيها الوارث لا تخدع كما خدع صويحبك أمامك، أتاك هذا المال حلالاً فإياك إياك أن يكون وبالاً عليك، أتاك والله ممن كان له جموعًا منوعًا يدأب فيه الليل والنهار، يقطع فيه المفاوز والقفار، من باطل جمعه، ومن حق منعه.

وجمعه فأوعاه، وشده فأوكاه، لم يؤد زكاة، ولم يصل منه رحمًا، إن يوم القيامة ذو حسرات، وإن أعظم الحسرات غدًا أن يرى أحدكم ماله في ميزان غيره، أتدرون كيف ذاكم؟

رجل آتاه الله مالاً وأمره بإنفاقه في صنوف حقوق الله فبخل به فورثه هذا الوارث فهو يراه في ميزان غيره.

فيالها من عثرة لا تقال، وتوبة لا تنال.

المفتاح بيد الفتاح:

رأى أبو سعيد مجوسيًا يجود بنفسه - يحتضر - فقال له:

- كيف أنت؟

فقال المجوسي:

- ألم شديد ولا طاقة لي، وطريق بعيد ولا زاد معي، وقبر موحش ولا أنيس لي.

قال الحسن البصري:

- هذا كلام حكيم.

ثم أقبل عليه وقال له:

- لم لا تسلم؟

فقال المجوسي:

- يا شيخ ليس لك من الأمر شيء، المفتاح بيد الفتاح، والعقل هاهنا.

وأشار إلى صدره.

ثم غشى عليه.

فقال أبو سعيد:

- يا إلهي إن كان سبق لهذا المجوسي عندك سعادة فعجل بها في هذه الساعة.

وإذا بالمجوسي قد فتح عينيه وقال:

- يا شيخ: إن الفتاح قد أرسل المفتاح.

ثم تبسم المجوسي وقال لأبي سعيد:

- مد يدك، **فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.**

ثم مات من ساعته.

موعظة بليغة:

قال حسن البصري:

أرحم ما يكون المولى جل جلاله بعبده إذا دخل قبره، وتفرق الناس وأهله، فمن أكثر من ذكره وجده روضة من رياض الجنة، وما من يوم إلا والأرض تنادى بخمس كلمات:

يا ابن آدم تمشي على ظهري ومصيرك إلى بطني؟

يا ابن آدم تضحك على ظهري وسوف تبكي في بطني؟

يا ابن آدم تفرح على ظهري وسوف تحزن في بطني؟

يا ابن آدم تذنب على ظهري وسوف تعذب في بطني؟

يا ابن آدم تأكل الحرام على ظهري وسوف يأكلك الدود في بطني؟

يا ابن آدم كم من محسود في حياته يود إذا نزل في حفرته لو كان كل ما جمعه وخلفه لأعدائه وحساده؟

فكم من تارك لعياله ما يصلحهم لمعادهم ويكون هو في قبره أو رمسه مثبورًا - الثبور: الهلاك والخسران -.

أخي ما بال قلبك ينقى ::: كأنك لا تظن الموت حقا

أيا ابن الذين فنوا وبادوا ::: أما والله ما بادوا وتبقى

وما أحد بزادك منك أحصى ::: وما أحد بزادك منك أشقى

وما للنفس عندك مستقر ::: إذا ما استكملت أجلا ورزقا

لقد أدركت أقواما:

قال الحسن البصري:

لقد أدركت أقوامًا ما طوى لأحدهم في بيته ثوب قط، ولا أمر في أهله بصنعة طعام قط، وما جعل بينه وبين الأرض شيئا قط - كان ينام على الأرض بلا حشية أو سرير أو حصير -، وإن كان أحدهم ليقول:

- وددت أني أكلت أكلة في جوفي مل الأجرة - قيل: إن الآجرة تبقى في الماء ثلاثمائة سنة - ولقد أدركت أقواما إن كان أحدهم ليرث المال العظيم وأنه لمجهود - فقير - شديد الجهد - شديد الفقر - فيقول لأخيه:

- يا أخي قد علمت إني ذو ميراث وهو حلال ولكني أخاف أن يفسد عليّ قلبي وعملي، فهو لك لا حاجة لي فيه.

فلا يرزأ - لا يقبل أن يأخذ منه شيئًا - منه شيئًا أبدًا، وإنه مجهود شديد الجهد.

بلغني أنك أهديت إليَّ حسناتك:

جاء رجل إلى أبى سعيد وأخبره أن رجلا اغتابه.

فبعث الحسن البصري إلى ذلك الرجل طبقًا من رطب وقال له:

- بلغني أنك أهديت إليَّ حسناتك فأردت أن أكافئك بهذا، فاعذرني فإني لا أقدر أن أكافئك بها على التمام.

وقيل:

رأى روح الله وكلمته زعيم أهل النار في إحدى يديه عسل وفي الأخرى رماد.

فقال عيسى بن مريم عليه السلام لإبليس:

- ما هذا؟

قال إبليس عليه اللعنة:

- أجعل العسل في أفواه المغتابين، والرماد في وجوه الأيتام حتى يرمدوا فيستقذرهم الناس فلا يفعلوا بهم خيرا.

اصرفوا ضيفكم بالكرامة:

مر الحسن البصري بقوم يضحكون فوقف عليهم وقال:

إن الله تعالى قد جعل شهر رمضان مضمارًا لخلقه يستبقون فيه بطاعته، فسبق أقوام ففازوا، وتخلف أقوام فخابوا، أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

فالله الله عباد الله اجتهدوا أن تكونوا من السابقين ولا تكونوا من الخائبين؟ في شهر شرفه رب العالمين.

فالله الله اصرفوا ضيفكم رمضان بالكرامة، واحرصوا فيه على طلب طريق الاستقامة، إلى أن يفضي بكم إلى دار الكرامة، والخلد والمقامة.

بئس الخاطب أنت:

رأى أبو سعيد رجلاً يصلي وهو يعبث بالحصى ويقول:

- اللهم زوجني الحور العين.

فلما فرغ من صلاته، اقترب الحسن البصري منه وقال له:

- بئس الخاطب أنت، تخطب الحور العين وأنت تعبث بالحصى؟

قال بعض السلف:

- أربعة من الجفاء:

الالتفات - في الصلاة -، ومسح الوجه - أثناء الصلاة -، وتسوية الحصى - أثناء الصلاة -، وأن تصلى بطريق من يمر بين يديك - كأن تصلى أمام باب المسجد -.

وقيل لرجل:

- ألا يؤذيك الذباب في صلاتك فتطردها؟

قال الرجل:

- لا أعود نفسي شيئًا يفسد عليَّ صلاتي.

قيل له:

- وكيف تصبر على ذلك؟

قال الرجل:

- بلغني أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان ليقال: فلان صبور، ويفتخرون بذلك، فأنا قائم بين يدي ربي أفأتحرك لذبابة؟

إن المؤمنين شهود الله في الأرض:

قال الحسن البصري:

يا ابن آدم إذا رأيت الناس في خير فنافسهم فيه، وإذا رأيتهم في

هلكة فذرهم - دعهم واتركهم - وما اختاروا لأنفسهم، قد رأينا أقوامًا آثروا عاجلتهم - الدنيا - على عاقبتهم - الآخرة - فذلوا وهلكوا وافتضحوا.

يا ابن آدم إنما الحكم حكمان فمن حكم بحكم الله فإمام عدل، ومن حكم بغير حكم الله فحكم الجاهلية.

إنما الناس ثلاثة: مؤمن، وكافر، ومنافق.

فأما المؤمن فعامل الله بطاعته.

وأما الكافر فقد أذله الله كما قد رأيتم.

وأما المنافق فههنا معنا في الحجر والطرق والأسواق، نعوذ بالله والله ما عرفوا ربهم، اعتبروا انكارهم ربهم بأعمالهم الخبيثة.

وإن المؤمن لا يصبح إلا خائفًا وإن كان محسنًا لا يصلحه إلا ذاك، ولا يمسي إلا خائفًا وإن كان محسنًا، لأنه بين مخافتين بين ذنب قد مضى لا يدري ماذا يصنع الله تعالى فيه، وبين أجل قد بقى لا يدري ما يصيب فيه من الهلكات.

إن المؤمنين شهود الله في الأرض يعرضون أعمال بني آدم على كتاب الله فمن وافق كتاب الله حمد الله عليه، وما خالف كتاب الله عرفوا أنه مخالف لكتاب الله وعرفوا بالقرآن ضلالة من ضل من الخلق.

الحسن البصري وسفاح ثقيف:

كان الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية وبلغت قوته بالعراق مبلغًا أثار النفوس وأشعل الصدور، فقد كانت الدماء المراقة، والأشلاء المتطايرة، والسجون المكتظة مثارًا للحنق والتبرم والضيق، فلم يرع الحجاج بن يوسف الثقفي في قسوته دينًا أو مروءة.

واعتزل الحسن البصري وظائف الدولة، وشاء لنفسه أن يقتصر على النصيحة والتوجيه في رفق وحيطة.

كتب الحجاج بن يوسف الثقفي إلى أبى سعيد، واصل بن عطاء، وعامر الشعبي، وعمرو بن عبيد يسألهم عن القضاء والقدر.

فكتب الحسن البصري:

لا أعرف فيه إلا ما قاله أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه:

أتظن أن الذي نهاك دهاك؟ إنما دهاك أسفلك وأعلاك، وربك بريء من ذلك.

وأجاب عامر الشعبي:

لا أعرف فيه إلا ما قاله أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه:

ما حمدت الله عليه فهو منه وما استغفرت الله منه فهو مثلك.

وأجابه واصل بن عطاء:

لا أعرف فيه إلا ما قاله أمير المؤمنين على بن أبى طالب:

أتظن أن الذي فسح لك الطريق، لزم عليك الضيق؟

وأجابه عمرو بن عبيد:

لا أعرف إلا ما قاله أمير المؤمنين على بن أبى طالب:

إن كانت المعصية حتمًا، فالعقوبة ظلمًا.

فلما وصلت هذه الأجوبة إلى الحجاج بن يوسف قرأها وقال:

قاتلهم الله، لقد أخذوا من عين صافية.

طريقان: مستقيم وأعوج، وقد بصرك الله عز وجل بهما وجعل لك أن تختار إما إلى جنة فتسعد، وإما إلى نار فتشقى.

وأجوبة الفقهاء المذكورة تدور كلها حول معنى واحد أشارت إليه الآية الكريمة:

{مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ} [سورة النساء الآية: ٧٩].

وقد أمرنا العزيز الحكيم أن نؤمن بالقدر كله، خيره وشره، ولا نجادل ولا نمارى، حتى لا تتفرق وتتلوى بنا السبل فنضل.

* وبعث الحجاج إلى الحسن البصري، فلما دخل عليه قال له:

- أنت الذي تقول: قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدراهم؟

قال أبو سعيد:

- نعم.

قال الحجاج بن يوسف الثقفي:

- ما حملك على هذا؟

قال الحسن البصري:

- ما أخذه الله على العلماء من المواثيق.

قال الحجاج بن يوسف:

- وماذا أخذ الله على العلماء من المواثيق؟

قال أبو سعيد:

-{لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ} [سورة آل عمران الآية: ١٨٧].

قال الحجاج بن يوسف:

- يا حسن أمسك عليك لسانك وإياك أن يبلغني عنك ما أكره فأفرق بين رأسك وجسدك.

* وجمع الحجاج بن يوسف علماء العراق وكان فيهم الحسن البصري، والشعبي، وجعل يحادثهم، فذكر علي بن أبى طالب، وجاراه من معه تقربًا له، وأمنا من شر الحجاج إلا الحسن البصري فقد لزم الصمت على مضض وعض إبهامه فقد غلى مرجل غضبه، فالتفت إليه الحجاج وقال له:

- يا أبا سعيد ما لي أراك ساكتًا؟

قال الحسن البصري:

- سمعت الله جل ذكره يقول:{وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [سورة البقرة الآية: ١٤٣].

فَعَلِيٌّ - أبو الحسن - ممن هدى الله من أهل الإيمان.

فأقول:

ابن عم النبي (صلي الله عليه وسلم) وختنه - الختن: كل من كان من قبل المرأة مثل الأب والأخ وهم الأختان - على ابنته، وأحب الناس إليه، وصاحب سوابق، مباركات سبقت له من الله، لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه، ولا يحول بينه وبينها وأقول:

إن كانت لعلي هنات - الهنة الخطأ اليسير - فالله حسبه، والله ما أجد فيه قولاً أعدل من هذا.

فبسر وجه الحجاج بن يوسف وتغير، وقام عن السرير مغضبًا فدخل بيتًا خلفه وخرج الجمع فقال عامر الشعبي:

- أغضبت الأمير، وأوغرت صدره.

قال أبو سعيد:

- إليك عني يا عامر هلا اتقيت أن سئلت فصدقت، أو سكت فسلمت.

قال عامر الشعبي:

- يا أبا سعيد قد قلتها وأنا أعلم ما فيها.

قال الحسن البصري:

- فذلك أعظم في الحجة عليك وأشد في التبعة

* رأى أبو سعيد مظالم الحجاج بن يوسف الثقفي وقسوته فقد أزهق في حياته ما يزيد على المائة والعشرين ألفا من الأرواح.. فملأ الاستياء الصدور وغمر القلوب، وكان الفقهاء من أجلة التابعين والعلماء من ثقات الأمة في طليعة المتذمرين من هذا البغي الصريح فهم يرون النفوس ترد حتفها في غير حق، وقد استشرى الطغيان استشراء لا يقف وراء حد..

وكان مصرع سعيد بن جبير القشة التي قصمت ظهر البعير.. فلما علم الحسن البصري بقتل سعيد بن جبير، هب الحسن واقفًا ورفع يديه إلى السماء وقال:

- اللهم ائت على فاسق ثقيف، اللهم يا قاصم الجبابرة اقصم الحجاج.

فلم تمض أيام حتى انتشر خبر موت طاغية ثقيف في أنحاء العراق انتشار النار في الهشيم.

وأقبل عثمان بن عبد الرحمن بن على بن زيد بن جدعان فوجد أبا سعيد في مسجده يصلي، فلما فرغ من صلاته اقترب منه وقال في فرج:

- مات سفاح ثقيف.

فقال أبو سعيد:

- الحجاج بن يوسف؟

قال عثمان بن عبد الرحمن:

- إي وربي.

فسجد الحسن البصري لله وقال:

- اللهم عقيرك وأنت قتلته فاقطع سنته وأرحنا من سنته وأعماله الخبيثة.

ودعا عليه.

الحسن البصري يرى خاتم النبيين (صلي الله عليه وسلم) **في منامه:**

نام الحسن البصري ذات ليلة بعد أن صلى العشاء وأوتر، فرأى في منامه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال له:

- يا رسول الله عظني.

قال إمام الخير (صلي الله عليه وسلم) :

– من استوى يومه فهو مغبون – غبنه في البيع أي خدعه – ومن كان غده شرا من يومه فهو ملعون، ومن يتعاهد النقصان من نفسه فهو في نقصان، ومن كان في نقصان فالموت خير له.

ما الإيمان!

سأل رجل ذات يوم الحسن البصري:

- يا أبا سعيد ما الإيمان؟

قال الحسن البصري:

- الصبر والسماحة.

فتساءل الرجل:

- يا أبا سعيد فما الصبر والسماحة؟

قال الحسن:

- الصبر عن معصية الله، والسماحة بأداء فرائض الله عز وجل.

وسال رجل أبا سعيد:

- من المؤمن؟

قال الحسن البصري:

- إن المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر على غير محاسبة.

إن المؤمن يفجأه الشيء يعجبه فيقول:

- والله إني لأشتهيك وأنك لمن حاجتي، ولكن والله ما من وصلة إليك هيهات حيل بيني ربينك ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول:

- ما أردت إلا هذا، ما لي ولهذا، والله مالي عذر بها، ووالله لا أعود لهذا أبدًا إن شاء الله إن المؤمنين قوم أوثقهم القرآن، وحال بينهم وبين هلكتهم.

إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئًا حتى يلقى الله عز وجل يعلم أنه مأخوذ عليه في ذلك كله.

المؤمن يعلم أن ما قال الله عز وجل كما قال:

المؤمن أحسن الناس عملاً وأشد الناس خوفًا، لو أنفق جبلاً من مال ما أمن دون أن يعاين، لا يزداد صلاحًا وبرًا وعبادة إلا ازداد فرقًا - الفرق: الخوف - يقول: لا أنجو.

والمنافق يقول: سواد الناس، وسيغفر لي، ولا بأس عليّ، فينسى

العمل، ويتمنى على الله.

يا عمر بن هبيرة:

لما ولى عمر بن هبيرة العراق أرسل إلى الحسن البصري وعامر الشعبي، فأمر لهما ببيت وكانا فيه شهرًا أو نحوه، ثم جاء رجل من رجاله - الخصى - وأخبرهما أن الأمير في الطريق إليهما.

وجاء عمر بن هبيرة يتوكأ على عصا له فسلم ثم جلس معظمًا لهما.

قال عمر بن هبيرة:

- إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك ينفذ كتبًا أعرف أن في إنفاذها الهلكة، فإن أطعته عصيت الله، وإن عصيته أطعت الله عز وجل، فهل تريا لي في متابعتي إياه فرجًا؟

فقال أبو سعيد وهو ينظر نحو عامر الشعبي:

- يا أبا عمرو أجب الأمير

فتكلم عامر الشعبي فانحط في حيل ابن هبيرة، فتساءل: - ما تقول أنت يا أبا سعيد؟

فقال الحسن البصري:

- أيها الأمير قد قال الشعبي ما قد سمعت.

قال عمر بن هبيرة:

- ما تقول أنت يا أبا سعيد؟

فقال الحسن البصري:

- أقول يا عمر بن هبيرة يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله تعالى فظ غليظ لا يعصى الله ما أمره فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك.

يا عمر بن هبيرة إن تتقي الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك ولا يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله عز وجل.

يا عمر بن هبيرة لا تأمن أن ينظر الله إليك على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد ابن عبد الملك نظر مقت فيغلق بها باب المغفرة دونك.

يا عمر بن هبيرة لقد أدركت ناسًا من صدر هذه الأمة كانوا والله على الدنيا وهي مقبلة أشداد إدبارا من إقبالهم عليها وهي مدبرة.

يا عمر بن هبيرة إني أخوفك مقامًا خوفكه الله فقال:{ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ} [سورة إبراهيم الآية: ١٤].

يا عمر بن هبيرة وإن تك مع الله تعالى في طاعته كفاك بائقة يزيد بن عبد الملك، وإن تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصي الله وكلك الله إليه.

فبكى عمر بن هبيرة وقام بعبرته.

ولما كان من الغد أرسل إلى الحسن وعامر الشعبي بإذنهما وجوائزهما وكثر منه لأبي سعيد، وكان في جائزته لعامر الشعبي بعض الإقتار - القلة -، فخرج عامر الشعبي إلى المسجد فقال:

- أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله تعالى على خلقه فليفعل، فوالذي نفسي بيده ما علم الحسن منه شيئًا فجهلته **ولكن أردت وجه ابن هبيرة فأقصاني الله منه.**

وخرج الحسن البصري ذات يوم من عند ابن هبيرة فإذا هو بالقراء على الباب فقال:

- ما يجلسكم هاهنا؟ تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء؟ أما والله ما مجالستهم بمجالسة الأبرار، تفرقوا فرق الله بين أرواحكم

وأجسادكم، قد احتذيتم نعالكم وشمرتم ثيابكم وجززتم شعوركم، فضحتم القراء فضحكم الله، أما والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيما عندكم، أبعد الله من أبعد.

وقام المغيرة بن مخادش ذات يوم فقال للحسن:

- كيف نصنع بأقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير؟

قال أبو سعيد:

والله لمن تصحب أقوامًا يخوفونك حتى يدركك الأمن خير لك من أن تصحب أقوامًا يؤمنونك حتى يلحقك الخوف.

فقال بعض القوم:

- أخبرنا صفة أصحاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم)

فبكى الحسن البصري ثم قال:

- ظهرت منهم علامات الخير في السماحة والهدى والصدق وخشونة ملابسهم بالإقتصاد، وممشاهم بالتواضع، ومنطقهم بالعمل، ومطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق، وخضوعهم بالطاعة لربهم تعالى، واستقامتهم للحق فيما أحبوا وكرهوا، وإعطاؤهم الحق من أنفسهم، ظمأت هواجرهم ونحلت أجسامهم واستخفوا بسخط المخلوقين في رضى الخالق، لم يفرطوا في غضب، ولم يحيفوا في جور، ولم يجاوزوا حكم الله تعالى في القرآن، شغلوا الألسن بالذكر، بذلوا دماءهم حين استنصرهم، وبذلوا أموالهم حين استقرضهم، ولم يمنعهم خوفهم من المخلوقين، حسنت أخلاقهم، وهانت مؤنتهم، وكفاهم اليسير من دنياهم إلى آخرتهم.

ثم قال أبو سعيد:

- مـن رأى محمـداً (صـلي الله عليـه وسـلم) فقـد رآه غاديًـا رائحًـا لـم يضـع لبنــة علـى لبنـة، لا قصـبة علـى قصـبة - يعنـى لـم يقـم بنـاء ولـم يعمـر ويشـيد -، رفـع لـه علـم فشـمر لـه، النجـا النجـا ثـم الوحـا الوحـا علـى مـا تعرجـون وقـد أسـرع بخيـاركم، وذهـب نبـيكم (صـلي الله عليـه وسـلم) وأنـتم كـل يـوم ترذلـون، العيـان العيان.

وقال الحسن البصري:

لما بعث الله عز وجل محمداً (صلي الله عليه وسلم) يعرفون وجهه، ويعرفون نسبه قال:

- هذا نبي خياري خذوا من سنته وسبيله.

أمـا والله مـا كـان يغدي عليـه بالجفـان ولا يـراح، ولا يغلـق دونـه الأبواب، ولا تقوم دونه الحجة، كان يجلس بالأرض، ويوضع طعامه بالأرض، ويلبس الغليظ ويركب الحمار، ويردف خلفه، وكـان يلعق يده.

وقال أبو سعيد:

- ما أكثر الراغبين عن سنة نبـي الله (صـلي الله عليـه وسلم)، وما أكثر التاركين لها، ثم إن علوجًا فُسَّاقا أكلة ربا وغلول، قد شغلهم ربي عز وجل ومقتهم، زعموا أن لا بأس فيما أكلوا وشربوا وستروا البيوت وزخرفوها، ويقولـون: من حـرم زينـة الله التـي أخـرج لعبـاده والطيبات من الرزق ويذهبون بها إلى غير مـا ذهـب الله بهـا إليـه، وإنمـا جعل الله ذلك لأولياء الشيطان.

أول النهار.. وآخر النهار:

كان أبو سعيد يتمثل بهذين البيتين أحدهما في أول النهار، والآخر في آخر النهار:

يسر الفتى ما كان قدم من تقى ::: إذا عرف الداء الذي هو قاتله
وما الدنيا بباقية لحي ::: ولا حي على الدنيا بباق

ويحك يا ابن آدم:

قال أبو سعيد:

- نضحك ولا ندري لعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا فقال: لا أقبل منكم شيئًا، ويحك يا ابن آدم هل لك بمحاربة الله طاقة؟ إنه من عصى الله فقد حاربه والله لقد أدركت سبعين بدريًا.

لا جرى بيننا وبينه صهر أبداً

خطب رجل إلى أبى سعيد، وكان حميد الطويل سفيرًا بينهما، وقبل الحسن الخطبة، فذهب حميد الطويل إلى الحسن البصري ذات يوم وأثنا على الرجل فقال:

- يا أبا سعيد وأزيدك أن له خمسين ألف درهم.

فقال أبو سعيد:

- له خمسون ألفًا ما اجتمعت من حلال.

قال حميد الطويل:

- يا أبا سعيد كما علمت أنه ورع مسلم.

قال الحسن البصري:

- إن كان جمعها من حلال فقد ضن - بخل - بها عن حق، لا والله لا جرى بيننا وبينه صهر أبدًا.

الحسن البصري والقرآن:

سئل الحسن البصري عن " بسم الله الرحمن الرحيم " فقال:

في صدور الرسائل:

ثم قال:

- لم تنزل " بسم الله الرحمن الرحيم " في شيء من القرآن إلا في " طس ".

{إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠} [سورة النمل الآية: ٣٠].

البسملة تسعة عشر حرفًا على عدد ملائكة أهل النار الذين قال الله فيهم:{عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ٣٠} [سورة المدثر الآية: ٣٠].

وهي آية في فاتحة الكتاب.

وسئل الحسن البصري عن أم الكتاب فقال:

- أم الكتاب الحلال والحرام، قال تعالى:{ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ} [سورة آل عمران الآية: ٧].

وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى:{كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ} [سورة البقرة الآية: ١١٦].

فقال:

- كل قائم بالشهادة أنه عبده.

والقنوت في اللغة أصله القيام.

وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى:{ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ} [سورة البقرة الآية: ١٢١].

فقال:

- هم الذين يعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويكلون ما

أشكل عليهم إلى عالمه.

وقيل: يقرؤونه حق قراءته.

وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى:{فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ} [سورة البقرة الآية: ١٩٧].

فقال:

- فمن ألزم نفسه بالشروع فيه بالنية قصداً باطنًا، وبالإحرام فعلا ظاهرًا، وبالتلبية نطقًا مسموعًا.

وقال:

- الرفث: الجماع، أي فلا جماع لأنه يفسده.

وأجمع العلماء على أن الجماع قبل الوقوف بعرفة مفسد للحج، وعليه حج قابل والهدى.

وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى:{رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ} [سورة البقرة الآية: ٢٠١].

فقال:

– حسنة الدنيا: العلم والعبادة.

وقيل:

حسنة الدنيا: المرأة الحسناء، وفي الآخرة: الحور العين.

وسئل الحسن عن:{وَٱلْمَيْسِرِ} [سورة البقرة الآية: ٢١٩].

فقال:

- كل شيء فيه قمار من نرد وشطرنج فهو الميسر، حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب، إلا ما أبيح من الرهان في الخيل والقرعة.

وسئل الحسن عن قوله تعالى:{وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ} [سورة البقرة الآية: ٢٢١].

فقال:

- أحل الله الكتابيات بقوله:{وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ } [سورة المائدة الآية: ٥].

فقال رجل:

- يا أبا سعيد كيف كنتم تصنعون - بالمجوسيات - إذا سبيتموهنّ؟

قال الحسن البصري:

- كنا نوجهها إلى القبلة ونأمرها أن تسلم، وتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم نأمرها أن تغتسل، وإذا أراد صاحبها أن يصيبها لم يصبها حتى يستبرئها.

وسئل الحسن عن قوله تعالى:{وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ} [سورة البقرة الآية: ٢٦١].

فقال:

- قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم، ومن غزا بنفسه في سبيل الله وأنفق في وجهه فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم).

ثم تلا هذه الآية{وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ} [سورة البقرة الآية: ٢٦١] (رواه ابن ماجه عن عمران بن حصين).

وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى:{ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ} [سورة آل عمران الآية: ٣١].

فقال:

- نزلت في قوم من أهل الكتاب قالوا: نحن الذين نحب ربنا.

وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى:{وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ} [سورة آل عمران الآية: ٧٣].

فقال:

- ولا تؤمنوا أن يحاجوكم عند ربكم لأنهم لا حجة لهم فإنكم أصح منهم دينا.

وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى:{كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ} [سورة آل عمران الآية: ٨٦].

فقال:

- نزلت في اليهود لأنهم كانوا يبشرون بالنبي (صلي الله عليه وسلم) ويستفتحون على الذين كفروا فلما بعث عاندوا وكفروا، فأنزل الله عز وجل:{ أُوْلَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾} [سورة آل عمران الآية: ٨٧].

وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى:{وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ} [سورة آل عمران الآية: ١٥٩].

فقال:

- ما أمر الله تعالى نبيه بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم، وإنما أراد أن يعلمهم ما في المشاورة من الفضل، ولتقتدي به أمته من بعده.

وسئل الحسن عن قوله تعالى:{إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ} [سورة آل عمران الآية: ١٧٥].

فقال:

- يخوف أولياءه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين، فأما أولياء الله فإنهم لا يخافونه إذا خوفهم.

وسئل الحسن عن قوله تعالى:{ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ} [سورة آل عمران الآية: ١٩١].

فقال:

- إنما هي الصلاة أي لا يضيعونها، ففي حالة العذر يصلونها قعودا أو على جنوبهم وهي مثل قوله تعالى:{فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ } [سورة النساء الآية: ١٠٣].

سأل عمران بن حصين رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وكان به البواسير عن الصلاة فقال خاتم النبيين (صلي الله عليه وسلم) :

-(صل قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدا، فإن لم تستطع فعلى جنب).

وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى:{فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ } [سورة النساء الآية: ٦].

فقال:

- هو طعمة من الله له - الوصي الفقير -، وذلك أنه يأكل ما يسد جوعته، ويكتسى ما يستر عورته، ولا يلبس الرفيع من الكتان ولا الحلل.

وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى:{ مَّن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا } [سورة النساء الآية: ٨٥].

فقال:

– شفاعات الناس بينهم في حوائجهم، فمن يشفع لينفع فله نصيب، ومن يشفع ليضر فله كفل.

وقيل:

الشفاعة الحسنة: هي البر والطاعة.

والشفاعة السيئة: في المعاصي.

فمن شفع شفاعة حسنة ليصلح بين اثنين استوجب الأجر.

ومن سعى بالنميمة والغيبة أثم.

وسئل الحسن عن قوله تعالى:{لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ} [سورة النساء الآية: ١٤٨].

فقال:

- هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه ولكن ليقل: اللهم أعني عليه، اللهم استخرج حقي، اللهم حُل بينه وبين ما يريد من ظلمي.

فهذا دعاء في المدافعة وهو أقل منازل السوء.

وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى:{ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ} [سورة المائدة الآية: ١٠٠].

فقال أبو سعيد:

- الحلال والحرام.

وقيل: المؤمن والكافر.

وقيل المطيع والعاصي.

وقيل الرديء والجيد.

وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى{بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ} [سورة الأنعام الآية: ٤١].

فقال:

- أي يكشف الضر الذي تدعون إلى كشفه إن شاء كشفه.

وسئل عن قوله تعالى:{وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ} [سورة الأنعام الآية: ٤١].

فقال:

- أي تعرضون عنه إعراض الناس، وذلك اليأس من النجاة من قبله إذ لا ضرر فيه ولا نفع.

وسئل الحسن عن قوله تعالى:{وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ} [سورة الأنعام الآية: ٥٩].

فقال:

- المفاتح: خزائن الرزق.

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله) (رواه البخاري عن عبد الله بن عمر).

سأل رجل أبا سعيد:

- يا أبا سعيد ما الكلمات التي قالها آدم عليه السلام.. فتاب عليه ربه؟

قال الحسن البصري:

الكلمات قوله تعالى{قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣} [سورة الأعراف الآية: ٢٣].

فقال آدم عليه السلام:

- سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي فإنك خير الغافرين.

سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، رب ظلمت نفسي فارحمني إنك أنت أرحم الراحمين.

سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت، رب ظلمت نفسي وعملت سوءا فتب على إنك أنت التواب الرحيم.

وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى:{إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ } [سورة التوبة الآية: ٦٠].

فقال:

- لا يأخذ - الصدقة - من له أربعون درهمًا.

وقال (صلي الله عليه وسلم) :

-(لا تحل الصدقة لرجل له خمسون درهمًا).

وسأل ابن أخي الحسن عمه عن قوله تعالى:{وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ} [سورة التوبة الآية: ٧٢].

فقال:

- يا ابن أخي على الخبير وقعت، سألت عنها أبا هريرة، وعمران بن حصين فقالا: على الخبير وقعت، سألنا عنها رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كما سألتنا فقال:

(هي قصر في الجنة من لؤلؤة بيضاء فيها سبعون دارًا من ياقوتة حمراء، وفي كل دار سبعون بيتًا من زمردة خضراء، وفي كل بيت سبعون سريرًا، على كل سرير فراش لون على لون، على كل سرير امرأة من الحور العين، في كل بيت مائدة على كل مائدة سبعون قصعة، على كل مائدة سبعون وصيفًا ووصيفة، يعطى المؤمن في غداة واحدة ما يأكل ذلك الطعام، ويطوف على تلك الأزواج) (رواه البخاري ومسلم بنحوه عن أبى هريرة).

وجاء رجل إلى أبي سعيد فقال له:

- إني أخيط الملابس للأمراء الظالمين والله تبارك وتعالى يقول:{ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ } [سورة هود الآية: ١١٣]، فهل أنا من الذين ركن إليهم؟

فقال الحسن البصري:

- لا.. إن الذي يبيعك الخيط والإبرة هو من الذين ركن إليهم، أما أنت فمن الظالمين.

وسئل الحسن عن قوله تعالى:{ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ} [سورة يوسف

الآية: ٤٢].

قال أبو سعيد:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(رحم الله يوسف لولا كلمة يوسف – يعنى قوله:{ۆۆ} ما لبث في السجن بضع سنين).

ثم بكى الحسن وقال:

– نحن ينزل بنا الأمر فنشكو إلى الناس.

وقام الحسن البصري ليلة يصلي فردد هذه الآية حتى أسحر:{وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ} [سورة إبراهيم الآية: ٣٤].

فلما أصبح قيل له:

- يا أبا سعيد لم تكد تجاوز هذه الآية سائر الليلة.

قال الحسن البصري:

- إن فيها لمعتبرًا، ما نرفع طرفًا ولا نرده إلا وقع على نعمة، وما لا نعلم من نعم الله أكثر.

قال جويرية بن بشير:

سمعت الحسن قرأ هذه الآية:{إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾} [سورة النحل الآية: ٩٠].

فقال:

– إن الله جمع لكم الخير كله والشر كله في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والإحسان شيئًا من طاعة الله عز وجل إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئا إلا جمعه.

وقد تضمنت هذه الآية ثلاثة أوامر، وثلاثة نواهي.

وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى:{وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا} [سورة مريم

الآية: ٤٦].

فقال:

- مليا: دهرا طويلا.

ومنه قول المهلهل:

فتصدعت صم الجبال لموته ::: وبكت عليه المرملات مليا

وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى:{فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ} [سورة طه الآية: ١٢].

فقال:

- أمر بخلع النعلين للخشوع والتواضع عند مناجاة الله تعالى.

وكذلك فعل السلف حين طافوا بالبيت.

وقيل:

إعظاما لذلك الموضع كما أن الحرم لا يدخل بنعلين إعظامًا له.

وقيل:

(اخلع نعليك) أمر بخلع النعلين للخشوع عند مناجاة الله عز وجل.

وقيل:

إشارة إلى تفريغ قلبه من أمر الأهل والولد.

وقيل:

اخلع الدنيا من قلبك.

وسئل الحسن عن قوله تعالى:{أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ} [سورة الأنبياء الآية: ٨٣].

فقال:

- مكث أيوب - سمى أيوب لأنه آب (عاد ورجع) إلى الله في كل حال - بذلك تسع سنين وستة أشهر، فلما أراد أن يفرج عنه قال

الله تعالى: {ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾} [سورة ص الآية: ٤٢]، فيه شفاؤك، وقد وهبت لك أهلك ومالك وولدك ومثلهم معهم.

وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [سورة الحج الآية: ٧٨].

فقال:

- إن هذا في تقديم الأهلة وتأخيرها في الفطر والأضحى والصوم، فإذا أخطأت الجماعة هلال ذي الحجة فوقفوا قبل يوم عرفة بيوم أو وقفوا يوم النحر أجزأهم.

وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى: {أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ} [سورة النور الآية: ٣٦].

فقال:

- معنى ترفع: تعظم، ويرفع شأنها، وتطهر من الأنجاس والأقذار ففي الحديث:

إن المسجد لينزوي من النجاسة كما ينزوي الجلد من النار.

وقال أبو سعيد الخدري:

- قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(من أخرج أذى من المسجد بنى الله له بيتًا في الجنة) (رواه ابن ماجه).

وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى{وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا} [سورة الفرقان الآية: ٥٣].

فقال:

البرزخ: الحاجز.

الحجر: المانع.

يعنى بحر فارس وبحر الروم.

وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى:{وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامًا } [سورة العنكبوت الآية: ١٤].

فقال:

ذكر قصة نوج تسلية لنبيه (صلي الله عليه وسلم)، أي ابتلى النبيون قبلك بالكفار فصبروا، وخص نوحا بالذكر لأنه أول رسول أرسل إلى الأرض، وقد امتلأت كفرا، ولم يلق نبي من قومه ما لقي نوح.

وسئل الحسن عن قوله تعالى:{كُلٌّ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى} [سورة لقمان الآية: ٢٩].

فقال:

- إلى يوم القيامة.

وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى:{فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٌ} [سورة لقمان الآية: ٣٢].

فقال:

– مقتصد: مؤمن متمسك بالتوحيد.

وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى:{ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} [سورة السجدة الآية: ٤].

فقال:

- عرفهم كمال قدرته ليسمعوا القرآن ويتأملوه.

خلق: أبدع ووجد بعد العدم وبعد أن لم تكن شيئًا.

{فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} من يوم الأحد إلى آخر يوم الجمعة من أيام الدنيا.

{وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا} [سورة فصلت الآية: ٣٣].

هذا توبيخ للذين تواصوا باللغو في القرآن.

والمعنى: أي كلام أحسن من القرآن، ومن أحسن قولاً من الداعي إلى الله وطاعته وهو محمد (صلي الله عليه وسلم) ؟

وكان الحسن البصري إذا تلا هذه الآية يقول:

- هذا ولى الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا والله أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب إليه.

وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى:{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾} [سورة الحاقة الآيتان: ١٩ - ٢٠].

قال الحسن:

- إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل، وأن المناقق أساء الظن فأساء العمل.

وجاء رجل إلى الحسن البصري فقال له:

- يا تقي الدين إن السماء لم تمطر.

فقال الحسن:

- استغفر الله.

ثم جاء رجل آخر فقال:

- يا أبا سعيد أشكو الفقر.

فقال له أبو سعيد:

- استغفر الله.

ثم جاء رجل ثالث فقال:

- يا تقي الدين أجدبت الأرض فلم تنبت.

فقال له الحسن البصري:

– استغفر الله.

ثم جاء بعد ذلك من قال:

- يا أبا سعيد جف الماء في الأرض.

فقال الحسن البصري:

– استغفر الله.

فقال أصحاب أبى سعيد:

- عجبًا لك يا أبا سعيد أو كلما جاءك شاك قلت له: استغفر الله؟

فقال الحسن البصري:

- أو ما قرأتم قوله تعالى:{فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾} [سورة نوح الآيات: ١٠ - ١٢].

الحسن البصري ورواية الحديث عن إمام الخير (صلي الله عليه وسلم) :

عاصر أبو سعيد خلقًا كثيرًا من الصحابة فأرسل عن بعضهم الحديث.

قال النبي الخاتم (صلي الله عليه وسلم) :

-(من قرأ يس في ليلة التماس وجه الله غفر له) (رواه أبو نعيم في الحلية عن أبى هريرة).

وهذا الحديث رواه عن الحسن البصري عدة من التابعين منهم: يونس بن عبيد، ومحمد بن جحادة.

وقال نور الظلمة (صلي الله عليه وسلم) :

-(ما من رجل يعلم كلمة أو كلمتين أو ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا مما فرض الله عز وجل فيتعلمن ويعلمهن إلا دخل الجنة) (رواه أبو نعيم في

الحلية عن أبى هريرة).

وقال أبو جعفر الرازي عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أبي هريرة:

- قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إلـه إلا الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابها على الله**) (رواه أبو نعيم في الحلية، البخاري، ومسلم عن ابن عمر).

وقال إبراهيم بن عطاء عن أبي عبيدة عن الحسن عن عمران بن حصين قال:

- قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) : (**إن الله استخلص هذا الدين لنفسه، ولا يصلح لـدينكم إلا السـخاء وحسـن الخلـق، ألا فزينـوا دينكم بهما**) (رواه الطبراني في الكبير عن عمران بن حصين، وأبو نعيم في الحلية).

وقال شداد بن حكيم عن عباد بن كثير عن عثمان الأعرج عن الحسن عن عمران بن حصين وجابر بن عبد الله وأبى هريرة قالوا:

- **نهـى رسـول الله** (صلي الله عليه وسلم) **عـن قتـل أربـع مـن الدواب: النملة، والنحلة، والهدهد، والصرد، وأن يمحى اسم الله بالبصاق** (رواه أبو نعيم في الحلية).

وقال الصادق المصدوق (صلي الله عليه وسلم) :

-(**من كان ذا لسانين في الدنيا جعل الله له يوم القيامة لسانين مـن نـار**) (رواه ابن أبى الدنيا في ذم الغيبـة، وأبو يعلـى فـي مسنده عن أنس، والطبراني في الكبير عن ابن مسعود موقوفًا).

وقال حميد بن الحكم الجرشي عن الحسن عن أنس بن مالك:

- قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**أخوف ما أخاف على**

أمتي ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب ذي رأى برأيه) (رواه أبو نصر السجزي في الإبانة عن أنس، وأبو نعيم في الحلية).

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

إن الله عز وجل يقول: إذا علمت أن الغالب على قلب عبدي الاشتغال بي جعلت شهوته في مسألتي ومناجاتي، فإذا كان كذلك كنت أنا المتمثل بين عينيه، فان أراد أن يسهو عني حُلْتُ بينه وبين السهو، أولئك أوليائي حقا أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة زويتها عنهم من أجلهم، أحببتهم وأحبوني، أجيبهم إذا دعوني، وأعطيهم إذا سألوني، أولئك أوليائي.

وقال السراج المنير (صلي الله عليه وسلم) :

-(وجدت الحسنة نورًا في القلب، وزينا في الوجه، وقوة في العمل، ووجدت الخطيئة سوادا في القلب، وشينا - الشين: القبح - في الوجه، ووهنا في العمل) (رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس).

من أقوال الحسن البصري:

" يا ابن آدم إنك لا تصيب حقيقة الإيمان حتى تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بعلاج ذلك العيب من نفسك فتصلحه، فإذا فعلت ذلك لم تصلح عيبًا إلا وجدت عيبًا آخر لم تصلحه، فإذا فعلت ذلك شغلك في خاصة نفسك، وأحب العباد إلى الله تعالى من كان كذلك.

* يا ابن آدم إنك ناظر إلى عملك يوزن خيره وشره فلا تحقرن من الخير شيئًا وإن هو صغر، فإنك إذا رأيته سرك مكانه، ولا تحقرن فضلا ليوم فقره وفاقته هيهات، ذهبت الدنيا بحال بالها وبقيت الأعمال قلائد في أعناقكم، أنتم تسوقون الناس والساعة - الدنيا - تسوقكم، وقد أسرع بخياركم فماذا

تنتظرون؟ المعاينة فكأنها قد حضرت، إنه لا كتاب بعد كتابكم ولا نبي بعد نبيكم.

* يا ابن آدم بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا، ولا تبيعن آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا.

* حادثوا هذه القلوب فإنها سريعة الدثور، واقدعوا - اكبحوا وكفوا - هذه الأنفس فإنها طُلَعة وأنها تُنازع إلى شر غاية، وإنكم إن تقاربوها لم تبق من أعمالكم شيئًا، فتصبروا وتشددوا فإنما هي ليال تُعدّ، وإنما أنتم ركب وقوف يوشك أن يُدعى أحدكم فيجيب، ولا يلتفت، فتنقلبوا بصالح ما بحضرتكم، إن هذا الحق أجهد الناس وحال بينهم وبين شهواتهم، وإنما صبر على هذا الحق من عرف فضله ورجا عافيته.

* لا يزال العبد كريمًا على الناس حتى يطمع في دنياهم، فإذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وأبغضوه.

* ذهبت المعارف وبقيت المناكر، ومن بقى من المسلمين فهو مغموم.

* إن المؤمن يصبح حزينًا ويمسي حزينًا ولا يسعه غير ذلك، لأنه بين مخافتين، بين ذنب مضى لا يدري ما الله يصنع فيه، وبين أجل قد بقى لا يدري ما يصيب فيه من المهالك.

* إن المؤمن يصبح حزينًا ويمسي حزينًا وينقلب باليقين في الحزن، ويكفيه ما يكفى العنيزة الكف من التمر والشربة من الماء.

* يحق لمن يعلم أن الموت مورده، وأن الساعة موعده، وأن القيام بين يدي الله تعالى مشهده أن يطول حزنه.

* من جعل الحمد لله على النعم حصنًا وحابسًا، وجعل أداء الزكاة

على المال سياجًا وحارسًا، وجعل العلم عليه دليلاً وسائسًا، أمن العطب، ومن كان للمال قانصًا، وله عن الحقوق حابسًا، وشغله وألهاه عن طاعة الله، كان لنفسه ظالمًا، ولقلبه مما جنت يداه كالبًا - جارحًا ومؤذيًا، والكلم: الجرح - وسلط الله على ماله سالبًا وخالسًا، ولم يأمن العطب في سائر وجوه الطلب.

* أربع من كن فيه ألقى الله عليه محبته، ونشر عليه رحمته: من رق لوالديه، ورق لمملوكه، وكفل اليتيم، وأعان الضعيف.

* طول الحزن في الدنيا تلقيح العمل الصالح.

* والله ما من الناس رجل أدرك القرن الأول أصبح بين ظهرانيكم إلا أصبح مغمومًا وأمسى مغمومًا.

* والله لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا حزن وذبل، وإلا نصب، وإلا ذاب، وإلا تعب.

* والله يا ابن آدم لئن قرأت القرآن ثم آمنت به، ليطولن في الدنيا حزنك، وليشدن في الدنيا خوفك، وليكثرن في الدنيا بكاؤك.

* يا بن آدم عملك عملك فإنما هو لحمك ودمك، فانظر على أي حال تلقى عملك، إن لأهل العتق - من النار - علامات يعرفون بها، صدق الحديث، والوفاء بالعهد، وصلة الرحم، ورحمة الضعفاء، وقلة الفخر والخيلاء، وبذل المعروف، وقلة المباهاة للناس، وحسن الخلق، وسعة الخلق مما يقرب إلى الله عز وجل.

* لو أن بالقلوب صلاحًا لأبكيتكم من ليلة صبيحتها يوم القيامة، إن ليلة تمخض عن صبيحة يوم القيامة ما سمع الخلائق بيوم قط أكثر فيه من عودة بادية، ولا عين باكية من يوم القيامة.

* غدا كل امرئ فيما يهمه، ومن هم بشيء أكثر من ذكره أنه لا عاجلة لمن لا آخرة له، ومن آثر دنياه على آخرته، فلا دنيا له ولا

آخرة.

* وإذا ذكر صاحب الدنيا قال الحسن: والله ما بقيت له ولا بقى لها، ولا سلم من تبعتها ولا شرها ولا حيابها، ولقد أخرج منها في خرق.

* من كانت له أربع خلال حرمه الله على النار وأعاذه من الشيطان: من يملك نفسه عند الرغبة، والرهبة، وعند الشهوة، وعند الغضب.

* كابدوا الليل، ومدوا الصلاة إلى السحر، ثم اجلسوا في الدعاء والاستكانة والاستغفار.

* إن لكل إنسان ميزانًا يوزن به عمله من خير وشر.

* ما من رجل يرى نعمة الله عليه فيقول: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، إلا أغناه الله تعالى وزاده.

* ابن آدم إنما أنت أيام، كلما ذهب يوم ذهب بعضك.

* إن أفسق الفاسقين الذي يركب كل كبيرة، ويسحب على ثيابه ويقول:

ليس على بأس.

* سيعلم أن الله تعالى ربما عجل العقوبة في الدنيا، وربما أخوها ليوم الحساب.

* رحم الله رجلاً لبس خلقًا، وأكل كسرة، ولصق بالأرض، وبكى على الخطيئة، ودأب في العبادة.

* فضح الموت الدنيا، فلم يترك فيها لذي لب فرحًا.

* إن لله عز وجل عبادًا كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين، وكمن رأى أهل النار في النار مخلدين، قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة، حوائجهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة، صبروا أياما قصارًا تعقب راحة طويلة، أما الليل فمصافة أقدامهم - يقيمون الليل بصلاة التهجد -، تسيل دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى ربهم:

- ربنا ربنا.

وأما النهار فحلفاء علماء، بررة أتقياء، كأنهم القداح ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى، وما بالقوم مرض، أو خولطوا ولقد خالط القوم من ذكر الآخرة أمام عظيم.

* إن ابن آدم السكين تجذ، والكبش يعتلف، والتنور - الفرن - يسجر - سجر التنور: أحماه -.

* ما أعز أحد الدرهم إلا أذله الله.

* ابن آدم أصبحت بين مطيتين لا يعرجان بك خطر الليل والنهار حتى تقدم الآخرة، فأما إلى الجنة، وإما إلى النار، فمن أعظم خطرًا منك.

* ضحك المؤمن غفلة من قلبه.

* كثرة الضحك تميت القلب.

* من نقل إليك حديثًا فاعلم أنه ينقل إلى غيرك حديثك.

* يا ابن آدم أي شيء يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك، وهي أول ما تسأل عنها يوم القيامة.

* الإسلام، وما الإسلام؟ السر والعلانية فيه مشتبهة، وأن يسلم قلبك لله، وأن يسلم منك كل مسلم، وكل ذي عهد.

* والله ما تعاظم في أنفسهم ما طلبوا به الجنة حين أبكاهم الخوف من الله تعالى.

* إياكم وما شغل من الدنيا، فإن الدنيا كثيرة الأشغال، لا يفتح رجل على نفسه باب شغل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب.

* رحم الله رجلا لم يغره كثرة ما يرى من كثرة الناس.

* ابن آدم إنك تموت وحدك، وتدخل القبر وحدك، وتبعث وحدك، وتحاسب وحدك، ابن آدم وأنت المعنى وإياك يراد.

* لقد أدركت أقوامًا - من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) - كانوا أأمر الناس بالمعروف وأأخذهم به وأنهى الناس عن المنكر وأتركهم له، ولقد بقينا في أقوام أأمر الناس بالمعروف وأبعدهم منه، وأنهى الناس عن المنكر وأوقعهم فيه، فكيف الحياة مع هؤلاء؟

* شرف المؤمنين قيامهم بالليل، وعزمهم الاستغناء عما في أيدي الناس.

* بئس الرفيقان: الدرهم والدينار، لا ينفعانك حتى يفارقانك.

* ابن آدم طأ الأرض بقدمك فإنها عن قليل قبرك، إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك.

* لا تخالفوا الله عن أمره، فإن خلافًا عن أمره عُمْرانُ دار - الدنيا - قد قضى الله عليها بالخراب.

* لما مات الحجاج بن يوسف الثقفي وولى سليمان، فأقطع الناس بالموت، فجعل الناس يأخذون، فقال ابن الحسن البصري لأبيه:

- لو أخذنا - أرضا - كما يأخذ الناس.

فقال أبو سعيد:

- أسكت ما يسرني لو أن لي بين الجسرين - جسر دجلة وجسر نهر الفرات - بزنبيل تراب.

* أبى الله تعالى أن يعطي عبدًا من عباده شيئًا من الدنيا إلا بعوض خطر مثله من بلاء إما عاجلاً وإما آجلاً.

الرجاء والخوف مطيتا المؤمن:

* والله لقد عبدت بنو إسرائيل الأصنام بعد عبادتهم للرحمن تعالى بحبهم الدنيا.

* وأيم الله ما من عبد قسم له رزق بيوم فسلم أنه يعلم قد خير له إلا عاجز أو غبي الرأي.

* لو علم العابدون أنهم لا يرون ربهم يوم القيامة لماتوا.

* ما يسع المؤمن في دينه إلا الحزن.

* نضحك ولعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا - أقوالنا وأعمالنا - فقال:

- لا أقبل منكم شيئًا.

بكى أبو سعيد ذات يوم فقيل له:

- ما يبكيك؟

قال الحسن البصري:

- أخاف أن يطرحني غدًا في النار ولا يبالي.

لقد أدركت أقواما ما أنا عندهم إلا لص.

* رحم الله رجلاً خلا بكتاب الله فعرض عليه نفسه، فإن وافقه حمد ربه، وسأل الزيادة من فضله، وإن خالفه أعتب وأناب، ورجع من قريب.

* رحم الله رجلاً وعظ أخاه وأهله فقال:

- يا أهلي صلاتكم صلاتكم، زكاتكم زكاتكم، خيراتكم خيراتكم، إخوانكم إخوانكم، مساكينكم مساكينكم، لعل الله يرحمكم، فإن الله تبارك وتعالى أثنى على عبد من عباده فقال:{ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ } [سورة مريم الآية: ٥٥].

* يا ابن آدم كيف تكون مسلمًا ولم يسلم منك جارك؟ وكيف تكون مؤمنًا ولم يأمنك الناس؟

- كان الحسن يتمثل بهذا البيت في أول النهار يقول:

وما الدنيا بباقية لحي ::: ولا حي على الدنيا بباق

وبهذ البيت في آخر النهار ويقول:

يسر الفتى ما كان قدم مـن تقـى ::: إذا عرف الداء الذي هـو قاتلـه

* قال الحسن لبعض طلابه:

يا بني خذ هذه البطاقة فهي خير من ألف كتاب:

لا تغتر بمكان صالح فلا مكان أفضل من الجنة فقد لقى فيها أبونا آدم ما لقى؟

لا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد مكثه في العبادة فانظر ماذا لقى؟

ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أعظم من المصطفى (صلي الله عليه وسلم)، فلم ينتفع له الكفار والمنافقون.

ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام بن باعوراء بعد نظره في اللوح فانظر ماذا لقى؟

* قد علم الله من قبل أن يخلقنا أننا نذنب ونعصيه، ولم يمنعه ذلك منا أن جعلنا مسلمين.

وفاة الحسن البصري:

اشتكى أبو سعيد، ولما حضره الموت دخل عليه رجال من أصحابه فقالوا له:

- يا أبا سعيد زودنا منك كلمات تنفعنا بهن.

قال الحسن البصري:

- إني مزودكم ثلاث كلمات ثم قوموا عني ودعوني ولما توجهت له: ما نهيتم عنه من أمر فكونوا من أترك الناس له، وما أمرتم به من معروف فكونوا من أعمل الناس به، واعلموا أن خطاكم خطوتان:

خطوة لكم، وخطوة عليكم، فانظروا أين تغدون وأين تروحون؟

رأى الحسن البصري عند موته مقامه في الجنة، فقد أغمى عليه، ثم أفاق فقال:

- لقد نبهتموني من جنات وعيون ومقام كريم.

فلما خرجوا، وتركوه صعدت روحه الطاهرة إلى السماء.

وتوفى الحسن البصري عشية الخميس في مستهل رجب في سنة عشر ومائة من الهجرة، وهو ابن المائة أو قارب المائة.

ولما كان يوم الجمعة، حمله أهل البصرة بعد صلاة الجمعة فتبع الناس كلهم جنازته، واشتغلوا به فلم تقم صلاة العصر بالجامع، ولا نعلم أنها تركت منذ كان الإسلام إلا يوم موت أبى سعيد، لأنهم تبعوا الجنازة حتى لم يبق بالمسجد من يصلي العصر.

وكانت جنازته مشهورة.

قالوا عن الحسن البصري:

سأل رجل خادم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) عن مسألة، فقال أنس بن مالك:

- سلوا عنها مولانا الحسن، فإنه سمع وسمعنا، فحفظ ونسينا.

وقال خادم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لأهل البصرة:

- إني لأغبط أهل البصرة بهذين الشيخين: الحسن، وابن سيرين.

وقال قتادة:

- ما جالست رجلاً فقيهًا إلا رأيت فضل الحسن عليه.

و قال أيضا:

- ما رأت عيناي أفقه من الحسن.

وقال أيوب.

- كان الرجل يجالس الحسن ثلاث حجج ما يسأله من مسألة هيبة له.

وقال الشعبي لرجل يريد قدوم البصرة:

- إذا نظرت إلى رجل أجمل أهل البصرة وأهيبهم فهو الحسن فأقرئه مني السلام.

وقال يونس بن عبيد:

- كان الرجل إذا نظر إلى الحسن انتفع به، وإن لم ير عمله ولم يسمع كلامه.

وقال الأعمش:

- ما زال الحسن يعي الحكمة حتى نطق بها.

وكان أبو جعفر إذا ذكر الحسن قال:

- ذلك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء.

وقال محمد بن سعد:

- قالوا: كان الحسن جامعا للعلم والعمل، عالمًا رفيعًا - فقيهًا - ثقة مأمونًا عابدًا زاهدًا - ناسكًا كثير العلم والعمل - فصيحًا جميلاً وسيمًا.

وقال إبراهيم بن عيسى البشكري:

- ما رأيت أطول حزنًا من الحسن، وما رأيته إلا حسبته حديث عهد بمصيبة.

وقال حكيم بن جعفر:

- لو رأيت الحسن لقلت: قد بث عليه حزن الخلائق من طول تلك الدمعة وكثرة ذلك النشيج - البكاء بصوت مرتفع -.

وقال يزيد بن حوشب:

- ما رأيت أخوف من الحسن، وعمر بن عبد العزيز، كأن النار لم تخلق إلا لهما.

وقال يوسف بن أسباط:

- مكث الحسن ثلاثين سنة لم يضحك، وأربعين سنة لم يمزح.

قال سفيان الثوري:

- كان الحسن رحمه الله قلبه محزونًا.

وقال مسمع:

- لو رأيت الحسن لقلت: قد بعث عليه حزن الخلائق.

* * *

سعيد بن جبير

مواقف ومواعظ

مـــن حيـــاة التابعيـــن

[٢]

سعيد بن جبير

سعيد بن جبير

الشهيد الضاحك

يكنى أبا عبد الله.

هو سعيد بن جبير، وارث علم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، وعبد الله بن عمر.

وأحد أعلام التابعين.

كان مع عبد الرحمن بن الأشعث حين خرج على الخليفة عبد الملك بن مروان لعسفه وإسرافه في القتل.

سعيد بن جبير وترجمان القرآن:

سأل عبد الله بن عباس أبا عبد الله:

- ممن أنت؟

قال سعيد بن جبير:

- من بنى أسد.

فقال ابن عباس:

- من عربهم أو مواليهم؟

قال أبو عبد الله:

- لا بل من مواليهم.

فقال ترجمان القرآن لسعيد بن جبير:

- فقل أنا ممن أنعم الله عليه من بنى أسد.

ثم قال ابن عباس لأبي عبد الله:

- وحَدِّث.

فقال سعيد بن جبير:

- أحدث وأنت هاهنا؟

قال ترجمان القرآن:

- أو ليس من نعمة الله عليك أن تتحدث وأنا شاهد فان أصبت فذاك وإن أخطأت علمتك؟

يقول سعيد بن جبير:

- ربما أتيت ابن عباس فكتبت في صحيفتي حتى أملأهما، وكتبت في نعلي حتى أملأها، وكتبت في كفى، وربما أتيته فلم أكتب حديثًا حتى أرجع.

ويقول عمرو بن أبى المقدام عن مؤذن أبى وداعة:

- دخلت على عبد الله بن عباس وهو متكئ على مرفقة من حرير، وسعيد بن جبير عند رجليه وهو يقول له: انظر كيف تحدث عني فإنك قد حفظت عني حديثًا كثيرًا.

ولما عمى ابن عباس كان إذا أتاه أهل الكوفة يسألونه قال:

- تسألوني وفيكم ابن أم دهماء - يعنى سعيد بن جبير -؟

وسأل أبو حصين أبا عبد الله:

- أكل ما أسمعك تحدث سألت عنه ابن عباس؟

قال سعيد بن جبير:

- لا، كنت أجلس ولا أتكلم حتى أقوم، فيتحدثون فأحفظ.

سعيد بن جبير وعبد الله بن عمر:

قال أبو عبد الله:

- كنت أسأل ابن عمر في صحيفة، ولو علم بها كانت الفيصل بيني وبينه، فسألته عن الإيلاء.

قال عبد الله بن عمر:

- أتريد أن تقول: قال ابن عمر، وقال ابن عمر؟

قال سعيد بن جبير:

- نعم ونرضى بقولك ونقنع.

قال عبد الله بن عمر:

- يقول في ذلك الأمراء.

وكان أهل الكوفة إذا اختلفوا في شيء كتبه سعيد بن جبير عنده حتى يلقى عبد الله بن عمر فيسأله عنه.

وجاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن فريضة، فقال عبد الله بن عمر:

- ائت سعيد بن جبير فإنه أعلم بالحساب مني، وهو يفرض منها ما أفرض.

دعوة مستجابة:

كان لسعيد بن جبير ديك كان يقوم الليل - من الليل - بصياحه، فلم يصح ليلة من الليالي حتى أصبح، فلم يصل سعيد تلك الليلة - صلاة التهجد أو قيام الليل - فشق عليه ذلك فقال:

- ماله قطع الله صوته؟

فما سمع للديك صوت بعد هذه الدعوة.

فقالت أم سعيد:

- يا بني لا تدع الله على شيء بعدها.

عبادة سعيد بن جبير

كان سعيد بن جبير يختم القرآن في كل ليلتين.

يقول معاوية بن إسحاق:

- لقيت سعيد بن جبير عند الميضاة - الموضع الذي يتوضأ فيه، والمطهرة التي يتوضأ منها - فرأيته ثقيل اللسان.

قال سعيد بن جبير:

- قرأت القرآن البارحة مرتين ونصفا.

وقال حماد:

- إن سعيد بن جبير قرأ القرآن في ركعة في الكعبة، وقرأ في الركعة الثانية بقل هو الله أحد.

قال عبد الله بن مسلم:

- كان سعيد بن جبير إذا قام إلى الصلاة كأنه وتد.

وقال القاسم بن أبى أيوب:

- سمعت سعيد بن جبير يردد هذه الآية في الصلاة بضعا وعشرين مرة:{وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ} [سورة البقرة الآية: ٢٨١].

وقال هلال بن خباب:

- خرجت مع سعيد بن جبير في أيام مضين من رجب فأحرم من الكوفة بعمرة، ثم رجع من عمرته، ثم أحرم بالحج في النصف من ذي القعدة، وكان يخرج في كل سنة مرتين مرة للحج ومرة للعمرة.

وكان سعيد بن جبير يقص للمصلين كل يوم مرتين: بعد صلاة الفجر وبعد العصر.

وكان سعيد بن جبير يجيء فيما بين المغرب والعشاء فيقرأ القرآن في رمضان.

يقول سعيد بن جبير:

- ما مضت على ليلتان منذ قتل الحسين - الحسين بن على بن أبى طالب - إلا أقرأ فيهما القرآن إلا مسافرًا أو مريضًا.

قال أبو شهاب:

- كان سعيد بن جبير يصلي بنا العتمة في رمضان - صلاة العشاء - ثم يرجع فيمكث هنيهة ثم يرجع فيصلي بنا ست ترويحات ويوتر بثلاث يقنت بقدر خمسين آية وكان سعيد بن جبير إذا ختم السورة في صلاته تطوعا قال:

- صدق الصادق البار.

يقول ابن جبير:

- لأن أضرب على رأسي أسواطًا أحب من أن تُكلم والإمام يخطب يوم الجمعة.

وكان إذا قال الإمام:{غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ} [سورة الفاتحة الآية: ٧].

قال سعيد بن جبير:

- اللهم اغفر لي امين.

وكان إذا قال الإمام:

- سمع الله لمن حمده.

قال سعيد بن جبير:

- اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرضين السبع وملء ما بينهما وملء ما شئت بعد.

وربما لم يزل يتكلم بهذا حتى يهوى إلى السجود فيقول:

- الله أكبر.

وعق سعيد بن جبير عن نفسه بعد ما كان رجلاً - كان يعلم أن كل غلام رهينة بعقيقته كما قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

الجهاد في سبيل الله:

في الوقت الذي اعتزل فيه كثير من العلماء والفقهاء وظائف الدولة، وشاءوا لأنفسهم أن يقتصروا على النصيحة والتوجيه في رفق وحيطة خاصة في ظل إمارة ظالمة يحكمها طاغية غشوم، شارك سعيد بن جبير في بعض وظائف الدولة الأموية فقد ساهم في القضاء والمشورة، ولم يتخلف أبو عبد الله عن الغزو، فقد كان يعرف قدر الجهاد في سبيل الله سواء كان جهاد العدو أو جهاد الحاكم الظالم، كان سعيد بن جبير يضع قول رسول الله (صلي الله عليه وسلم) نصب عينيه.

قال الصادق المصدوق (صلي الله عليه وسلم) :

-(عليكم بالجهاد في سبيل الله، فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم، وجاهدوا في سبيل الله القريب والبعيد، وأقيموا حدود الله في القريب والبعيد، ولا تأخذكم في الله لومة لائم) (رواه الحاكم في المستدرك، والبخاري، ومسلم عن عبادة بن الصامت).

وقال عليه الصلاة والسلام:

-(غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها) (رواه مسلم، وابن ماجه عن أبى هريرة).

وقال الصادق المصدوق (صلي الله عليه وسلم) :

-(أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر وأمير جائر) (رواه الخطيب عن أبى سعيد).

جهاد العدو:

كان رتبيل ملك الترك مصالحًا المسلمين، وكان يؤدى الخراج، وربما امتنع منه، فبعث الحجاج بن يوسف الثقفي إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وكان الحجاج يبغضه ويقول:

- ما رأيته قط إلا أردت قتله.

وسمع عامر الشعبي ذلك من الحجاج ذات يوم فانطلق إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وأخبره به، فقال عبد الرحمن:

- والله لأحاولن أن أزيل الحجاج من سلطانه.

ولما سمع سعيد بن جبير بخروج ابن الأشعث للغزو والجهاد خف إلى مقاتلة رتبيل ملك الترك حين تحرش بالمسلمين وهاجم سجستان فدك الحصون، وأزهق أرواح المسلمين، ووقع العرب في رعب شديد وفزع هائل.

وخرج الجيش الإسلامي بقيادة ابن الأشعث لتأديب الطغاة ومعه العدة الوافية من السلاح والرجال والخيول.

كانت المعركة تتطلب البطولة الحازمة والرأي الحصيف، فلما علم رتبيل بمقدم جيش المسلمين أرسل إلى ابن الأشعث يعتذر ويبذل الخراج فشاور ابن الأشعث أصحابه فقال سعيد بن جبير:

- المسلمون مقبلون على أصقاع نائية ذات هضاب وأشواك، وعدونا مستقر ببلاده يعرف الدروب والمسالك، ويتمتع قائده بحيل ماكرة تذلل الصعاب والعسير وتقوم مقام القوة والعتاد، فلابد إذن من العزيمة الصادقة، والجلاد الصابر المرير.

وخطب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث جنوده وصور الموقف داعيًا إلى الحمية والاستبسال ثم لم يقبل ما عرضه رتبيل.. وسار إليه.

دخل ابن الأشعث بلاد الترك، وترك له رتبيل أرضًا أرضًا ورستاقًا - الرستاق كلمة فارسية وهي السواد، الجمع الرساتيق - رستاقًا وحصنًا حصنًا.

وتقدم ابن الأشعث يحتل بلدًا بلدًا، ولا يندفع في طريق دون أن يختبر دروبه ويلم بما أمامه من مرتفعات وجعل الأرصاد على الشعاب حتى كتب الله له النصر وجاز أرضًا عظيمة وملأ الناس أيديهم من الغنائم ومنع المسلمين من الوغول في أرض رتبيل وقال ابن الأشعث:

- نكتفي بها أصبناه العام من بلادهم حتى نجوبها ونعرفها، وفي العام المقبل نأخذ ما وراءها إن شاء الله تعالى، حتى نقاتلهم في آخر ذلك على كنوزهم وذراريهم وأقصى بلادهم حتى يهلكهم الله تعالى.

وأشار سعيد بن جبير إلى ابن الأشعث أن يكتب إلى الحجاج، فكتب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى الحجاج ينبئه بما أصاب من غنم وما عزم عليه من هدنة مؤقتة بعدها الاستيلاء التدريجي على بلاد الترك.

وكان على الحجاج أن يقدر لعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث موقفه ويشجعه ولو بكلمات تفعل فعل الساحر الحميد في نفسية القائد المناضل وجنوده المغاوير، ولكن الحجاج عارض الهدنة معارضة شديدة.

خلاف ابن الأشعث على الحجاج:

كتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث كتابًا قال

فيه: إن كتابك كتاب امرئ يحب الهدنة يستريح إلى الموادعة، قد صانع عدوًا قليلاً ذليلاً، قد أصابوا من المسلمين جندًا كان بلاؤهم حسنًا وغناؤهم عظيمًا، وإنك حين تكف عن ذلك العدو بجندي لسخي النفس بمن أصيب من المسلمين، فامض إلى ما أمرتك به من الوغول في أرضهم، والهدم لحصونهم وقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم.

ثم أردفه بكتاب آخر قال فيه:

أما بعد.

فمر من قبلك من المسلمين فليحرثوا - يزرعوا - وليقيموا بها فإنها دارهم حتى يفتحها الله عليهم.

ثم كتب كتابا ثالثا قال فيه:

أما بعد:

إن أمضيت لما أمرتك وإلا فأخوك إسحاق بن محمد أمير الناس.

فدعا عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الناس وقال لهم:

أيها الناس: إني لكم ناصح ولصلاحكم محب ولكم في كل ما يحيطكم نفعه ناظر، وقد كان فيما بيني وبين عدوى بما رضيه ذو أحلامكم وأولو التجربة منكم، وكتبت بذلك إلى أميركم الحجاج فأتاني كتابه يعجزني ويضعفني ويأمرني بتعجل الوغول بكم في أرض العدو، وهي البلاد التي هلك فيها إخوانكم بالأمس - كانوا بصحبة عبيد الله بن أبي بكرة تركهم الترك يتوغلون في بلادهم ثم أخذوا على المسلمين العقاب والشعاب فسقط في أيدي المسلمين، وظنوا أنهم هلكوا فصالحهم عبيد الله بن أبى بكرة على سبعمائة ألف درهم يوصلها إلى روتبيل ليمكن المسلمين من الخروج من أرض الترك -، وإنما أنا رجل منكم أمضى إذا مضيتم وأأبي إذا أبيتم.

ثار إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الناس وقالوا:

- بل نأبى على عدو الله ولا نسمع له ولا نطيع.

كان في طليعة الثائرين على الحجاج بن يوسف سعيد بن جبير، فلما رأى الناس ذلك قام أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني وله صحبة فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

أما بعد

فإن الحجاج يرى بكم ما رأى القائل الأول احمل عبدك على الفرس فإن هلك هلك - فلك -، وإن نجا فلك، إن الحجاج ما يبالي أن يخاطر بكم فيقحمكم بلادًا كثيرة فيغشى اللهوب - جمع لهب وهو وجه من الجبل لا يمكن ارتقاؤه - واللصوب - جمع لصب وهو مضيق الوادي -، فإن ظفرتم وغنمتم أكل البلاد وحاز المال وكان ذلك زيادة في سلطانه، وإن ظفر عدوكم كنتم أنتم الأعداء البغضاء الذين لا يبالي عنتهم ولا يبقى عليهم، **اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا الأمير عبد الرحمن، فإني أشهدكم إني أول خالع.**

فنادى الناس من كل جانب:

- فعلنا فعلنا، قد خلعنا عدو الله.

وقام عبد المؤمن بن شبث بن ربعي فقال:

- عباد الله، إنكم إن أطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم وجمركم تجمير فرعون الجنود، فإنه بلغني أنه أول من جمر البعوث، ولن تعاينوا - تروا - الأحبة أو يموت أكثركم فيما أرى، **فبايعوا أميركم وانصرفوا إلى عدوكم الحجاج فانفوه عن بلادكم.**

فوثب الناس إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فبايعوه على خلع الحجاج بن يوسف الثقفي ونفيه من أرض العراق وعلى النصرة، ولم يذكر عبد الملك بن مروان.

لماذا فعل ذلك الحجاج؟

بدلا من أن يصوغ الحجاج كتابه إلى عبد الله بن محمد بن الأشعث بأسلوبه صياغة هادئة تتجافى من الاستهجان والوعيد، ثم يشير إلى رغبته في استئناف القتال مشجعًا قائده، مثنيًا على جهوده **حتى لا تتفجر نفوس الجنود بالتمرد والغضب والعصيان** فقد كان ابن

الأشعث بمكانه من الكفاح وخبرته بالواقع والدروب أعلم وأبصر من الحجاج بما يجب أن يتبع مع الترك، فقد درس البلاد وتمرس بخطوبها الفادحة، ولن يستوي الغائب البعيد والشاهد القريب بحال، لم يفعل ذلك الحجاج فكانت نتيجة لم يتوقعها.. ثورة هائجة من أناس جاهدوا أعنف الجهاد وبذلوا أرواحهم ثم قوبلوا من القيادة بالاستخفاف والتحقير والإبعاد.

وكانت ثورة الحجاج بن يوسف على ابن الأشعث لا تتعلق بمصلحة القتال والحرب مع الترك، بل مصلحة شخصية فهو يرى في عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث منافسا خطيرًا يقوم له الناس ويقعدون، وإن وقعت الهدنة بينه وبين روتبيل ملك الترك كما يريد ابن الأشعث فسوف يتفرغ إلى جمع قلوب الناس نحوه والتفاف السلمين حول رايته، ومن ثم تعظم مكانته ويحتل في بلاط بني أمية منزل المنافس العنيد.

لذا بادر الحجاج بن يوسف بعزل ابن الأشعث وتهديده.

فكانت ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على الحجاج.

الثورة.. والعودة إلى العراق:

جعل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على بُست عياش بن هيمان الشيباني، وعلى زرنج عبد الله بن عامر التميمي.

وصالح ابن الأشعث روتبيل ملك الترك على أن ظهر - هزم الحجاج بن يوسف ونفاه عن البلاد - فلا خراج عليه أبدًا ما بقى، وأن هزم فأراد مَنعَه.

ثم رجع إلى العراق، فسار بين يديه أعشى همدان، وجعل عبد الرحمن على مقدمته عطية بن عمرو العبري، وجعل على كرمان حربثة بن عمرو التميمي فلما بلغ فارس اجتمع الناس بعضهم إلى

بعض وقالوا:

- إذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك بن مروان فقد خلعنا عبد الملك فاجتمعوا إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث.

فكان أول الناس خلع عبد الملك تيجان بن أبحر من تيم الله بن ثعلبة، قام فقال:

- أيها الناس إني خلعت أباذَبَّان كخلعي قميصي.

فخلعه الناس إلا قليلا منهم، وكان في مقدمة الثائرين: ابن جبير، وعامر الشعبي، وعبد الرحمن بن ليلى وبايعوا عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فقام سعيد بن جبير وقال:

- نبايع - بايعوا - على كتاب الله وسنة نبيه (صلي الله عليه وسلم)، وعلى جهاد أهل الضلالة وخلعهم وجهاد المُحلّين.

هزيمة أصحاب الحجاج:

لما بلغ الحجاج خلعه كتب إلى عبد الملك بخبر عبد الرحمن ويسأله أن يعجل بعثة الجنود إليه، وسار الحجاج حتى نزل البصرة، وقد لاقت ثورة ابن الأشعث تأييدًا إجماعيًا من العراق وخاصة أن أعلام الفقه وأئمة العلم: سعيد بن جبير، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعامر الشعبي كانوا في مقدمة الثائرين.

ولما وصل كتاب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان هاله ودعا خالد بن زيد فأقرأه الكتاب فقال:

- يا أمير المؤمنين إن كان الحدث من سجستان فلا تخفه، وإن كان من خراسان فإني أتخوفه.

فجهز عبد الملك الجند إلى الحجاج، فكانوا يصلون إلى الحجاج على البريد من مائة ومن خمسين وأقل أو أكثر.

وكتب الحجاج تصل بعبد الملك كل يوم بخبر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث.

وسار الحجاج من البصرة ليلتقي ابن الأشعث، فنزل تستر وقدم بين يديه مقدمة إلى دُجَيْل، فلقوا عنده خيلاً لابن الأشعث، فانهزم أصحاب الحجاج بعد قتال شديد، وكان ذلك يوم الأضحى سنة إحدى وثمانين من الهجرة، وقتل منهم جمع كثير.

وتلاحقت انتصارات عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وكاد يتم له النصر الساحق في مواقع متتالية أخذت تتلاحق وتتابع.

وانسحب الحجاج من البصرة فدخلها ابن الأشعث وأصحابه فبايعه جميع أهل البصرة قراؤها وكهولها.

لماذا ثار أهل العراق في وجه الحجاج!

رأى سعيد بن جبير ظلم ومظالم الحجاج بن يوسف وقسوته فلم يعتزل الناس في مسجده بل عمل على تخفيف الحدة الطاغية بالنصيحة والموعظة فلم تزد الطاغية إلا طغيانًا فقد بلغت قوة الحجاج بالعراق مبلغًا أثار النفوس وأشعل الصدور، فقد كانت الدماء المراقة والأشلاء المتطايرة، والسجون المكتظة بالأبرياء مثارًا للحنق والغضب والتبرم، ولم ير الحجاج في قسوته ووحشيته دينًا أو مروءة، فكان يعنف ويبالغ في التعنيف والتعذيب حتى لا يترك في النفوس موضعًا لسكينة واطمئنان وأصبح الناس ما بين خائف على نفسه يستكين ويذل، ومجاهر بالثورة يستقبل الموت راضيًا مسرورًا، متخلصًا من حياة الذل والهوان.

وكانت لقسوة الحجاج بن يوسف بواعث نفسية ترجع إلى شعوره بضعة أهله، وتعالى بعض الناس عليه ممن ينتمون إلى قبائل جهيرة ويفوقهم الحجاج بن يوسف - في رأيه الخاص - ذكاء وتجربة وحزمًا، هذا إلى جانب طموحه الخارق إلى أسباب السيادة

والسيطرة، طموحًا جعله رجل الدولة الصارم، وسيف بني مروان بن أمية البتار.

لم يرع الحجاج في قسوته وبطشه دينًا أو مروءة حتى ألقى الرعب في القلوب وبث في النفوس القلق والذعر، حتى أصبح الناس ما بين خائف على نفسه فوضع كمامة على فمه، ومجاهر بالحق، فالسكوت على الحق شيطان أخرس.

وكان في مقدمة من قذف بكلمة الحق لدى سلطان جائر سعيد بن جبير، وعامر الشعبي، وكثير من الفقهاء والعلماء، الذين وجدوا في ابن الأشعث الفجر الجديد، فقاموا وبايعوه وحاربوا معه الطاغية.

عبد الملك بن مروان يعرض على الثوار عزل الحجاج:

قال عبد الملك وأهل الشام:

- إن كان يرضى أهل العراق بنزع الحجاج عنهم نزعناه فإن عزله أيسر من حربهم ونحقن بذلك الدماء.

فبعث عبد الملك بن مروان ابنه عبد الله وأخاه محمد بن مروان، وكان محمد بن مروان بأرض الموصل إلى الحجاج في جند كثيف وأمرهما أن يعرضا على أهل العراق عزل الحجاج، وأن يجريا عليهم أعطياتهم كما تجرى على أهل الشام، وأن ينزل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث أي بلد شاء من بلد العراق، فإذا نزله كان واليًا عليه ما دام حيًا وعبد الملك بن مروان خليفة، فإن أجاب أهل العراق إلى ذلك عزل الحجاج عنها وصار محمد بن مروان أمير العراق - بدلاً من الحجاج بن يوسف الثقفي -، وإن رفض أهل العراق قبول ذلك فالحجاج أمير الجماعة ووالي القتال ومحمد بن مروان، وعبد الله بن عبد الملك في طاعته.

لم يأت الحجاج بن يوسف أمر قط كان أشد عليه وأوجع لقلبه من ذلك مخافة أن يقبل أهل العراق عزله فيعزل عنهم، فكتب إلى عبد الملك بن مروان:

والله لو أعطيت أهل العراق نزعي - عزلي - لم يلبثوا إلا قليلاً حتى يخالفوك ويسيروا إليك ولا يزيدهم ذلك إلا جرأة عليك، ألم تر ويبلغك وثوب أهل العراق مع الأشتر على ابن عفان - أمير المؤمنين عثمان بن عفان - فقتلوه؟ وأن الحديد بالحديد يفلح.

فلما جاء كتاب الحجاج الخليفة أبى - رفض - عبد الملك بن مروان إلا عرض عزل الحجاج على أهل العراق، فلما اجتمع عبد الله بن عبد الملك، ومحمد بن مروان مع الحجاج بن يوسف، خرج عبد الله بن عبد الملك وقال:

- يا أهل العراق أنا ابن أمير المؤمنين، وهو يعطيكم كذا وكذا. وخرج محمد بن مروان فقال:

- يا أهل العراق أنا أخو أمير المؤمنين ورسوله وهو يعطيكم كذا وكذا. فقال أهل العراق:

- نرجع العشية.

فرجعوا واجتمعوا عند عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال لهم:

- قد أعطيتم أمرًا، انتهازكم اليوم إياه فرصة، وإنكم اليوم على النصف - الحق -، فإن كانوا اعتدوا عليكم يوم الزاوية، فأنتم تعتدون عليهم يوم تستر، فأقبلوا ما عرض عليكم وأنتم أعزاء أقوياء لقوم هم لكم هائبون وأنتم لهم منتقصون، فوالله لازلتم عليهم جرآء وعندهم أعزاء أبدا ما بقيتم إن أنتم قبلتم.

فوثب أهل العراق من كل جانب وقالوا:

- إن الله أهلكهم فأصبحوا في الضنك والمجاعة والقلة والذلة، ونحن ذو العدد الكثير والسعر الرخيص والمادة القريبة، لا والله لا نقبل.

وأعادوا خلع الحجاج ثانية.

وكان أول من قام بخلعه بدير الجماجم عبد الله بن ذؤاب السلمي، وعمير بن تيجان، وكان اجتماعهم على خلع الحجاج بن يوسف أجمع من خلعه إياه يوم أن بايعوا ابن الأشعث، فقال عبد الله بن عبد الملك، ومحمد بن مروان للحجاج:

- شأنك بعسكرك وجندك واعمل برأيك فإنا قد أمرنا أن نسمع لك ونطيع.

وكان ذلك إيذانًا بالقتال.

وقعة دير الجماجم:

سار الحجاج بن يوسف من البصرة إلى الكوفة لقتال عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فنزل بجنده من أهل الشام دير قرة.

وخرج عبد الرحمن بن الأشعث من الكوفة إلى دير الجماجم، وكان ذلك في شعبان سنة ثلاث وثمانين من الهجرة.

قال الحجاج بن يوسف:

- إن عبد الرحمن نزل دير الجماجم، ونزلت دير القرة، أما ترجز الطير؟

واجتمع إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث أهل الكوفة وأهل البصرة والقراء وأهل الثغور والمصالح بدير الجماجم، واجتمعوا على حرب الحجاج بن يوسف لبغضه، وكانوا مائة ألف.

وجاءت الحجاج إمدادات من الشام قبل نزوله دير قرة.

جعل الحجاج بن يوسف على ميمنة جيشه عبد الرحمن بن سليم الكلبي، وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللخمي، وعلى خيله سفيان بن الأبرد الكلبي، وعلى رجاله عبد الله بن خبيب الحكمي.

وجعل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على ميمنته الحجاج بن حارثة الخثعمي، وعلى ميسرته الأبرد بن قرة التميمي، وعلى خيله عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة الهاشمي، وعلى رجاله محمد بن سعد بن أبى وقاص، وعلى مجنبتيه - مجففته - عبد الله بن رزام الحارثي، وجعل على القراء جبلة بن زحر بن قيس الجعفي وفيهم: سعيد بن جبير، وعامر الشعبي، وأبو الختري الطائي، وعبد الرحمن بن أبى ليلى - ليلة -.

ثم أخذوا يتزاحفون في كل يوم ويقتتلون، وأهل العراق تأتيهم موادهم من الكوفة وسوادها وهم في خصب.

وأهل الشام في ضنك شديد قد غلت عليهم الأسعار وفقد عندهم اللحم كأنهم في حصار وهم على ذلك يغادون القتال ويراوحون.

فلما كان اليوم الذي قتل فيه جبلة بن زحر بن قيس، وكانت كتيبته تدعى القراء تحمل عليهم فلا يبرحون.

وعبأ الحجاج بن يوسف صفوفه، وعبأ عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث صفوفه ووقف سعيد بن جبير وقال:

- قاتلوهم على جورهم في الحكم وخروجهم من الدين، وتجبرهم على عباد الله، وإماتتهم الصلاة واستذلالهم المسلمين.

كتيبة القراء:

حملت كتائب الحجاج بن يوسف على كتيبة القراء من أصحاب ابن الأشعث وكان عليهم جبلة بن زحر فقام وقال بصوت مرتفع:

- يا ابن جبير، يا عبد الرحمن بن أبى ليلى، يا معشر القراء إن الفرار ليس بأحد من الناس بأقبح منه بكم، إني سمعت على بن أبى طالب، رفع الله درجته في الصالحين وآتاه ثواب الصادقين والشهداء يقول يوم لقينا أهل الشام - أثناء الفتنة الكبرى بينه وبين معاوية -:

أيها المؤمنون إنه من رأى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ، ومن أنكره بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين السفلى، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى ونور قلبه باليقين، فقاتلوا هؤلاء المحلين المبتدعين الذين جهلوا الحق فلا يعرفونه، وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه.

وقال أبو الختري:

- أيها الناس قاتلوهم على دينكم ودنياكم.

وقال عامر الشعبي:

- أيها الناس قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم، والله ما أعلم على بسيط الأرض بظلم ولا في حكم منهم.

وعاد سعيد بن جبير فقال نحو ذلك:

وحمل القراء على أهل الشام حملة رجل واحد فضربوا الكتائب حتى أزالوها وفرقوها وتقدموا وسأل الزبرقان الأسدي أبا عبد الله:

- إني مملوك ومولاي مع الحجاج أفتخاف عليَّ إن قتلت أن يكون على وزر؟

قال سعيد بن جبير:

- لا، قاتل فإن مولاك لو كان هاهنا قاتل بنفسه وبك.

وتقدمت كتيبة القراء في نحر أهل الشام، ثم رجعوا فوجدوا جبلة بن زحر قتيلاً وقد حُزّت رأسه وجيء برأسه إلى الحجاج فسر سرورًا شديدًا وبشر أصحابه بذلك.

ولما رأى القراء جبلة بن زحر قتيلاً سقط في أيديهم وتناعوه بينهم فقال سعيد ابن جبير:

- لا يظهرن عليكم قتل جبلة إنما كان كرجل منكم أتته منيته فلم يكن ليتقدم يومه ولا ليتأخر عنه.

وظهر الفشل في كتيبة القراء، ولكن سعيد بن جبير وأبو الختري وعبد الرحمن بن أبى ليلى وعامر الشعبي أشعلوا النار في صدور أصحابهم فحملوا على أصحاب الحجاج حملة صادقة وكادت الهزيمة تلحق بطاغية ثقيف ومن معه، إلا أن الحجاج بن يوسف لجأ إلى مكائده الكثيرة وعزيمته الصخرية فشد على أهل العراق شدة رجل واحد **فهزمت جحافل الشام أهل العراق**، فاندحر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وفر هاربًا تتقاذفه السبل والمشارف، وتفرق جيشه أباديد.

فذهب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى روتبيل ملك الترك. ولحق عبد الرحمن بن العباس بالسند.

فرار سعيد بن جبير:

كان سعيد بن جبير يعلم حقيقة ما ينتظره من عذاب أليم ثم القتل بعد هزيمة ابن الأشعث، فهرب إلى أصبهان فكتب الحجاج بن يوسف إلى عاملها:

- أن ابعث إليَّ سعيد بن جبير.

فأرسل عامل أصبهان إلى أبي عبد الله يعرفه ذلك ويأمره بمفارقته، فهرب سعيد بن جبير إلى أذربيجان فكان يعتمر في كل

سنة ويحج.

سعيد بن جبير في مكة:

لما انهزم أصحاب بن الأشعث في دير الجماجم هرب سعيد بن جبير لحق بمكة، وكان يفتي الناس.

سئل سعيد بن جبير:

- الشكر أفضل أم الصبر؟

قال أبو عبد الله:

- الصبر والعافية أحب إليَّ.

وقال هلال بن خباب:

- يا أبا عبد الله من أين هلاك الناس؟

قال سعيد بن جبير:

- من قبل علمائهم.

وسئل سعيد بن جبير عن قوله تعالى:{إِنَّ أَرۡضِى وَٰسِعَةٌ} [سورة العنكبوت الآية: ٥٦].

قال أبو عبد الله:

- إذا عمل فيها بالمعاصي فاخرجوا.

وسأل رجل أبا عبد الله:

- ما قول أبى عبد الله في الخضاب بالوسمة؟

قال سعيد بن جبير:

- يكسو الله العبد النور في وجهه ثم يطفئه بالسواد؟

فقال الرجل:

- معنى ذلك أنك تكرهه؟

قال أبو عبد الله:

- نعم

وسئل ابن جبير عن الخشية فقال:

- إن الخشية أن تخشى الله حتى تحول خشيته بينك وبين معصيتك، فتلك الخشية، والذكر طاعة الله فمن أطاع الله فقد ذكره، ومن لم يطعه فليس بذاكر وإن أكثر التسبيح وتلاوة القرآن.

قال سعيد بن جبير:

إن امرأة من بني إسرائيل جاءت إلى موسى عليه السلام فقالت:

- يا نبي الله إني أذنبت ذنبًا عظيمًا، وقد تبت منه إلى الله تعالى، فادع الله أن يغفر لي ذنبي ويتوب عليَّ.

فقال لها كليم الله:

- وما ذنبك؟

قالت المرأة:

- يا نبي الله إني زنيت وولدت ولدًا فقتلته.

فقال موسى عليه السلام:

- اخرجي يا فاجرة لا تنزل علينا نار من السماء فتحرقنا بشؤمك.

فخرجت المرأة من عنده منكسرة القلب، فنزل جبريل عليه السلام وقال:

- يا موسى الرب تعالى يقول لك: لم رددت التائبة يا موسى؟ أما وجدت شرًا منها؟

قال موسى عليه السلام:

- يا جبريل ومن هو شر منها؟

- تارك الصلاة عامدًا متعمدًا.

وقال سعيد بن جبير لابنه عبد الملك:

- أظهر اليأس مما في أيدي الناس فإنه غناء، وإياك وما يعتذر منه، فإنه لا يعتذر من خير.

ورأى خصيف أبا عبد الله يصلي ركعتين خلف المقام - مقام إبراهيم عليه السلام - قبل صلاة الصبح، فأتاه وصلى إلى جنبه وسأله عن آية من كتاب الله، فلم يجبه، فلما صلى الصبح قال الخصيف:

- إذا طلع الفجر فلا تتكلم إلا بذكر الله حتى تصلى الصبح.

وقرأ ابن جبير قوله تعالى:{وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٩﴾} [سورة يس الآية: ٥٩]، حتى تصبح.

وسأل جعفر سعيد بن جبير:

- من أعبد الناس؟

قال أبو عبد الله:

- رجل اجترح من الذنوب فكلما ذكر ذنوبه احتقر عمله.

في عرفة:

قال عثمان بن بردوية:

كنت مع وهب بن منبه، وسعيد بن جبير يوم عرفة تحت نخل ابن عامر.

قال وهب لسعيد:

- يا أبا عبد الله كم لك منذ خفت من الحجاج؟

قال سعيد بن جبير:

- خرجت عن امرأتي وهي حامل فجاءني الذي في بطنها وقد

خرج وجهه - خرجت لحيته -.

فقال وهب بن منبه:

- إن من كان قبلكم كان إذا أصابه بلاء عده رخاء، وإذا أصابه رخاء عده بلاء.

الواشي.. والطاغية:

مضت سنون طويلة وأبو عبد الله بعيدًا عن عيون طاغية ثقيف، وذات يوم جاء أبو حصين فقال لسعيد بن جبير:

- إن هذا الرجل قادم - يعنى خالد بن عبد الله القسري - ولا آمنك عليه، فأطعنى وأخرج.

فقال أبو عبد الله:

- والله لقد فررت حتى استحييت من الله.

فقال أبو حصين:

- والله إني لأراك كما سمتك أمك سعيدًا.

* وقيل:

لما ولى خالد بن عبد الله القسري مكة قيل لأبي عبد الله:

- إنه رجل سوء فلو سرت عن مكة.

فقال سعيد بن جبير:

- والله لقد استحييت من الله، مما أفر ولا مفر من قدره.

وتولى على مدينة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) عثمان بن حيان بدلاً من عمر بن عبد العزيز، فجعل يبعث من المدينة من أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث من العراق إلى الحجاج بن يوسف في القيود، وتعلم منه خالد بن عبد الله القسري - خالد بن الوليد القسري -.

* وقيل:

إن الحجاج أرسل إلى خالد يخبره أن بمكة أقوامًا من أهل الشقاق.

فعين خالد من عنده من مكة: سعيد بن جبير، وعطاء بن رباج، ومجاهد بن جبير، وعمرو بن دينار، فوضع القيود في أيديهم وأرجلهم.

يقول هشام الدستوائي:

- رأيت سعيد بن جبير يطوف البيت مقيدًا، ورأيته داخل الكعبة عاشر عشرة مقيدين.

قال أبو عبد الله:

- وشى بي واش في بلد الله الحرام أكله إلى الله.

وسمع خالد بن عبد الله القسري صوت القيود فتساءل:

- ما هذا؟

فقيل له:

- سعيد بن جبير وطلق بن حبيب وأصحابهما يطوفون بالبيت.

فقال خالد بن عبد الله القسري:

- اقطعوا عليهم الطواف.

في الطريق إلى الحجاج:

كان سير سعيد بن جبير إلى طاغية ثقيف مع حرسين، فانطلق أحدهما لحاجة وبقى الآخر فقال لسعيد بن جبير وقد استيقظ من نومه ليلاً:

- يا سعيد إني أبرأ إلى الله من دمك، إني رأيت في منامي فقيل لي: ويلك، تبرأ من دم سعيد بن جبير فاذهب حيث شئت فإني لا أطلبك.

فأبى سعيد بن جبير.

فرأى ذلك الحرس مثل تلك الرؤيا ثلاثًا، فأذن لسعيد بالفرار وأبو عبد الله يأبى أن يفعل.

* وقيل:

لما سار الحرس به ثلاثة أيام رآه يصوم نهاره ويقوم ليله فقال الحرس:

- والله إني أذهب بك إلى من يقتلك فاذهب إلى أي طريق شئت فقال له سعيد بن جبير:

- إنه سيبلغ الحجاج أنك قد أخذتني، فإن خليت عني خفت أن يقتلك، ولكن اذهب بي إليه.

ومات طلق بن حبيب في الطريق إلى الكوفة.

عامر الشعبي.. والحجاج:

لما انهزم أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث نادى منادى الحجاج:

- من لحق بقتيبة بن مسلم فهو آمن.

وكان الحجاج بن يوسف قد ولاه الري وسار إليه فلحق به كثير من الناس، وكان من بينهم عامر الشعبي، فذكره الحجاج يومًا فسأل عنه، فقال يزيد بن أبى مسلم:

- إنه لحق بقتيبة بالري.

فكتب الحجاج إلى قتيبة يأمره بإرسال عامر الشعبي.

فأرسله.

فلما قدم عامر الشعبي على الحجاج لقى ابن أبى مسلم وكان صديقًا له، فاستشاره فقال ابن أبى مسلم:

- اعتذر مهما استطعت.

وأشار بمثل ذلك إخوان الشعبي ونصحائه.

فلما دخل الشعبي على الحجاج رأى غير ما ذكر له، فسلم عليه بالإمرة وقال:

- أيها الأمير إن الناس قد أمروني بغير ما يعلم الله أنه الحق، وأيم الله لا أقول في هذا المقام إلا الحق، وقد والله مردنا عليك وحرضنا وجهدنا فما كنا بالأقوياء الفجرة ولا بالأتقياء البررة، ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا، فإن سطوت فبذنوبنا، وما جرت إليه أيدينا، وإن عفوت فبحلمك، وبعد فالحجة لك علينا.

فقال الحجاج بن يوسف:

- أنت والله أحب إلى قولاً ممن يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا، ثم يقول:

- ما فعلت ولا شهدت، وقد أمنت يا شعبي.

ثم تساءل الحجاج:

- كيف وجدت الناس بعدنا؟

قال عامر الشعبي:

- أصلح الله الأمير، اكتحلت بعدك السهر، واستوعرت الجناب، واستحلت الخوف، وفقدت صالح الإخوان، ولم أجد من الأمير خلفًا - خالفًا -.

فقال الحجاج بن يوسف:

- انصرف يا شعبي.

فانصرف الشعبي.

المحاكمة:

بعد أن قبض الحجاج بن يوسف على ناصية الأمر، عقد محاكمات دامية للثائرين، فأحضر محمد بن سعد بن أبى وقاص - كان سعد بن أبى وقاص خال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) - فقال له الحجاج:

- يا ظل الشيطان، أعظم الناس تيهًا وكبرًا تأبى بيعة يزيد بن معاوية وتتشبه بالحسين بن على وبابن عمر ثم ضربت مؤذنا؟

وجعل الحجاج يضرب رأس محمد بن سعد بعود في يده حتى أدماه.. ثم أمر بقتله.

ثم دعا بعمر بن موسى فقال له:

- يا عبد المرأة تقوم بالعامود على رأس بن الحائك - يعنى ابن الأشعث - وتشرب معه في الحمام؟

فقال عمر بن موسى:

- أصلح الله الأمير، كانت فتنة شملت البر والفاجر فدخلنا فيها، فقد أمكنك الله منا فإن عفوت فبحلمك وبفضلك وإن عاقبت ظلمة مذنبين.

قال الحجاج بن يوسف:

- أما أنها شملت فكذبت، ولكنها شملت الفاجر وعُوفي منها الأبرار، وأما اعترافك فعسى أن ينفعك.

ورجا الناس لعمر بن موسى السلامة.

ولكن الطاغية أمر به فقتل.

ثم دعا بالهلقام بن نعيم فقال له الحجاج:

- أحببت أن ابن الأشعث طلب ما طلب، ما الذي أملت أنت معه؟

قال الهلقام بن نعيم:

– أملت أن يملك فيولبني العراق كما ولاك عبد الملك إياه.

فأمر الحجاج به فقتل.

ثم دعا الحجاج بن يوسف عبد الله بن عامر، فلما أتاه قال الحجاج:

- لا رأت عينك الجنة إن أفلت.

فقال عبد الله بن المهلب

- بما صنع.

فتساءل الحجاج بن يوسف:

- وما صنع؟

قال عبد الله بن عامر:

لأنه كاس في إطلاق أسرته ::: وقاد نحوك في أغلالها مضرا
وقى بقومك ورد الموت أسرته ::: وكان قومك أدنى عنده خطرا

فأطرق الحجاج ووقرت في قلبه وقال:

- وما أنت وذاك؟

فأمر به فقتل.

وأمر الحجاج بإحضار أعشى همدان، فلما جاء سأله:

- ايه يا عدو الله، أنشدني قولك: بين الأشج وبين قيس.

قال أعشى همدان:

- بل أنشدك ما قلت لك

قال الحجاج بن يوسف:

أبى الله إلا أن يـــــتم نـــــوره ::: ويطفئ نـــار الفاســقين فتخمـــدا
ويظهر أهل الحق في كل مــوطن ::: ويعدل وقع السيف من كان أصيدا
وينـــــزل ذلاً بـــالعراق وأهلـــه ::: لما نقضوا العهد الوثيـــق المؤكـــدا

فلما أتم أعشى همدان قصيدته قالوا:

- أحسن، أصلح الله الأمير.

فهز الحجاج رأسه وقال:

- لا لم يحسن، إنكم لا ترون ما أراد بها.

ثم قال الحجاج لأعشى همدان:

- يا عدو الله والله لا نحمدك على هذا القول، إنما قلت: تأسف أن لا يكون ظهر وظفر، وتحريضًا لأصحابك علينا، وليس عن هذا سألتك، أنشدنا قولك: بين الأشج وبين قيس باذخ.

فأنشد أعشى همدان.

فلما قال:

بخ بخ لوالده وللمولود.

قال الحجاج:

- والله لا تبخبخ بعدها أبدًا.

فضربت عنق أعشى همدان.

وأخذ الحجاج يرسل ضحاياه إلى الجلاد شهيدًا وراء شهيد، لا يعبأ بعذر واضح أو يستشعر خشية مرهوبة.

القاضي والجلاد:

نزل أبو عبد الله في داره بالكوفة، وأتاه قراء الكوفة، فجعل يحدثهم وهو يضحك وبنية له في حجره، فلما نظرت إلى القيد في

رجله بكت ثم أدخلوه على الحجاج بن يوسف فلما رآه قال:

- لعن الله ابن النصرانية - يعنى خالد بن عبد الله القسري -، أما كنت أعرف مكانه؟ بلى والله والبيت الذي هو فيه بمكة.

ثم أقبل الحجاج على سعيد بن جبير فقال له:

- يا سعيد ألم أشركك في إمامتي؟ ألم أفعل؟ ألم أستعملك؟

حتى ظن من عند الحجاج أنه سيخلي سبيل أبى عبد الله.

قال أبو عبد الله:

- بلى.

فتساءل الحجاج بن يوسف:

- فما أخرجك على؟

قال سعيد بن جبير:

- أنما أنا أمرؤ من المسلمين يخطئ مرة ويصيب مرة

فطابت نفس الحجاج بن يوسف.

ثم عاوده في شيء فقال أبو عبد الله:

- إنما كانت بيعة في عنقي.

فغضب الحجاج وانتفخ حتى سقط طرف ردائه عن منكبه وقال له:

- ويحك، ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير وأخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لأمير المؤمنين عبد الملك؟

قال سعيد بن جبير:

- بلى.

قال الحجاج بن يوسف:

ثم قدمت الكوفة واليًا على العراق فجددت لأمير المؤمنين البيعة

فأخذت بيعتك؟

قال أبو عبد الله:

- بلى.

قال الحجاج بن يوسف:

- فنكثت بيعتين لأمير المؤمنين وتفي بواحدة للحائك ابن الحائك - يعنى ابن الأشعث؟ - والله لأقتلنك.

ثم نظر إلى سعيد بن جبير وأشار بيده:

- خذوه إلى السجن.

الخنوع... والكرامة:

نظر الحجاج بن يوسف الثقفي إلى زعيمي الثورة: سعيد بن جبير، وعامر الشعبي الذي أظهر الخنوع والاستكانة وطاطأ رأسه للطاغية منتحلاً شتى المعاذير وتقدم إلى الحجاج وقال له في توبة النادم وآيف المذنب:

- أصلح الله للأمير، لقد حبطتنا فتنة، فما كنا فيها بأبرار أتقياء، ولا فجار أقوياء، وقد كتبت إلى يزيد بن أبى مسلم أعلمه ندامتي على ما فرط مني، ومعرفتي بالحق الذي خرجت منه، وسألته أن يخبرك بذلك ويأخذ أمانًا منك.

هل اعترف عامر الشعبي بنكوصه عن الحق في ثورته على الحجاج؟ هل كان الطاغية في بطشه الماحق وقهر لا يستحق ثورة قوية تزعزع باطله الجريء؟ قال ذلك ليكافيء الحجاج لأنه أمنه وعفا عنه من قبل؟

لو وقف سعيد بن جبير موقف عامر الشعبي لكان حدثًا رائعًا.. عالمان وفقيهان كبيران يعلنان ويعترفان بعدل الحجاج بن يوسف في بغيه، وإنصافه في جبروته؟

هل يرضى بذلك رجل ورع يسمع ويرى ما يزهق من الأرواح، وما يتطاير من الأشلاء كل حين؟

أطال الحجاج النظر إلى وجه سعيد بن جبير، هل قرأ ما يجول بخاطره؟

ماسر البسمة التي تعلو شفتي الحجاج؟

* أراد الحجاج بن يوسف أن يغري سعيد بن جبير بمباهج الدنيا ولهوها، فأمر باللؤلؤ والزبرجد والياقوت، فجمع ووضع بين يدي أبى عبد الله فقال للحجاج:

- إن كنت جمعت هذا لتتقى به فزع يوم القيامة يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت فلا خير في شيء جمع للدنيا، إلا ما طاب وزكا.

فدعا الحجاج بالعود والناي.

فلما ضرب بالعود، ونفخ في الناي بكى سعيد بن جبير، فتبسم الحجاج، هل رق أبو عبد الله؟ هل أدرك أن الدنيا متاع؟

تساءل الحجاج بن يوسف:

- ما يبكيك؟ أهو اللعب؟

قال سعيد بن جبير:

- هو الحزن، أما النفخ فذكرني يومًا عظيمًا، يوم ينفخ في الصور، وأما العود فشجرة قطعت في غير حق، وأما الأوتار فمن شاة تبعث معها يوم القيامة.

قال الحجاج بن يوسف:

- ويلك يا سعيد.

هل كان يريد أن يسمع كلامًا كله اعتذار وتوسل كما فعل عامر الشعبي؟ ظن أن أبا عبد الله ستبهره زينة الدنيا من لؤلؤ وزبرجد وياقوت وآلات عزف وطرب؟

قال سعيد بن جبير:

- لا ويل لمن زحزح عن النار وأدخل الجنة.

قال الحجاج بن يوسف وهو يهز رأسه متوعدًا:

- اختر يا سعيد أي قتلة أقتلك.

في مواجهة الحجاج:

بكى رجل من القوم.

فقال له سعيد بن جبير:

- ما يبكيك؟

قال الرجل:

- لما أصابك.

قال أبو عبد الله:

- فلا تبك، كان في علم الله أن يكون هذا

ثم قرأ: {مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾} [سورة الحديد الآية: ٢٢].

- ما اسمك؟

فقال سعيد بن جبير في صلابة وعزة:

- اسمي سعيد بن جبير.

ولكن الطاغية قال مبالغًا في استخفافه:

– بل أنت الشقي ابن كسير.

فقال سعيد بن جبير:

- كانت أمي أعرف - أعلم - باسمي منك.

غضب الحجاج بن يوسف وصاح في تبرم:

- لقد شقيت وشقيت أمك.

وظن الحجاج أنه بذلك قطع الرد على غريمه، ولكن سعيد بن جبير قال:

- الغيب إنما يعلمه غيرك.

استشرى غيظ الحجاج ولجأ إلى الوعيد والتهديد فقال من بين أسنانه:

- لأبدلنك نارًا تتلظى.

قال سعيد بن جبير في هدوء:

- لو علمت أن ذلك لك ما اتخذت إلـها يغرك.

طال الحوار ولم يصل الحجاج بن يوسف إلى إفحام غريمه كما يريد، لماذا لا يسلك مسلكًا آخر يقرب الفريسة من فخها المرصود؟

كان الكلام عن بعض الصحابة - آنذاك - مثارًا للكيد والاتهام بمناوأة الدولة الأموية والثورة على سياستها العامة، ولا سيما إذا تطرق الحديث إلى الإمام على كرم الله وجهه، لماذا لا يدير الحجاج بن يوسف دفة الحديث إلى أهل البيت؟

قال الحجاج لسعيد بن جبير:

- ما تقول في محمد؟

تساءل سعيد بن جبير:

- تعنى النبي (صلي الله عليه وسلم) ؟

قال الحجاج بن يوسف:

- نعم.

هل السؤال يتطلب رؤيا من عالم بصير كأبي عبد الله؟

صاح سعيد بن جبير يقول:

- سيد ولد آدم، نبي الرحمة وإمام الهدى، بعثه الله رحمة للعالمين، خير من بقى وخير من مضى.

هل تسلل الطاغية إلى هدفه؟ لم لا يحاوره قليلاً؟ قال الحجاج:

- فما تقول في أبى بكر؟

قال سعيد بن جبير:

- الصديق خليفة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ، ثاني اثنين إذ هما في الغار أعز الله به الدين وجمع به بعد الفرقة، مضى حميدًا وعاش سعيدًا، ومضى على منهاج نبيه (صلي الله عليه وسلم) ، لم يغير ولم يبدل.

قال الحجاج:

- فما تقول في عمر؟

قال أبو عبد الله:

- عمر الفاروق خيرة - الخيرة من القوم: الأفضل - الله من خلقه، وخيرة رسوله، أحب الله أن يعز الدين بأحد العمرين فكان أحقهما بالخيرة والفضيلة، مضى حميدًا على منهاج صاحبيه لم يغير ولم يبدل.

مرة أخرى لم يغير ولم يبدل؟ لم لا ينتظر قليلاً؟ أنه يقترب من قبره الذي يحفره بيده.

قال الحجاج بن يوسف:

- فما تقول في عثمان؟

قال سعيد بن جبير:

- المقتول ظلمًا، مجهز جيش العسرة - يوم غزوة تبوك -، والمشتري بيتًا في الجنة، الحافر بئر رومة - أرض بالمدينة وهي

بئر اشتراها عثمان من يهودي وتصدق بها -، صهر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) على ابنتيه - رقية، وأم كلثوم فسمى ذا النورين لأنه كان أول رجل تزوج ابنتي نبي - زوجه النبي (صلي الله عليه وسلم) بوحي من السماء.

لعق الحجاج بن يوسف شفتيه بطرف لسانه وعبثت أنامله في لحيته وقال:

- فما تقول في على؟

قال أبو عبد الله:

- ابن عم رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، وأول من أسلم، وزوج فاطمة وأبو الحسن والحسين.

قال الحجاج بن يوسف:

- أهو في الجنة أم في النار؟

ماذا يقول أبو عبد الله؟ إن الرد يحتاج إلى حزم بالغ وحيطة تامة في قوله

قال سعيد بن جبير:

– **لو دخلتها وعرفت من فيها لعرفت أهلها.**

تلفت الحجاج بن يوسف الثقفي حوله، رماه سعيد بن جبير في بحر الحيرة؟ أغلق أبو عبد الله برده الحازم باب اللجاجة والجدل في وجه كلب حاقد يتربص الدوائر بشيعة أبي الحسن؟

تميز الحجاج غيظًا وحنقًا فقال:

- ما تقول في معاوية؟

قال أبو عبد الله.

كاتب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) - كان من كتاب الوحي

.-

فقال الحجاج بن يوسف:

- ما قولك في الخلفاء منذ كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى الآن؟

قال أبو عبد الله في هدوء:

- لست عليهم بوكيل، سيجزون بأعمالهم، فمسرور ومثبور - هالك أو مطرود من رحمة الله -.

وسار الحوار في طريقه من باب إلى باب دون أن يزل أبو عبد الله باتهام يدع حيثية الإعدام في يد الحجاج بن يوسف الثقفي، أن رأسه يغلي بأفكاره الحاقدة كما يغلى القدر الفائر، ولكن عليه أن يهدأ، فقال الحجاج:

- فأيهم أحب إليك؟

قال ابن جبير:

- أرضا لهم لخالقي.

فقال الحجاج بن يوسف:

- فأيهم أرضى للخالق؟

قال ابن جبير:

- علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم.

- فما تقول في عبد الملك بن مروان؟

قال سعيد بن جبير:

– **إن يكن محسنًا فعند الله ثواب إحسانه، وإن كان مسيئًا فلن يعجز الله.**

تنهد الحجاج، هل نفد صبره؟ سد أبو عبد الله باب كل منفذ؟

قال الحجاج بن يوسف:

- فما تقول فيّ؟

- قال سعيد بن جبير:

- أنت أعلم بنفسك.

صاح الحجاج بن يوسف:

- بث في علمك.

قال أبو عبد الله:

- إذًا أسوءك ولا أسرك.

صرخ الحجاج بن يوسف:

قال سعيد بن جبير:

- أعفني.

قال الحجاج بن يوسف:

- لا عفا الله عني إن أعفيتك.

قال أبو عبد الله:

- ظهر منك جور في حد الله، إني لأعلم أنك مخالفًا لكتاب الله، ترى من نفسك أمورًا تريد بها الهيبة وهي التي تقحمك الهلاك، وسترد غدًا - النار - فتعلم.

لمعت عينا الحجاج بن يوسف ثم تساءل:

- فما بالك لم تضحك؟

قال ابن جبير:

- وكيف يضحك مخلوق خلق من طين والطين تأكله النار.

قال الحجاج بن يوسف:

- ما بالنا نضحك؟

قال أبو عبد الله:

- لم تستو القلوب.

توهجت عينا الحجاج بن يوسف وقال:

- أما والله لأقتلنك قتلة لم أقتلها أحدًا قبلك ولا أقتلها أحدًا بعدك.

قال سعيد بن جبير:

- إذًا تفسد عليَّ دنياي وأفسد عليك آخرتك، والقصاص أمامك.

قال الحجاج بن يوسف من بين أسنانه:

- والله لأقطعنك قطعًا قطعًا وأفرقن أعضاءك عضوًا عضوًا.

ثم التفت نحو غلام وقال بصوت مرتفع:

- يا غلام السيف والنطع - الدرع وهو ما يشبه الحصير من الأدم

- ثم دفع الحجاج أبا عبد الله بيده وقال:

- الويل لك من الله.

قال سعيد بن جبير:

- لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار.

صاح الحجاج بن يوسف بغلمانه:

- اذهبوا به فاضربوا عنقه.

قال سعيد بن جبير:

- إني أشهدك إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أستحفظك بها حتى ألقاك يوم القيامة.

الشهيد الضاحك:

يقول الفضل بن سويد - كان في حجر الحجاج وكان أبوه أوصى إلى الحجاج - بعثني الحجاج في حاجة فقيل:

قد جيء بسعيد بن جبير:

فرجعت لأنظر ما يصنع به، فقمت على رأس الحجاج فقال لسعيد بن جبير:

- يا سعيد ألم أقدم العراق فأكرمتك؟

قال:

- بلى.

قال الحجاج بن يوسف:

- فما أخرجك عليَّ - فما حملك على أن خرجت على -؟

قال أبو عبد الله:

- عُزم على - كانت لابن الأشعث بيعة في عنقي وعزم على -.

فغضب الحجاج بن يوسف وقال:

- رأيت لعدو الله عزمة لم ترها لله ولا لأمير المؤمنين ولا لي؟ والله لا أرفع قدمي حتى أقتلك وأعجلك إلى النار.

ثم التفت نحو فتيانه وقال:

- ائتوني بسيف رغيب.

فقام مسلم الأعور ومعه سيف حنفي ليضرب عنق سعيد بن جبير فقال:

- أريد ابني.

فجاءوا بابن سعيد، فجعل يبكي، فقال له أبو عبد الله:

- ما يبكيك؟ ما بقاء أبيك بعد سبع وخمسين سنة.

ثم هتف الحجاج:

- اختر يا سعيد أي قتلة أقتلك.

قال ابن جبير في صوت ينبض بالإيمان العميق:

- اختر لنفسك يا حجاج فوالله لا تقتلني إلا قتلك الله مثلها في الآخرة.

قال الحجاج بن يوسف:

- أفتريد أن أعفو عنك؟

قال ابن جبير:

- إن كان العفو فمن الله وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر

قال الحجاج:

- اذهبوا به فاقتلوه.

فأخبر الحجاج بذلك فقال:

- ردوه.

فلما جاءوا به سأله الحجاج:

- ما أضحكك؟

قال ابن جبير:

– عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك.

هتف الحجاج من بين أسنانه:

- يا حارس انطلق به فاضرب عنقه.

فانطلق مسلم الأعور فقال له:

- دعني أصلي ركعتين.

فتساءل الحجاج بن يوسف:

- ما يقول لك؟

قال مسلم الأعور:

- قال: دعني أصلي ركعتين.

وتوجه سعيد بن جبير نحو القبلة، فصاح الحجاج:

- اقلبوا ظهره إلى القبلة.

فقال سعيد بن جبير:

{فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ} [سورة البقرة الآية: ١١٥].

لما انتهى سعيد بن جبير من صلاته، نظر إليه الحجاج وقال في سخرية مريرة:

- أتريد أن أعفو عنك؟

قال أبو عبد الله في إيمان وهدوء:

- إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا تملك عفوًا على إنسان.

ولو كان الحجاج بن يوسف ممن يخشون هيبة الله عز وجل لقنع بما سمع، ولقدر لأبي عبد الله إيمانه الراسخ، ويقينه العميق، وحسن ظنه بالله تبارك وتعالى، ولكن حمى الانتقام الرعناء ترتعش في كيانه، ثم تصدع رأسه فيصيح بسعيد بن جبير:

- اختر أي قتلة تريد أن أقتلك بها؟

فقال سعيد بن جبير في هدوء الصابر وإيمان المحتسب:

- بل اختر يا عدو الله لنفسك، فوالله ما تقتلني اليوم قتلة إلا قتلتك في الآخرة بمثلها.

فصرخ الحجاج:

- اذهبوا به ليقتل.

تبسم سعيد بن جبير، فتساءل الحجاج بن يوسف:

- مم ضحكت؟

قال أبو عبد الله:

- من جرأتك على الله عز وجل.

فقال الحجاج:

- اضجعوه للذبح.

فأضجع سعيد بن جبير فقال:

-{وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} [سورة الأنعام الآية: ٧٩].

فقال الحجاج:

- اقلبوا ظهره إلى القبلة.

فقال أبو عبد الله:

-{وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ} [سورة البقرة الآية: ١١٥].

فقال الحجاج بن يوسف:

- كبوه على وجهه.

فقرأ سعيد بن جبير:

{مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾} [سورة طه الآية: ٥٥].

صرخ الحجاج:

- اذبحوه من قفاه.

قال سعيد بن جبير:

- **أما إني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، خذها مني حتى تلقاني بها يوم القيامة.**

ثم قال أبو عبد الله:

- **اللهم لا تسلط الحجاج على أحد بعدي.**

تقدم مسلم الأعور بسيفه فذبح أبا عبد الله من قفاه.

يقول خلف بن خليفة عن أبيه:

- شهدت سعيد بن جبير، فلما بان رأسه قال: لا إله إلا الله، لا إله إلا الله.

ثم قالها الثالثة فلم يتمها.

ولما ذبح سعيد بن جبير سال منه دم كثير، فطلب الحجاج الأطباء فجاءوا.

قال الأطباء:

- قتل هذا - أبو عبد الله - ونفسه معه، والدم يتبع النفس، أما غيره فكانت نفسه تذهب مع الخوف، فلذلك قل دمهم.

وكان ذبح الشهيد الضاحك في شعبان سنة خمس وتسعين من الهجرة بمدينة واسط.

ماذا قالوا بعد مقتل سعيد بن جبير؟

لما قيل للحسن البصري:

- إن الحجاج بن يوسف قتل سعيد بن جبير ذبحًا.

قال الحسن البصري:

- اللهم ائت على فاسق ثقيف، اللهم يا قاصم الجبابرة اقصم الحجاج، والله لو أن ما بين المشرق والمغرب اشتركوا في قتل سعيد لكبهم الله عز وجل في النار.

فما بقى الحجاج بن يوسف الثقفي ثلاثًا - ثلاثة أيام أو ثلاث ليال - حتى التأث عقله، وشرد رأيه منذ أن شاهد رأس الشهيد يتطاير عن جسده، فلم يذق النوم إلا غرارًا، وكان يستيقظ فزعًا وهو يصيح:

- يا قوم، ما لي ولسعيد بن جبير، كلما عزمت على النوم أخذ بحلقي.

قال عمرو بن ميمون:

- لقد مات سعيد بن جبير ما على الأرض أحد إلا هو يحتاج إلى علمه

يقول بعلي:

- كنت أكتب للحجاج، أنا يومئذ غلام حديث السن، فدخلت عليه يومًا بعد مقتل سعيد بن جبير وهو في قبة - خيمة - لها أربعة أبواب، فدخلت مما يلي ظهره فسمعته يقول:

- ما لي ولسعيد بن جبير.

فخرجت رويدًا، وعلمت أنه إن علم بي قتلني، فلم يلبث الحجاج بعد ذلك إلا يسيرًا.

وفي رواية أخرى:

عاش الحجاج بعد سعيد بن جبير خمسة عشر يومًا.

وقيل: ثلاثة أيام.

لما حضرت الحجاج الوفاة كان يغيب ثم يفيق ويقول:

- ما لي ولسعيد بن جبير؟

ورؤي الحجاج بن يوسف بعد موته في المنام فقيل له:

- ما فعل الله بك؟

- قتلني بكل قتلة قتلة، وقتلني سعيد بن جبير سبعين قتلة.

فهل سمعت السماء دعاء الشهيد المظلوم؟

لقد مات الطاغية بعد أيام من مصرع غريمه دون أن يريق دمًا لإنسان، فحسم مفرق اللذات شر الحجاج بن يوسف عن الناس.

سعيد بن جبير ورواية الحديث عن المبعوث رحمة للعالمين (صلي الله عليه وسلم) :

أسند سعيد بن جبير عن بعض الصحابة وعن جماعة من التابعين.

قال خاتم النبيين (صلي الله عليه وسلم) :

شكا نبي من الأنبياء إلى ربه فقال:

-(يا رب يكون العبد من عبيدك يؤمن بك، ويعمل بطاعتك فتزوي عنه الدنيا وتعرض له البلاء، ويكون العبد من عبيدك يكفر بك، ويعمل بمعصيتك فتزوي عنه البلاء، وتعرض له الدنيا؟).

فأوحى الله إليه:

-(إن العباد والبلاد لي، وأنه ليس من شيء إلا وهو يسبحني ويهللني ويكبرني، فأما عبدي المؤمن فله سيئات فأزوي عنه الدنيا وأعرض له البلاء حتى يأتيني فأجزيه بحسناته، وأما عبدي الكافر فله حسنات فأزوي عنه البلاء وأعرض له الدنيا حتى يأتيني فأجزيه بسيئاته) (رواه الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية).

وقال حازم بن جبلة العبدي عن سفيان الموري عن أبى ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال:

- قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(جميع أعمال بنى آدم تحصره الملائكة الكرام الكاتبون إلا حسنات المجاهدين في سبيل الله، فإن الملائكة الذين خلقهم الله يعجزون عن علم إحصاء حسنات أدناهم) (رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس).

وقال النبي الأمي العربي الزكي القرشي الهاشمي (صلي الله عليه وسلم) :

-(إن أول شيء خلقه الله القلم وأمره فكتب كل شئ يكون) (رواه أبو نعيم في الحلّية عن عبد الله بن عباس)

وقال حبيب بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال:

- قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(اجعلوا أئمتكم خياركم فإنهم وفد فيما بينهم وبين الله) (رواه الدارقطني عن ابن عمر).

قال سعيد بن جبير:

- سئل بن عباس: مِثْلُ من أنت حين قبض رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ؟

قال عبد الله بن عباس:

- أنا يومئذ مختون.

وكانوا يومئذ لا يختنون الرجل حتى يدرك أو قارب الاحتلام (رواه البخاري عن بن جبير).

سعيد بن جبير والقرآن:

يقول أبو عبد الله:

كان أصحاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يكرهون رفع الصوت عند الذكر - قراءة القرآن -.

وقال خاتم النبيين (صلي الله عليه وسلم) :

-(أحسن الناس صوتًا من إذا قرأ رأيته يخشى الله تعالى) (رواه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس، والديلمي في مسند الفردوس عن عائشة).

قال سعيد بن جبير:

- كان المشركون يحضرون بالمسجد، فإذا قرأ رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(بسم الله الرحمن الرحيم).

قالوا:

- هذا محمد يذكر رحمان اليمامة - يعنون مسيلمة بن حبيب -.

فأمر أن يخافت بسم الله الرحمن الرحيم.

ونزل:{وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا } [سورة الإسراء الآية: ١١٠].

وسئل سعيد بن جبير:

- لماذا سمى آدم؟

قالى أبو عبد الله:

- إنما سمى آدم لأنه خلق من أديم الأرض، وإنما سمى إنسانًا لأنه نسى (ذكره ابن سعد في الطبقات).

وسئل سعيد بن جبير عن قوله تعالى{ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا } [سورة البقرة الآية: ٣١].

فقال سعيد بن جبير:

- اختلف أهل التأويل في معنى الأسماء التي علمها الله عز وجل لآدم عليه السلام، ولقد علمه أسماء جميع الأشياء كلها جليلها وحقيرها.

وكان أبو عبد الله إذا قرا هذه الآية:{وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ } [سورة البقرة الآية: ٣٣].

- المراد ما كتمه إبليس في نفسه من الكبر والمعصية.

فقال الرجل:

- يا أبا عبد الله هل كان إبليس من الملائكة؟

قال سعيد بن جبير:

- قال ابن عباس: كان إبليس من الملائكة فلما عصى الله غضب عليه فلعنه فصار شيطانًا.

ثم قال أبو عبد الله:

- إن الجن سبط من الملائكة خلقوا من نار، وإبليس منهم، وخلق سائر الملائكة من نور.

وقال الرجل:

- يا أبا عبد الله ما هي الشجرة التي حذر الله عز وجل آدم عليه السلام وزوجه ألا يقرباها؟

قال سعيد بن جبير:

- هي الكرم، ولذلك حرمت علينا الخمر.

وكان سعيد بن جبير إذا قرأ قوله تعالى:{وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ} [سورة البقرة الآية: ٣٦].

قال:

لما أهبط آدم إلى الأرض لم يكن فيها شيء غير النسر في البر، والحوت في البحر، فكان النسر يأوي إلى الحوت فيبيت عنده، فلما رأى النسر آدم قال:

- يا حوت، لقد أهبط اليوم إلى الأرض شيء يمشي على رجليه ويبطش بيديه:

قال الحوت:

- لئن كنت صادقًا ما لي منه في البحر منجى، ولا لك في البر منه مخلص.

وسئل سعيد بن جبير عن قوله تعالى:{وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ} [سورة البقرة الآية: ٤٣].

قال:

- هل هي صلاة الجماعة؟

قال أبو عبد الله:

- قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(من سمع النداء – الآذان – فلا صلة له – منفردًا – إلا من عذر.

وكان أبو عبد الله إذا قرأ قوله تعالى:{أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَ} [سورة البقرة الآية: ٤٤].

قال:

- لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء، ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر.

وسئل سعيد بن جبير عن الحجر:{فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَ} [سورة البقرة الآية: ٦٠].

فقال أبو عبد الله:

- هو الحجر الذي وضع عليه موسى عليه السلام ثوبه لما اغتسل، وفر بثوبه حتى برأه الله مما رماه به قومه - بنو إسرائيل -.

وكان أبو سعيد إذا قرأ قوله تعالى:{وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ} [سورة البقرة الآية: ٨٧].

قال:{بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ} هو اسم الله الأعظم.

وقيل: جبريل عليه السلام.

وقيل: القدس: هو الله عز وجل.

وقيل: هو الاسم الذي كان يحيى به عيسى عليه السلام الموتى.

يقول سعيد بن جبير:

- لما نزلت:{وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ} [سورة غافر الآية: ٦٠].

قالوا:

- أين؟

فنزلت:{فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ} [سورة البقرة الآية: ١١٥].

وكان سعيد إذا قرأ قوله تعالى:{وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ} [سورة البقرة الآية: ١٥٠].

- قال سعيد بن جبير:

- ولم تتم نعمة الله على عبد حتى يدخله الجنة.

وسئل ابن جبير عن قوله تعالى:{فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ} [سورة البقرة الآية: ١٥٢].

قال:

– الذكر طاعة الله فمن لم يطعه لم يذكره، وأن أكثر التسبيح والتهليل وقراءة القرآن.

وقال سعيد بن جبير:

– اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب والمغفرة.

وكان سعيد بن جبير إذا قرأ قوله تعالى:{إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ} [سورة البقرة الآية: ١٥٦].

قال:

– لم تعط هذه الكلمات نبيًا قبل نبينا، ولو عرفها يعقوب لما قال:

{يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ} [سورة يوسف الآية: ٨٤].

وسئل سعيد بن جبير عن قوله تعالى:{يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ} [سورة يوسف الآية: ٨٤].

فقال:

- لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم تعط الأنبياء قبلهم:{إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [سورة البقرة الآية: ١٥٦]، ولو أعطيته الأنبياء عليهم السلام لأعطيه يعقوب عليه السلام إذ يقول:

{يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ} [سورة يوسف الآية: ٨٤].

والأسف شدة الحزن على ما فات.

والنداء على معنيك تعال يا فانه من أوقاتك.

ويقول سعيد بن جبير:

- لم يكن عند يعقوب ما في كتابنا من الاسترجاع، ولو كان عنده لما قال:{يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ} [سورة يوسف الآية: ٨٤].

وسئل سعيد بن جبير:

- العمرة واجبة يا أبا عبد الله؟

قال سعيد بن جبير:

- نعم.

قال ابن عباس:

- العمرة واجبة كوجوب الحج من استطاع إليه سبيلا.

يقول جابر بن عبد الله:

- سأل رجل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) عن الصلاة والزكاة والحج: أواجب هو؟

قال عليه الصلاة والسلام:

-(نعم).

فسأله عن العمرة أواجبة هي؟

قال أبو القاسم (صلي الله عليه وسلم) :

-(لا وإن تعتمر خير لك).

وسئل سعيد بن جبير عن قوله تعالى:

{رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا} [سورة البقرة الآية: ٢٨٦].

قال:

- **الأصر:** شدة العمل، وما غلظ على بنى إسرائيل من البول ونحوه.

وكان سعيد بن جبير إذا قرأ قوله تعالى:{وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا } [سورة آل عمران الآية: ٩٧].

قال:

- لو مات جار لي وله ميسرة ولم يحج لم أصل عليه.

تال الصادق المصدوق (صلي الله عليه وسلم) :

-(يا أيها الناس إن الله فرض عليكم الحج على من استطاع إليه سبيلا ومن لم يفعل فليمت على أي حال شاء إن شاء يهوديًا أو نصرانيًا أو مجوسيًا إلا أن يكون عذر من مرض أو سلطان جائر، لا نصيب له في شفاعتي ولا ورود حوضي.

وسئل سعيد بن جبير عن:{وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ}[سورة النساء الآية: ٣٦].

فقال:

- **الزوجة.**

وسأل رجل أبا عبد الله:

- يا تقي الدين أي ورق الشجر ذكره الله تبارك وتعالى في قوله:{وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ} [سورة الأعراف الآية: ٢٢].

قال سعيد بن جبير:

- ورق التين.

وكان سعيد بن جبير إذا قرأ قوله تعالى:{وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا} [سورة هود الآية: ٩١].

قال:

- كان شعيب عليه السلام مصابا ببصره.

وقال:

كان ضعيف البصر.

سئل سعيد بن جبير عن قوله تعالى:{ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ} [سورة إبراهيم الآية: ٣٩].

فقال سعيد بن جبير:

- بشر إبراهيم بإسحاق بعد عشر ومائة سنة.

وقال عبد الله بن عباس:

- ولد له إسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة، وإسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة.

وهذا دليل قاطع على أن الذبيح هو إسماعيل وليس إسحاق كما يزعم قتلة الأنبياء وإخوان القردة والخنازير.

وسئل سعيد بن جبير عن قوله تعالى:{لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ} [سورة النحل الآية: ٦٢].

قال أبو عبد الله:

متركون منسيون في النار.

وكان سعيد بن جبير إذا قرأ قوله تعالى:{وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا } [سورة الإسراء الآية: ١٠٢].

قال:

- مخسور وخاسر.

وقيل: ملعونًا.

وسأل رجل من أهل الكتاب سعيد بن جبير:

- أي الأجلين قضى موسى عليه السلام؟

قال سعيد بن جبير:

- لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأساله.

ثم انطلق سعيد بن جبير إلى عبد الله بن عباس فقال له:

- أي الأجلين قضى كليم الله؟

قال ابن عباس:

- قضى أكملهما وأوفاهما عشر سنين.

فأعلم سعيد بن جبير النصراني فقال:

- صدق والله هذا العالم - ابن عباس -.

وسئل سعيد بن جبير عن قوله تعالى:{ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ} [سورة الأنبياء الآية: ١٠٣].

فقال:

- هو إذا أطبقت النار على أهلها وذبح الموت بين الجنة والنار.

وسئل سعيد بن جبير عن:{طِينٍ لَّازِبٍ } [سورة الصافات الآية: ١١].

فقال:

- لزج، جيد حر يلصق باليد.

وكان سعيد بن جبير إذا قرأ قوله تعالى:{فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ} [سورة الدخان الآية: ٢٩].

قال:

- فما بكت عليهم مصاعد عملهم من السماء ولا مواضع عبادتهم من الأرض.

وسئل سعيد بن جبير عن قوله تعالى:{ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ }

[سورة الفيل الآية: ٣].

فقال:

- كانت طيرًا من السماء لم ير قبلها ولا بعدها مثلها.

* * *

محمد بن المنكدر

مواقف ومواعظ

مـــن حيـــاة التابعيـــن

[٣]

محمد بن المنكدر

محمد بن المنكدر

نسبه:

هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهديري بن محرز بن عبد العزي.

سيد القراء

كنيته:

يكنى أبا عبد الله.

الألم... والنعمة:

كان أبو عبد الله يقوم من الليل فيتوضأ ثم يدعو الله عز وجل ويمني عليه ويشكره، ثم يرفع صوته بالذكر فقيل له:

- لم ترفع صوتك؟

قال محمد بن المنكدر:

- إن لي جارًا يشتكى يرفع صوته بالوجع، وأنا أرفع صوتي بالنعمة.

جئنا لتفرج عنا... فزدتنا:

بينما محمد بن المنكدر ذات ليلة قائم يصلي إذ استبكى، فكثر بكاؤه حتى فزع له أهله فسألوه:

- ما الذي أبكاك؟

فاستعجم عليهم.

وتمادى في البكاء، فأرسلوا إلى أبى حازم وأخبروه بأمره، فجاء أبو حازم إلى محمد بن المنكدر فإذا هو يبكي فقال أبو حازم:

- يا أخي ما الذي أبكاك قد رعت أهلك؟

قال أبو عبد الله:

- مرت بي آية من كتاب الله عز وجل.

فتساءل أبو حازم:

- ما هي؟

قال محمد بن المنكدر:

- قول الله عز وجل: {وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} [سورة الزمر الآية: ٤٧].

فبكى أبو حازم مع ابن المنكدر، واشتد بكاؤهما.

فقال بعض أهله لأبى حازم:

- جئنا بك لتفرج عنه فزدته.

فأخبرهم أبو حازم ما الذي أبكاهما.

عليك بالبكاء:

قال محمد بن المنكدر:

أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام:

- يا داود عليك بالبكاء فإنه يمحو السيئات، ويثبت الحسنات.

يا داود كيف غفلت عينك حتى امتدت إلى ما يحل لك؟

يا داود أما علمت أني غيور؟

فصاح داود وأخذ في البكاء، فأوحى الله عز وجل إليه:

- يا داود لم هذا البكاء؟ إن كنت مظلومًا نصرتك، وإن كنت جائعًا أطعمتك، وإن كنت عطشانًا سقيتك، وإن كنت عريانًا كسوتك.

فقال داود عليه السلام:

- إلـهي وكيف أبكي، وقد سودت الخطيئة كتابي؟ فبحرمة ما قد كان بيني وبينك ألا غفرت لي.

فأوحى الله عز وجل إليه:

- يا داود لم تبق الخطيئة بيني وبينك حرمة

يا داود أنت بخطيئتك محجوب، فإن أحببت أن تصير القطيعة وصلاً فعليك بالبكاء.

المتكلم والمستمع:

قال محمد بن المنكدر:

بينا أنا جالس مع أبى في مسجد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إذ مر رجل يحدث الناس ويفتيهم ويقص، فدعاه أبي، فقال له:

- يا أبا فلان إن المتكلم يخاف مقت الله عز وجل، وأن المستمع يرجو رحمة الله عز وجل.

في ذكر الله:

قال أبو عبد الله:

بلغني أن الجبلين إذا أصبحا نادى أحدهما صاحبه يناديه باسمه فيقول:

- أي فلان مر بك اليوم ذاكر لله؟

فيقول:

- لقد أقر الله عينك، لكن ما مر بي ذاكر لله عز وجل اليوم.

الموت:

قال محمد بن المنكدر:

بلغني أن آدم عليه السلام لما مات ابنه قال:

- يا حواء مات أبنك.

قالت:

- وما الموت؟

قال آدم عليه السلام:

- لا يأكل ولا يشرب، ولا يقوم ولا يمشي، ولا يتكلم أبدًا.

فصاحت حواء.

فقال آدم عليه السلام:

– عليك الرنة وعلى بناتك، وأنا وبني منها براء.

لبيك:

قال محمد بن المنكدر:

يروى أن موسى عليه السلام قال في مناجاته:

- يا رب إذا سألك العبد وقال: يا رب، ماذا تقول؟

قال: لبيك

قال كليم الله:

- فإذا سألك العابد ماذا تقول له؟

قال: لبيك.

قال موسى عليه السلام:

- فإذا سألك العاصي ماذا تقول له؟

قال:

لبيك، لبيك.

قال موسى عليه السلام:

- يا رب كيف ذلك؟

قال:

لأن كلا من هؤلاء مدل - الدلة: المنة، والأدل: المنان بعمله - بعمله، والعاصي لم يقبل على إلا بعد افتقاره إليَّ، فهو ينادي بذل وافتقار، وخضوع وانكسار، وأنا عند المنكسرة قلوبهم.

آل بني المنكدر:

دخل أعرابي مدينة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فرأى حال بني المنكدر وموقعهم من الناس وفضلهم، ثم خرج، فلقيه رجل فقال:

- كيف تركت أهل المدينة؟

قال الأعرابي:

- بخير، وإن استطعت أن تكون من آل بني المنكدر فكن منهم.

وقيل:

كان محمد بن المنكدر إذا ذهب إلى مني كان سيدًا يطعم الطعام ويجتمع عنده القراء.

الرجل الصالح:

دخل محمد بن المنكدر ذات ليلة مسجد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فرأى رجلاً عند اسطوانة مقنع رأسه فسمعه يقول:

- إن القحط اشتد على عبادك، وإني مقسم عليك يا رب إلا سقيتهم.

فما كان إلا ساعة... ثم هطل المطر.

وكان عزيزًا على أبى عبد الله أن يخفي عليه أحد من أهل الخير فقال:

- هذا بالمدينة ولا أعرفه؟

فلما سلم الإمام تقنع الرجل الصالح وانصرف... فأتبعه محمد بن المنكدر حتى دخل دار آل حزم - أو دار آل عثمان - فعرف مكانه.

وفي الصباح ذهب محمد بن المنكدر إلى الرجل الصالح فسمع نَجْرًا في بيته فقال:

- السلام عليك.

قال الرجل:

- وعليك السلام.... أدخل.

فدخل أبو عبد الله فإذا هو ينجر أقداحًا يعملها فقال له:

- كيف أصبحت أصلحك الله؟

فاستشهدها وأعظمها من أبى عبد الله، فلما رأى ابن المنكدر ذلك قال:

- إني سمعت أقسامك البارحة على الله عز وجل يا أخي، هل لك نفقة تغنيك هذا وتفرغك لما تريد من الآخرة؟

فقال الرجل الصالح:

- لا، ولكن غير ذلك يا ابن المنكدر فإنك إن تأتيني شهرتني للناس.

فقال محمد بن المنكدر:

- إني أحب ألقاك.

قال الرجل الصالح:

- ألقني في المسجد.

فعاد ابن المنكدر وعرض عليه شيئًا من المال، فأبى، فقال محمد بن المنكدر:

- أتحج معي؟

قال الرجل الصالح:

- هذا شيء لك فيه أجر.

مائة دينار:

استودع رجل أبا عبد الله مائة دينار فأنفقها.

وأتى أبا محمد رسول الرجل صاحب المائة دينار فقال محمد بن المنكدر:

- إنا قد احتجنا إليها.

قال رسول صاحب المال:

- وليس في بيتنا شيء.

وكان محمد بن المنكدر يدعو:

- يا رب لا تخرب أمانتي وأدها.

وخرج من المسجد، وحين وضع رجله ليدخل بيته فإذا رجل يأخذ بمنكبه وهو لا يعرفه، فدفع إليه صرة فيها مائة دينار.

فأصبح الناس لا يدرون من أين ذلك؟ فما علموا من أين ذلك؟

رحمة الله بالمسرفين:

مات رجل من أهل المدينة وكان مسرفًا على نفسه، فدعي لجنازته محمد بن المنكدر، فأبى أن يحضر لجنازته، ثم حضرها، فعوتب في ذلك فقال:

- لقد استحييت من الله أن أرى رحمته تضيق عليه ولا تسعه.. فصليت عليه.

بقية الأعمال:

قال محمد بن المنكدر:

دخل عيسى بن مريم مدينة خربة، ووقف أمام قصر من

قصورهم ثم نادى:

يا خراب الأخرين أين أهلك؟

فأجابه شيء من آخر القصر:

- يا ابن مريم بادوا، فاجتهد ولا تفرط، فإن العظام قد بليت وبقيت أعمالهم في رقابهم

حب الدنيا:

قال محمد بن المنكدر:

تجيء الدنيا يوم القيامة تتبختر في زينتها فتقول:

- يا رب اجعلني لأخس عبادك دارًا.

فيقول الله تعالى:

- لا أرضاك له اذهبي فكوني هباء منثورا.

هي الدنيا بملء فيها ::: حذار من بطشي وفتكي

فلا يغرركموا مني ابتسام ::: فقولي مضحك والفعل مبكي

ويقول ابن المنكدر:

يقول الله عز وجل للدنيا:

- اذهبي إلى النار.

فتقول:

- يا ربي ومن يحبني معي.

فيقول لها:

- ومن يحبك

فتأخذهم جميعًا إلى النار.

قال عيسى عليه السلام:

- يا طالب الدنيا لتبر تركك للدنيا أبر:

أرى الزهـــاد في روج وراحـــة ::: قلـــوبهم عـــن الـــدنيا في راحـــة

إذا أبصـــرتهم أبصـــرت قومـــا ::: ملـــوك الأرض سمتـــهم سماحـــة

لو كان عندنا...:

كان محمد بن المنكدر وأصحابه بأرض الروم.

فقال بعضهم:

- لو كان عندنا من جبن المكتبة الرطبة.

فإذا بين أيديهم على الطريق مكتل مخيط عليه فيه جبن رطب.

فقالوا:

- لو كان عندنا عسل فأكلنا به.

فإذا بين أيديهم قارورة بها عسل.

محمد بن المنكدر والقرآن العظيم:

سئل محمد بن المنكدر عن قوله تعالى:{وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى} [سورة البقرة الآية: ١٢٥].

فقال:

نظر النبي (صلي الله عليه وسلم) إلى رجل بين الركن والمقام - أو الباب والمقام - وهو يدعو ويقول:

- اللهم اغفر لفلان.

فقال النبي (صلي الله عليه وسلم) :

-(ما هذا؟.

قال الرجل:

- رجل استودعني أن أدعو له في هذا المقام.

فقال عليه الصلاة والسلام:

- (ارجع فقد غفر لصاحبك).

وكان محمد بن المنكدر إذا قرأ قوله تعالى:{فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ} [سورة البقرة الآية: ١٨٤].

كان يقف وقفة خفيفة ثم يقول:

أتيت أنس بن مالك - خادم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) - في رمضان وهو يريد السفر، وقد رحلت دابته ولبس ثياب السفر وقد تقارب غروب الشمس فدعا بطعام فأكل منه ثم ركب فقلت له:

- سنة؟

قال خادم رسول لله (صلي الله عليه وسلم) :

- نعم.

وسئل ابن المنكدر عن تقطيع أيام رمضان:{فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} [سورة البقرة الآية: ١٨٤].

فقال:

- بلغني أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) سئل عن تقطيع رمضان فقال:(ذلك إليك أرأيت لو كان على أحدكم دين فقضى الدرهم والدرهمين ألم يكن قضاه، فالله أحق أن يعفو ويغفر).

وقال عبد الله بن عمر:

- يصوم رمضان متتابعًا من أفطره متتابعًا من مرض أو فى سفر.

ثم قال ابن عمر:

- صمه كما أفطرته.

وسئل محمد بن المنكدر عن قوله تعالى:{ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ} [سورة البقرة الآية: ١٩٦].

فقال:

سأل رجل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

- الصلاة والزكاة والحج أواجب هو؟

قال عليه الصلاة والسلام:

-(نعم).

فسأل الرجل عن العمرة:

- أواجبة هي؟

قال (صلي الله عليه وسلم) :

-(لا، وأن تعتمر خير لك).

وكان محمد بن المنكدر إذا قرأ قوله تعالى:{وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا } [سورة النساء الآية: ١١٣].

قال:

ما يضرونك من شيء يا محمد مع انزال الله عليك القرآن.

والحكمة: القضاء بالوحي.

{وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ } [سورة النساء الآية: ١١٣] يعني من الشرائع والأحكام، وخبر الأولين والآخرين، وما كان، وما هو كائن قبل ذلك من فضل الله عليك يا محمد منذ خلقك.

- قال جابر عن عمر بن الخطاب:

قال: سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول:(إن الله تعالى خلق ألف أمة ستمائة منها في البحر، وأربعمائة في البر، وأن أول هلاك

هذه الأمم الجراد، فإذا هلكت الجراد تتابعت الأمم مثل نظام السلك إذا انقطع) (ذكره الترمذي، في نوادر الأصول).

وقال: وإنما صار الجراد أول هذه الأمم هلاكًا لأنه خلق من الطينة التي فضلت من طينة آدم

وإنما تهلك الأمم لهلاك الآدميين لأنها مسخرة لهم.

وكان محمد بن المنكدر إذا قرأ قوله تعالى:{وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [سورة النحل الآية: ٨].

قال:

قال جابر بن عبد الله الأنصاري:

- قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :**(أُذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام)**.

وسئل ابن المنكدر عن قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا } [سورة النور الآية: ٢٧].

فقال:

قال جابر بن عبد الله أتيت النبي (صلي الله عليه وسلم) في حاجة فطرقت عليه الباب فقال:

– ما هذا؟

فقلت:

- أنا.

فقال عليه الصلاة والسلام:

– أنا أنا؟

كأن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كره ذلك.

قال ابن المنكدر:

- كره رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قول جابر: أنا لأن قوله: أنا لا يحصل بها تعريف.

وكان أبو عبد الله إذا قرأ قوله تعالى:{أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ} [سورة النمل الآية: ٤٠].

قال: إنما هو سليمان عليه السلام، أما أن الناس يرون أنه كان معه اسم وليس ذلك كذلك، إنما كان رجل من بنى إسرائيل عالم آتاه الله علمًا وفقهًا قال:{أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ} [سورة النمل الآية: ٤٠].

قال:

- هات.

قال:

- أنت نبي الله ابن نبي الله فإن دعوت الله جاءك به.

فدعا سليمان فجاءه الله بالعرش - عرش بلقيس بنت الهدهاد ملكة سبأ -.

وسئل ابن المنكدر عن قوله تعالى:{ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا } [سورة لقمان الآية: ٦].

لهو الحديث: الغناء.

وقيل:

الاستماع إلى الغناء والمعازف.

قال محمد بن المنكدر:

قال أنس بن مالك قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(من جلس إلى قينة – مغنية – يسمع منها صب في أذنه الأنك – الرصاص المصهور – يوم القيامة).

وقال ابن المنكدر:

- بلغنا أن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين عبادي الذين كانوا ينزهـون أنفسهم وأسماعهم عن اللهو ومزامير الشـيطان؟ أحلـوهم ريـاض المسـك وأخبرهم أني قد أحللت عليهم رضواني.

وكان محمد بن المنكدر إذا قرأ قوله تعالى:{وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ} [سورة سبأ الآية: ٣٩].

قال:

قال جابر بن عبد الله: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(كل معروف صدقة، وما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب لـه صـدقة، وما وقي به الرجل عرضه فهو صدقة، وما أنفق الرجـل مـن نفقـة فعلى الله خلفها إلا ما كان من نفقة في بنيـان أو معصـية) (رواه الدارقطني، وابن عدى).

وسأل رجل ابن المنكدر:

- ما وقي الرجل عرضه؟

قال أبو عبد الله:

- يعطي الشاعر - خوفًا أن يهجوه - وذا اللسان.

من أقوال محمد بن المنكدر:

* كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت

* إن الله تعالى يحفظ المؤمن في ولده وولد ولده، ويحفظه في دويرته - تصغير الدارة وهي ما يحيط به -، وفي دويرات حوله، فما يزالون في حفظ وعافية ما كان بين أظهرهم.

* صلى محمد بن المنكدر على رجل فقيل له:

- تصلي على فلان؟

فقال: إني أستحي من الله أن يعلم مني أن رحمته تعجز عن أحد من خلقه.

* نعم العون على تقوى الله عز وجل الغني.

* قال سفيان بن عيينة لمحمد بن المنكدر:

- أي العمل أحب إليك؟

قال أبو عبد الله:

- إدخال السرور على المؤمن.

قيل:

- فما بقي من لذتك؟

قال محمد بن المنكدر:

- الأفضال على الإخوان، وإدخال السرور عليهم.

* الفقيه يدخل بين الله عز وجل وبين عباده، فلينظر كيف يدخل.

* يمكنكم من الجنة إطعام الطعام وطيب الكلام.

* قيل لمحمد بن المنكدر:

- أتحج وعليك دين؟

قال أبو عبد الله:

* كان المنكدر يحج بالصبيان فقيل له:

- تحج بالصبيان؟

قال:

- نعم أعرضهم لله تعالى.

* كان محمد بن المنكدر يضع خده على الأرض ثم يقول لأمه:

- قومي ضعي قدمك على خدي.

* يقال في التوراة: يا ابن آدم اتق ربك، وبر والديك، وصل رحمك، أمد لك في عمرك، وأيسر لك يسرك، وأصرف عنك عسرك.

* لما خلقت النار فزعت الملائكة فزعًا شديدًا حتى طارت أفئدتهم، فلم يزالوا كذلك حتى خلق آدم عليه السلام، فلما خلق رجعت إليهم أفئدتهم وسكن عنهم الذي كانوا يجدون.

* ليأتين على الناس زمان لا يخلص فيه إلا من دعا كدعاء الغريق.

محمد بن المنكدر وأحاديث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

أسند محمد بن المنكدر عن عبد الله بن عمر، وأبى قتادة، وجابر بن عبد الله وأبى هريرة، وعبد الله بن عباس، وأنس بن مالك، وأميمة بنت رفيقة.

وروى أبو عبد الله عن كبار التابعين كالحسن البصري، وعروة بن الزبير، وسعيد بن جبير، والزهري، وأبى حازم، ويحيى بن سعيد، وأيوب، ويونس بن عبيد وغيرهم.

وروى عن محمد بن المنكدر من الأئمة والأعلام: ابن جريج، ومالك، ومعتمر، وسفيان الموري، وشعبة، والأوزاعي، وروح بن الهيثم، وغيرهم.

قال سعد بن إبراهيم عن محمد بن المنكدر قال:

رأيت جابر بن عبد الله يحلف أن ابن صائد هو الدجال فقلت:

- أتحلف بالله؟

قال جابر بن عبد الله:

- إني كنت عند رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فسمعت عمر بن الخطاب يحلف على ذلك، فلم ينكره رسول (صلي الله عليه وسلم) (متفق عليه).

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(لا تستبطؤا الرزق فإنه لم يكن عبد ليموت حتى يبلغ آخر رزق له، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، أخذ الحلال وترك الحرام) (رواه الحاكم في المستدرك، والبيهقي في السنن عن جابر، وأبو نعيم في الحلية).

وقال سفيان بن سعيد عن محمد بن المنكدر عن جابر قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان منها لله عز وجل) (رواه الضياء، وأبو نعيم في الحلية عن جابر).

وقال فائد عن محمد بن المنكدر عن جابر قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلـهًا واحدًا صمدًا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، كتب له ألفي حسنة، ومن زاد زاده الله) (رواه أبو نعيم في الحلية، عبد حميد، والطبراني في الكبير، وابن عساكر عن جابر).

وقال سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال:

ما سئل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) شيئًا قط فقال:

- لا.

وقال هشام عن سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر قال:

قال رسول لله (صلي الله عليه وسلم) :(العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر) (رواه ابن عدى في الكامل، وأبو نعيم في الحلية عن جابر).

وقال ابن غزية عن محمد بن المنكدر قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) : (من جعل هموم الدنيا همًا واحدًا كفاه عز وجل هم الدنيا والآخرة، ومن فرق همومه لم يبـال الله تعـالى بأيهما مات أو بأيتهم قتل) (رواه أبو نعيم في الحلية).

وقال سفيان الموري عن محمد بن المنكدر عن جابر قال:

قال رسول الله:(النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينـامون) (رواه أبو نعيم في الحلية).

وقال محمد بن المنكدر عن جابر قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(تسحروا فإن في السحور بركة) (رواه الإمام أحمد، وأخرجه مسلم كتاب الصيام، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن أنس).

وقال الفضل الرفاعي عن محمد بن المنكدر عن أبي هريرة قال:

كان لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) حمدان يعرفان: إذا جاءه مـا يكره قال: الحمد لله على كل حال، وإذا جاءه ما يسره قـال: الحمـد لله رب العالمين الرحمن الرحيم بنعمته تتم الصالحات (رواه أبو نعيم في الحلية).

وقـال إسماعيل بن عطيـة عن محمد بن المنكدر عن أبى قتـادة قال:

كانت لي جمة - الجمة: مجتمع شعر الرأس - حسنة جعدة، فقـال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(أحسن إليهما).

فكنت أدهنها في اليوم مرتين (رواه أبو نعيم في الحلية).

قال على بن عروة عن محمد بن المنكدر عن عبد الله بن عمر قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(من قاد أعمى أربعين خطوة وجبت له الجنة) (رواه البيهقي في شعب الإيمان، وابن عدى في الكامل، والطبراني في الكبير).

قال أسامة بن زيد الزهري عن ابن المنكدر عن أنس قال:

إن النبي (صلي الله عليه وسلم) صلى الظهر بالمدينة أربعًا، وصلى العصر بذي الحليفة ركعتين (متفق عليه).

وقال محمد بن عجلان عن ابن المنكدر عن ابن عباس قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السابعة السفلي على قرنه العرش، وبين شحمة أذنه وعاتقه خفقان الطير مسيرة مائة عام) (رواه أبو نعيم في الحلية).

وفاته:

جزع محمد بن المنكدر عند موته جزعًا شديدًا فقيل له:

- لم تجزع؟

قال أبو عبد الله:

- أخشى آية من كتاب الله عز وجل.

فقيل له:

- ما هي؟

قال محمد بن المنكدر:

-{وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ} [سورة الزمر الآية: ٤٧].

فإني أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب.

ودخل صفوان بن سليم على ابن المنكدر وهو في مرض الموت فقال له: - يا أبا عبد الله كأني أراك قد شق عليك الموت.

قال محمد بن المنكدر:

- من أراد واعظًا فالموت يكفيه.

فما زال صفوان بن سليم يهون عليه الأمر وينجلي عن أبى عبد الله حتى أن وجهه لكأنه المصابيح.

* * *

طاوس بن كيسان

مواقف ومواعظ
من حياة التابعين

[٤]

طاوس بن كيسان

قال الصادق المصدوق (صلي الله عليه وسلم) :

-(الإيمان يمان) (رواه البخاري، ومسلم عن أبي هريرة).

وقال عليه الصلاة والسلام:

-(الفقه يمان والحكمة يمانية) (رواه ابن منيع عن عبد الله بن مسعود).

وقد خرج من اليمن خلق من هؤلاء:

وهب بن منبه حكيم وصاحب حكمة.

وأويس بن عامر القرني.

وأبو مسلم الخولاني.

وأبو إدريس الخولاني.

وغيرهم.

* * *

طاوس بن كيسان

فارسي جمع بين العبادة والزهادة

كان يكنى أبا عبد الرحمن.

كان مولى بحير بن ريسان الحميري.

وقيل: مولى لهمدان.

كان ينزل - يسكن - الجَنَد - مدينة باليمن -.

كان أبو طاوس من أبناء الفرس الذين أرسلهم كسري إلى اليمن

كان طاوس يخضب رأسه ولحيته بالحناء.

من أكبر أصحاب عبد الله بن عباس.

أدرك طاوس اليماني خمسين من الصحابة وروى عنهم.

جمع أبو عبد الرحمن بين العبادة والزهادة والعمل الصالح

عمل كاتبًا لأبى جعفر المنصور الخليفة العباسي.

هل أكون شريكًا لك في العذاب يوم القيامة!

ذات يوم قال أبو جعفر لكاتبه:

- ناولني هذه الدواة يا طاوس لأكتب بها شيئًا.

فقال أبو عبد الرحمن:

- خذها أنت بيدك.

فقال أبو جعفر:

- لم لا تناولني إياها؟

قال طاوس بن كيسان:

- يا أبا جعفر أخشى أن أناولك إياها فتكتب شيئًا تظلم به أحد عباد الله فأكون شريكًا لك في العذاب يوم القيامة.

فأطرق أبو جعفر برأسه وقال في نفسه:

- ما أروع ورع العلماء.

لا تذهب:

قال ابن طاوس لأبيه ذات يوم:

- يا أبتاه أريد أن أتزوج.

فقال أبو عبد الرحمن:

- من؟

قال ابن طاوس:

- فلانة.

قال طاوس بن كيسان:

– اذهب فانظر إليها.

فذهب الابن ولبس من صالح ثيابه، وغسل رأسه ثم رجع إلى أبيه، فلما رآه في تلك الهيئة قال له:

– أقعد لا تذهب.

أفيها بركة!

قال أبو عبد الرحمن:

كان رجل من بنى إسرائيل له أربعة بنين فمرض، فقال أحدهم:

- أما تمرضوا أبانا وليس لكم من ميراثه شئ، وإما أن أمرضه وليس لي من ميراثه شئ؟

قالوا:

- مرضه، وليس لك من ميراثه شئ

فمرضه حتى مات ودفنه، ولم يأخذ من ميراثه شيئًا، وكان فقيّرا وله عيال، فأتى في النوم فقيل له:

- إئت مكان كذا وكذا فاحفره تجد فيه مائة دينار فخذها.

فقال في نومه:

– أفيها بركة؟

قال اللآتي في المنام:

– لا بلا بركة.

فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت:

- اذهب فخذها فإن من بركتها أن نكتسي منها ونعيش منها فأبى - رفض -.

وقال:

- لا آخذ شيئًا ليس فيه بركة.

فلما أمسى أُتى في منامه فقيل له:

- إئت مكان كذا وكذا فخذ منها عشرة دنانير.

فقال:

– ببركة أو بلا بركة؟

قال اللآتي:

– بلا بركة.

فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت:

- اذهب فخذها فإن من بركتها أن تكسوني منها ونعيش منها.

فأبى أن يأخذها.

ثم أتى في الليلة الثالثة فقيل له:

- ائت مكان كذا وكذا فخذ منه دينارًا.

فقال:

- ببركة أو بلا بركة؟

قال الآتي:

- ببركة.

فهتف:

- نعم إذًا.

فلما أصبح ذهب إلى ذلك المكان الذي أشير إليه في المنام، فوجد الدينار فأخذه، وذهب إلى السوق فوجد صيادًا يحمل حوتين فقال له:

- بكم هما؟

قال الصياد:

- بدينار.

فأخذهما منه بذلك الدينار، ثم انطلق بهما إلى امرأته، فشقت بطن إحداهما فوجدت فيه درة لم ير الناس مثلها ولا يُقومَّ، ثم شقت بطن الآخر فإذا فيه درة مثلها.

واحتاج ملك ذلك الزمان درة، ولما علم أن تلك الدرة عند ذلك الرجل بعث يطلبها ليشتريها، فأتاه الرجل بها، فلما رآها الملك حلاها الله عز وجل في عينيه فقال:

- بِعْنيهَا.

فقال الرجل:

- لا أبيعها ولا أنقصها عن وقر - الوقر: الحمل أو المقل - ثلاثين بغلاً ذهبًا.

فباعها بوقر ثلاثين بغلاً ذهبًا.

ثم نظر الملك إلى الدرة فأعجبته إعجابا شديدًا فقال:

– ما تصلح هذه إلا بأختها.

ثم أشار بيده وقال:

- أطلبوا لي أختها وإن أضعفتم - يدفع ضعف ما دفع في الدرة الأولى -.

فجاءوا الرجل وسألوه:

- أعندك أختها ونعطيك ضعف ما أعطيناك؟

فقال الرجل:

- وتفعلون؟

قالوا:

- نعم.

فأتى بالدرة الثانية وذهب معهم إلى الملك، فلما رآها أخذت بقلبه فقال: - ارضوه.

فأضعفوا له ضعف ما أخذ من الأولى.

عيسى عليه السلام وزعيم أهل النار:

قال أبو عبد الرحمن:

لقي عيسى بن مريم عليه السلام إبليس، فقال زعيم أهل النار:

- أما علمت أنه لا يصيبك إلا ما قدر لك؟

قال روح الله وكلمته:

- نعم.

قال إبليس:

- فأوف - اصعد - بذروة - قمة - هذا الجبل فترد - ألـق بنفسـك - منه فانظر أتعيش أم لا؟

قال عيسى بن مريم عليه السلام:

- أما علمت أن الله تعالى قال: لا يختبرني عبدي فإني افعل ما شئت؟

ذلك أهون له عليّ:

كان الصلت بن راشد جالسًا عند طاوس بن كيسان، فسأله سلم بن قتيبية عن شيء فانتهره - زجره - أبو عبد الرحمن، فقال الصلت بن راشد لطاوس:

- يا أبا عبد الرحمن هذا سلم بن قتيبة صاحب خراسان.

فقال طاوس بن كيسان:

- ذلك أهون له علي.

طاوس ومجاهد وخاتم النبيين (صلي الله عليه وسلم) :

قال مجاهد لطاوس:

- يا أبا عبد الرحمن، رأيتك - في المنام - تصلى في الكعبة والنبي عليه الصلاة والسلام على بابها يقول لك:

- اكشف قناعك وبين قراءتك.

فقال أبو عبد الرحمن وكأنه انبسط من الحديث:

- اسكت لا يسمعن هذا منك أحد حتى تخيل إليه.

وبينما كان عمران بن خالد الخزاعي جالسًا عند عطاء جاءه رجل فقال:

- يا أبا محمد: إن طاوسًا يزعم أن من صلى العشاء ثم صلى بعدها ركعتين يقرأ في الأولى:{الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾} [سورة السجدة الآيتان: ١ - ٢]، وفي الركعة الثانية:{تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ} [سورة الملك الآية: ١]، كتب له مثل وقوف ليلة القدر.

قال عطاء:

- صدق طاوس، ما تركتهما.

التوراة والإنجيل والقرآن:

أتى أبو عبد الله الشامي دار طاوس بن كيسان فاستأذن عليه، فخرج إليه ابنه شيخ كبير فقال:

- أنت طاوس؟

قال:

- لا أنا ابنه.

فقال أبو عبد الله الشامي:

- إن كنت أنت ابنه فإن الشيخ قد خرف - فسد عقله -.

فقال ابن طاوس:

- إن العالم لا يخرف.

فدخل أبو عبد الله الشامي على طاوس، فقال أبو عبد الرحمن:

- سل فأوجز.

فقال أبو عبد الله الشامي:

- إن أوجزت أوجزت لك.

تساءل طاوس بن كيسان:

- تريد أن أجمع لك في مجلسي هذا التوراة والإنجيل والقرآن؟

قال أبو عبد الله الشامي:

- نعم.

قال أبو عبد الرحمن:

- خف الله مخافة لا يكون عندك شئ أخوف منه، وارجه رجاء هو أشد من خوفك إياه، وأحب للناس ما تحب لنفسك.

المال:

قال طاوس بن كيسان:

يجاء يوم القيامة بالمال وصاحبه فيتحاجان، فيقول صاحب المال للمال:

- أليس جمعتك في يوم كذا في ساعة كذا؟

فيقول صاحب المال:

- إن هذا الذي تعدد على جبال أوثق بها.

فيقول المال:

- أنا الذي حلت بينك وبين أن تصنع بي ما أمرك الله عز وجل؟

الأسد:

كان حجاج اليمن في الطريق إلى أم القرى، وكان الليل يسدل أستاره السود على الكون، وتوقف الركب فجأة، وارتفع صوت مرتجف:

- السبع السبع.

ركب الحجاج الخوف والاضطراب، وفرق الناس بعضهم بعضًا.

ولما كان السحر ذهب الأسد عنهم، فنزل الناس يمينًا وشمالاً، فألقوا أنفسهم وناموا، وقام طاوس يصلي، فقال له رجل:

- يا أبا عبد الرحمن، ألا تنام؟

فقال طاوس بن كيسان:

- لم؟

قال الرجل:

- فإنك نصبت - تعبت - هذه الليلة.

قال أبو عبد الرحمن:

- وهل ينام السحر - قبيل الصبح - أحد؟

الأمير.. والعالم:

ذهب طاوس بن كيسان ووهب بن منبه ذات ليلة باردة إلى محمد بن يوسف الثقفي - أخو الحجاج بن يوسف - وكان عاملاً على اليمن، فجلس أبو عبد الرحمن على الكرسي، فقال محمد بن يوسف:

- يا غلام هلم ذاك الطيلسان - كلمة فارسية معربة ويقصد بها عباءة أو برد - فالقه على أبى عبد الرحمن.

فألقوه عليه.

فلم يزل طاوس بن كيسان يحرك كتفيه حتى ألقى عنه الطيلسان.

فغضب محمد بن يوسف.

فقال وهب بن منبه:

- والله يا أبا عبد الرحمن إن كنت لغنيًا أن تغضبه علينا، لو أخذت الطيلسان فبعته وأعطيت ثمنه المساكين.

فقال طاوس بن كيسان:

- نعم لولا أن يقال من بعدي أخذه طاوس، فلا يصنع فيه ما أصنع، إذًا لفعلت.

* وقيل:

كان طاوس بن كيسان يصلي في غداة باردة مغيمة فمر به محمد بن يوسف وهو ساجد في موكبه، فلما رأى أبا عبد الرحمن أمر بطيلسان فطرح عليه، فلم يرفع طاوس رأسه حتى فرغ من صلاته، ونظر فإذا الطيلسان عليه فانتفض وتركه ولم ينظر إليه ومضى إلى منزله.

* وبعث محمد بن يوسف إلى طاوس بسبعمائة دينار - أو خمسمائة - وقال لرسوله:

- إن أخذها منك فقل له: إن الأمير سيكسوك ويحسن إليك.

فخرج بها حتى قدم على أبى عبد الرحمن الجند - مدينة في اليمن - فقال له:

- يا أبا عبد الرحمن نفقة بعث الأمير بها إليك.

فقال طاوس:

- مالي بها من حاجة.

فأبى أبو عبد الرحمن، ورمى الرسول بها في كوة البيت ثم رجع إلى محمد بن يوسف وقال له:

- قد أخذها

فلبث محمد بن يوسف حينًا، ثم بلغه عن طاوس شيئًا يكرهه فقال:

– ابعثوا إليه فليبعث إلينا بمالنا.

فجاء الرسول أبا عبد الرحمن وقال له:

– المال الذي بعث به إليك الأمير.

قال طاوس بن كيسان:

- ما قبضت منه شيئًا.

فرجع الرسول فأخبر محمد بن يوسف، فعرف أن أبا عبد الرحمن صادق، فقال محمد بن يوسف:

- انظروا الذي ذهب بها فابعثوه إليه.

فجاءه وقال له:

- يا أبا عبد الرحمن المال الذي جئتك به.

قال طاوس بن كيسان:

- هل قبضت منك شيئًا؟

قال رسول محمد بن يوسف:

- لا.

قال أبو عبد الرحمن:

- هل تعلم أين وضعته؟

قال رسول محمد بن يوسف:

- نعم في تلك الكوة.

قال طاوس بن كيسان:

- أنظر حيث وضعته.

فمد رسول محمد بن يوسف يده فإذا هو بالصرة قد بنت عليها العنكبوت فأخذها وذهب بها إلى الأمير محمد بن يوسف.

* واستعمل محمد بن يوسف أبا عبد الرحمن على بعض تلك السعاية، فقال له إبراهيم بن ميسرة:

- كيف صنعت يا أبا عبد الرحمن؟

قال طاوس بن كيسان:

- كنا نقول للرجل تزكى رحمك الله مما أعطاك الله، فإن أعطانا أخذناه، وإن تولى لم نقل تعال.

ابـن أمير المؤمنين وطاوس بـن كيسان:

جـاء ابـن لسليمان بـن عبـد الملـك فجلـس إلـى جنـب طـاوس بـن كيسان فلم يلتفت إليه، فقيل له:

- جلس إليك ابن أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه؟

قال أبو عبد الرحمن:

- أردت أن يعلم هو وأبوه أن لله عبادًا يزهدون فيهما وفيما في أيديهما.

ابـن نجيح:

قال ابن طاوس:

- خرجنا حجاجًا فنزلنا في بعض القرى، وكنـت أخـاف أبـى مـن الحكام لشدته وغلظته عليهم وكـان فـي تلك القريـة عامل لمحمد بـن يوسف يقال له: أيوب بن يحيى، وقيل له: ابـن نجيح، وكان من أخبث عمالهم كبرًا وتجبرًا وشهد الحجـاج صـلاة الصـبح فـي المسجد، فـإذا ابـن نجيح قد أُخْبر أن طاوس بن كيسان نزل القرية، فجاء فقعد بين يديـه فسلم عليـه، فلم يجبـه أبـو عبد الـرحمن، فكلمـه أبـو نجيـح فـأعرض طاوس عنه، ثم عدل إلى الشق الأيسر فأعرض عنه.

فلما رأى ابن طاوس ما بأبي نجيح قـام إليـه ومـد إليـه يده وجعـل يقول له:

- إن أبا عبد الرحمن لم يعرفك.

قال طاوس بن كيسان:

- بلى، إني لعارف.

فقال ابن نجيح:

- إنه بي لعارف، ومعرفته بي فعلت بي ما رأيت.

ثم مضى أيوب بن يحيى وهو ساكت لا يقول شيئًا.

ولما دخل ابن طاوس المنزل قال له أبو عبد الرحمن:

- يا لُكَع، بينما أنت تقول: أريد أن اخرج عليهم بالسيف لم تستطع أن تحبس عنهم لسانك.

طاوس بن كيسان وأمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك:

نظر سليمان بن عبد الملك إلى رجل يطاف به بالكعبة له جمال وتمام، فقال أمير المؤمنين:

- يا ابن شهاب من هذا؟

قال ابن شهاب:

- يا أمير المؤمنين هذا طاوس اليماني، وقد أدرك عدة من الصحابة.

فأرسل إليه سليمان بن عبد الملك فأتاه طاوس بن كيسان فقال له:

- حدثنا - لو ما حدثتنا؟ -.

قال أبو عبد الرحمن:

- حدثني أبو موسى الأشعري رضى الله تعالى عنه قال: رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :**(إن أهون الخلق على الله من ولى من أمر المسلمين شيئًا فلم يعدل فيهم).**

فتغير وجه سليمان وأطرق طويلاً، ثم رفع رأسه وقال لأبي عبد الرحمن:

- ما حدثنا؟

فقال طاوس بن كيسان:

- حدثني رجل من أصحاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

يقول ابن شهاب:

- ظننت أنه أراد عليًا - على بن أبى طالب -.

ولكن أبا عبد الرحمن قال:

دعاني رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى طعام في مجلس من مجالس قريش فقال: إن لكم على قريش حقًا ولهم حق ما استرحموا واستحكموا فعدلوا وائتمنوا فأدوا، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفًا - الصرف: التوبة - ولا عدلاً.

فتغير وجه أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك وأطرق طويلاً ثم رفع رأسه فقال:

- لو ما حدثتنا؟

قال طاوس بن كيسان:

- حدثني ابن عباس أن آخر آية نزلت من كتاب الله:{وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾} [سورة البقرة الآية: ٢٨١].

المرأة والشيطان:

قال طاوس بن كيسان:

كان رجل من بنى إسرائيل، وكان ربما داوى المجانين، وكانت امرأة جميلة يأخذها الجنون، فجيء بها إليه، فتركت عنده، فأعجبته، فوقع عليها، فحملت، فجاءه الشيطان فقال:

- إن علم بها افتضحت فاقتلها وادفنها في بيتك.

فقتل الرجل المرأة ودفنها في بيته.

فجاء أهلها بعد ذلك بزمان يسألون عنها.

فقال لهم الرجل:

- إنها ماتت.

فلم يتهموه لصلاحه، فجاءهم الشيطان فقال:

– إنها لم تمت، ولكن قد وقع عليها فحملت فقتلها ودفنها في بيته في مكان كذا وكذا.

فعاد أهلها وقالوا للرجل:

- ما نتهمك ولكن أخبرنا أين دفنتها، ومن كان معك؟

ففتشوا بيته فوجدوها حيث دفنها.

فأخذ وسجن، فجاءه الشيطان فقال له:

- إن كنت تريد أن أخرجك مما أنت فيه فاكفر بالله.

فأطاع الشيطان، وكفر بالله.

فقتل الرجل، وتبرأ الشيطان منه حينئذ يقول طاوس:

- فلا أعلم أن هذه الآية نزلت إلا فيه:{كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ} [سورة الحشر الآية: ١٦].

الأب والابن:

قال أبو عبد الرحمن:

كان رجل فيما خلا من الزمان، وكان عاقلاً لبيبًا، فكبر فقعد في البيت، فقال لابنه يوما:

- إني قد اغتممت في البيت، فلو أدخلت على رجالاً يكلموني.

فذهب ابنه فجمع نفرًا وقال لهم:

- ادخلوا على أبي فحدثوه، فإن سمعتم منه منكرًا فاعذروه فإنه قد كبر، وإن سمعتم خيرًا فاقبلوه.

فدخلوا عليه، فكان أول ما تكلم به أن قال:

- إن أكيس الكيس التقي، وأعجز العجز الفجور، وإذا تزوج أحدكم فليتزوج في معدن صالح، وإذا اطلعتم من رجل على عمل فجرة - فجر - فاحذروه فإن لها أخوات.

ملبس طاوس بن كيسان:

قال ابن زادان:

- رأيت طاوسًا اليماني عليه ثوبًا ممشقان.

وكان طاوس يكره أن يعتم بالعمامة ولا يجعل تحت الذقن منها شيئًا.

وسأل أيوب السختياني عبد الله بن طاوس:

- أي شيء كان أبوك يلبس في السفر؟

قال عبد الله بن طاوس:

- كان يظاهر بين قميصين ولا يأتزر تحتهما.

وقال يعقوب بن قيس:

- رأيت على طاوس ثوبين وهو محرم.

الملائكة يكتبون صلاة بنى آدم:

قال طاوس:

إذا غدا الإنسان أتبعه الشيطان، فإذا أتى المنزل فسلم - على أهله - نكص الشيطان وقال:

- لا مقيل.

فإذا أتى بغدائه فذكر اسم الله قال الشيطان:

- لا غداء ولا مقيل.

فإذا دخل ولم يسلم قال الشيطان:

- المقيل.

فإذا أتى الغداء ولم يذكر اسم الله قال الشيطان:

- مقيل وغداء.

والعشاء مثل ذلك.

وقال أبو عبد الرحمن:

- إن الملائكة ليكتبون صلاة بني آدم، فلان زاد فيها كذا وكذا، وفلان نقص كذا وكذا، وذلك في الخشوع والركوع - أو الركوع والسجود -

وسئل ابن طاوس:

- ما كان أبوك يقول إذا ركب - راحلة -؟

قال ابن طاوس:

- كان يقول: اللهم لك الحمد، هذا من فضلك ونعمتك علينا فلك الحمد ربنا:{سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ} [سورة الزخرف الآية: ١٣].

ويقول ابن طاوس:

- وكان إذا سمع الرعد يقول: سبحان من سبحت له.

أما تدرى أنه أخي!

دخل طاوس بن كيسان البيت الحرام ليعتمر، ولما انتهى من مناسك عمرته جلس عند المقام - مقام إبراهيم عليه السلام - بعد أن صلى ركعتين، وترامت إليه جلبة الناس والسلاح والسيوف والدرق، فالتفت فإذا بالحجاج بن يوسف الثقفي.

فلما رأى طاوس السلاح جلس مكانه، وبينما هو جالس إذا برجل من أهل اليمن فقير عابد أقبل وطاف بالبيت، ثم جاء ليصلى ركعتين، فتعلق ثوبه بحربة من حراب جنود الحجاج بن يوسف، فوقعت الحربة على الحجاج، فاستوقف الرجل وسأله:

- من أنت؟

قال الرجل:

- مسلم.

قال سفاح ثقيف:

- من أين؟

قال الرجل:

- من اليمن.

قال الحجاج بن يوسف:

- كيف أخي عندكم؟

كان محمد بن يوسف الثقفي أميرًا على اليمن.

قال الرجل:

- تركته سمينًا بدينًا بطئيًا.

قال الحجاج بن يوسف الثقفي:

- ما سألتك عن صحته، لكن عند عدله؟

قال الرجل:

- تركته غشومًا ظلومًا

قال الحجاج بن يوسف:

- أما تدرى أنه أخي؟

قال الرجل:

- فمن أنت؟

قال سفاح ثقيف:

- أنا الحجاج بن يوسف.

قال الرجل:

- أتظن أن اسمك ملأ قلبي رعبًا؟ إني لا أخشى إلا رب هذا البيت.

يقول طاوس بن كيسان:

- فما بقيت في رأسي شعرة إلا قامت.

فأفلت الحجاج الرجل وتركه.

ما رأيت مثل أحد:

قال أبو عبد الرحمن:

- ما رأيت مثل أحد أمن على نفسه، قد رأيت رجلاً لو قيل لي:

- من أفضل من تعرف؟

قلت:

- فلان ذلك الرجل.

فمكث على ذلك ثم أخذه وجع في بطنه، فأصاب منه شيئًا استنضح بطنه عليه واشتهاه، فرأيته في قطع ما أدرى أي طرفيه أسرع حتى مات عرقًا.

يا عطاء:

قال طاوس بن كيسان لعطاء:

- يا عطاء إياك أن ترفع حوائجك إلى من أغلق دونك بابه - يعنى الأمراء والسلاطين -، وجعل دونك حجابًا.

وعليك بطلب حوائجك إلى من بابه مفتوح لك إلى يوم القيامة.

طلب منك أن تدعوه ووعدك بالإجابة.

طاوس بن كيسان وأمير المؤمنين هشام بن عبد الملك.

قدم هشام بن عبد الملك حاجًا أيام خلافته فقال:

- ائتوني برجل من الصحابة.

فقيل له:

- قد تفانوا.

قال أمير المؤمنين هشام:

- فمن التابعين.

فأتى بطاوس اليماني، فلما دخل عليه خلع نعله بحاشية بساطه، ولم يسلم عليه بإمرة المؤمنين، بل قال:

- السلام عليك.

ولم يكنه، وجلس بازائه وقال:

- كيف أنت يا هشام؟

فغضب أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك غضبًا شديدًا وقال:

- يا طاوس ما الذي حملك على ما صنعت؟

فتساءل أبو عبد الرحمن:

- وما صنعت؟

فازداد هشام بن عبد الملك غضبًا وقال:

- خلعت نعلك بحاشية بساطي، ولم تسلم على بإمرة المؤمنين، ولم تكنني، وجلست بازائي.

فقال أبو عبد الرحمن:

- أما خلع نعلي بحاشية بساطك، فإني أخلعها بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات - عند أداء الصلوات الخمس المفروضة - فلا يغضب عليَّ لذلك، وأما قولك: لم تسلم على بإمرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بأمرتك، فكرهت أن أكذب، وأما قولك: لم تكنني، فإن الله تعالى سمى أولياءه فقال: يا داود، يا يحيى، يا عيسى، وكنى أعداءه فقال:{تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١} [سورة المسد الآية: ١].

وأما قولك: جلست بازائي، فإني سمعت أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه يقول: إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام.

فقال هشام بن عبد الملك:

- يا أبا عبد الرحمن عظني.

فقال طاوس بن كيسان:

- اسمع مني أربع كلمات فيهن صلاح دينك وملكك وآخرتك ودنياك.

فقال أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك:

- ما هن؟

قال أبو عبد الرحمن:

- لا تعد أحدًا عدة وأنت لا تريد إنجازها.

ولا يغرنك مرتقى سهل إذا كان المنحدر وعرًا.

واعلم أن الأعمال جزاء فاحذر العواقب.

والدهر تارات فكن على حذر.

فقال هشام بن عبد الملك:

- زدني يا أبا عبد الرحمن.

فقال طاوس بن كيسان:

- سمعت أمير المؤمنين على بن أبي طالب يقول إن في جهنم حيات كالتلال وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته.

ثم قام طاوس بن كيسان عن هشام بن عبد الملك وانصرف.

* ودخل طاوس بن كيسان على هشام بن عبد الملك ذات يوم فقال له:

- اتق الله يوم الأذان.

فتساءل هشام:

- وما يوم الأذان؟

قال طاوس بن كيسان:

- قال الله تعالى: {فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ} [سورة الأعراف الآية: ٤٤].

فصعق هشام بن عبد الملك.

فقال طاوس بن كيسان:

- هذا ذل ذا الصفة فكيف بذل المعاينة؟ يا راضيًا باسم الظالم كم عليك من المظالم؟ السجن جهنم، والحق الحاكم.

طاوس بن كيسان ورواية الحديث عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

أدرك طاوس بن كيسان جماعة من الصحابة - أدرك خمس من الصحابة -، وأكثر رواية عن عبد الله بن عباس، وروى عنه خلق كثير من التابعين وأعلام منهم: مجاهد، عطاء، وعمرو بن دينار، وإبراهيم

بن ميسرة، وأبو الزبير، ومحمد بن المنكدر، والزهري، وحبيب بن أبي ثابت، وليث بن أبى سليم، والضحاك بن مزاحم، وعبد الكريم بن أبى المخارق، ووهب بن منبه، والمغيرة بن حكيم الصنعائي، وعبد الله بن طاوس، وغير هؤلاء.

قال خالد بن أبى نجيع:

- سمعت طاوسًا يقول: سمعت ابن عباس رضى الله تعالى عنه يقول: كان النبي (صلي الله عليه وسلم) إذا قام من الليل يتهجد قال:

(اللهم لك الحمد، أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق، والجنة حق والنار حق والساعة حق، ومحمد حق، والنبيون حق.

اللهم أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك) (متفق عليه).

وقال ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس:

- إن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال:(العين حق، وإن كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استعينتم فاغتسلوا) (رواه أبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن عباس).

وقال الذي لا ينطق عن الهوى (صلي الله عليه وسلم) :

-(لا تقام الحدود في المساجد، ولا يقاد الوالد بالولد) (أخرجه الترمذي كتاب الديات، وابن ماجه عن ابن عباس).

وقال عبد الله بن سلمة بن هرم عن أبيه عن طاوس عن عبد الله بن عباس:

إن رجلاً سأل النبي (صلي الله عليه وسلم) عن الشهادة فقال:

-(هل ترى الشمس؟

قال الرجل:

- نعم

قال عليه الصلاة والسلام:

-(فعلى مثلها فاشهد أودع) (رواه أبو سعيد عن نقاش في القضاة، وأبو نعيم في الحلية).

قال أبو كثير عن عبد الله بن طاوس عن أبيه عن عبد الله بن عباس قال:

وقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) : يقول الله تعالى:(إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي ولم يتعاظم على خلقي، وكف نفسه عن الشهوات ابتغاء مرضاتي، فقطع نهاره بذكري، ولم يبت مصرًا على خطيئته، يطعم الجائع، ويكسو العاري، ويرحم الضعيف ويأوي الغريب، فذلك الذي يضيء وجهه كما يضيء نور الشمس، يدعوني فألبي، ويسألني فأعطى، ويقسم على فأبر قسمه، اجعل له في الجهالة علما – حلما –، وفي الظلمة نورًا، اكلأه – أحرسه – بقوتي واستحفظه ملائكتي، فمثله عندي مثل الفردوس في الجنان لا تيبس ثمارها ولا يتغير حالها) (رواه أبو نعيم في الحلمة عن ابن عباس).

قال الحكيم بن عيينة عن طاوس عن ابن عباس قال:

- سمعت رسول الله ونحن بمنى - في حجة الوداع - يقول:(لو يعلم أهل الجمع بمن حلوا لاستبشروا بالفضل بعد المغفرة) (رواه ابن عدى في الكامل، وابن النجار، وأبو نعيم في الحلية).

قال عبد الكريم المعلم عن طاوس عن ابن عباس قال:

سئل النبي (صلي الله عليه وسلم) :

– من أحسن الناس قراءة؟

قال عليه الصلاة والسلام:

-(من إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله) (رواه أبو نعيم في الحلية).

وقال الصادق المصدوق (صلي الله عليه وسلم) :

-(إن أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن يتحزن به - فيه -) (رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس، وأبو نعيم في الحلية).

وقال عطاء بن السائب عن طاوس عن ابن عباس:

- قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(إن الله تبارك وتعالى حَرَّم هذا البلد يوم خلق السماوات والأرض، وصاغه حين صاغ الشمس والقمر، وما حياله من السماء حرام، وأنه لم يحل لأحد، وإنما أحل لي ساعة من نهار، ثم عاد كما كان).

فقيل له:

- هذا خالد بن الوليد يقتل - يوم فتح مكة -.

فقال عليه الصلاة والسلام:

- قم يا فلان فأت خالد بن الوليد فقل له: فليرفع يده من القتل.

فأتاه الرجل فقال له:

- إن النبي (صلي الله عليه وسلم) يقول: أقتل من قدرت عليه.

فقتل سبعين إنسانًا.

فأتى النبي (صلي الله عليه وسلم) فذكر ذلك.

فأرسل إلى خالد فقال:

-(ألم أنهك عن القتل؟).

قال خالد بن الوليد:

- جاءني فلان فأمرني أن أقتل من قدرت عليه.

فأرسل النبي عليه الصلاة والسلام، فجاء فقال له:

-(ألم آمرك؟).

قال الرجل:

– أردت أمرًا وأراد الله أمرًا فكان أمر الله فوق أمرك، وما استطعت إلا الذي كان.

فسكت عنه (صلي الله عليه وسلم) وما رد عليه شيئًا (رواه أبو نعيم في الحلية).

وقال إبراهيم بن ميسرة عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس:

لما حاصر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) الطائف، خرج رجل من الحصن - حصن الطائف - فاحتمل رجلاً من أصحاب النبي (صلي الله عليه وسلم) ليدخله الحصن.

فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(من يستنقذه – يعيده – وله الجنة؟).

فقام العباس - عم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) - فمضى، فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(امض ومعك جبريل وميكال).

فاحتمله العباس حتى وضعه بين يدي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) (رواه أبو نعيم في الحلية).

وقال إمام الخير (صلي الله عليه وسلم) :

-(من أخذ على القرآن أجرًا فقد تعجل حسناته في الدنيا، والقرآن يخاصمه يوم القيامة) (رواه أبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن عباس).

قال حبيب بن أبى ثابت عن طاوس عن عبد الله بن عمر قال:

- قال: رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خِفْت الصبحَ فركعة - فأوتر بواحدة -) (رواه الطبراني في الكبير، ومحمد بن نصر عن عبد الله بن عمر).

وقال عليه الصلاة والسلام:

- المكيال مكيال أهل المدينة، والوزن وزن أهل مكة (رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر).

وقال عبد الملك بن أبى سليمان عن ليث عن طاوس عن عبد الله بن عمر قال:

- قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(اللهم إنك أولعتهم بعمار - عمار بن ياسر - يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار) (رواه أبو نعيم في الحلية).

قال سليمان الأحول عن طاوس عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال:

رآني النبي (صلي الله عليه وسلم) وعلى ثوبان معصفران - العُصْفُر: صبغ - فقال:

-(أمك أمرتك بهذا؟).

قال عبد الله بن عمرو:

- أغسلهما؟

قال عليه الصلاة والسلام:

-(بل احرقهما) (أخرجه مسلم في صحيحه، وأبو نعيم في الحلية).

وقال عليه الصلاة والسلام:

-(الجلاوزة والشرط وأعوان الظلمة كلاب النار) (رواه أبو نعيم عن عبد الله ابن عمرو).

الجلاوزة: الغلاظ الشداد.

الشرط: جمع شرطة وهم الطائفة المعروفة، وسموا بذلك لأن لهم علامات يعرفون بها.

وقال معمر عن طاوس عن عبد الله بن الزبير:

- قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(من شهر سيفه ثم وضعه فدمه هدر) (رواه النسائي، والحاكم في المستدرك، وأبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن الزبير).

قال زمعة بن صالح عق ابن طاوس عن أبيه عن أبى هريرة قال:

- قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام اغتساله من الجنابة، يغسل رأسه وجسده ويجعل ذلك يوم الجمعة) (رواه أبو نعيم في الحلية).

وقالى ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة قال:

سئل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) عن الدجال، فقال:

-(تلده أمه مقبورة فتحملن النساء بالخطائين - أي بالكفرة العصاة الذين يكونون تبعا للدجال -) (رواه أبو نعيم في الحلية).

-(أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) (أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الزكاة، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن حبان في صحيحه، والبيهقي في سننه، وعبد الرزاق في الجامع).

وقال عليه الصلاة والسلام:

-(لا يقرأ الحائض ولا الجنب شيئًا من القرآن) (رواه الإمام أحمد، والترمذي وابن ماجه عن ابن عمر).

وقال وهب بن منبه عن طاوس عن أنس بن مالك قال:

سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول لعليّ:

-(يا عليّ استكثر من المعارف من المؤمنين، فكم من معرفة في الدنيا بركة في الآخرة).

فمضى عليّ، فأقام حينا لا يلقى أحدًا إلا اتخذه للآخرة، ثم جاء بعد ذلك فقال (صلي الله عليه وسلم) :

-(ما فعلت فيما أمرتك به؟)

فقال عليّ:

- قد فعلت يا رسول الله.

فقال له عليه الصلاة والسلام:

-(- اذهب فابل – اختبر – أخبارهم).

فذهب ثم أتى النبي (صلي الله عليه وسلم) وهو منكس رأسه فقال له النبي (صلي الله عليه وسلم) وهو يتبسم:

-(ما أحسب يا عليّ ثبت معك إلا أبناء الآخرة).

فقال له عليّ:

– لا والذي بعثك بالحق.

فقال النبي (صلي الله عليه وسلم) :

({ ٱلْأَخِلَّآءُ گںںڻڻٹٹۂۂہہہھھھ} [سورة الزخرف الآيتان: ٦٧ - ٦٨]، يا على أقبل على شأنك، وأملك لسانك، وأعقل من تعاشره من أهل زمانك تكن سالمًا غانمًا) (رواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن أنس).

وقال ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاوس عن بريدة قال (صلي الله عليه وسلم) :

- قال رسول الله:(من كنت مولاه فعلى مولاه) (رواه ابن عساكر، والإمام أحمد، والنسائي، والحاكم في المستدرك).

قال معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن عائشة:

قالت: كان النبي (صلي الله عليه وسلم) إذا رأى مخيلة تغير وجهه ودخل وخرج وأقبل وأدبر، فإذا أمطرت سرى عنه، فذكرت ذلك له.

فقال (صلي الله عليه وسلم) :

-(ما أمنت أن يكون كما قال الله عز وجل:{فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾} [سورة الأحقاف الآية: ٢٤]، (رواه أبو نعيم في الحلية).

طاوس بن كيسان والقرآن:

وسئل طاوس بن كيسان عن قوله تعالى:{هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا} [سورة البقرة الآية: ٢٩].

فقال أبو عبد الرحمن:

جاء رجل إلى عبد الله بن عمرو بن العاص فسأله:

- مم خُلِق الخلق؟:

قال عبد الله بن عمرو:

– من الماء والنور والظلمة والريح والتراب.

فقال الرجل:

- فمم خلق هؤلاء؟

قال عبد الله بن عمرو:

- لا أدري.

ثم أتى الرجل عبد الله بن الزبير فسأله:

فقال مثل قول عبد الله بن عمرو.

فأتى الرجل عبد الله بن عباس فسأله:

- مم خلق الخلق؟

قال ابن عباس:

- من الماء والنور والظلمة والريح والتراب.

فقال الرجل:

- فمم خلق هؤلاء؟

فتلا عبد الله بن عباس:{ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ } [سورة الجاثية الآية: ١٣].

فقال الرجل:

– ما كان ليأتي بهذا إلا رجل من أهل بيت النبي (صلي الله عليه وسلم).

وسئل طاوس بن كيسان:

- هل يرث القاتل؟

قال أبو عبد الرحمن:

– لا يرث القاتل عمدًا ولا خطأ شيئًا من المال ولا من الدية.

وسئل طاوس بن كيسان عن قوله تعالى:{ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ} [سورة البقرة الآية: ١٩٦].

فقال أبو عبد الرحمن:

- إتمامهما أن تُحْرَم بهما من دويرة أهلك.

فقال الرجل:

- بأيهما ابدأ؟

قال طاوس بن كيسان:

- صلاتان لا يضرك بأيهما بدأت.

قال عليه الصلاة والسلام:

-(**إن الحج والعمرة فريضتان لا يضرك بأيهما بدأت**) (رواه الدارقطني عن زيد بن ثابت).

وسئل طاوس بن كيسان عن قوله تعالى:{ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ} [سورة البقرة الآية: ١٩٧].

فقال أبو عبد الرحمن:

- من أحرم بالحج قبل أشهر الحج لم يجزه ذلك عن حجه ويكون عمرة، كلمن دخل في صلاة قبل وقتها فإنه لا يجزيه وتكون نافلة.

وسئل طاوس بن كيسان عن " **الرفث** ".

فقال:

- **الرفث**: الإفحاش للمرأة بالكلام لقوله:إذا حللنا فعلنا بك كذا، من غير كناية.

وقيل: الرفث: الجماع وهو مفسد للحج.

وسئل طاوس بن كيسان عن قوله تعالى:{ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ} [سورة البقرة الآية: ١٩٩].

قال أبو عبد الرحمن:

- إن أهل الجاهلية كانوا يدفعون من عرفة قبل غروب الشمس، وكانوا يدفعون من المزدلفة بعد طلوع الشمس، فأخر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) هذا وعجل هذا، أخر الدفع من عرفة، وعجل الدفع من المزدلفة مخالفًا هدى المشركين.

وسئل طاوس بن كيسان عن " الميسر ".

فقال:

- الميسر مأخوذ من اليسر، وهو وجوب الشيء لصاحبه، وسمى ميسرًا لأنه يجزأ أجزاء وكل شيء فيه قمار من نرد وشطرنج فهو الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب، إلا ما أبيح من الرهان في الخيل والقرعة.

الميسر ميسران: ميسر اللهو، ميسر القمار.

فمن ميسر اللهو: النرد والشطرنج والملاهي كلها.

وميسر القمار: ما يتخاطر الناس عليه.

الشطرنج: ميسر العجم.

وسئل طاوس بن كيسان عن قوله تعالى:{نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ} [سورة البقرة الآية: ٢٢٣].

قال أبو عبد الرحمن:

– قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(أيها الناس إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أعجزهن – في أدبارهن -).

وقال عليه الصلاة والسلام:

-(من أتى امرأة في دبرها لم ينظر الله تعالى إليه يوم القيامة).

وقال عليه الصلاة والسلام:

-(تلك اللوطية الصغرى - إتيان المرأة في دبرها -).

وقال طاوس:

- كان بدء عمل قوم لوط إتيان النساء في أدبارهن.

وسئل طاوس بن كيسان عن قوله تعالى:{لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ} [سورة البقرة الآية: ٢٢٥].

فقال أبو عبد الرحمن:

قال ابن عباس: هو قول الرجل في درج كلامه واستعجاله في المحاورة:

- لا والله، وبلى والله، دون قصد لليمين.

وقيل: اللغو ما يحلف به على الظن فيكون بخلافه.

وقيل: إذا حلف الرجل على شيء لا يظن إلا أنه إياه، فإذا ليس هو فهو اللغو وليس فيه كفارة.

وقال طاوس:

- لغو اليمين أن تحلف وأنت غضبان.

وقال عليه الصلاة والسلام:

-(لا يمين في غضب) (رواه مسلم عن ابن عباس).

وسئل طاوس بن كيسان عن قوله تعالى:{وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ} [سورة البقرة الآية: ٢٨٢].

فقال أبو عبد الرحمن:

- لا يكتب الكاتب ما لم يمل عليه، ولا يزيد الشاهد في شهادته ولا ينقص منها.

وقال ابن عباس:

- لا يمتنع الكاتب أن يكتب ولا الشاهد أن يشهد.

وكان أبو عبد الرحمن إذا قرأ قوله تعالى:{وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ} [سورة آل عمران الآية: ٨١].

قال:

- أخذ الله ميثاق الأنبياء أن يصدق بعضهم بعضًا، ويأمر بعضهم بالإيمان بعضًا، فذلك معنى النصرة والتصديق.

سئل طاوس بن كيسان عن قوله تعالى:{أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ} [سورة فصلت الآية: ٤٤].

فقال:

- بعيد من قلوبهم.

وسئل طاوس عن قوله تعالى:{وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا} [سورة النساء الآية: ٢٨].

فقال:

- في أمور النساء أليس يكون الإنسان في شيء أضعف منه في أمور النساء.

وسئل طاوس بن كيسان عن قوله تعالى:{إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ} [سورة النساء الآية: ٣١].

قال طاوس:

- قيل لابن عباس الكبائر سبع؟

قال ترجمان القرآن:

- هي إلى السبعين أقرب.

قال عليه الصلاة والسلام:

-(الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر) (رواه مسلم عن أبى هريرة).

وقد اختلف في عدد الكبائر:

قال ابن مسعود:

- الكبائر أربع: اليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله، والشرك بالله.

وقال ابن عمر:

هي تسع قتل النفس، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، ورمى المحصنة - الغافلة -، وشهادة الزور، وعقوق الوالدين، والفرار يوم الزحف، والسحر، والإلحاد في البيت الحرام.

وكان أبو عبد الرحمن إذا قرأ قوله تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ } [سورة النساء الآية: ٤٣].

حتى تعلموه متيقنين فيه من غير غلط.

والسكران لا يعلم ما يقول.

فالسكران لا يلزمه طلاقه.

وطلاق المعتوه لا يجوز، والسكران معتوه كالموسوس معتوه بالوسواس.

وشراب البنج يذهب العقل فطلاق من شرب البنج غير جائز.

وسئل طاوس عن قوله تعالى:{فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ } [سورة النساء الآية: ٤٣].

قال أبو عبد الرحمن:

- إذا وجد الماء يعيد الصلاة.

وكان أبو عبد الرحمن إذا قرأ قوله تعالى:{فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ} [سورة النساء الآية: ١١٩].

قال:

- يغيرن فطرة الله التي فطر الناس عليها.

قال (صلي الله عليه وسلم) :

- كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه.

وكان طاوس بن كيسان لا يحضر نكاح سوداء بأبيض، ولا بيضاء بأسود

ويقول:

- هذا من قول الله:{فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ}.

والواصلة، والواشمة مغيرات لخلق الله لذلك لعنهما الله، قال عليه الصلاة والسلام:

(لعن الله الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة) (أخرجه مسلم).

فنهى (صلي الله عليه وسلم) عن وصل المرأة شعرها، وهو أن يضاف إليه شعر آخر يكثر به - كالباروكة - والواصلة هي التي تفعل ذلك.

وكان أبو عبد الرحمن إذا قرأ قوله تعالى:{أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ} [سورة المائدة الآية: ٥٠].

قال:

- ليس لأحد أن يفضل بعض ولده على بعض، فإن فعل لم ينفذ وفسخ - يرد - فقد ذهب الصحابي الجليل بشير إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) ليهب ابنه النعمان بستانًا فقال له أبو القاسم (صلي الله عليه وسلم) :

-(ألك ولد سوى هذا؟).

- قال - بشير:

- نعم.

قال عليه الصلاة والسلام:

-(أكلهم وهبت لهم مثل هذا؟).

قال بشير:

- لا.

فقال صاحب الخلق العظيم (صلي الله عليه وسلم) :

-(فلا تشهدني، إذا لا أشهد على جور – وأنى لا أشهد إلا على حق –).

ومن كان جورًا وغير حق فهو باطل لا يجوز.

وقال عليه الصلاة والسلام:

-(سووا بين أولادكم في العطية، فلو كنت مؤثرًا أحدًا على أحد لآثرت النساء على الرجال) (رواه سعيد بن منصور في سننه، وابن عساكر عن يحيى بن أبي كثير مرسلاً).

وسئل طاوس عن قوله تعالى:{ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾} [سورة الأعراف الآية: ١٦].

الإغواء: إيقاع الغي في القلب.

يقول إبليس عليه لعنة الله:

- فبم أوقعت في قلبي من الغي والعناد والاستكبار.

جاء رجل أبا عبد الرحمن في المسجد الحرام وكان هذا الرجل متهمًا بالقدر، وكان من الفقهاء الكبار، فجلس إليه فقال طاوس:

- تقوم أو تقام؟

فقيل لطاوس:

- تقول هذا لرجل فقيه؟

فقال أبو عبد الرحمن:

- إبليس أفقه منه، يقول إبليس: رب أغويتني، ويقول هذا أنا أغوي نفسي.

وسئل طاوس بن كيسان عن قوله تعالى:{وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ} [سورة الأنفال الآية: ٧٥].

قال أبو عبد الرحمن:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

- **(من ترك كَلاً فإلي – وربما قال: فإلى الله وإلى رسوله – ومن ترك مالاً فلورثته، فأنا وارث من لا وارث له، أعقل عنه وأرثه، والخال وارث من لا وارث له يعقل عنه ويرثه)** (رواه الدارقطني عن المقداد).

وقال طاوس:

– **قالت عائشة: الله مولى من لا مولى له، والخال وارث من لا وارث له** (رواه الدارقطني).

وسئل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

- هل ترث العمة والخالة؟

قال عليه الصلاة والسلام:

-(لا أدري حتى يأتيني جبريل).

ثم قال عليه الصلاة والسلام:

-(أين السائل عن ميراث العمة والخالة؟).

قال الرجل:

- لبيك يا رسول الله هأنذا.

فقال أبو القاسم (صلي الله عليه وسلم) :

-(سارني جبريل أنه لا شيء لهما) (رواه الدارقطني عن أبي هريرة).

وسئل طاوس عن قوله تعالى:{ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ } [سورة التوبة الآية: ٣].

قال أبو عبد الرحمن:

-{يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ} [التوبة: ٣]: يوم عرفة.

ووقف رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يوم النحر - في حجة الوداع - فقال:

-(أي يوم هذا؟).

قالوا:

- يوم النحر.

فقال عليه الصلاة والسلام:

-(هذا يوم الحج الأكبر) (أخرجه أبو داود).

وقال أبو هريرة:

بعثني أبو بكر الصديق رضى الله عنه فيمن يؤذن يوم النحر بمنى:

- لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ويوم الحج الأكبر يوم النحر (أخرجه البخاري).

وكان أبو عبد الرحمن عندما يقرأ قوله تعالى:{قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓ} [سورة يوسف الآية: ٩٨].

قال:

قال ابن عباس:

- أخر يعقوب عليه السلام دعاءه إلى السحر.

ثم قال طاوس بن كيسان:

- سحر ليلة الجمعة، ووافق ذلك ليلة عاشوراء.

يقول عبد الله بن عباس:

بينما نحن عند رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إذ جاءه عليّ بن أبي طالب فقال:

- بأبي أنت وأمي تفلت هذا القرآن من صدري، فما أجدني أقدر عليه.

فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وينفع بهن من علمته ويثبت ما تعلمت في صدرك؟).

قال أبو الحسن:

- أجل يا رسول الله فعلمني.

قال عليه الصلاة والسلام:

-(إذا كان ليلة الجمعة فإذا استطعت أن تقوم في ثلث الليل الآخر فإنها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب وقد قال أخي يعقوب لبنيه:{سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓ يوسف: ٩٨).

يقول حتى تأتي ليلة الجمعة.

وذكر الحديث.

وسئل طاوس بن كيسان عن قوله تعالى:{ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾} [سورة الحجر الآية: ٨٧].

قال أبو عبد الرحمن:

قال على بن أبى طالب وأبو هريرة والحسن البصري:

السبع المثاني: الفاتحة.

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني) (أخرجه الترمذي عن أبي هريرة).

وقال الشاعر:

نشدتكم بمنزل القرآن ::: أم الكتاب السبع من مثاني

وقال ابن عباس:

- هي السبع الطوال: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، والتوبة معًا إذ ليس بينهما التسمية.

وقال طاوس:

- القرآن كله قال تعالى:{كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ } [سورة الزمر الآية: ٢٣].

وكان أبو عبد الرحمن إذا قرأ قوله تعالى:{وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا } [سورة الإسراء الآية: ٢٣].

قال:

- من الإحسان إليهما والبر بهما إذا لم يتعين الجهاد ألا يجاهد إلا بإذنهما.

وكان أبو عبد الرحمن يرى السعي على الأخوات أفضل من الجهاد في سبيل الله.

من أقوال طاوس بن كيسان:

* ما من شيء يتكلم به ابن آدم إلا أحصى عليه حتى أنينه في مرضه.

* قال رجل لطاوس:

- ادع الله لنا.

قال أبو عبد الرحمن:

- ما أجد في قلبي خشية فأدعو لك.

* كان طاوس يجلس في بيته - يعتزل الناس - فقال له سفيان الثوري في ذلك فقال:

- حيف الأئمة وفساد الناس.

* كان رجل يسير مع طاوس فسمع غرابًا نعب - نعق وصاح - فقال الرجل:

- خير.

فقال طاوس بن كيسان:

– أي خير عند هذا أو شر؟ لا تصحبني أو لا تمش معي.

* لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة، فلما خلق آدم سكنت أفئدتهم.

* من قال واتقى خير ممن صمت واتقى الله.

* وأتى طاوس رجلاً في السحر فقالوا:

- هو نائم.

فقال أبو عبد الرحمن:

- ما كنت أرى أن أحداً ينام في السحر - لكي يقوم الليل -.

* لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج.

* ما يمنعك من النكاح إلا عجز أو فجور.

* لا يحرر دين المرء إلا حفرته - قبره -.

* حج الأبرار على الرحال.

* البخل أن يبخل الإنسان بما في يديه، والشح أن يحب الإنسان أن يكون له في أيدي الناس بالحرام لاقنع.

* ألا رجل يقوم بعشر آيات من الليل فيصبح قد كتب له مائة حسنة أو أكثر ذلك.

* قيل لطاوس:

- منزلك قد استرم - في حاجة لترميم -.

قال أبو عبد الرحمن:

- قد أمسيت.

* كان من دعاء طاوس بن كيسان:

اللهم احرمني كثرة المال والولد – خشية الفتنة –، وارزقني الإيمان والعمل.

* إذا أخبرتك أني أثبت شيئًا فلا تسأل عنه أحدًا غيري.

* أدركت خمسين من أصحاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

* رأى طاوس فتية من قريش وهم يرفلون - رفل في ثيابه: أطالها وجرها متبخترًا - في مشيتهم.

فقال أبو عبد الرحمن:

- إنكم لتلبسون لبسة ما كانت آباؤكم تلبسها، وتمشون مشية ما تحسن الرقاص - الزفافون: الذين يزفون العروس إلى زوجها - يمشونها.

* سار طاوس إلى مكة شهرًا، ولما رجع إلى اليمن سار شهرين فقيل له في ذلك فقال:

- إن الرجل لا يزال في سبيل الله حتى يأتي بيته.

* دخل طاوس على رجل يعوذه فقال له:

- يا أبا عبد الرحمن ادع الله لي.

فقال طاوس بن كيسان؟

- ادع لنفسك فإنه يجيب المضطر إذا دعاه.

* إن الموتى يفتنون في قبورهم سبعًا، فكانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام.

* إذا ذكر النساء قال طاوس:

- كان فيهن كفر من مضى وكفر من بقى.

* ما تعلمت فتعلمه لنفسك فإن الأمانة والصدق قد ذهبا من الناس.

* حلو الدنيا مر الآخرة، ومر الدنيا حلو الآخرة.

* من لم يدخل في وصية لم ينله جهد البلاء.

* لم يجهد البلاء من لم يتول اليتامي، أو يكون قاضيًا بين الناس في أموالهم، أو أميرًا على رقابهم.

* قال أبو عبد الرحمن لابنه:

- يا بني صاحب العقلاء تنسب إليهم وإن لم تكن منهم، ولا تصاحب الجهال فتنسب إليهم وإن لم تكن منهم، وأعلم أن لكل شيء غاية وغاية المرء حسن خلقه.

* أن رجلاً سأل طاوسًا عن مسألة فانتهره، فقال له:

- إني أخوك.

قال أبو عبد الرحمن:

- أخي من دون المسلمين؟

* وجاء رجل من الخوارج فقال لطاوس:

- أنت أخي.

فقال طاوس:

- أخي من بين عباد الله، المسلمون كلهم أخوة.

فعاد الرجل يسأل عن شيء، فانتهره أبو عبد الرحمن وقال:

- تريد أن يجعل في عنقي حبلاً ثم يطاف بي؟

* رأى طاوس رجلاً مسكينًا في عينيه عمش - العمش في العين ضعف الرؤية مع سيلان دمعها في أكثر وقتها - وفي ثوبه وسخ، فقال أبو عبد الرحمن:

- إن الفقر من الله فأين أنت من الماء؟

* إقرار ببعض - بنقص - الظلم خير من القيام فيه.

* سأل ابن طاوس أباه:

- ما أفضل ما يقال على الميت؟

قال أبو عبد الرحمن:

- الاستغفار.

* إذا كنت في الطواف – حول الكعبة – فلا تسألوني عن شيء فإنما الطواف صلاة.

* لا أعلم صاحبًا شرًا من ذي مال وذي شرف.

* إذا سلم عليك اليهودي والنصراني فقل له:

- عَلاك السلَّم.

* عجبت لاخوتنا من أهل العراق يسمون الحجاج - الحجاج بن يوسف الثقفي - مؤمنًا.

* من لم يبخل ولم يل مال اليتيم لم ينله جهد البلاء.

* قال عمر بن عبد العزيز لطاوس:

- ارفع حاجتك إلى أمير المؤمنين - يعنى سليمان بن عبد الملك

- فقال طاوس:

- ما لي إليه من حاجة.

فإنه عجب من هذا.

* قال داود بن سابور لأبي عبد الرحمن:

- ادع بدعوات.

فقال طاوس بن كيسان:

- لا أجد لذلك حسبة - الحسبة: الأجر -.

* اسجد للقرد في زمانه - أي أطعه في المعروف -.

* وكان أبو عبد الرحمن يفرش فراشه ويضطجع عليه فيتقلى كما تتقلى الحبة في المقلاة ثم يقوم فيطويه ويصلى الصبح.

قال رجل لأبي عبد الرحمن:

- أوصني.

قال طاوس بن كيسان:

- إن استطعت أن تكون كرجل احتوشته السباع والهوام فهو خائف أن يغفل فتفترسه السباع، أو تنهشه الهوام، فهو خائف حذر وجل القلب فهو في الخوف في ليله وإن أمن المغترون، وفي الحزن نهاره وإن فرح البطالون.

فقال الرجل:

- زدني يا أبا عبد الرحمن.

فقال طاوس بن كيسان:

- الظمآن يجزيه من الماء يسيره.

وفاة طاوس بن كيسان:

لما اشتكى طاوس بن كيسان لزم بيته.

يقول عبد الواحد بن زياد:

- رأيت طاوسًا في مرضه الذي مات فيه يصلي على فراشه قائمًا ويسجد عليه.

وقال طاوس لابنه:

- إذا أقبرتني فانظر في قبري فإن لم تجدني فأحمد الله، وأن وجدتني فقل: إنا لله وإنا إليه راجعون.

ومات طاوس بن كيسان بمكة قبل يوم التروية بيوم فلم يصلوا عليه حتى يبعث أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك ابنه بالحرس، وكان هشام بن عبد الملك قد حج تلك السنة سنة ست ومائة من الهجرة فصلى على طاوس.

يقول عبد الرزاق:

توفى طاوس بالمزدلفة أو بمنى حاجًا، فلما حمل أخذ عبد الله بن الحسن بن علي بقائمة سريره فما زايله حتى بلغ القبر.

وقال شوذب:

شهدت جنازة طاوس سنة خمس ومائة فجعلوا يقولون:

- رحم الله أبا عبد الرحمن حج أربعين حجة.

ويقول عبد الرزاق:

- رأيت عبد الله بن الحسن بن على واضعًا السرير - النعش - على كاهله ولقد سقطت قلنسوة كانت عليه، ومزق رداؤه من خلفه - من كثرة الزحام -.

ولما دفن طاوس نظر ابنه في القبر فلم يره، ولم يجد في قبره شيئًا.

ورؤي طاوس بن كيسان في المنام في وجهه السرور.

قالوا عن طاوس بن كيسان:

قال عبد الله بن عباس:

- إني لأظن طاوسًا من أهل الجنة.

وقال عبد الله بن بشر:

- إن طاوسًا اليماني كان له طريقان إلى المسجد: طريق في السوق، وطريق آخر، فكان يأخذ في هذا يومًا، وفي هذا يومًا، فإذا مر في طريق السوق فرأى تلك الرءوس المشوية لم ينعس في تلك الليلة.

وقال الزهري:

- لو رأيت طاوسًا علمت أنه لا يكذب.

وقال حبيب بن أبى ثابت:

- اجتمع عندي خمسة لا يجتمع عندي مثلهم أبدًا: عطاء، وطاوس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة.

وقال معمر:

- إن طاوسًا أقام على رفيق له مريض حتى فاته الحج.

وقال بلال بن كعب:

- كان طاوس إذا خرج من اليمن لم يشرب إلا من تلك المياه القديمة الجاهلية.

وقال ابن أبي داود:

- رأيت طاوسًا وأصحابا له إذا صلوا العصر لم يكلموا أحدًا وابتهلوا في الدعاء.

ذكروا طاوسًا عند الحسن البصري فقال:

- طاوس طاوس، أما استطاع أهله أن يسموه اسمًا غير هذا أو أحسن من هذا؟

قال سلمة بن وهرام:

- مروا على طاوس بسارق فافتداه بدينار وأرسله. قال ابن طاوس:

- كان أبى يكره أن يسأل الإنسان بوجه الله.

قال قيس بن سعد:

- كان طاوس فينا مثل ابن سيرين فيكم.

وقال ليث:

كان طاوس يعد الحديث حرفًا حرفًا.

قال عبد الملك:

- كان طاوس يجيء قارنًا - حج وعمرة - فلا يأتي مكة حتى يذهب إلى عرفات.

قال إبراهيم بن ميسرة:

- ورب هذا البيت ما رأيت أحدًا الشريف والوضيع عنده بمنزلة واحدة إلا طاوس.

* * *

محمد بن سيرين

مواقف ومواعظ

من حياة التابعين

[٥]

محمد بن سيرين

محمد بن سيرين

من هو محمد بن سيرين!

كان سيرين من أهل جرجريًا - بلد من أعمال النهروان، بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي - وكان سيرين يعمل قدور النحاس، جاء إلى عين التمر - بلد قريبة من الأنبار غربي الكوفة - يعمل بها فسباه - أسره - خالد بن الوليد.

اشتراه أنس بن مالك خادم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وكاتبه.

فكانت صفية - زوج سيرين أو شيرون - مولاة أبي بكر بن أبى قحافة

ولد محمد بن سيرين لسنتين من خلافة عثمان بن عفان ثم رزق الله سيرين بأبناء: معبد، ويحيى، وحفصة، وكريمة.

لما اشتد ساعد محمد بن سيرين صار خادم أنس بن مالك.

له كتاب تفسير الأحلام الكبير.

يكنى محمد بن سيرين أبا بكر.

كان به صمم.

ساعة غفلة:

كان محمد بن سيرين إذا دخل السوق نصف النهار يكبر ويسبح ويذكر الله عز وجل.

فقال له رجل:

- يا أبا بكر في هذه الساعة؟

قال محمد بن سيرين:

- إنها ساعة غفلة.

إنها شهادة يُسْأل عنها:

أرسل عمر بن هبيرة والي العراق وخراسان إلى محمد بن سيرين، فأتاه، فقال ابن هبيرة:

- يا أبا بكر كيف تركت أهل مصرك؟

قال محمد بن سيرين:

- تركتهم والظلم فيهم فاش - منتشر -.

كان محمد بن سيرين يرى أنها شهادة يسأل عنها فكره أن يكتمها.

وبعث عمر بن هبيرة إلى محمد بن سيرين، والحسن البصري، والشعبي،

فلما دخلوا عليه.

قال ابن هبيرة لابن سيرين:

- يا أبا بكر ماذا رأيت منذ قريب من بابنا؟

قال ابن سيرين:

- رأيت ظلمًا فاشيًا.

فغمزه ابن أخيه بمنكبه، فالتفت إليه محمد بن سيرين وقال:

- إنك لست تسأل، إنما أسأل أنا.

فأرسل عمر بن هبيرة إلى الحسن البصري بأربعة آلاف درهم، وإلى محمد بن سيرين بثلاثة آلاف، وإلى الشعبي بألفين.

فأما محمد بن سيرين فلم يأخذها.

فقال جعفر بن أبى الصلت لمحمد بن سيرين:

- ما منعك أن تقبل ثلاثة آلاف من ابن هبيرة؟

قال ابن سيرين:

- يا أبا عبد الله، إنما أعطاني على خير كان يظنه بي، ولئن كنت كما ظن بي فما ينبغي لي أن أقبل، وإن لم أكن كما ظن فبالحري أن لا يجوز لي أن أقبل.

عرفت الذنب:

قال محمد بن سيرين:

- إني لأعرف الذنب الذي حمل به على الدين ما هو قلت لرجل منذ أربعين سنة يا مفلس.

فقال عبيد الله بن السري ذلك لأبي سليمان الداراني فقال:

- قلت ذنوبهم فعرفوا من أين يؤتون، وكثرت ذنوبي وذنوبك فليس ندرى من أين نؤتى؟

تفسير الأحلام:

كان يوسف عليه السلام أعلم الناس بتأويل الرؤيا، وما يراه الناس في المنام، وهي معجزة له، فإنه لم يلحقه فيها خطأ، وكان المبعوث للناس كافة (صلي الله عليه وسلم) نحو ذلك، وكان أبو بكر الصديق من أعبر الناس لها، وحصل لابن سيرين فيها التقدم العظيم، والطبع والإحسان.

قال رجل لابن سيرين:

- رأيت كأن على سطح بيتي حبات شعير، فجاء ديك فلقطها.

فقال أبو بكر:

- إن سرق لك شيء في هذه الأيام فأتني.

فوضع الرجل على سطحه بساطا فَسُرِقَ، فجاء محمد بن سيرين وأخبره، فقال له أبو بكر:

- اذهب إلى مؤذن محلتك فخذه منه.

فجاء الرجل إلى المؤذن فأخذ البساط منه.

وقال رجل لأبى بكر:

- رأيت كأني دُسْت - أو وطأت - تمرة، فخرجت منها فأرة.

فقال محمد بن سيرين:

- تتزوج امرأة - أو قال: تطأ امرأة - صالحة تلد بنتًا فاسقة.

فكان ما قال أبو بكر.

وقال رجل آخر لمحمد بن سيرين:

- رأيت كأني أصب الزيت في الزيتون.

فقال أبو بكر:

- فتش على امرأتك فإنها أمك.

ففتش الرجل على امرأته فإذا هي أمه.

وذلك أن الرجل أُخذ من بلاده صغيرًا سَبْيًا، ثم مكث في بلاد الإسلام إلى أن كبر، ثم سبيت أمه فاشتراها جاهلاً أنها أمه، فلما رأى هذه الرؤيا وذكرها لأبى بكر فأمره أن يفتش على ذلك.. ففتش فوجد الأمر على ما ذكره ابن سيرين.

وقال رجل لمحمد بن سيرين:

- رأيت الحمام تلقط الياسمين.

قال أبو بكر:

- مات علماء البصرة.

وأتاه رجل فقال:

- يا أبا بكر رأيت رجلاً عريانًا واقفًا على مزبلة وبيده طنبور - آلة من آلات العزف والموسيقي كالعود - يضرب به.

فقال له محمد بن سيرين:

- لا تصلح هذه الرؤيا في زماننا هذا إلا للحسن البصري.

فقال الرجل:

- الحسن هو والله الذي رأيت.

فقال أبو بكر:

- نعم لأن المزبلة الدنيا، وقد جعلها تحت رجليه، وعريه تجرده عنها، والطنبور يضرب به هي المواعظ التي يقرع بها آذان الناس.

وجاء ابن سيرين رجل فقال:

- رأيت كأني أستاك - استعمل السواك لنظافة فمي - والدم يسيل.

فقال أبو بكر:

- أنت رجل تقع في أعراض الناس وتأكل لحومهم - يغتابهم - وتخرج في بابه وتأتيه.

وقال رجل آخر:

- يا أبا بكر رأيت كأني أرى اللؤلؤ في الحمأة.

فقال محمد بن سيرين:

- أنت رجل تضع القرآن والعلم عند غير أهله ومن لا ينتفع به.

وجاءت ابن سيرين امرأة فقالت:

- رأيت كأن سنورًا أدخل رأسه في بطن زوجي فأخذ قطعة منه.

فقال لها محمد بن سيرين:

- سرق لزوجك ثلاثمائة درهم وستة عشر درهمًا.

فتساءلت المرأة:

- صدقت، من أين أخذته؟

فقال أبو بكر:

- من هجاء حروفه وهي الحساب الجمل، فالسين ستون، والنون خمسون، والواو ستة والراء مائتين، وذلك ثلاثمائة وستة عشر.

وذكرت السنور أسود فقال ابن سيرين:

- هو عبد في جواركم.

فألزموا عبدًا كان في جوارهم وضرب فأقر بالمال المذكور.

وقال رجل لابن سيرين:

- رأيت لحيتي قد طالت وأنا أنظر إليها.

فقال محمد بن سيرين.

- أمؤمن أنت؟

قال الرجل:

- نعم.

فقال أبو بكر:

- اتق الله ولا تنظر إلى دور الجيران.

وقال آخر:

- يا أبا بكر رأيت لحيتي قد طالت حتى جززتها ونسجتها كساء وبعته في السوق.

فقال له محمد بن سيرين:

- اتق الله فإنك شاهد زور.

وقال رجل:

- يا أبا بكر رأيت كأني آكل أصابعي.

قال أبو بكر:

- تأكل من عمل يدك.

وبينما كان خالد بن دينار عند ابن سيرين أتاه رجل فقال:

- يا أبا بكر رأيت في المنام كأني أشرب من بلبلة لها مثقبان - لها شعبان - فوجدت أحدهما عذبًا والآخر ملحًا.

فقال ابن سيرين:

- اتق الله، لك امرأة وأنت تخالف إلى أختها.

وجاء رجل فقال لابن سيرين:

- رأيت كأني أبول دمًا.

فقال أبو بكر:

- تأتى امراتك وهي حائض؟

قال الرجل:

- نعم.

فقال ابن سيرين:

- اتق الله ولا تعد.

ورأى رجل في المنام كأن في حجره صبيًا يصيح، فقص رؤياه على أبي بكر فقال ابن سيرين:

- اتق الله ولا تضرب العود - آلة من آلات العزف والموسيقى -

.

ورأت امرأة في المنام أنها تحلب حية، فقصت على محمد بن سيرين، فقال أبو بكر:

- اللبن فطرة، والحية عدو، وليست من الفطرة في شيء، هذه امرأة يدخل عليها أهل الأهواء.

ورأى الحجاج بن يوسف في منامه رؤيا كأن حواريين أتياه فأخذ إحداهما وفاتته الأخرى، فكتب إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، فكتب إليه عبد الملك:

– هنيئًا يا أبا محمد.

فبلغ ذلك محمد بن سيرين فقال:

- أخطأت استه الحفرة، هذه فتنتان يدرك إحداهما وتفوته الأخرى.

فأدرك فتنة دير الجماجم، وفاتته الأخرى.

ورأى محمد بن سيرين كأن الجوزاء تقسمت الثريا.

فأخذ في وصيته، وقال:

- يموت الحسن - البصري - وأموت بعده هو أشرف مني.

وقال رجل لابن سيرين:

- إني رأيت كأني ألعق عسلاً من جام من جوهر.

فقال:

- اتق الله وعاود القرآن فإنك رجل قرأت القرآن ثم نسيته.

وقال رجل:

- يا أبا بكر: رأيت كأني أحرث أرضًا لا تنبت.

قال ابن سيرين:

- أنت رجل تعزل عن امرأتك.

وجاء رجل إلى محمد بن سيرين فقال له:

- يا أبا بكر رأيت في المنام كأني أغسل ثوبي ولا ينقى.

فقال أبو بكر:

- أنت رجل مصارم - مقاطع - لأخيك.

يقول هشام بن حسان:

جاء رجل إلى محمد بن سيرين وأنا عنده فقال:

- إني رأيت على رأسي تاجًا من ذهب.

فقال أبو بكر:

- اتق الله فإن أباك في أرض غربة وقد ذهب بصره وهو يريد أن تأتيه.

يقول هشام بن حسان:

فما زاده الرجل الكلام حتى أدخل يده في حجزته فأخرج كتابًا من أبيه يذكر فيه ذهاب بصره، وأنه في أرض غربة وأمره بالإتيان إليه.

ابن سيرين والحسن البصري:

بنى ابن لمحمد بن سيرين دارًا وأنفق فيها مالاً كثيرًا، فذكر ذلك لمحمد بن سيرين فقال:

- ما أرى بأسًا أن يبني الرجل بناء ينفعه فقد قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) : (إذا أنعم الله على عبد أحب أن يرى أثر النعمة عليه، ومن آثار النعمة البناء الحسن، والثياب الحسن، ألا ترى أنه إذا اشترى جارية جميلة بمال عظيم فإنه يجوز وقد يكفيه دون ذلك، فكذلك البناء).

وكره الحسن البصري ذلك واحتج بقوله عليه الصلاة والسلام:

-(إذا أراد الله بعبد شرًا أهلك ماله في الطين واللبن).

وقال (صلي الله عليه وسلم) :

-(من بنى فوق ما يكفيه جاء يوم القيامة يحمله على عنقه).

قال السميع العليم:{ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا } [سورة التوبة الآية: ٨٢].

أمر معناه التهديد وليس أمرًا بالضحك.

قال الحسن البصري:

{ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا } في الدنيا.

{وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا} [سورة التوبة الآية: ٨٢]، في جهنم.

أي أنهم يضحكون قليلاً ويبكون كثيرًا.

من الناس من كان لا يضحك اهتمامًا بنفسه وفساد حاله في اعتقاده من شدة الخوف وإن كان عبدًا صالحًا.

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى، لوددت أني كنت شجرة تعضد) (أخرجه الترمذي عن أبى هريرة).

وكان الحسن البصري ممن قد غلب عليه الحزن فكان لا يضحك).

أما ابن سيرين فكان يضحك ويحتج على الحسن البصري ويقول:

- الله أضحك وأبكي.

وكان الصحابة يضحكون.

إلا أن الإكثار من الضحك وملازمته حتى يغلب على صاحبه مذموم منهي عنه، وهو من فعل السفهاء والبطالة.

وفي الخبر: إن كثرته تميت القلب.

وأما البكاء من خوف الله وعذابه وشدة عقابه فمحمود.

قال النذير المبين (صلي الله عليه وسلم) :

-(ابكوا فإن لم تبكوا فتباكلوا فإن أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن سفنًا أجريت فيها لجرت) (أخرجه ابن ماجه، وابن المبارك عن أنس).

ابن سيرين والوليمة:

كان محمد بن سيرين إذا دعي إلى وليمة أو إلى عرس يدخل منزله فيقول لأهله:

- اسقوني شربة سويق.

فيقال له:

- يا أبا بكر أنت تذهب إلى الوليمة أو العرس تشرب سويقًا؟

فيقول ابن سيرين:

- إني أكره أن أحمل حد جوعي على طعام الناس.

لو رأى محمد بن سيرين!

كان حبيب بن الشهيد، أيوب السختياني ذات يوم عند عمر بن دينار، فحلف عمر وقال:

- ما رأيت أحدًا أفضل من طاوس - طاوس بن كيسان -.

فقال أيوب السختياني:

- لو رأى ابن سيرين لم يحلف.

محمد بن سيرين.. والحلال والحرام:

اشترى محمد بن سيرين بيعًا فأشرف فيها على ثمانين ألفًا، فعرض في قلبه شيء فتركه.

قال هشام بن حسان:

- والله ما هو بالربا.

وقال السري بن يحيى:

- لقد ترك ابن سيرين ربح أربعين ألفًا في شيء دخله.

وقال سري:

- سمعت سليمان التيمي: لقد تركه في شيء ما يختلف أحد من العلماء.

وقال سعيد بن عامر:

- سمعت هشام بن حسان يقول: ترك محمد بن سيرين أربعين ألف درهم في شيء ما ترون به اليوم بأسًا.

محمد بن سيرين وخادم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

لما مات أنس بن مالك أوصى أن يغسله خادمه محمد بن سيرين، ولكن محمد بن سيرين كان محبوسًا في ذلك الوقت، فقالوا:

- بسبب دين كان عليه -.

- إن خادم رسول الله قد مات وأوصى أن تغسله.

فقال أبو بكر:

- أنا محبوس.

فقالوا:

- استأذنا الأمير في إخراجك.

قال خادم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

- إن الأمير لم يحبسني، إنما حبسني من له الحق - الدين -.

فأذن صاحب الحق لمحمد بن سيرين فغسل خادم رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

لو أردنا فقه الصحابة:

سئل محمد بن سيرين عن فتيا ذات يوم، فأحسن الإجابة فيها.

فقال رجل:

- والله يا أبا بكر لأحسنت الفتيا فيها - القول فيها -.

فأعرض عنه وكأنه يقول:

- ما كانت الصحابة لتحسن أكثر من هذا.

فقال محمد بن سيرين:

- لو أردنا فقههم لما أدركته عقولنا.

قال بكر بن عبد الله المزني:

- من سره أن ينظر إلى أورع أهل زمانه، فلينظر إلى محمد بن سيرين، فوالله ما أدركنا من هو أورع منه.

وقال سفيان بن عيينة:

- لم يكن كوفي - من أهل الكوفة - ولا بصري - من أهل البصرة - ورع مثل محمد بن سيرين.

البرذون:

كان مسلم بن قتيبة يأتي أبا بكر على برذون - عربة يجرها حصان كالحنطور -، وذات يوم أتاه مسلم بن قتيبة راجلاً فقال محمد بن سيرين:

- ما فعل برذونك؟

قال مسلم بن قتيبة:

- بعته.

فقال أبو بكر:

- ولم؟

قال مسلم بن قتيبة:

- لمؤنته.

قال أبو بكر:

- أتراه خلف رزقه عندك؟

ابن سيرين والصحابة:

قال قرة بن خالد:

- يا أبا بكر هل كان الصحابة يتمازحمون؟

قال محمد بن سيرين:

- ما كانوا إلا كالناس، كان عبد الله بن عمر يمزج وينشد الشعر ويقول:

يحب الخمر من كيس هندمي ::: ويكره أن تفارقه الفلوس

ابن سيرين والشعر:

كان أبو بكر بن شعيب عند محمد بن سيرين ذات يوم، فجاءه رجل فسأل سيرين عن شيء من الشعر، وكان ذلك قبل صلاة العصر.

فقال ابن سيرين:

كأن المدامة والزنجبيل ::: وريح الخزامي وذوب العسل

يعدل به برد أنيابها ::: إذا النجم وسط السماء اعتدل

ثم دخل محمد بن سيرين في الصلاة:

وسئل ابن سيرين:

- أينشد الرجل الشعر وهو على وضوء؟

فقال أبو بكر:

نبئت أن فتـــاة كنـــت أخطبـــها ::: عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

أســـناها مائـــة أو زدن واحـــدة ::: وسائر الخلق منها بعـــد ممطـــول

وذات يوم أنشد محمد بن سيرين شعرًا فقال له رجل من جلسائه:

- مثلك ينشد الشعر يا أبا بكر؟

فقال ابن سيرين:

- ويلك يا لكع وهل الشعر إلا كلام لا يخالف سائر الكلام إلا في القوافي، فحسنه حسن وقبيحه قبيح.

وقال أبو بكر:

- سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(حسن الشعر كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام) (رواه إسماعيل).

الله عز وجل.. وكليمه:

قال محمد بن سيرين:

كلم الله عز وجل موسى عليه السلام بطور سيناء.

فقيل له:

- بأي شيء أوصاك؟

قال كليم الله:

-(بتسعة أشياء: الخشـية في السر والعلانيـة، وكلمـة الحـق في الرضـا والغضب، والقصد في الفقر والغنى، وأمرني أن أصل من قطعنـي، وأعطـي

من حرمني، وأعفو عمن ظلمني، وأن يكون نطقي ذكرا، وصمتي فكرا، ونظري عبرة).

قالوا عن محمد بن سيرين:

قال أنس بن مالك - خادم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) -:

- إني لأغبط أهل البصرة بهذين الشيخين: الحسن - البصري - وابن سيرين.

قال هشام بن حسان:

- هو أصدق بمن أدركت من البشر.

وقال محمد بن سعد:

– كان ثقة مأمونًا عالمًا رقيعًا فقيهًا إمامًا كثير العلم ورعًا.

وقال مؤرق العجلي:

- ما رأيت رجلاً أفقه في ورعه، وأورع في فقهه منه.

وقال عون:

- كان محمد بن سيرين أرجى الناس لهذه الأمة، وأشد الناس إزارًا على نفسه، وأشدهم خوفًا عليها.

وقال ابن عون:

– ما بكى في الدنيا مثل ثلاثة: محمد بن سيرين في العراق، والقاسم بن محمد في الحجاز، ورجاء بن حيوة بالشام، وكانوا يأتون بالحديث على حروفه.

وقال الشعبي:

- عليكم بذلك الأصم - يعنى محمد بن سيرين -.

وقال ابن شوذب:

– ما رأيت أحدًا أجرأ على تعبير الرؤيا منه.

وقال عثمان البتي:

- لم يكن بالبصرة أعلم بالقضاء منه.

وقال يونس:

- ما عرض لمحمد بن سيرين أمران إلا أخذ بأوثقهما في دينه.

وقال ابن شوذب:

- كان ابن سيرين يصوم يومًا ويفطر يومًا - كصوم داود عليه السلام - وكان اليوم الذي يفطر فيه يتغذى ولا يتعشى، ثم يتسحر ويصبح صائمًا.

وقالت حفصة بنت سيرين:

- كان محمد إذا دخل على أمه لم يكلمها بلسانه كله تخشعًا لها.

وقال ابن عون:

دخل رجل على محمد وهو عند أمه فقال:

- ما شأن محمد؟ يشتكي شيئًا؟

قالوا:

- لا، ولكن هذا يكون إذا كان عند أمه.

قال عاصم الأحول:

- كان عامة كلام ابن سيرين سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده.

وقال هشام بن حسان:

- ربما سمعت بكاء محمد بن سيرين في جوف الليل وهو يصلي.

وقال أنس بن سيرين:

- كان لمحمد بن سيرين سبعة أوراد يقرؤها بالليل، فإذا فاته منها شيء قرأه من النهار.

وقال هشام:

- كان ابن سيرين يحيي الليل في رمضان.

وقال دهير:

- كان ابن سيرين إذا ذكر الموت مات كل عضو منه على حدة

وقال مهدي:

- كنا نجلس إلى محمد فيحدثنا ونحدثه ويكثر إلينا فإذا ذكر الموت تغير لونه واصفر وأنكرناه وكأنه ليس بالذي كان.

وقال ابن عون:

- إن محمد بن سيرين كان إذا نام وجه نفسه - أي نحو القبلة -.

قالت أم عباد - امرأة هشام بن حسان -.

نزلنا مع محمد بن سيرين في الدار، فكنا نسمع بكاءه بالليل وضحكه بالنهار.

قال الصقر - ابن حبيب -:

- مر ابن سيرين برأس - بائع رءوس - قد أخرج رأسًا - من رءوس الإبل المذبوحة - فغشى عليه.

قال ابن عون:

- كانوا إذا ذكروا عند لمحمد رجلاً بسيئة ذكره محمد بأحسن ما يعلم.

قال بكار:

- كان لمحمد بن سيرين منازل لا يكريها إلا من أهل الذمة.

فقيل له في ذلك.

فقال:

- إذا جاء رأس الشهر رعته وأكره أن أروع مسلمًا.

وقال خلف:

- كان محمد بن سيرين قد أعطى هَدْيًا وسمتًا وخشوعًا، فكان الناس إذا رأوه ذكروا الله.

وقال بسطام بن مسلم:

- كان محمد بن سيرين إذا مشى معه رجل قام وقال: ألك حاجة؟ فإن كان له حاجة قضاها، فإن عاد يمشي معه قام فقال له: ألك حاجة؟

وقال الأشعث:

- كان محمد بن سيرين إذا سئل عن شيء من الفقه، الحلال والحرام تغير لونه وتبدل وكأنه ليس بالذي كان.

وقال رجاء بن أبى سلمة:

- إن ابن سيرين لم يعرض له أمران في دينه إلا أخذ بأوثقهما.

وقال أبو نعيم الأصبهاني في الحلية:

- ذو العقل الرصين، والورع المتين، المطعم للإخوان والزائرين، ومعظم الرجاء للمذنبين والموحدين، أبو بكر محمد بن سيرين، كان ذا ورع وأمانة، وحيطة وصيانة، كان بالليل بكاءً نائحًا، بالنهار بسامًا سائحًا، يصوم يومًا ويفطر يومًا.

وقال حبيب بن الشهيد:

- كان ابن سيرين لا يمن على بلاء، وربما ضحك حتى تدمع عيناه.

وقال يوسف بن عطية أبو سهل:

- رأيت محمد بن سيرين وكان كثير المزاح، كثير الضحك.

وقال ابن شوذب:

- كان ابن سيرين يمازح أصحابه، ويقول: مرحبًا بالمدرفشين - يعني أنكم تشهدون الجنائز وتحملون الموتى -.

وقال ابن شوذب:

- كان ابن سيرين ربما ضحك حتى يستلقي ويمد رجليه.

وقال مهدي بن ميمون:

- كان محمد بن سيرين يتمثل الشعر، ويذكر الشيء ويضحك حتى إذا جاء الحديث من السنة كلح وانضم بعضه إلى بعض.

محمد بن سيرين وأحاديث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

أسند محمد بن سيرين عن زيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وأبى سعيد الخدري، وعمران بن حصين، وجندب، وأنس بن مالك خادم رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، وأبي هريرة، وأبي بكرة.

يقول ابن سيرين:

- كانوا لا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سمعوا لنا رجالكم فننظر إلى أهل السنة فنأخذ حديثهم، وإلى أهل البدعة فلا نأخذ حديثهم.

قال هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(من نسى وهو صائم **فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه)** (رواه الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه عن أبى هريرة).

وقال ابن عون عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(إن في الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله فيها خيرًا إلا أعطاه إياه) (رواه مالك في الموطأ، والإمام أحمد، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه عن أبى هريرة).

وقال هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة على مائة امرأة، كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله.

فقال له صاحبه:

- قل إن شاء الله.

ولم يقل إن شاء الله، فلم تحمل منهن إلا امراة واحدة جاءت بشق إنسان، والذي نفس محمد بيده لو قال: إن شاء الله لم يحنث وكان دركًا لحاجته) (رواه الإمام أحمد، والنسائي عن أبي هريرة).

وفي رواية:

(لو كان استثنى لولدت كل امرأة منهن غلامًا يضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل) (متفق عليه).

قال عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة:

إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) دخل على بلال وعنده صبر من تمر فقال:

-(ما هذا يا بلال؟).

قال بلال بن رباح:

- تمر أدخره.

فقال عليه الصلاة والسلام:

-(ويحك يا بلال أما تخاف أن تكون له بخار في النار؟ أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا) (رواه أبو نعيم في الحلية).

وقال ابن عون عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(ما من مولود إلا ينش – يطيب – عليه من تراب حفرته) (رواه أبو نعيم في الحلية، والرافعي عن أبى هريرة).

وقال حجاج الأسود عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم) (رواه أبو نعيم في الحلية عن أبى هريرة).

قال عمران بن داود القطان أبو العوام - عن قتادة عن مطر الوراق عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(إن الإيمان يمان إلى لخم وجذام صلوات الله على جذام يقاتلون الكفار على رءوس السعف لينصروا الله ورسوله) (رواه أبو نعيم في الحلية).

وقال عمر بن عبد الله بن رزين عن محمد - ابن الفضل - عن التميمي عن ابن سيرين عن أبى هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(أربع لا يشبعن من أربع: أرض من مطر، وأنثى من ذكر، وعين من نظر، وعالم من علم) (رواه أبو نعيم في الحلية، والخطيب، وابن عدى في الكامل عن عائشة).

وقال زيد العمى عن منصور بن زادان عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**إن لله عز وجل ملائكة في السماء أبصر بعمل بنى آدم من بنى آدم بنجوم السماء، فإذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم فسموه وقالوا: أفلح الليلة فلان، فاز الليلة فلان، وإذا رأوا رجلاً يعمل بمعصية الله تعالى قالوا: خسر الليلة فلان، هلك الليلة فلان**) (رواه أبو نعيم في الحلية).

وقال محمد بن الفضل عن زيد العمى عن محمد بن سيرين عن عمران بن حصين قال:

إن الله تعالى يحب المؤمن إذا كان فقيرًا متعففًا (رواه الطبراني في الكبير عن عمران بن حصين، وأبو نعيم في الحلية).

وقال مالك بن دينار عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**تحت كل شعرة جنابة فاغسلوا الشعر وأبقوا البشرة**) (رواه أبو نعيم في الحلية، وابن جرير، عن أبى أيوب).

وقال محمد بن سيرين عن أبى سعيد الخدري قال:

إنه خرج في سرية فأصابهم مجاعة فأتوا على حي فأتتهم جارية فقالت:

- إن رجالنا خلوف وأن سيد الحي سليم فهل من راق؟

فذهبت وقرأت عليه بأم القرآن حتى برأ.

فأعطونا شاة وأطعمونا طعامًا، فأكلنا من الطعام وهبنا الشاة، فلما قدمنا على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أخبرناه فقال:

-(**من أين علمت أنها رقية؟**).

قال: لا والله لأني افتعلتها.

فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(خـذوها – الشـاة – اضربـوا لي فيهـا بسـهم) (رواه أبـو نـعيم فـي الحلية).

من أقوال محمد بـن سيرين:

* العزلة عبادة.

* كان الرجل إذا سأل ابن سيرين عن الرؤيا قال:

- اتق الله عز وجل في اليقظة ولا يضرك ما رأيت في المنام.

* ما رأيت الرجل الأسود.

ثم قال ابن سيرين:

- استغفر الله ما أراني إلا قد اغتبت الرجل.

* ودخل طوق بن وهب على محمد بن سيرين وقد اشتكى طوق فقال محمد:

- كأني أراك شاكيًا.

قال طوق بن وهب:

- أجل

قال محمد بن سيرين:

- اذهب إلى فلان الطبيب فاستوصفه.

ثم قال:

- اذهب إلى فلان فإنه أطيب منه.

ثم قال:

- استغفر الله أراني قد اغتبته.

* إذا أراد الله عز وجل بعبد خيرًا جعل له واعظًا من قلبه يـأمره وينهاه.

* قال ابن عون:

- سمعت محمدًا يقول في شيء راجعته فيه: إني لم أقل لك ليس به بأس، قلت لك: لا أعلم به بأسًا.

* ظلم لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم وتكتم خيره.

* قيل لمحمد بن سيرين:

- يا أبا بكر إن رجلاً قد اغتابك فتحمله.

قال أبو بكر:

- ما كنت لأحل شيئًا حرمه الله.

* السري بن يحيى - أو غيره - لابن سيرين:

- إني قد أغتبتك فاجعلني في حل.

قال محمد بن سيرين:

- إني أكره أن أقل ما حرم الله تعالى.

* كان ابن سيرين يقول للرجل إذا أراد أن يسافر في التجارة:

- اتق الله تعالى واطلب ما قدر لك في الحلال، فإنك إن تطلبه من غير ذلك تصب أكثر مما قدر لك.

* لا تكرم أخاك بما يشق عليك.

* الكلام أوسع من أن يكذب فيه ظريف.

* كان محمد بن سيرين يكره أن يقول للمرأة:

- طَمِثْ.

ولكن يقول كما قال الله تعالى:

- حَاضَتْ.

* إنك إن كلفتني ما لم أطق ساءك ما سرك مني من خلق.

* أنكح امرأة تنظر في يدك، ولا تنكح امرأة تكون أنت تنظر في يدها.

* المسلم المسلم عند الدرهم والدينار.

* المسلم عبد الدرهم.

* دخل ابن عون على محمد بن سيرين وبين يديه شهدة فقال:

- هلم فكل، فإن الطعام أهون من أن يقسم عليه.

* إنما هي رحمة الله أو النار.

* اللهم تقبل منا أحسن ما نعمل، وتجاوز عنا في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون.

* إذا اتقى الله العبد في اليقظة لا يضره ما روئ له في النوم.

* الرمان بين الفاكهة كجبريل بين الملائكة.

* مثل الذي يجلس ولا يخلع نعليه، مثل دابة يوضع عنها الحمل، ولا يوضع عنها الإكاف.

* ثلاثة ليس معهم غربة: حسن الأدب، وكف الأذى، ومجانبة الريب.

* من رأى ربه تعالى في المنام دخل الجنة.

* سئل محمد بن سيرين عمن يسمع القرآن فيصعق فقال:

- ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله إلى أخره، فإن سقطوا فهم كما يقولون.

محمد بن سيرين والقرآن العظيم:

سئل محمد بن سيرين عن قوله تعالى:{وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾} [سورة البقرة الآية: ٤٢].

فقال:

نزل عصابة من ولد هارون يثرب لما أصاب بنى إسرائيل ما أصابهم من ظهور العدو عليهم والذلة، وتلك العصابة هم حملة

التوراة يومئذ، فأقاموا في يثرب يرجون أن يخرج محمد (صلي الله عليه وسلم) بين ظهرانيهم، وهم مؤمنون مصدقون بنبوته، فمضى أولئك الأباء وهم مؤمنون وخلف الأبناء وأبناء الأبناء فأدركوا محمد (صلي الله عليه وسلم) فكفروا به وهم يعرفونه وهو معنى قوله تعالى{فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ} [سورة البقرة الآية: ٨٩].

وكان ابن سيرين إذا قرا قوله تعالى{قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾} [سورة البقرة الآية: ١٣٦].

قال:

- إذا قيل لك أنت مؤمن؟ فقل:{ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ}.

وسئل ابن سيرين عن قوله تعالى:{وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِ} [سورة البقرة الآية: ١٩٦].

فقال خادم خادم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

- قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**إن الحج والعمرة فريضتان لا يضرك بأيهما بدأت**) (رواه الحاكم في المستدرك عن زيد بن ثابت).

وسئل ابن سيرين عن قوله تعالى{وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ} [سورة النساء الآية: ١٩].

فقال أبو بكر:

- لا يحل له أن يأخذ منه فدية إلا أن يجد على بطنها رجلاً - إذا زنت -، فقال تعالى:{إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ} [سورة النساء الآية: ١٩].

وسئل ابن سيرين عن قوله تعالى{ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ } [سورة النساء الآية: ٣٥].

وهذا نص من الله سبحانه وتعالى بأنهما قاضيان لا وكيلان ولا شاهدان.

قال محمد بن سيرين:

جاء رجل وامرأة إلى على بن أبى طالب مع كل واحد منهما فئام - جماعة - من الناس فأمرهم فبعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها وقال للحكمين:

- هل تدركان ما عليكما؟ عليكما إن رأيتما أن تفرقا فرقتكما.

فقالت المرأة:

- رضيت بكتاب الله بما على فيه ولى.

وقال الرجل:

- أما الفرقة فلا.

فقال على:

- كذبت، والله لا تبرح حتى تقر بمثل الذي أقرت به.

وكان ابن سيرين إذا قرأ قوله تعالى{وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ } [سورة النساء الآية: ١١٩].

قال:

- قال تعالى:(وأنى خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأن الشياطين أتتهم فأجتالتهم عن دينهم فحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا وأمرتهم أن يغيروا خلقي) (رواه مسلم عن عياض بن حمار المجاشعى).

وقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن، المغيرات لخلق الله) (أخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود).

وسأل رجل ابن سيرين:

- إن أمي كانت تمشط النساء، أتراني آكل من مالها؟

قال أبو بكر:

- إن كانت تصل - أي تصل الشعر فقد لعنها رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال: لعن الله الواصلة والمستوصلة - فلا.

وقيل:

إن الراد بالتغيير لخلق الله هو أن الله تعالى خلق الشمس والقمر والأحجار والنار وغيرها من المخلوقات ليعتبر بها وينتفع بها، فغيرها الكفار بأن جعلوها آلهة معبودة.

وسئل بن سيرين عن قوله تعالى{فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ} [سورة المائدة الآية: ٨٩].

فقال:

- إن أطعمهم خبزًا ولحمًا، أو خبزًا وزيتًا مرة واحدة في اليوم حتى يشبعوا أجزأه.

فقال الرجل:

{أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ} [سورة المائدة الآية: ٨٩].

فقال أبو بكر:

- الكسوة في كفارة اليمين لكل مسكين ثوب وإزار، أو رداء أو قميص أو قباء أو كساء.

والكسوة في حق الرجال الثوب الواحد الساتر لجميع الجسد، فأما في حق النساء فأقل ما يجزئهن فيه الصلاة وهو الدرع والخمار.

وقد أمر ابن سيرين أن يكسى عنه ثوبين ثوبين.

وكان ابن سيرين إذا قرأ قوله تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ } [سورة الأعراف الآية: ٤٠].

قال:

- الجمل: حبل السفينة الذي يقال له القلس وهو حبال مجموعة.

وقيل:

الجمل: الحبل الغليظ من القنب.

وقيل:

الحبل الذي يصعد به في النخل.

وكان ابن سيرين إذا قرأ قوله تعالى:{ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾} [سورة الأعراف الآية: ٨٠].

قال:

- ليس شيء من الدواب يعمل عمل قوم لوط - كانوا يأتون الذكور - إلا الخنزير والحمار.

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط) (رواه ابن ماجه عن جابر بن عبد الله).

وسئل بن سيرين عن قوله تعالى:{يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ } [سورة التوبة الآية: ٣].

فقال:

- يوم الحج الأكبر العام الذي حج فيه النبي (صلي الله عليه وسلم) حجة الوداع - حجة الشرائع - وحجت معه فيه الأمم.

وقيل: إنما سمي الحج الأكبر لأنه حج فيه أبو بكر ونبذت فيه العهود.

وسئل محمد بن سيرين عن قوله تعالى:{وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا } [سورة الإسراء الآية: ١١٠].

فقال:

- كان الأعراب يجهرون بتشهدهم فنزلت الآية في ذلك.

وقال ابن سيرين:

- إن أبا بكر رضى الله عنه كان يسر قراءته، وكان عمر يجهر بها فقيل لهما في ذلك.

فقال أبو بكر:

- إنما أناجي ربي وهو يعلم حاجتي إليه.

وقال عمر:

- **أنا أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان - الوسن، السنة: النعاس -.**

فلما نزلت هذه الآية قيل لأبى بكر:

- ارفع قليلا.

وقيل لعمر:

- اخفض أنت قليلاً (ذكره الطبري).

وكان محمد بن سيرين إذا قرأ قوله تعالى:{ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ} [سورة السجدة الآية: ١٧].

قال:

- **المراد به النظر إلى الله تعالى.**

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

- يقول الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرًا بله ما أطلعكم عليه - ثم قرأ:{إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾} [سورة الصافات الآية: ٨٤].

وسأل عون الأعرابي أبا بكر عن قوله تعالى:{إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾}.

- **ما القلب السليم؟**

قال محمد بن سيرين:

- الناصح لله عز وجل في خلقه.

وقال أبو بكر:

- القلب السليم أن يعلم أن الله حق، وأن الساعة قائمة، وان الله يبعث من في القبور.

وقيل: هو القلب الخالي من البدعة والنفاق.

وقيل: هو القلب المطمئن إلى السنة.

وقيل: هو القلب السليم من المال والبنين.

قال خاتم النبيين (صلي الله عليه وسلم) :

-**(يدخل الجنة أقوام افئدتهم مثل أفئدة الطير).**

إنها مثلها في أنها خالية من كل ذنب، سليمة من كل عيب، لا خبرة لهم بأمور الدنيا.

وقال الذي لا ينطق عن الهوى (صلي الله عليه وسلم) :

-**(أكثر أهل الجنة البله).**

البله: عن معاصي الله.

والأبله هنا هو الذي طبع على الخير وهو غافل عن الشر لا يعرفه.

وقيل: البله هم الذين غلبت عليهم سلامة الصدور، وحسن الظن بالناس.

وقيل: هم السابقون إلى التوبة وأعمال البر.

وسئل محمد بن سيرين عن قوله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ} [سورة الجمعة الآية: ٩].

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(إنما سميت جمعة لأن الله جمع فيها خلق آدم).

وقيل: لاجتماع الناس فيها للصلاة.

أول من سمى الجمعة جمعة كعب بن لؤي.

وكان يقال ليوم الجمعة: العروبة.

وقيل: أول من سماها الأنصار.

قال ابن سيرين:

- جمع أهل المدينة من قبل أن يقدم النبي (صلي الله عليه وسلم) الدينة، وقبل أن تنزل الجمعة - سورة الجمعة -، وهم الذين سموها الجمعة، وذلك أنهم قالوا: إن لليهود يوما يجتمعون فيه، في كل سبعة أيام يوم وهو السبت، وللنصارى يوم مثل ذلك وهو الأحد، فتعالوا فلنجتمع حتى نجعل يومًا لنا نذكر الله ونصلى ونستذكر - أو كما قالوا - يوم السبت لليهود، ويوم الأحد للنصارى،

فاجعلوه يوم العروبة، فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة - أبو أمامة الذي كان أول من دخل بالإسلام المدينة - فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم، فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا فذبح لهم أسعد شاة فتعشوا وتغذوا منها لقلتهم، فهذه أول جمعة في الإسلام.

وفاة محمد بن سيرين:

لما حضرت الوفاة أبا بكر قال لابنه:

- يا بنى أقض عني - الدين - إلا الوفاء.

قال الابن:

- يا أبت اعقق عنك؟

قال محمد بن سيرين:

- إن الله تعالى لقادر أن يأجرني وإياك فيما صنعت من خير.

ومات محمد بن سيرين في سنة عشر ومائة للهجرة بعد وفاة الحسن البصري بمائة يوم، وهو ابن نيف وثمانين سنة.

* * *

[٦]

سليمان بن مهران

سليمان بن مهران

نسبه:

هو: سليمان بن مهران الأعمش الأسدي.

كنيته:

يكنى: أبا محمد.

كان مولى لبني كاهل.

مولده:

ولد الأعمش يوم مقتل الحسين بن على بن أبي طالب يوم عاشوراء - العاشر من محرم - سنة ستين من الهجرة.

كان من رَبِّه راهبًا ناسكًا، ومن عباده لاعبًا ضاحكًا.

لما بلغ السبعين لم تفته التكبيرة الأولى، فكان محافظًا على الصلاة في الجماعة وعلى الصف الأول.

الله عز وجل يحفظ عبده المؤمن:

قال سليمان بن مهران:

خرج ملك من الملوك إلى منتزه فمطر المطر، فرفع رأسه إلى السماء وقال:

- لئن لم تكف لأوذينك.

فأمسك المطر.

فقيل له:

- أي شيء أردت أن تصنع؟

قال الملك:

- أردت أن لا أدع أحدًا يوحده إلا قتلته، فعلم أن الله يحفظ عبده المؤمن.

أنا رحمة رحمك الله بها:

قال الأعمش:

تعبَّد رجلٌ من بنى إسرائيل في غار، فبعث إبليس شيطانًا فدخل الغار فجعل يصلي معه.

فقال له العابد:

- من أنت؟

قال الشيطان:

- أتعبَّد معك.

ثم قال الشيطان للعابد:

- هل أدلك على أفضل مما نحن فيه؟

فتساءل العابد:

- وما هو:

قال الشيطان:

- اخرج بنا إلى قرية نأمر بالمعروف.

فأطاعه الرجل، فأقبل رجل إليهما عند باب القرية، فجعل الشيطان حين يراه يضرط، فأخذه الرجل فذبحه.

فقاله له العابد:

- ما صنعت؟ قلت خير الناس.

فقال الرجل:

- إنَّما هذا شيطان، وإنما رحمة رحمك الله بها.

مزاح الأعمش:

كن سليمان بن مهران لطيف الخلق مزَّاحًا.

* جرى بينه وبين امرأته ذات يوم كلام، وكان يأتيه رجل يُقال له أبو ليلى مكفوف فصيح يتكلم بالإعراب يتطلب الحديث منه فقال له الأعمش:

- يا أبا ليلى، امرأتي نشزت عليَّ - استعصت علىَّ وأبغضتني - وأنا أحب أن تدخل عليها فتخبرها مكاني من الناس وموضعي عندهم.

فدخل أبو ليلى عليها، وكانت أجمل أهل الكوفة فقال:

- يا هنتاه: إن الله قد أحسن قسمك - زوجك -، هذا شيخنا وسيدنا وعنه نأخذ أصل ديننا وحلالنا وحرامنا فلا يغررنك عموشة عينيه ولا حموشة - دقة ساقيه -.

فغضب الأعمش وقال له:

- يا أعمى يا خبيث: أعمى الله قلبك كما أعمى عينيك، قد أخبرتها بعيوبي كلها، اخرج من بيتي.

* وأراد، إبراهيم بن يزيد النخعي - كان أعور - أن يماشي الأعمش ذات ضحى فقال الأعمش:

- إن الناس إذا رأونا معًا قالوا: أعور وأعمش؟

فقال إبراهيم النخعي:

- وما عليك أن تُؤجر ويأثموا؟

فقال له سليمان بن مهران:

- وما عليك أن يسلموا ونسلم؟

* وجاء رجل ذات يوم يطلب الأعمش في منزله، ووصل وقد خرج سليمان بن مهران مع امرأته إلى المسجد، فجاء الرجل فوجدهما في الطريق فتساءل:

- أيكما الأعمش؟

فقال سليمان بن مهران:

- هذه.

وأشار إلى امرأته.

* ودخل سليمان بن مهران يومًا الحمام، وجاء رجل حاسر - ليس عليه ثياب، أي: عاري -.

فقال للأعمش:

- متى ذهب بصرك؟

قال سليمان بن مهران:

– منذ بدت عورتك.

* وسأل داود بن عمر الحائك سليمان بن مهران ذات ليلة:

- ما تقول في الصلاة خلف الحائك؟

قال الأعمش:

– لا بأس بها على غير وضوء.

فقال داود بن عمر:

- ما تقول في شهادة الحائك؟

قال سليمان بن مهران:

– تُقْبَل مع عَدْلين – رجلين عَدْلين –.

* وعاد الإمام أبو حنيفة يومًا الأعمش في مرضه، فطول القعود عنده، فلما عزم الإمام أبو حنيفة على القيام قال لسليمان بن مهران:

- ما كأني إلا ثقلت عليك.

فقال الأعمش:

- والله إنك لتثقل عليَّ وأنت في بيتك.

* وعاده أيضا جماعة، فأطالوا الجلوس عنده فضجر منهم فأخذ وِسَادَته وقام وقال:

- شفى الله مريضكم بالعافية.

* وقيل عند الأعمش يومًا:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(من نام عن قيام الليل بال الشيطان في أذنه).

فقال سليمان بن مهران:

- ما عمشت عيني إلا من بول الشيطان في أذني.

* وبعث أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك إلى الأعمش:

أن اكتب لي مناقب عثمان ومساوئ عليّ.

فأخذ الأعمش القرطاس وأدخلها في فم شاة فلاكتها.

وقال سليمان بن مهران لرسول أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بن مروان:

قل له: هذا جوابك.

فقال رسول أمير المؤمنين:

- إنه قد آلى أن يتقلني إن آته جوابك.

وتحمل على الأعمش بإخوانه الفقهاء، فقالوا له:

يا أبا محمد: افتده من القتل.

فلما ألحوا على الأعمش كتب له:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد:

يا أمير المؤمنين: فلو كانت لعثمان - رضي الله عنه - مناقب أهل الأرض ما نفعتك، ولو كانت لعليٍّ - رضي الله عنه - مساوئ أهل الأرض ما ضرتك.

فعليك بخويصة نفسك.

والسلام.

* وكتب سليمان بن مهران إلى بعض إخوانه يعزيه:

إنا نعزيك لا إنا على ثقة ::: من البقاء ولكن سنة الدين

فلا المعزى بباق بعد ميته ::: ولا المعزى وإن عاشا إلى حين

أنا رسول الخاشعين إليك:

خرج سليمان بن مهران ذات يوم من منزله بسحر، فمر بمسجد بني أسد، وقد أقام المؤذن الصلاة، فدخل الأعمش يصلي، فافتتح الإمام سورة البقرة في الركعة الأولى، ثم قرأ في الثانية سورة آل عمران، فلما انصرف قال له سليمان بن مهران:

- أما تتقي الله؟ أما سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول:

(من أمَّ الناس فليخفف فإن خلفه الكبير والضعيف وذا الحاجة) (رواه عبد الرزاق في الجامع عن ابن مسعود).

فقال الإمام:

قال الله تعالى:{وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} [سورة البقرة الآية: ٤٥].

فقال الأعمش:

- فأنا رسول الخاشعين إليك أنك ثقيل.

انظروا إلى لحيته:

جاء رجل نبيل كبير اللحية إلى الأعمش فسأله عن مسألة خفيفة في الصلاة.

فالتفت سليمان بن مهران إلى جلسائه وقال:

- انظروا إلى لحيته تحتمل حفظ أربعة آلاف حديث، ومسألته مسألة صبيان الكتاب.

أفظننت أني أبيع الحديث!

بعث عيسى بن موسى بألف درهم إلى سليمان بن مهران وصحيفة ليكتب له فيها حديثًا، فأخذ الأعمش الألف درهم وكتب في الصحيفة:

بسم الله الرحمن الرحيم:{قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾} [سورة الإخلاص الآيات: ١ - ٤].

وطوى الصحيفة وبعث بها إلى موسى بن عيسى، فلما نظر فيها، بعث إلى سليمان بن مهران:

- يا ابن الفاعلة ظننت أنى لا أحسن كتاب الله؟

فكتب إليه الأعمش:

- أفظننت أنى أبيع الحديث؟

ولم يكتب سليمان بن مهران لموسى بن عيسى حديثًا وحبس المال لنفسه.

ملك الموت:

قال سليمان بن مهران:

كان ملك الموت - عليه السلام - يظهر للناس فيأتي الرجل فيقول:

- اقض حاجتك فإني أريد أن أقبض روحك.

قال:

فشكى.

فأنزل الله عز وجل الداء، وجعل الموت خفاء.

لا شبعت أبداً:

قال سليمان بن مهران:

بينما كان أحد السلاطين جالسًا في مجلسه وأمامه **طبق فيه لوز**، إذ دخل رجل حلو الكلام فصيح اللسان فقال:

- أيها الأمير ما هذا؟

فرمى إليه بواحدة.

فقال الرجل:

{ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ} [سورة التوبة الآية: ٤٠].

فرمى الأمير إليه بأخرى.

فقال الرجل:

{فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ} [سورة يس الآية: ١٤].

فأعطاه ثالثة.

فقال الرجل:

{فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ} [سورة البقرة الآية: ٢٦٠].

فألقى الأمير إليه الرابعة.

فقال الرجل:

{خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ} [سورة الكهف الآية: ٢٢].

فدفع الأمير إليه الخامسة.

فقال الرجل:

{فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} [سورة السجدة الآية: ٤].

فجعلها ستة.

فقال الرجل:

{سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا} [سورة الملك الآية: ٣].

فصيرها الأمير سبعة.

فقال الرجل:

{ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ} [سورة الأنعام الآية: ١٤٣].

فرمى الأمير إليه بالثامنة.

فقال الرجل:

{وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ} [سورة النمل الآية: ٤٨].

فرمى إليه بالتاسعة.

فقال الرجل:

{تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ} [سورة البقرة الآية: ١٩٦].

فكملها عشرة.

فقال الرجل:

{إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا} [سورة يوسف الآية: ٤].

فأعطاه الأمير إياها.

فقال الرجل:

{ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا } [سورة التوبة الآية: ٣٦].

فكمل له الأمير اثني عشر.

فقال الرجل:

{إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ} [سورة الأنفال الآية: ٦٥].

فدفع إليه الأمير عشرين.

فقال الرجل:

{يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ} [سورة الأنفال الآية: ٦٥].

فأمر الأمير برفع الطبق إلى الرجل، وقال له:

- كل لا أشبع الله بطنك.

فقال الرجل:

لو لم تفعل لقرأت لك{ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ } [سورة الصافات الآية: ١٤٧].

احملني حتى أعبر النهر:

سأل رجل الأعمش:

- هل تأذيت بالسودة قط؟

قال سليمان بن مهران:

- نعم كنت في السواد - سواد البصرة والكوفة: قراهما - فلقيني رجل منهم عند نهر فقال:

- احملني حتى أعبر النهر.

فلما استوى على ظهري قال:

{سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ} [سورة الزخرف الآية: ١٣].

فلما توسطت النهر رميت به وقلت:

- اللهم{أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ} [سورة المؤمنون الآية: ٢٩].

فتساءل الرجل:

- ماذا فعل الرجل الذي رميت به في النهر؟

قال الأعمش:

- تركته يتلبط في النهر وهربت منه.

وقيل:

كان الأعمش جالسًا ذات يوم في ناحية وفي الموضع خليج ماء من ماء المطر، فجاء رجل عليه سواد، فلما أبصر الأعمش وعليه فروة حقيرة قال له:

- قم فعبرني هذا الخليج:

وجذب يده وركبه وقال:

-{سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ} [سورة الزخرف الآية: ١٣].

فمضى به الأعمش حتى توسط به الخليج فرمى به، وقال:

{رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ} [سورة المؤمنون الآية: ٢٩].

ثم خرج سليمان بن مهران وترك الرجل الأسود يخبط في الماء.

من سنة الإحرام ضرب الجمال:

اكترى سليمان بن مهران من أعرابي جملاً وخرج معه إلى قوم يرجون أن يسمعوا منه مناسك الحج، فجاء إليهم وهم مجتمعون.

فلما أحرم، وكان الجمال يؤذيهم، فاجتمعوا يومًا في خيمة، فجاء إليهم وهم مجتمعون، فقام سليمان بن مهران فشدّ إزاره وقام إليه بعمود الخيمة فضربه فشجه فقالوا:

- يا أبا محمد: تقوم إليه فتشجه وأنت محرم؟

قال الأعمش:

- إن من سنة الإحرام ضرب الجمال.

أكثرهم لا يعقلون:

جاء شبيب بن شيبة وأصحاب له إلى سليمان بن مهران فنادوه على بابه:

- يا سليمان: اخرج إلينا.

فقال أبو محمد من الداخل:

- من أنتم؟

قالوا:

- نحن من الذين ينادونك من وراء الحجرات.

قال الأعمش:

- أكثرهم لا يعقلون.

لست أنت من أولئك:

قال ابن نمير:

جاء رجل إلى الأعمش فقال:

- كلم لي فلانًا - لرجل كان يشرب الخمر -.

قال سليمان بن مهران:

- والله ما كلمته قط.

قال الرجل:

- إنه قد أخذني في الخراج فأرجو أن تكلمه أن يقبل.

فجاءه وكان بين أيديهم - أمامهم - خمر يشربونه فقال الرجل:

- لأسقينه خمرًا قبل أن يخرج.

فرفعوه فدخل سليمان بن مهران فكلمه فقال:

- نعم.

فدعا بالصحيفة، وقال:

- تغد يا أبا محمد.

فأكل الأعمش وقال:

- اسقوني ماء.

فقال الرجل:

- هات نبيذًا يا غلام.

قال أبو محمد:

- لا اسقوني ماء.

فقال الرجل:

- هات نبيذًا يا غلام.

فقال الأعمش:

- لا اسقوني ماء.

فقال الرجل:

- أليس قال: إذا دخلت على أخيك فكل من طعامه واشرب من شرابه؟

فقال سليمان بن مهران:

– لست أنت من أولئك.

وخرج الأعمش ولم يشرب إلا الماء.

ولكنه يمارس قرناء:

قال معمر:

جئت الأعمش ومعي أحاديث أريد أن أساله عنها، وكان إلى جانبه رجل من بنى مخزوم.

فقلت:

- يا أبا محمد: كيف حديث كذا وكذا؟

قال الأعمش:

- ليس به بأس.

فقلت:

- حديث كذا وكذا؟

قال أبو محمد:

- مكروه.

فقال المخزومي:

- إنه قد رحل إليك.

قال سليمان بن مهران:

- أعرف ولكنه يمارس قرناء.

لماذا سمى الأعمش!

قال جرير:

كان سليمان بن مهران إذا خرج فسألوه عن حديث لم يحفظه، كان يجلس في الشمس يقول بيديه في عينيه، فلا يزال يعركهما ويعركهما حتى إذا ذكره قال:

- هات عن أي شيء سالت؟

فيجيبه.

من أقوال الأعمش:

قال سليمان بن مهران:

* ما كان بيننا وبين البدريين - الذين شهدوا غزوة بدر مع النبي (صلي الله عليه وسلم) - إلا ستر.

* العلم في لم.

* نقض العهد وفاء لمن ليس له عهد.

* ذُكِرَ الإرجاء عند الأعمش فقال:

- ما نرجو من رأى أنا كبر منه.

* يوشك أن أحتبس على الموت إن وجدته بالثمن اشتريته.

* كنا نعد أهل السوق شرارنا لانا نعدهم اليوم خيارنا.

* إنا كنا لنشهد الجنازة فلا ندرى من نعزى من حزن القوم.

* قال رجل للأعمش:

- هؤلاء الغلمان حولك.

قال أبو محمد:

- اسكت، هؤلاء يحفظون عليك أمر دينك.

الأعمش وأحاديث المبعوث للناس كافة (صلي الله عليه وسلم) :

أدرك الأعمش جماعة من الصحابة - رضى الله تعالى عنهم - وتوفى عبد الله بن عمر، وقتل عبد الله بن الزبير وللأعمش ثلاث عشرة سنة، وتوفى جابر بن عبد الله ولسليمان بن مهران ثماني عشرة عامًا، وتوفى عبد الله بن أبي أوفى ولأبي محمد سبع وعشرون عامًا، وتوفى أنس بن مالك وللأعمش ثلاث وثلاثون سنة وسمعه وهو يقرأ ولم يحمل منه شيئًا مرفوعًا.

يقول أبو محمد:

رأيت أنس بن مالك يصلي في المسجد الحرام، فكان إذا رفع رأسه من الركوع أقام صلبه حتى يستوي بطنه.

ويقول الأعمش:

كان أنس بن مالك يمر بي في طرفي النهار فأقول:

- لا أسع منك حديثًا؟ خدمت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ثم جئت إلى الحجاج - الحجاج بن يوسف الثقفي: كان أمير العراق أيام الدولة المروانية - حتى ولآك.

ثم قال الأعمش؟

- ثم ندمت فصرت أروى عن رجل عنه.

ورأى الأعمش عبد الله بن أبي أوفى الصحابي الجليل وسمع منه وأرسل عنه.

وروى عن الأعمش جماعة من التابعين، منهم: سليمان التميمي، ومحمد بن جحادة، وأبان بن تغلب وغيرهم.

ومن الأحاديث التي أُسْنِدَت للأعمش:

قال داود بن مخراق عن الفضل بن موسى عن الأعمش عن أنس بن مالك قال:

كنت مع النبي (صلي الله عليه وسلم) في سفر، فمرَّ على شجرة يابسة فضربها بعصا كانت في يده فتناثر الورق.

فقال النبي (صلي الله عليه وسلم) :

(سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يساقطن الذنوب كما تساقط هذه الشجرة ورقها) (رواه الترمذي كتاب الدعوات عن

الأعمش عن أنس).

وقال أحمد بن يونس عن أبي شهاب عبد ربه بن نافع الحناط عن الأعمش عن أنس قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(ويل للمالك من المملوك، وويل للمملوك من المالك، وويل للشديد من الضعيف، وويل للضعيف من الشديد، وويل للغني من الفقير، وويل للفقير من الغني) (رواه أبو نعيم في الحلية، وسمويه، عن أنس).

* وقال إسماعيل بن عبد الله عن حسين بن حفص عن أبي مسلم قائد الأعمش عن أنس قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(يا جبريل، هل ترى ربك؟

قال:

إن بيني وبينه لسبعين حجابا من نار أو من نور لو دنوت من أدناها لاحترقت) (رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس).

* وقال عبد الله بن جعفر عن عمر بن حفص بن غياث عن حفص بن غياث عن الأعمش، عن أنس قال:

توفى رجل من أصحاب النبي (صلي الله عليه وسلم)، فقيل:

- أبشر بالجنة.

فقال النبي (صلي الله عليه وسلم) :

(أفلا تدرون فلعله قد تكلم بما لا يعنيه أو بخل بما لا ينفعه) (رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس).

وقال إبراهيم بن أبى حصين عن يوسف الأزرق عن الأعمش عن عبد الله بن أبي أوفى قال:

سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول في الخوارج:

(هم كلام أهل النار) (رواه أبو نعيم في الحلية).

وقال عليه الصلاة والسلام:

(الخوارج كلاب النار) (رواه الإمام أحمد، وأخرجه ابن ماجه، عن أبي أمامة).

* وقال الحارث بن أبي أسامة عن يحيى بن هشام عن الأعمش عن المعرور بن سويد عن أُبيّ بن كعب قال:

إن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال:

(قال الله تعالى: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن عمل سيئة فمثلها أو أغفر ومن عمل قراب الأرض خطيئة ثم جاءني لا يشرك بي شيئًا جعلت له مثلها مغفرة) (رواه الأئمة).

* وقال مسعر بن كدام عن الوليد بن سريع عن عمرو بن حريث قال:

صليت خلف النبي (صلي الله عليه وسلم) الصبح فسمعته يقرأ: {فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾} [سورة التكوير الآيات: ١٥ - ١٨]. (رواه مسلم في صحيحه والنسائي في تفسير هذه الآية عن عمرو بن حريث).

* وقال يونس بن حبيب عن شعبة بن الحجاج عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(إنَّكم سترون بعدي أثرة وأمورًا تنكرونها).

قلنا:

- يا رسول الله: فما تأمرنا؟

قال عليه الصلاة والسلام:

(أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم) (أخرجه البخاري، كتاب الفتن باب قول النبي (صلي الله عليه وسلم) والترمذي عن عبد الله بن مسعود وأبو نعيم في الحلية).

* وقال محمد بن إسماعيل الصائغ عن قبيصة بن عقبة عن سفيان الثوري عن الأعمش عن وائل عن عبد الله بن مسعود قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى) (رواه مسلم والبخاري والإمام أحمد وأبو داود عن ابن مسعود.

* وقال عبيد الله بن عمرو محمرو الأموي عن طلحة بن زيد عن الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(من كانت له بنت فأدبها فأحسن تأديبها وعلَّمها فأحسن تعليمها وأسبغ عليها من نعم الله التي أسبغ عليه كانت له سترًا وحجابًا من النار) (رواه أبو نعيم في الحلية عن عبد الله ابن مسعود).

* وقال محمد بن عبيد بن ثعلبة الحماني عن عمر بن عبيد عن الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود قال:

إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ودع رجلاً فقال:

(زودك الله التقوى وغفر ذنبك ويسَّر لك الخير حيث ما تكون) (رواه الترمذي والحاكم في المستدرك وأبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن مسعود).

وقال حارث بن أبي أسامة عن محمد بن سابق عن إسرائيل عن الأعمش عن إبراهيم بن علقمة عن ابن مسعود قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(ليس المؤمن بالطَّعَّان ولا باللَّعـان ولا الفـاحش ولا البـذيء) (رواه الإمام أحمد وابن حبان والحاكم في المستدرك عن ابن مسعود).

* وقال أبو سعيد الكوفي عن منصور بن الأسود عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(الحسن والحسين سيدا شباب أهـل الجنـة) (رواه الحـاكم فـي الكنـى وأبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود).

* وقال حجاج بن نصر عن القاسم بن مطيب عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(إن نفس المؤمن تخرج رشحًا وإن نفس الكافر تسيل كـما تخـرج نفـس الحمار وإن المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدد بها عليه عند الموت ليكفـر بهـا وإن الكافر ليعمل الحسنة فيسهل عليه عند الموت ليجزى بها) (رواه أبو نعيم في الحلية).

* وقال عبد الله بن جعفر عن أبي مسعود عن يعلى بن عبيد الله عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(تجد شرار الناس ذا الوجهين) (رواه أبو نعيم فـي الحليـة عن أبـي هريرة).

قال الأعمش: ذو الوجهين: الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه.

* قال عبد الله بن مسلمة عن عبد العزيز بن مسلم عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(إذا قرأ ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويلاه – يا ويله يا ويلي؛ أي: هلاكه – أُمِرَ ابن آدم بالسجود فسجد فَلَهُ الجنة ، وأمرت بالسجود، فعصيت فَلِيَ النار) (رواه الإمام أحمد ومسلم وابن ماجه عن أبي هريرة).

* وقال أحمد بن جعفر عن يعقوب بن أبي يعقوب عن عبد الله بن رجاء عن زائدة عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(انظروا إلى من هو أسفل منكم فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله) (رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة.

* وقال أحمد بن عاصم عن روح بن عبادة عن شعبة بن حجاج عن سليمان عن ذكوان عن أبي هريرة قال:

قال النى (صلي الله عليه وسلم) :

(لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا خير له من أن يمتلئ شعرًا) (رواه أبو نعيم في الحلية عن أبى هريرة).

* وقال محمد بن زكريا عن عمرو بن مرزوق عن شعبة بن الحجاج عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(إذا توضا الرجل فأحسن الوضوء ثم خرج إلى الصلاة لا يخرجه ولا ينهزه – النهز: الدفع – إلا إياها لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة) (أخرجه الترمذي، كتاب أبواب الصلاة باب ذكر فضل المشي إلى المسجد، وابن ماجه، عن أبي هريرة.

قالوا عن الأعمش:

* قال سفيان الثوري:

لو رأيت الأعمش لقلت: مسكين.

* قال يحيى:

الأعمش علاّمة الإسلام.

* قال عيسى بن يونس:

ما رأينا في زماننا مثل الأعمش، ما رأت الأغنياء والسلاطين في مجلس أحد أحقر منهم في مجلس الأعمش وهو محتاج إلى درهم.

* قال وكيع:

كان الأعمش قريبًا بن سبعين سنة لم يفته التكبيرة الأولى، واختلفت إليه قريبًا من سبعين فما رأيته يقضي ركعة.

* قال يحيى القطان:

كان الأعمش من النساك، وكان محافظًا على الصلاة في الجماعة وعلى الصف الأول.

* وقال القاسم بن عبد الرحمن:

ليس أحد أعلم بحديث عبد الله - ابن مسعود - من الأعمش.

* قال شريك:

- ما كان هذا العلم إلا في العرب وأشراف الملوك.

فقال رجلٌ:

وأى نبل كان للأعمش؟

قال شريك:

- أما رأيت الأعمش ومعه لحم يحمله وسفيان الثوري عن يمينه وشريك عن يساره، وكلاهما ينازعه حمل اللحم لعلمت أن ثم نبلاً كثيرًا.

* قال عبد الرزاق:

إن الأعمش قام من النوم لحاجه فلم يصب ماء، فوضع يده على الجدار فتيمم ثم نام.

فقيل له في ذلك فقال:

- أخاف أن أموت على غير وضوء.

* وقال هشام:

ما رأيت بالكوفة أحدًا أقرأ لكتاب الله ولا أجود حديثًا من الأعمش.

* قال عيسى بن يونس:

لم نر نحن والقرن الذي قبلنا مثل الأعمش، ما رأيت الأغنياء والسلاطين عند أحد أحقر منهم عند الأعمش مع فقره وحاجته.

* قال محمد بن جربر:

قال عيسى بن موسى لعبد الرحمن بن أبي ليلى:

اجمع الفقهاء.

فجمعهم، فجاء الأعمش في جبة وفرو ربط وسطه بشريط، فأبطاوا، فقام الأعمش، فقال:

إن أردتم أن تعطونا شيئًا وإلا فخلوا سبيلنا.

فقال عيسى بن موسى لعبد الرحمن بن أبي ليلى:

قلت لك: تأتى بالفقهاء فتجيئ بهذا؟

قال عبد الرحمن بن أبى ليلى:

- هذا سيدنا هذا الأعمش.

* يقول زائدة بن قدامة:

تبعت الأعمش يومًا، فأتى المقابر فدخل في قبر محفور فاضطجع فيه، ثم خرج منه وهو ينفض التراب عن رأسه ويقول:

- وضيق مسكناه.

* وقال أبو بكر بن عياش:

- رأيت الأعمش يلبس قميصًا مقلوبًا.

* قال أبو نعيم:

كان الأعمش إذا حدث يتخشع ويعظم العلم.

* قال أبو إدريس:

كان الأعمش ربما يحدثنا بالحديث ثم يقول:

بقى رأس المال يعنى الإسناد.

الأعمش والقرآن العظيم:

قال الأعمش:

قرأت القرآن على بن وثاب، وقرأ يحيى على علقمة - أو مسروق - وقرأ هو على عبد الله بن مسعود، وقرأ عبد الله بن مسعود على رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

ثم قال سليمان بن مهران:

كانوا يقرأون على يحيى بن وثاب وأنا جالس، فلما مات يحيى بن وثاب أحدقوا بي.

سال منصور بن أبي الأسود أبا محمد عن قوله تعالى:{وَكَذَٰلِكَ

نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾} [سورة الأنعام الآية: ١٢٩].

- ما سمعتهم يقولون فيه؟

قال سليمان بن مهران:

- سمعتهم يقولون: إذا فسد الناس أُمِّرَ عليهم شرارهم.

ركان سليمان بن مهران إذا قرأ قوله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ} [سورة البقرة الآية: ١٦٨].

سمى الحلال حلالاً لانحلال عقدة الحظر عنه.

وسأل رجل غالب القطان، عن قوله تعالى:{ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ} [سورة آل عمران الآية: ١٨].

فقال غالب القطان:

أتيت الكوفه في تجارة، فنزلت قريبًا من الأعمش، فكنت أختلف إليه، فما كان ليلة أردت أن أنحدر إلى البصرة قام فتهجَّد من الليل، فقرأ بهذه الآية:{ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾} [سورة آل عمران الآيتان: ١٨ - ١٩].

فقال الأعمش:

- وأنا أشهد بما شهد الله به، وأستودع هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة وإن الدين عند الله الإسلام - قالها مرار -.

يقول غالب القطان:

فغدوت إلى سليمان بن مهران وودعته ثم قلت له:

- إني سمعتك تقرأ هذه الآيه فما بلغك فيها؟ أنا عندك منذ سنة لم تحدثني به.

قال أبو محمد:

- والله لأحدثنك بعد سنة.

يقول غالب القطان:

فأقمت وكتبت على بابه ذلك اليوم.

فلما مضت السنة قلت:

- يا أبا محمد: قد مضت السنة.

قال الأعمش:

- حدثني أبو وائل عن عبد الله بن مسعود قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(يُجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله تعالى: عبدي عهد إليَّ وأنا أحق من وفى، أدْخِلُوا عبدى الجنة).

قال أحمد بن حنبل:

غالب بن خطاف القطان: ثقة ثقة.

وفي هذه الآية دليلٌ على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء، وقال في شرف العلم لنبيه (صلي الله عليه وسلم) :{وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا} [سورة طه الآية: ١١٤].

وكان أبو محمد إذا قرأ:{وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ} [سورة التوبة الآية: ١١٨].

قال:

رحم الله كعب بن مالك، ومرارة بن ربيعه العامري، وهلال بن أمية

الواقفي.

قال سفيان الثوري:

سألت الأعمش عن الأشهاد -{وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ} [سورة هود الآية: ١٨].

قال سليمان بن مهران:

الأشهاد: الملائكة.

وسُئِلَ الأعمش عن قوله تعالى:{قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ} [سورة هود الآية: ٤٠].

قال أبو محمد:

كل زوج من الديباج يلبسه ::: أبو قدامه محبو بذاك معا

أراد: كل ضرب ولون.

وسأل رجل الأعمش:

- يا أبا محمد: ما معنى قوله تعالى:{لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ} [سورة يوسف الآية: ٢٤].

قال سليمان بن مهران:

حل سراويله فتمثل أنه يعقوب - أبوه - فقال: يا يوسف فولى هاربًا.

فقال الرجل:

{قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ} [سورة يوسف الآية: ٧٧].

قال الأعمش:

أي: اقتدى بأخيه، ولو اقتدى بنا ما سرق، وإنَّما قالوا ذلك ليبرؤوا من فعله، لأنه ليس من أمهم - راحيل -، وأنه سرق فقد جذبه عرق أخيه - يوسف - السارق.

وكان الأعمش إذا قرأ قول الحق جل وعلا: {وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾} [سورة فصلت الآية: ٢٢].

قال الأعمش:

قال عبد الله بن مسعود: كنت مستترًا بأستار الكعبة، فجاءه ثلاثة نفر كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم، قُرشِيٌّ وختناه أو ثقفي وختناه - الختن: كل من كان من قبل المرأة مثل الأب والأخ وهم الأختان فختن الرجل عند العرب زوج ابنته - قرشيان، فتكلموا بكلام لم أفهمه.

فقال أحدهم:

- أترون أن الله يسمع كلامنا هذا؟

فقال الآخر:

- إنَّا إذا رفعنا أصواتنا سمعه، وإذا لم نرفع أصواتنا لم يسمعه.

فقال الآخر:

- إن سمع منه شيئًا سمعه كله.

فذكر عبد الله بن مسعود ذلك للنبي (صلي الله عليه وسلم)، فأنزل السميع البصير: {وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾} [سورة فصلت الآية: ٢٢].

وفاة الأعمش:

دخل أبو بكر بن عياش على سليمان بن مهران في مرضه الذي توفى فيه فقال له:

- أدعو لك طبيبًا؟

قال أبو محمد:

- ما أصنع به؟ فوالله لو كانت نفسي في يدي لطرحتها في الحش، إذا أنا مت فلا تؤذنين - لا تعلمن - بي أحدًا واذهب بي فاطرحني في لحدي.

وتوفى الأعمش سنة ثمان وأربعين ومائه.

وهو ابن ثمان وثمانين سنة.

* * *

الأصمعي

مواقف ومواعظ

من حياة التابعين

[٧]

الأصمعي

الأصمعي

مولده:

ولد الأصمعي سنة ثنتين وعشرين للهجرة.

وقيل:

سنة ثلاث وعشرين للهجرة.

نسبه:

عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن على بن أصمع بن مظهر بن رباح بن عمرو بن عبد شمس بن أعيا بن سعد بن عبد بن غنم بن قتيبة بن معين بن مالك بن أعصر بن سعد ابن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

المعروف بالأصمعي الباهلي.

قيل له: الباهلي وليس في نسبه اسم باهلة؛ لأن باهلة اسم امرأة مالك بن أعصر.

وقيل: إن باهلة بن أعصر.

كنيته:

يكنى: أبا سعيد.

وكان الأصمعي صاحب لغة ونحو، وإمامًا في الأخبار والنوادر والملح والغرائب، انحذر من بيت عربي قديم.

نشأ بالبصرة وأخذ علمه وأدبه عن أعلام أئمتها.

كما أخذ عن فصحاء العرب الذين وفدوا إلى البصرة.

أكثر من السياحة - الخروج لطلب العلم ونشره - إلى البادية ومشافهة الأعراب، وربما قضى في سياحته سنين يحج أثنائها، ويأخذ عمن بالموسم من فصحاء العرب، فاجتمع له من أخبار العرب ونوادرهم وملحهم وفكاهاتهم وشعرهم ما لم يجتمع لغيره.

اشتهر بالكتابة، وكان أحفظ أهل زمانه، حفظ أكثر من اثنى عشر ألف قصيدة.

عاش الأصمعي نيفًا وتسعين سنة.

والأصمعي في اللغة: يعنى الذكي الألمعي.

كان أثيرًا عند أمير المؤمنين هارون الرشيد ونال منه جوائز كثيرة.

كان تقيًا ولشدة تقواه، كان يتحرج من تفسير القرآن الكريم والسنة خوفًا من الزلل.

نِعْمَ ما دعوت له:

قال الأصمعي:

مات ابن لأعرابية فمازالت تبكي حتى خدا - أثر - الدمع في خدها، ثم استرجعت فقالت:

اللهم إنك قد علمت فرط حنو الوالدين على ولدهما فلذلك تأمرهما ببره، وقد علمت قدر عقوق الولد لوالديه، فمن أجل ذلك حضضته على طاعتهما، وألزمته برهما، وقد كان ولدى من البر بوالديه على ما يكون الوالدان بولدهما، فأجُره بذلك مني صلاة ولقّه سرورًا ونضرة.

فقال لها أعرابي:

- نِعْمَ ما دعوت له، لولا أنك شبته من الجزع بما لا يجدى عليه.

قال الأعرابية:

- إذا وقعت الضرورات لم يجر عليها حكم المكتسبات، وجزعي على ابني غير ممكن في الطاقة صرفه، ولا في القدره منعه، والله ولي عذري بفضله، فقد قال عز وجل:{فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ } [سورة البقرة الآية: ١٧٣].

وأين مكوكبها!

قال الأصمعي:

قال أعرابي:

خرجت في ليلة ظلماء فإذا أنا بجارية - فتاة كأنها علم - العلم: المنارة - فأردتها.

فقالت:

- ويلك، أما لك زاجر من عقل إذا لم يكن لك ناهٍ من دين؟

قلت:

- إيها والله ما يرانا إلا الكواكب.

- فقالت:

- وأين مكوكبها؟

فيك طبع الدواب:

قال الأصمعي:

مر بعض الملوك بسقراط الحكيم وهو نائم فركنه - رفسه - برجله - وقال له:

- قم.

فقام سقراط غير مرتاع منه ولا ملتفت إليه فساله الملك:

- أما تعرفني؟

قال سقراط:

- لا، ولكن أرى فيد طبع الدواب فهي تركض بأرجلها.

فغضب الملك وقال:

أتقول لي هذا وأنت عبدي.

فقال له سقراط:

- بل أنت عبد عبدي.

فقال الملك:

- كيف ذلك؟

قال سقراط:

- لأن شهوتك قد ملكتك وأنا ملكت شهوتي.

قال الملك:

- أنا الملك ابن الأملاك السادة، أملك من البلاد كذا وكذا ومن الأموال كذا وكذا، ومن الرجال كذا وكذا.

قال سقراط:

- أراك تفخر عليَّ بما ليس من نفسك، وإنَّما سبيلك أن تفخر عليَّ بنفسك، ولكن تعال نخلع ثيابنا ونلبس جميعًا ثوبًا واحدًا من ماء هذا النهر، ونتكلم إذا يتبيّن الفضل من المفضول.

فانصرف الملك منكس الرأس خجلاً.

وما ألجأه إلى اليمين!

كان الأصمعي في البادية يعلم القرآن، فإذا هو بأعرابي بيده سيف يقطع الطريق، فلما دنا - اقترب - من الأصمعي ليأخذ ثيابه قال له:

- يا حضري: ما أدخلك البدو؟

قال الأصمعي:

- أعلم القرآن.

فتساءل الأعرابي:

- وما القرآن؟

قال الأصمعي:

- كلام الله.

فعاد الأعرابي يتساءل:

- ولله كلام؟

قال الأصمعي:

- نعم.

قال الأعرابي:

- فأنشدني منه بيتًا.

قال الأصمعي:

-{وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾} [سورة الذاريات الآية: ٢٢].

فرمى الأعرابي بالسيف من يده وقال:

- أستغفر الله رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض؟

ثم لقى الأصمعي هذا الأعرابي بعد سنة وهو يطوف حول الكعبة فقال له:

- ألست صاحبك بالأمس؟

قال الأصمعي:

- بلى.

قال الأعرابي:

- فأنشدني بيتًا آخر.

فقال الأصمعي:

-{فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣} [سورة الذاريات الآية: ٢٣].

فوقف الأعرابي يبكي وجعل يقول:

- ومن ألجأه إلى اليمين؟

ورددها حتى سقط ميتًا.

تقشف:

قال الأصمعي:

قامت حرب بالبادية ثم طار ضرامها إلى البصرة، فتفاقم الأمر فيها، ثم مشى أهل الخير بين الناس بالصلح، فاجتمعوا في المسجد الجامع وبعثوا بالأصمعي وهو غلام إلى ضرار بن القعقاع من بني دارم، فاستأذن عليه، فأذن له، فدخل، فإذا ضرار في شملة يخلط البزر - بزر البقل وغيره -، ويطعم عنزًا له حلوبًا، فأخبره الأصمعي بمجتمع القوم في المسجد الجامع، فأمهل حتى أكلت العنز، ثم غل الصفحة وصاح:

- يا جارية غذينا.

فأتته بزيت وتمر، فدعا الأصمعي ولكن الأصمعي قذره أن يأكل معه ازدراء بحاله.

ولما انتهى ضرار بن القعقاع من طعامه وثب إلى طين ملقى في الدار فغسل به يديه، ثم صاح:

- يا جارية اسقيني.

فأتته بماء فشرب ومسح فضله على وجهه ثم قال:

- الحمد لله ماء الفرات، بتمر البصرة، بزيت الشام، متى نؤدى شكر هذه النعم؟

ثم قال:

- يا جارية، عليَّ بردائي.

فأتته برداء عدني، فارتدى به على تلك الشملة.

يقول الأصمعي:

- فتجافيت عنه استقباحًا لزيّه - ملبسه -.

فلما دخل ضرار بن القعقاع المسجد الجامع صلى ركعتين، ثم مشى إلى القوم، فلم يبق في المسجد قاعد إلا قام إعظامًا له، ثم جلس ضرار بن القعقاع وتحمل جميع ما كان بين الأحياء من ديات في ماله... وانصرف.

صبر الصالحين:

قال الأصمعي:

تزوج أحد الصالحين بامرأة سيئة الخلق عكرت عليه صفو حياته.

وجعلت نهاره ليلاً فقال له أحد أصدقائه:

- طلقها ماضر لو طلقتها.

فقال الرجل الصالح:

- أخشى أن أطلقها فيبتلى بها غيرى فتؤذيه، ومعاذ الله أن أكون سببًا في أذى عباد الله.

فقيل له:

- فماذا أنت صانع؟

قال الرجل الصالح:

- أصبر على أذاها مصدقًا لقول رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(أيما رجل صبر على سوء خلق زوجته، أعطاه الله مثلما أعطى أيوب على بلائه، وأيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثلما أعطى آسية بنت مزاحم زوج فرعون).

صاحب النَّقْبُ:

قال الأصمعي:

حاصر مسلمة حصنًا أكثر من شهرين ولم يستطع اقتحامه، فندب جنوده وقال:

- تعلمون أننا نحاصر هذا الحصن منذ أكثر من شهرين، ولقد رأيت نقبًا في أحد جدرانه، فلو دخله واحد منا وفتح لنا الباب لفتح الله علينا.

وعاد قائد الجش يتحدث عن النقب وندب جنوده إليه، ولكن أحدًا لم يتقدم.

ومرَّ أسبوع وكرر مسلمة نداءه، فجاء رجل من عرض الجيش تحت جناح الظلام الفاحم وتسلل يمشي على ضوء النجوم المتلالئة والنور الذي يملأ صدره، ودخل من النقب إلى الحصن وفتح بابه، فاندفع المسلمون كالطوفان وزلزلوا الحصن وهم يكبرون، ففتح الله عليهم.

فنادى مسلمة:

- أين صاحب النقب؟

فما جاءه أحد.

فنادى قائد الجيش:

- إنـى أمـرت الآذن - الحاجـب - بإدخالـه سـاعة يـأتي، فعزمـت عليه إلا جاء.

فجاء رجل حارس مسلمة وقال:

- استاذن لي على الأمير.

فقال الآذن:

- أنت صاحب النقب؟

قال الرجل:

- أنا أخبركم عنه.

فأتى الحارس مسلمة وقال له:

- إن رجلاً بالباب يقول: إنه جاء ليتحدث نيابة عن صاحب النقب.

فقال قائد الجيش:

- ائذن له.

فأذن الحارس له، فوقف الرجل بين يديَّ - أمام - مسلمه وقال:

- إن صـــاحب النقــب يأخــذ علــيكم ثلاثـــا - يشــترط ثلاثـــا -.. ألا تسودوا – تكتبوا – اسمه في صحيفة إلى الخليفة.

قال قائد الجيش:

- له ذلك.

فقال الرجل:

– ولا تأمروا له بشيء.

قال مسلمة:

- له ذلك.

قال الرجل:

- ولا تسألوه من هو؟

فقال قائد الجيش:

- له ذلك.

قال الرجل:

- أنا صاحب النقب.

فكان مسلمة لا يصلي بعد ذلك إلا قال:

- اللهم اجعلني مع صاحب النقب.

بعد براذين الخلفاء تركب هذا!

ذات ضحى، ركب الأصمعي حمارًا دميمًا فتعجب الناس وقالوا له:

- بعد براذين الحلفاء تركب هذا؟

فقال أبو سعيد متمثلاً:

ولما أبـــت إلا انصـــرامًا لودهـــا ::: وتكديرها الشرب الذي كان صافيًا

شربنا برنق مـــن هواهـــا مكـــدر ::: وليس يعاف الرنق من كان صاديًا

هذا وأملك ديني أحب من ذاك مع فقده.

رنق: كدر.

قاتلك الله:

يقول الأصمعي:

ذكرت يومًا للرشيد نهم سليمان بن عبد الملك وقلت:

إنه كان يجلس ويحضر بين يديه - أمامه - الخراف المشوية وهي كما أخرجت من تنانيرها - مفرد تنور: الفرن -، فيريد أخذ كُلاَهَا.

فقال لي الرشيد:

- قاتلك الله ما أعلمك بأخبارهم - أخبار بني مروان بن الحكم -؟، أعلم أنه عرضت عليَّ ذخائر بني أمية، فنظرت إلى ثياب مذهبة ثمينة - يمنية - وكمامها ودكة بالدهن، فلم أدر ما ذلك حتى حدَّثتني.

ثم قال أمير المؤمنين هارون الرشيد:

- على بثياب سليمان بن عبد الملك.

فأتى بها فنظر إلى تلك الآثار فيها ظاهرة.

يقول الأصمعي:

- فكساني الرشيد منها حلة.

وكان الأصمعي ربما خرج في هذه الحلة أحيانًا فيقول:

- هذه جبة سليمان بن عبد الملك التي كسانيها الرشيد.

لِمَ تصنع هذا!

رأى الأصمعي يومًا بعض الأعراب يفلي ثيابه، فيقتل البراغيث ويدع القمل.

فقال الأصمعي له:

- يا أعرابي ولِمَ تفعل هذا؟

قال الأعرابي:

- أقتل الفرسان ثم أعطف على الرجالة.

ما معنى قولك: لاقتني بلاد بعدك!

يقول الأصمعي:

دخلت على الرشيد هارون ومجلسه حافل فقال:

- يا أصمعي: ما أغفلك عنا وأجفاك لحضرتنا؟

قلت:

- والله يا أمير المؤمنين ما لاقتنى بلاد بعدك حتى آتيك.

فأمرني بالجلوس.

فجلست وسكت عني.

فلما تفرَّق الناس إلا أقلهم نهضت للقيام فأشار إليَّ:

أن اجلس.

فجلست حتى خلا المجلس ولم يبق غيري ومن بين يديه من الغلمان، فقال لي:

- يا أبا سعيد: ما معنى قولك: ما لاقتنى بلاد بعدك؟

قلت:

- ما أمسكتنى يا أمير المؤمنين.

وأنشدت قول الشاعر:

كفاك كف من تليق درهما ::: جودًا وأخرى تعط السيف دما

أي: ما تمسك درهمًا.

فقال الرشيد:

- أحسنت وهكذا فكن، وقرنا في الملأ، وعلمنا في الخلا، فإنه يقبح السلطان أن لا يكون عالمًا، إما أن أسكت فيعلم الناس أنى لم أفهم ما قلت.

قال الأصمعي:

- علمني أكثر مما علمته.

أم نهر:

مازح أمير المؤمنين هارون الرشيد امرأته زبيدة أم جعفر فقال لها:

- كيف أصبحت يا أم نهر؟

فاغتمت زبيدة لذلك ولم تفهم معناه، فبعثت إلى الأصمعي تسأله عن ذلك.

فقال الأصمعي:

- الجعفر النهر الصغير.

فطابت نفسها.

وقيل:

إنَّ زبيدة أحضرت الأصمعي وقالت له:

إن أمير المؤمنين استدعانى وقال: هلمي يا أم نهر، فما معنى ذلك؟

فقال لها الأصمعي:

- إن جعفرًا في اللغة هو: النهر الصغير وأنت أم جعفر.

وحضر شاعر بابها وأنشد:

أزبيـــــدة ابنـــــة جعفـــــر ::: طـــوبى لزائـــرك المثـــاب

تعطـــين مـــن رجليـــك ::: تعطـــى الأكـــف مـــن الرقـــاب

فتبادر الخدم إليه ليوقعوا به على سوء أدبه وعبارته.

فقالت ربيده:

دَعُوه فإن من أراد خيرًا فأخطأ خير ممن أراد شرًا فأصاب، سمع الناس يقولون: شمالك أندى من يمين غيرك، فقدر أن هذا مثل ذلك، أعطوه ما أمل وعرفوه ما جهل.

لا عين ولا أثر:

ذات ضحى مرَّ الأصمعي بأعرابي وهو واقف على مقبرة فقال له:

- يا أخا العرب، ما هذا الموضع الذي أنت فيه؟

فقال الأعرابي:

هـــذه منـــازل أقـــوام عهـــدهم ::: في رغد عيش نفيس ما له خطـــر

صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا ::: إلى القبـــور فـــلا عـــين ولا أثـــر

وكان الأصمعي إذا خرج إلى القبور لا ترقأ - تنقطع وكف - دمعته ولا يأكل ولا يشرب ثلاثة أيام ويقول:

ترى يا أحبائي ما لقيتم في بيوت الحسرات، آنس الله غبرتكم، ورحم الله وحشتكم، وبرد الله مضاجعكم، وهوّن ما قدر عليكم مولاكم إنه سيع قريب، نعم المولى ونعم النصير.

ثم يأخذ في البكاء والنحيب.

معنى قول الراعي:

كان أبو سعيد والكسائي يومًا عند أمير المؤمنين هارون الرشيد، فسأل الأصمعي الكسائي:

- ما معنى قول الراعي؟

قتلوا ابن عفـــان الخليفـــة محرمـــا ::: ودعـــا فلـــم أر مثلـــه مخـــذولاً

فقال الكسائى:

- كان محرمًا بالحج.

قال أبو سعيد:

- ما أراد عدى بن زيد بقوله:

قتلـــوا كســـرى بليـــل محرمـــا ::: فتـــولى لم يُمَتَّـــعْ بكفـــن

هل كان محرما بالحج؟ وأى إحرام لكسرى؟

فقال أمير المؤمنين هارون الرشيد للكسائى:

- إذا جاء الشعر فإياك والأصمعي.

قال الأصمعي:

قوله: محرمًا: في حرمة الإسلام ومن ثم قتل مسلمًا محرمًـا أي: لم يحـل في نفسه شيئًا يوجب القتل، وقوله: محرمًا في كسرى يعني: حرمه العهد الـذي كان في عنق أصحابه.

الفـرس:

يقول الأصمعي:

حضرت أنا وأبو عبيدة بن المثنى عند الفضل بن الربيع - وزير هارون الرشيد - فقال لي:

- كم كتابك في الخيل؟

فقلت:

- جلد واحد.

فسأل أبا عبيدة عن كتابه فقال:

- خمسون جلدة.

فأمر الفضل بن الربيع، بإحضـار الكتـابين، وأحضـر فرسًا وقـال لأبي عبيدة:

اقرأ كتابك حرفًا حرفًا وضع يدك في موضع من الفرس وسمه.

فقال أبو عبيدة:

- لست بيطارًا، وإنَّما شيء أخذته عن العرب وسمعته وألفته.

فقال لي وزير هارون الرشيد:

- قم يا أصمعي وافعل ذلك.

فقمت وأمسكت ناصيته، وشرعت أذكر عضوًا عضوًا وأضـع يدي عليه وأنشد ما قالت العرب فيه، إلى أن فرغت منه.

فقال وزير هارون الرشيد:

- خذه.

فأخذت، وكنت إذا أردت أن أغيظ أبا عبيدة ركبته إليه.

وقيل:

إن ذلك كان عند أمير المؤمنين هارون الرشيد، وأن الأصمعي لما فرغ من كلامه في أعضاء الفرس قال الرشيد لأبي عبيدة:

- ما تقول فيما قال؟:

قال أبو عبيدة:

- أصاب في بعض وأخطأ في بعض، فالذي أصاب فيه مني تعلمه، والذى أخطأ فيه ما أدرى من أين أتى به؟!

اكتب ما أقول لك:

كان الأصمعي بطريق مكة وبين أيديهم - أمامهم - سفرة لها يتغدون في يوم قائظ، فوقف عليهم أعرابي ومعه جارية له زنجية فقال:

- يا قوم: أفيكم أحد يقرأ كلام الله عز وجل حتى يكتب لنا كتابًا؟

فقال الأصمعي:

- اصب من غدائنا حتى نكتب لك ما تريد.

قال الأعرابي:

- إنى صائم.

فعجبوا من صومه، فلما فرغوا من غدائهم دعوه وقالوا:

- ما تريد؟

قال الأعرابي:

- أيها الرجل: إن الدنيا قد كانت ولم أكن فيها، وستكون ولا أكون فيها، وإني أردت أن أعتق جاريتي هذه لوجه الله عز وجل، ثم ليوم العقبة، تدرى ما يوم العقبه؟ قول الله تعالى:{فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾} [سورة البلد الآيات: ١١ - ١٣]، اكتب ما أقول لك ولا تزيدن علَّ حرفًا.

هذه فلانة خادم فلان قد أعتقها لوجه الله عز وجل ليوم العقبة.

رآنا في عمى فكره أن يزيدنا منه:

قال الأصمعي:

صنع أمير المؤمنين هارون الرشيد يومًا طعامًا فاخرًا، وزخرف مجالسه، ثم أحضر أبا العتاهية الشاعر فقال له:

- صف ما نحن فيه من نعيم الدنيا:

فانثد أبو العتاهيه:

عش ما بدا لك سالًما ::: في ظل شاهقة القصور

فقال الرشيد:

- أحسنت ثم ماذا؟

وإذا النفوس تغرغرت ::: بزفير حشرجة الصدور

فهناك تعلم موقنًا ::: ما كنت إلا في غرور

فبكى أمير المؤمنين هارون الرشيد بكاءً شديدًا.

فقال أحد الحاضرين لأبي العتاهية:

بعث إليك أمير المؤمنين لتسره فأحزنته.

فقال الرشيد:

- دعه فإنه رآنا في عمى فكره أن يزيدنا منه.

رضيت بما رضى الله:

دخل الأصمعي يومًا البادية فوجد امرأة من أحسن النساء وجهًا متزوجة برجل من أقبح الرجال وجهًا فقال لها:

- أترضين لنفسك أن تكوني زوجًا لهذا الرجل؟

قالت:

- ما هذا؟ اسكت يا هذا فقد أخطات في قولك، لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه، ولعلى أسات فيما بيني وبين خالقي، فجعله عقوبتي، أفلا أرضى بمن رضي الله تعالى؟

الصبر ثلاثة:

قال الأصمعي:

إن الصبر على ثلاثة أقسام:

صبر له ثلاثمائة درجة.

وصبر له ستمائة درجة.

وصبر له تسعمائه درجة.

فأمَّا الصبر الذي له ثلاثمائة درجة: فصبرك على طاعة الله تعالى.

وأما الصبر الذي له ستمائة درجة: فهو صبرك عن معصية الله تعالى.

وأما الصبر الذي له تسعمائة درجة: فهو الصبر عند الصدمة الأولى - عنه سماع نبأ موت ابن أو ابنة أو عزيز على الإنسان -.

الصبر والجزع:

قال الأصمعي:

سمعت أعرابيًا يقول: إنى لبمضلة - بفتح الميم وكسر الضاد أو فتحها: الأرض التي يضل فيها الطريق - من الأرض؛ إذ بصرت

بأعرابي قد افترس الأسد ابنه ونفر به بعيره - البعير: الجمل -، فدق فخذه وذاك بعد أن نازل الأسد فجدله - رماه أرضًا - فسمعته يقول:

- لله درك من مصيبة جللت فلطفت وكبرت فصغرت، لئن كنت أحللت قلبي ترحًا لقد أورثتني فرحًا، وكيف لا تكونين كذلك وقد زوى بك - صرف وطوى ونحى - عني عظيم وقد أورثتني صبرًا جسيمًا؟

فقلت:

يا أعرابي: ما رأيت أربط منك جأشًا ولا أصعب منك مراسًا.

فقال:

- يا هذا: إن الصبر والجزع ضدان، أحدهما بصيرة بنجدة والآخرة تهور بغرة وليس بحزم تتبع ما فات تطلبه وعزت أويته.

ثم أنشا يقول:

وكذا أشتهي لحادث ريب الد ::: هر إذ كان أن يكون عظيمًا

أجبت وأجدت فاحتكم:

قال أمير المؤمنين هارون الرشيد يومًا للأصمعي:

- هل تعرف كلمات جامعات لمكارم الأخلاق يقل لفظها ويسهل حفظها؟

قال الأصمعي:

نعم يا أمير المؤمنين...

دخل أكثم بن صيفي حكيم العرب على بعض ملوكها فقال له:

- أريد أن أسالك عن أشياء لا تزال بصدرى مختلجة - مضطربة - والشكوك عليها والجه - داخلة -.

فقال أكثم بن صيفي:

- سألت خبيرًا واستنبأت - أي: طلبت منه النبأ وهو الخبر - بصيرًا، والجواب يشفعه - يكون مقارنًا له - الصواب، فاسأل عما بدا لك.

فقال:

- ما السؤدد - السيادة؟

قال أكثم بن صيفى:

- اصطناع المعروف وإغاثة الملهوف.

فقال الملك:

- فما الشرف؟

قال أكثم بن صيفي:

- كف الأذى وبذل الندى - الفضل من المال وأصله: المطر -.

فقال الملك:

- فما المجد؟

قال أكثم بن صيفي:

- حمل المغارم وابتناء المكارم.

فقال الملك:

- فما الكرم؟

قال أكثم بن صيفي:

- صدق الإخاء في الشدة والرخاء.

قال الملك:

- فما العز؟

قال أكثم بن صيفي:

- شدة القصد وثروة العد - أي: كثرة المال -.

قال الملك:

– فما السماحة؟

قال أكثم بن صيفي:

- بذل النائل وإجابة السائل.

قال الملك:

– فما الغنى؟

قال أكم بن صيفي:

- الرضا بما يكفي وقلة التمني.

قال الملك:

– فما الرأي؟

قال أكثم بن صيفي:

- كل فكرأنتجته تجربة.

فقال أمير المؤمنين هارون الرشيد للأصمعي:

قد أجبت فأجدت فاحتكم.

قال الأصمعي:

- لكل كلمه هجمة - الهجمة: من الإبل أولها الأربعون إلى ما زاد -.

قال الرشيد:

- هي لك.

يقول الأصمعي:

فقال لي الرشيد:

- ولك بكل كلمه بدرة.

– البدرة: هي عشرة آلاف درهم - فانصرفت بثمانين ألفًا.

من روى عنهم الأصمعي.

سمع الأصمعي: شعبة بن الحجاج، والحمادين، ومسعر بن كدام، وغيرهم.

من روى عن الأصمعي:

روى عن الأصمعي: عبد الرحمن ابن أبيه أخيه عبد الله، وأبو القاسم بن سلام، وأبو حاتم السجستاني، وأبو الفضل الرياشي، وغيرهم.

قالوا على الأصمعي:

* قال عمر بن شبة:

سمعت الأصمعي يقول:

أحفظ ستة عشر ألف أرجوزة.

* وقال إسحاق الموصلي:

لم أر الأصمعي يدَّعى شيئًا من العلم فيكون أحد أعلم به منه.

قال أمير المؤمنين هارون الرشيد - لما حضر أبو عبيدة والأصمعي -:

أما أبو عبيدة فإنهم إن أمكنوه قرأ عليهم أخبار الأولين والآخرين.

وأما الأصمعي فبلبل يطربهم بنغماته.

الأصمعي والقرآن العظيم:

سُئِلَ الأصمعي عن قوله تعالى:{ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾} [سورة الصافات الآية: ٩٤].

فقال:

أزفت الإبل أي: حملتها على أن تزف.

وكان الأصمعي إذا قرأ قول الحق جل وعلا:{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾} [سورة ص الآية: ١٢].

قال:

يُقال: وتد واتد، كما يُقال: شغل شاغل.

وأنشد:

لاقت على الماء جذيلاً واتدًا ::: ولم يكن يخلفها المواعدا

وسأل رجل الأصمعي عن قوله تعالى:{أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ} [سورة الجاثية الآية: ٢٣].

قال:

سمعت رجلاً يقول:

إن الهوان هو الهوى قلب اسمه ::: فإذا هويت فقد لقيت هوانا

وسُئِلَ الأصمعي عن المقشقشتين، فقال:

المقشقشتان هما: سورة الإخلاص{قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾} [سورة الإخلاص الآية: ١] - مادح الرحمن،{قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾} [سورة الكافرون الآية: ١].

وقال رجلٌ للأصمعي:

- كيف أعطي عيني حظها من العبادة؟

فقال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(أعطوا العين حظها من العبادة).

قال:

- وما حظها من العبادة؟

قال عليه الصلاة والسلام:

- (النظر في المصحف).

وشكا طبيب القلوب والعقول والنفوس (صلي الله عليه وسلم) وجعًا في عينه إلى جبريل - عليه السلام - فقال له:

(انظر في المصحف).

وكان الأصمعي إذا قرأ:{فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ} [سورة محمد الآيتان: ٢٠ - ٢١].

قال:

- قاربه ما يهلكه، أي: نزل به.

وأنشد:

فعادى بين هاديتين منها ::: وأولى أن يزيد على الثلاث

وكان الأصمعي إذا قرأ:{وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾} [سورة الأعراف الآيتان: ٦١ - ٦٢].

قال:

الناصح: الخالص من العسل وغيره مثل الناصع، وكل شيء خلص فقد نصح.

وانتصح فلان: أقبل على النصيحة.

يُقال:

انتصحنى إنني لك ناصح.

وسأل رجل الأصمعي عن قوله تعالى: {أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾} [سورة الغاشية الآية: ١٧].

فقال:

عنى به البعير؛ لأنه من ذوات الأربع، يبرك فتحمل عليه الحمولة، وغيره من ذوات الأربع لا يحمل عليه إلا وهو قائم.

تصانيف الأصمعي:

للأصمعي من التصانيف: كتاب خلق الإنسان، وكتاب الأجناس، وكتاب الأنواء، وكتاب الصفات، وكتاب الأبواب، وكتاب الفرق، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب المسير والقداح، وكتاب خلق الفرس، وكتاب الخيل، وكتاب الإبل، وكتاب الشاء، وكتاب الأخبية والبيوت، وكتاب الوحوش، وكتاب فعل وأفعل، وكتاب الأمثال، وكتاب الأضداد، وكتاب الألفاظ، وكتاب السلاح، وكتاب اللغات، وكتاب مياه العرب، وكتاب النوادر، وكتاب أصول الكلام، وكتاب القلب والإبدال، وكتاب المصادر، وكتاب جزيرة العرب، وكتاب الأراجيز، وكتاب النخلة، وكتاب النبات، وكتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه، وكتاب غريب الحديث، وكتاب نوادر الإعراب.

وفاة الأصمعي:

توفى الأصمعي سنة ست عشرة ومائتين من الهجرة.

وقد عمر نيفًا وتسعين سنة.

وقيل:

عاش ثمانية وثمانين عامًا.

* * *

أحمد بن أبي الحواري

مواقف ومواعظ

من حياة التابعين

[٨]

أحمد بن أبي الحواري

أحمد بن أبي الحواري

هو: عبد الله بن ميمون.

يكنى: أبا الحسن، واسم أبي الحواري: ميمون.

زوج رابعة بنت إسماعيل - تشارك رابعة العدوية هذه في اسمها واسم أبيها، ورابعة زوج أحمد بن الحواري شامية، وأما رابعة العدوية فبصرية -.

تلميذ أبي سليمان الداراني - عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي -.

سكن دمشق.

وكان له ابن يُقال له: عبد الله، من الزهاد، وأخ يُقال له: محمد، يشبهه في الورع والزهد، وأبوه أبو الحواري من أهل الورع أيضًا، فبيتهم بيت الورع والزهد.

استأنست بغيري:

قال أحمد بن أبي الحواري:

تعبَّد رجل من بنى إسرائيل في غيضة من جزيرة البحر أربعمائة سنة حتى طال شعره فإذا مر بالغيضة تعلق بعض أغصانها بشعره، وذات يوم بينما هو يدور؛ إذ هو بشجرة منها، فيها وكر طير، فحول موضع مصلاة إلى قريب من وكر الطير.

فقيل له:

- استأنست بغيرى؟ وعزتي لأحطنك مما كنت فيه درجتين.

الخليل وخليله:

قال أبو الحسن:

لما أراد الله - عز وجل - قبض إبراهيم - عليه السلام -، هبط إليه ملك الموت، فقال له إبراهيم - عليه السلام -:

- رأيت خليلاً يقبض روح خليله؟

فعرج ملك الملك إلى ربه، ثم عاد إليه، فقال له:

- يا إبراهيم: هل رأيت خليلاً يكره لقاء خليله؟

فقال إبراهيم - عليه السلام - لملك الموت:

- اقبض روحي الساعة.

زعيم أهل النار:

قال أحمد بن أبي الحواري:

لما كلَّم الله عز وجل موسى - عليه السلام - قال:

- يا رب: إن اللعين - إبليس - يوسوس إلـيَّ أن الـذي يكلمني غيرك.

فأوحى الله إليه:

- يا موسى: ارفع رأسك.

فرفع رأسه فإذا بالسماء قد كشطت، وإذا بالعرش بارز، وإذا الملائكة قيام في الهواء.

فلما سمع موسى - عليه السلام - كلام الله عز وجل مقت كلام الآدميين.

هل وجدت داراً خير من داري!

قال عبد الله بن ميمون:

شبع يحيى بن زكريا من خبز شعير شبعة، فنام - تلك الليلة ولم يقم الليل - عن حزبه فأوحى الله عز وجل إليه:

- يا يحيى: هل وجدت دارًا خيرًا من داري؟ أو جوارًا خيرًا من جواري؟

يا يحيى: لو اطلعت في الفردوس لذاب جسمك ورهقت نفسك اشتياقًا، ولو اطلعت إلى جهنم للبست الحديد بعد المسوح، ولبكيت الصديد بعد الدموع.

طريق النجاة:

ذات يوم بينما كان أبو الحسن في بلاد الشام في قبة من قباب المقابر ليس عليها باب إلا كساء قد أسبله، فإذا هو بامرأة تدق على الحائط فقال:

- من هذا؟

قالت:

- امرأة ضالة دلني على الطريق - رحمك الله -.

قال أحمد بن أبي الحواري:

- رحمك الله على أي الطريق تسألين؟

فبكت ثم قالت:

- يا أحمد: على طريق النجاة.

قال أبو الحسن:

- هيهات إن بيننا وبين طريق النجاه عقابًا وتلك العقاب لا تقطع إلا بالسير الحثيث وتصحيح المعاملة، وحذف العلائق الشاغلة عن أمر الدنيا والآخرة.

فبكت المرأة بكاءً شديدًا ثم قالت:

- يا أحمد: سبحان من أمسك عليك جوارحك فلم تنقطع، وحفظ عليك فؤادك فلم يتصدع.

ثم خرت مغشيًا عليها، فقال عبد الله بن ميمون لبعض النساء:

- انظري أي شيء حال هذه الجاربة؟

فقمن إليها ففتشنها فإذا وصيتها في جيبها:

كفنوني في أثوابي هذه، فإن كان لي عند الله خير فهو أسعد لي، وإن كان غير ذلك فبعدًا لنفسي.

قال أحمد بن أبي الحواري:

- ما هى؟

فحركوها فإذا هي ميتة.

فقال أبو الحسن للخدم:

- لمن هذه الجارية؟

قالت النسوة:

- جارية قرشية مصابة وكان الذي معها يمنعها من الطعام، وكانت تشكو إلينا وجعًا بجوفها فكنا نصفها لمتطببي الشام.

فكانت تقول:

خلوا بيني وبين الطبيب الراهب – تعنى أحمد – أشكو إليه بعض ما أجد من بلائي لعل أن يكون عنده شفائي.

الأنس بـالله:

قال أحمد بن أبي الحواري:

انقطع إلى الله وكن عابدًا زاهدًا صادقًا متوكلاً مستقيمًا عارفًا ذاكرًا مؤنسًا مستحيًا خائفًا راجيًا راضيًا.

وعلامة الرضا: أن لا يختار شيئًا إلا ما يختاره له مولاه، فإذا كان ذلك كذلك كان له من الله عونًا حتى يرده إلى طاعته ظاهرًا أو باطنًا، ولا يكون العبد تائبًا حتى يندم بالقلب ويستغفر باللسان ويرد المظالم فيما بينه وبين الناس، ويجتهد في العبادة ثم يتشعب له من التوبة والاجتهاد الزهد، ثم يتشعب له من الزهد الصدق، ثم يتشعب له من الصدق التوكل، ثم يتشعب له من التوكل الاستقامة، ثم يتشعب له من الاستقامة المعرفة، ثم يتشعب له من المعرفة الذكر، ثم يتشعب له من الذكر الحلاوة والتلذذ، ثم بعد التلذذ الأنس، ثم بعد الأنس بالله الحياء، ثم بعد الحياء الخوف.

وعلامة الخوف: الاستعداد والتحويل من هذه الأحوال، لا يفارق خوف تحويل هذه الأحوال من قلبه دون لقائه.

في سفر التوراة الرابع:

قال أبو الحسن:

قرأت في سفر التوراة الرابع: أن الله تعالى يقول:

أنا الله لا إله إلا أنا، عيني على كل شيء، أرى النمل في الصفا، وأرى وقع الطير في الهوى.

وأعلم ما في القلب والكلى.

وأعطي العبد على ما نوى.

أي شيء يقال لمثلى ومثلك؟

وقرأ أبو الحسن في بعض الكتب: أن الله عز وجل أوحى إلى موسى وعيسى - عليهما السلام -: يا موسى ويا عيسى: من أجل دنيا دنيئة وشهوة رديئة تفرطان في طلب الآخرة؟

يا موسى ويا عيسى: حتى متى أطيل النسيئة وأحسن الطلب؟

النسيئة: أنسأ أجله: أي: أخره، ينسأ: يوخر.

ولما حدث أحمد بن أبي الحواري أستاذه أبا سليمان الداراني قال:

إذا كان موسى وعيسى - عليهما السلام - معاتبين فأي شيء يقال لمثلي ومثلك؟ وأى شيء أصابا من الدنيا؟ جبه صوف وكسرة خبز.

أرواح المؤمنين:

قال أحمد بن أبي الحواري:

لقى هرم بن حيان أوش بن عامر القرني فقال:

- السلام عليك يا أويس بن عامر!

قال أويس القرني:

- وعليك يا هرم بن حيان، أما أنا فعرفتك بالصفة فكيف عرفتني؟

قال هرم بن حيان:

- عرفت روحي روحك لأن أرواح المؤمنين تشام كما تشام الخيل، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.

قال أويس بن عامر:

- إنى أحبك في الله.

قال هرم بن حيان:

- ما ظننت أن أحدًا يحب في غير الله.

قال أويس القرني:

- أريد أن أستأنس بك.

قال هرم بن حيان:

- ما ظننت أن أحدًا يستوحش مع الله.

قال أويس بن عامر:

- أوصني.

قال هرم بن حيان:

عليك بالأسياف - سواحل البحر -.

قال أويس بن عامر القرني:

- فمن أين المعاش؟

قال هرم بن حيان:

- أف أف، خالط الشك الموعظة، تفر إلى الله بدينك وتتهمه في رزقك؟

ما سمعت في الإسلام حكاية أعجب من هذه إليَّ:

التقى أحمد بن حنبل وأحمد بن أبى الحواري، فقال أحمد بن حنبل:

- يا أبا الحسن: حدِّثنا بحكاية سمعتها من أستاذك أبي سليمان الداراني.

فقال أحمد بن أبى الحواري:

- سبحان الله بلا عجب.

قال أحمد بن حنبل:

- سبحان الله - وطولها - بلا عجب.

فقال أبو الحسن:

سمعت أبا سليمان يقول: إذا اعتقدت النفوس في ترك الآثام جالت في الملكوت وعادت إلى ذلك العبد بطرائق الحكمة من غير أن يؤدى إليها عالم علمًا.

فقام أحمد بن حنبل ثلاثًا، وجلس ثلاثًا وقال:

- ما سمعت في الإسلام حكاية أعجب من هذه إليَّ.

مِمَ تَبْكِي!

قال أحمد بن أبي الحواري:

دخلت على أبي سليمان الداراني وهو يبكي فقلت:

- مايبكيك؟

قال أبو سليمان:

كنت البارحة أصلي فحملتني عيناي فنمت فإذا أنا بحوراء قد خرجت عليَّ من محرابي بيدها رقعه فقالت:

يا أبا سليمان: تحسن تقرأ؟

فقلت: نعم.

فقالت: اقرأ هذه الرقعة.

ففككتها فإذا فيها:

ألهتك لذة نومة عن خير عيش ::: مع الغنجات في غرف الجنان
تعيش مخلدًا لا موت فيها ::: وتنعم في الجنان مع الحسان
تيقظ من منامك إن خيرًا ::: من النوم التهجد بالقرآن

وقيل:

دخل أبو الحسن على عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي وهو يبكي فقال له:

- مم تبكي.

قال أبو سليمان:

ويحك يا أحمد! كيف لا أبكي وقد بلغني أنه إذا جن الليل وهدأت العيون وخلا كل خليل بخليله واستنارت قلوب العارفين وتلذذت بذكر ربهم وارتفعت هِمَمِهم إلى ذي العرش وافترش أهل المحبة أقدامهم بين يدي مليكهم في مناجاته ورددوا كلامه بأصوات محزونة جرت دموعهم على خدودهم وتقطرت في محاربهم حزنًا واشتياقًا، فأشرف عليهم الجليل جل جلاله فنظر إليهم فأمدهم محبة وسرورًا.

فقال لهم:

- أحبائي والعارفين بي: اشتغلوا بي وألقوا عن قلوبكم ذكر غيري، أبشروا فإن لكم عندي الكرامة والقربة يوم تلقوني.

فينادى الله جبريل:

- يا جبريل: بعيني من تلذذ بكلامي واستراح إليَّ وأناخ بفنائي، وإني لمطلع عليهم في خلواتهم أسمع أنينهم وبكاءهم، وأرى تقلبهم واجتهادهم، فناد فيهم يا جبريل: ما هذا البكاء الذي أسمع، وما هذا التضرع الذي أرى منكم؟ هل سمعتم أو أخبركم عني أحد أن حبيبًا يعذب أحباءه؟ أو ما علمتم أنى كريم فكيف لا أرضى؟ أيشبه كرمي أن أرد قومًا قصدوني؟ أم كيف أذل قومًا تعززوا بي؟ أم كيف يشبه رحمتي أو كيف يمكن أن أبيت قومًا تلقوا إليَّ وقوفًا على أقدامهم وعند البيات أخزهم؟ أو كيف يجمل بي أن أعذب قومًا إذا جنَّهم الليل تملقوني، وكيفما كانوا انقطعوا إليَّ واستراحوا إلى ذكري وخافوا

عذابي وطلبوا القربة عندي فبي حلفت لأرفعن الوحشة عن قلوبهم ولأكونن أنيسهم إلى أن يلقوني، فإذا قدموا عليَّ يوم القيامة، فإن أول هديتي إليهم: أن أكشف لهم عن وجهي حتى ينظرون إليَّ وأنظر إليهم، ثم لهم عندي ما لا يعلمه غيري.

يا أحمد: إن فاتنى ما ذكرت لك فيحق لي أن أبكي دمًا بعد الدموع!

يقول أحمد بن أبي الحواري:

- فأخذت معه بالبكاء.

أحمد بن أبي الحواري وزوجته رابعة:

قال أبو الحسن:

كانت لرابعه أحوال شتى، فمرة يغلب عليها الحب، ومرة يغلب عليها الأنس، ومرة يغلب عليها الخوف، فسمعتها تقول في حال الحب:

حبيب ليس يعدله حبيب ::: ولا لسواه في قلبي نصيب
حبيب غاب عن بصرى وشخصى ::: ولكن عن فؤادي ما يغيب

وسمعتها في حال الأنس تقول:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي ::: وأبحت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للجليس مؤنس ::: وحبيب قلبي في الفؤاد أنيس

وسمعتها في حال الخوف تقول:

وزادي قليل ما أراه مبلغي ::: أَلِزَاد أبكي أم لطول مسافتي؟
أتحرقني بالنار يا غايه المنى ::: فأين رجائي فيك؟ أين محبَّتِي؟

ويقول أبو الحسن:

سمعت رابعة تقول: إنى لأضن - أبخل - باللقمة الطيبة أن أطعمها نفسي وإني لأرى ذراعي قد سمن فأحزن.

وسال أحمد بن أبي الحواري امرأته رابعة بنت إسماعيل يومًا:

- أصائمة أنت اليوم؟

فتقول:

- ما مثلى يفطر.

وقال أبو الحسن:

سمعت رابعة تقول:

ما سمعت الأذان إلا ذكرث منادي القيامة، ولا رأيت الثلج إلا رأيت تطاير الصحف، ولا رأيت جرادًا إلا ذكرت الحشر.

قالوا عن أحمد بن أبي الحواري:

* قال الجنيد بن محمد بن الجنيد:

أحمد بن أبي الحواري **ريحانة الشام.**

* وقال يحيى بن معين لما ذكر أحمد بن أبى الحواري:

أظن أهل الشام يسقيهم الله الغيث به.

* وقال محمود بن خالد:

ما أظنه بقى على وجه الأرض مثله.

أحمد بن أبي الحوارى وأحادث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

أسند أحمد بن أبي الحواري عن حفص بن غياث وأبي معاوية ووكيع ونظرائهم:

* قال أبو على الحسن بن على بن الخطاب الوراق عن محمد بن سليمان عن أحمد ابن أبي الحواري عن حفص بن غياث عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي بن أبي طالب قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :**(شغلونا عن الصلاة الوسطى – صلاة العصر – ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا)** يوم الأحزاب أو

يوم الخندق، (رواه الإمام أحمد، ومسلم، والنسائي، وابن خزيمة).

* قال عليّ بن هارون عن أبي بكر بن أبي داود عن أحمد بن أبي الحواري عن حفص بن غياث عن الحجاج عن مكحول عن أبي إدريس عن أبى ثعلبة الحشني قال:

قلنا: يا رسول الله! نجد آنية المشركين.

قال عليه الصلاة والسلام:

(اغسلوها واطبخوا فيها) (رواه أبو نعيم في الحلية).

* وقال محمد بن على عن عبد الله بن أحمد بن عتاب وأحمد بن الحسين بن طلاب الدمشقيان، قالا: ثنا أحمد بن أبى الحواري عن معاوية عن هشام بن عروة بن الزبير عن عبد الله بن عمرو:

قال:

* قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :**(إنَّ الله تعالى لا يقبض العلم انتزاعًا من الناس، ولكن يقبض العلماء، فإذا ذهب العلماء حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)** (أخرجه مسلم كتاب العلم، والأمام أحمد، وابن ماجه، عن ابن عمرو).

* قال أحمد بن القاسم المقرى عن جعفر بن محمد الدمشقي عن أحمد بن أبي الحواري عن عبد الله بن إدريس عن عبد الله بن سعيد المقبرى عن جده عن أبى هريرة، قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :**(إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحُسْن الخلق)** (رواه الحاكم في المستدرك، والبيهقي في شعب الإيمان، عن أبي هريرة).

* وقال عبد الله بن محمد بن جعفر عن إسحاق بن أبى حسان عن أحمد بن أبي الحواري عن أبي خزيمة بكار بن شعيب عن أبي

حازم عن أبيه عن سهل بن سعد قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**لا تصحب أحدًا لا يرى لك من الفضل كمثل ما ترى له**) (رواه أبو نعيم في الحلية، عن سهل بن سعد).

* قال أحمد بن أبي الحواري، عن وكيع بن الجراح عن خالد بن مرة عن معاوية بن قرة، عن أبى هريرة، قال:

قال النبي (صلي الله عليه وسلم) :(**من لم يوتر فليس منا**) (رواه الإمام أحمد، وأبو نعيم في الحلية، عن أبي هريرة).

* وقال محمد بن عمر بن إسحاق عن عبد الله بن أبي داود عن محمد بن إبراهيم عن أحمد بن الحسين بن طلاب عن أحمد بن أبى الحواري عن مروان بن محمد عن سليمان بن بلال عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**بيت لا تمر فيه جياع أهله**) (رواه الإمام أحمد، وأخرجه: مسلم كتاب الاشربة، باب إدخال التمر أبو داود في سننه، والترمذي، عن عائشة).

أحمد بن أبى الحواري والقرآن العظيم:

قال أبو الحسن:

إنى لأقرأ القرآن فأنظر في آية فيحار عقلي فيها فأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الرحمن؟ أما لو فهموا ما يتلون وعرفوا حقه وتلذذوا به واستحلوا المناجاة به؟ لذهب عنهم النوم فرحًا بما رزقوا.

وكان أحمد بن أبي الحواري إذا قرأ:{أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ} [سورة الجاثية الآية: ٢٣].

مررت براهب فوجدته نحيقًا فقلت له:

- أنت عليل؟

قال:

- نعم.

قلت:

- مذ كم؟

قال:

- مذ عرفت نفسي.

قلت:

- فتداوي.

قال:

- أعياني الدواء، وقد عزمت على الكي.

قلت:

- وما الكي؟

قال:

- مخالفة الهوى.

وقرأ أبو الحسن قوله تعالى:{ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾} [سورة الشورى الآية: ٣٠].

فسأل أبا سليمان الداراني:

- ما بال العقلاء أزالوا اللوم عمن أساء إليهم؟

قال أبو سليمان الداراني:

- لأنهم علموا أن الله تعالى إنَّما ابتلاهم بذنوبهم.

من أقوال أحمد بن أبي الحواري:

كان أبو الحسن يقول:

* من كانت نيته في العافية ملأ الله حضنه العافية.

* من نظر إلى الدنيا نظرة إرادة وحب لها أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه.

* لا دليل على الله سواه، وإنما يطلب العلم لآداب الخدمة.

* من عرف الدنيا زهد فيها، ومن عرف الآخرة رغب فيها ومن عرف الله آثر رضاه، ومن لم يعرف نفسه فهو من دينه في غرور.

* إذا حدثتك نفسك بترك الدنيا عند إدبارها فهو خدعة وإذا حدثتك نفسك بتركها عند إقبالها فذاك.

* سبحان من لا يمنعه عظيم سلطانه أن ينظر في صغير سلطانه.

* من كانت همته في أداء الفرائض لم يكمل له في الدنيا لذَّة.

* قال الله تعالى:(لو أن ابن آدم لم يرج غيري ما وكلته إلى غيري، ولو أن ابن آدم لم يخف غيري ما أخفته من غيري).

* خف الله يلهمك واعمل له لا يلجئك إلى دليل.

* قيل لموسى - عليه السلام -: يا موسى: إنما مثل كتاب أحمد (صلي الله عليه وسلم) في الكتب بمنزلة وعاء فيه لبن كلما مخضته أخرجت زبدته.

* إذا دخلت القبر ومعك الإسلام فأبشر.

قنعت بعلم الله ذخري وواحدي ::: بمكتوم أسرار تضمنها قلبي

فلو جار ستر الستر بيني وبينه ::: إلى القلب والأحشاء لم يعلمها سري

* إن الله إذا أحب قومًا أفادهم في اليقظة والمنام.

* الدنيا مزبلة ومجمع الكلاب، وأقل من الكلاب من عكف عليها، فإن الكلب يأخذ منها - المزبلة - حاجته وينصرف، والمحب لها - الدنيا - لا يزايلها - لا يتركها - بحال.

* من أحب أن يُعرف بشيء من الخير أو يذكر به، فقد أشرك في عبادته؛ لأن من عبد على المحبة لا يحب أن يرى خدمته سوى مخدوميه.

* كلما ارتفعت منزلة القلب كانت العقوبة إليه أسرع.

وفاة أحمد بن أبي الحواري:

توفى أبو الحسن سنة ثلاثين ومائتين للهجرة.

* * *

إياس بن معاوية القاضي

مواقف ومواعظ
من حياة التابعين

[٩]

إياس بن معاوية القاضي

إياس بن معاوية القاضي

هو: إياس بن معاوية بن قرة بن إياس بن هلال بن رئاب بن عبيد بن سارية ابن ذبيان بن ثعلبة بن سليم بن أوس بن مزينة.

يكنى: أبا وائلة.

وكان إياس بن معاوية قاضيًا فقيهًا قائفًا - القفو: أي يتبع الأثر:{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ} [سورة الإسراء الآية: ٣٦]، أي: لا تتبع ما لا تعلم، ولا تقل سمعت ولم تسمع - يزكن - زكن الخبر زكنًا، أي: علمه، والزكن: التفرس والظن، والأزكان: الفطنة والحدس الصادق - فلا يخطئ.

يُعرت بـ " إياس الذكي "، فقد كان غزير العقل والدين.

كان يُضرب المثل بذكائه.

وهو تابعي، ولجده - قرة - صحبة - أي: صحب وجلس وشاهد النبي الخاتم (صلي الله عليه وسلم).

وكان إياس بن معاوية قاضي البصرة.

أخرجه الساعة من دمشق لا يفسد عليّ الناس:

تألَّق ذكاء إياس بن معاوية منذ كان صبيًا، فقد تحكم إياس وهو صبي شاب إلى قاضي أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان بدمشق.

فقال له القاضي:

- إنه شيخ وأنت شاب فلا تساوه في الكلام.

فقال إياس بن معاوية:

- إن كان كبيرًا فالحقُّ أكبر منه.

فقال له القاضي:

- اسكت.

فقال إياس بن معاوية:

– ومن يتكلم بحقي إذا سكت؟

فقال القاضي:

- ما أحسبك تنطق بحق في مجلس هذا حتى تقوم.

فقال إياس بن معاوية:

- أشهد أن لا إله إلا الله.

فقال القاضي:

- ما أظنك إلا ظالمًا له - الشيخ -.

فقال إياس بن معاوية بن قرة المزني:

– ما على ظن القاضي خرجت من منزلي.

فقام القاضي فدخل على أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فأخبره خبر إياس بن معاوبة، فقال أمير المؤمنين عبد الملك:

– اقض حاجته وأخرجه الساعة من دمشق لا يفسد عليَّ الناس.

طست من نحاس:

قال إياس بن معاوية لأمه:

- ما شيء سمعتيه وأنت حامل بي وله جلبة شديدة؟

قالت الأم:

- ذاك طست من نحاس سقط من فوق الدار إلى أسفل ففزعت فوضعتك تلك الساعة.

وكان إياس بن معاوية يقول:

أذكر الليلة التي ولدت فيها وضعت أمي على رأسي جفنة.

ما أنت بشيطان:

يقول إياس بن معاوية:

كنت في الكتَّاب وأنا صبيّ، فجعل النصارى يضحكون من المسلمين ويقولون: إنهم يزعمون أنه لا فضلة لطعام أهل الجنة - يصير رشحًا كالمسك -.

فقلت للفقيه وكان نصرانيًا:

- ألست تزعم أن من الطعام ما ينصرف في غذاء البدن؟

قال المعلم:

- بلى.

قلت:

- فما تنكر أن يجعل الله طعام أهل الجنة كله غذاء لأبداهم؟

فقال لي الفقيه:

- ما أنت إلا شيطان.

قاضي البصرة:

لما ولي حفيد الفاروق عمر بن عبد العزيز أمر المسلمين وأراد أن يختار قاضيًا للبصرة يقيم بين الناس موازين العدل ويقضي بينهم بما أنزل الله ولا تأخده في الحق رهبة ولا رغبة وقع اختياره على رجلين اثنين كانا كفرسي رهان: فقهًا في الدين وصلابة في الحق ووضاءة في الفكر، وحدة في النظر.

فبعث الخليفة العادل إلى عدي بن أرطأة وأمره أن يجمع بين إياس بن معاوية والقاسم ابن ربيعة الجوشني فأيهما كان أفقه فليوله قضاء البصرة.

فلما اجتمعوا، قال عدى بن أرطأة:

إن أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - أمرني أن أولي أحدكما

قضاء البصرة، فماذا تريان؟ وكان كل منهما لا يريد هذا المنصب، فقال إياس والقاسم عن صاحبه:

- إنه أولى منه بهذا المنصب.

وراح كل منهما يعدد فضائل وعلم وفقه صاحبه.

فقال عدى بن أرطأة:

لن تخرجا من هذا المجلس حتى يتولى أحدكما قضاء البصرة.

فقال إياس بن معاوية وهو لا يريد أن يتولى القضاء:

أيها الأمير: سل فقيهي البصرة: الحسن وابن سيرين، فمن أشار عليك بتوليته فوله.

وكان إياس بن معاوية لا يأتيهما، وكان القاسم بن ربيعة يأتي الحسن البصري ومحمد ابن سيرين.

فقال القاسم بن ربيعة:

– أيها الأمير: لا تسألهما عنا فوالله الذي لا إله إلا هو، إن إياسًا لأفضل مني وأفقه وأعلم بالقضاء، فإن كنت عندك ممن تصدق فإنه ينبغي لك أن تقبل قولي، وإن كنت كذابًا فما يحل لك أن توليني.

فقال إياس بن معاوية:

- أيها الأمير: إنك جئت برجل فأقمته على شفير جهنم فافتدى نفسه من النار بيمين كاذبة، لا يلبث أن يستغفر الله منها وينجو بنفسه مما يخاف.

فقال والي العراق:

- إن من يفهم مثل فهمك هذا لجدير بالقضاء، حرى - أهل له - به.

ثم ولاه قضاء البصرة.

فمن هذا الذي اختاره الخليفة العادل عمر بن العزيز قاضيًا له على البصرة؟

ومن ذلك الذي ضرب بذكائه وبفطنته وبديهته - البديهه: سرعة الفهم - الأمثال كما ضربت الأمثال بكرم وجود حاتم الطائي، وحلم الأحنف بن قيس، وإقدام عمرو بن معدي كرب الزبيدي؟

لقد قال أبو تمام في مدح أحمد بن المعتصم:

إقدام عمرو في سماحة حاتم ::: في حلم أحنف في ذكاء إياس

طفولة إياس بن معاوية:

لإياس بن معاوية سيرة مثيرة فذَّة - فريدة ونادرة - من روائع السير.

ولد إياس بن معاوية سنة ست وأربعين من الهجرة في اليمامة في نجد، ورحل مع أسرته إلى البصرة وفيها نشأ وتعلم، ثم تردد على دمشق وهو في أوائل الصبا، وأخذ عمن أدركه من بقايا الصحابة؛ كخادم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أنس بن مالك وأكابر التابعين.

وقد ظهرت على إياس بن معاوية علائم الذكاء والنجابة منذ مولده.

وكانت أمارات ذكائه مثارًا لإعجاب الناس فتناقلوا أخباره ونوادره وهو ما زال صبيًا صغيرًا.

قاتلك الله من فتى:

كان إياس بن معاوية يتعلم الحساب في أحد الكتاتيب - مفرد: كتاب - لرجل يهودي، وقد اجتمع عند المعلم أصحابه من اليهود، وجعلوا يتكلمون في أمور الدين، وكان إياس ابن معاوية ينصت إليهم من حيث لا يشعرون.

قال المعلم لأصحابه:

- ألا تعجبون لهؤلاء المسلمين الذين يزعمون أنهم يأكلون في الجنة ولا يتغوطون - لا يقضون حاجتهم أي: لا يتبرزون ولا يتبولون -؟

فرفع إياس بن معاوية سبابته وقال في أدب:

- أتأذن لي يا معلم بالكلام فيما تخوضون - تناقشون فيه وتتبادلون فيه الآراء - فيه؟

فقال المعلم:

- تكلَّم.

قال إياس بن معاوية:

- أكُلُّ من يأكل في الدنيا يخرج غائطًا

قال المعلم:

- لا.

قال إياس بن معاوية المزني:

- فأين يذهب الذي لا يخرج؟

قال المعلم:

- يذهب في غذاء الجسم.

فتساءل إياس بن معاوية:

- فما وجه الاستنكار منكم إذا كان يذهب بعض ما نأكله في الدنيا غذاء، أن يذهب كله في الجنة في الغذاء؟!

فجز المعلم اليهودي على أنيابه وهز رأسه وقال:

- قاتلك الله من فتى.

ورب الكعبة حق:

كان إياس بن معاوية غلامًا عندما اختلف مع شيخ من أهل دمشق في حق من الحقوق، ولما يئس من إقناعه بالحجة، دعاه إلى القضاء.

فلما صارا بين يدي القاضي، احتدَّ إياس بن معاوية ورفع صوته على الشيخ فقال له القاضي:

- اخفض صوتك يا غلام، فإن خصمك شيخ كبير.

- فقال إياس بن معاوية:

- ولكن الحق أكبر منه.

فزجره القاضي وقال:

- اسكت.

فتساءل الغلام:

- ومن ينطق بحجتي ويطالب بحقي إذا سكت؟

فازداد غضب القاضي وقال:

- ما أراك منذ دخلت مجلس القضاء إلا باطلاً.

فقال إياس بن معاوية:

لا إله إلا الله وحده لا شريك له أحق هذا أم باطلٌ؟

فقال القاضي وهو يتنهَّد:

- حق... ورب الكعبة حق.

تقدم يا فتى:

زار عبد الملك بن مروان البصرة - قبل أن يصبح أمير المؤمنين - فرأى إياس بن معاوية وهو شاب يافع لم يظهر شعر شاربه بعد، ورأى خلفه أربعة من القرَّاء من ذوي اللحى، في طيالستهم -

الطيلسان: كساء أخضر يلبسه الشيخ، والجمع: طيالسة - الخضراء.

فقال عبد الملك بن مروان:

- أف لأصحاب هذه اللحى، أما فيهم شيخ يتقدمهم؟

فقدموا هذا الغلام.

ثم التفت إلى إياس بن معاوية وتساءل:

- كم سنك يا فتى؟

قال إياس بن معاوية:

- سني أطال الله بقاء الأمير كسن أسامة بن زيد - كان أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي في الثامنة عشر من عمره عندما جعله خاتم النبيين (صلي الله عليه وسلم) أميرًا على سرية كان فيها كبار الصحابة - حين ولاه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) جيشًا فيه أبو بكر وعمر.

فقال عبد الملك بن مروان:

– تقدَّم يا فتى... تقدَّم، بارك الله فيك.

هلال رمضان:

خرج الناس يلتمسون هلال شهر رمضان وعلى رأسهم أنس بن مالك خادم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وقد قارب المائة.

وتبصّر الناس هلال شهر رمضان فلم يروا شيئًا.

ولكن أنس جعل يشير ويقول:

- قد رأيت هو ذاك.

وجعل خادم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يشير بيده، ولكن أحدًا لم يره.

ونظر إياس بن معاوية إلى أنس بن مالك فرأى شعرة طويلة بيضاء قد انثنت قبالة عينيه فاستأذنه في أدب ومد يده إلى الشعرة فمسحها وسواها ثم قال:

- يا أبا حمزة: أترى الهلال أيضًا؟

فجعل أبو حمزة ينظر ويقول:

- ما أراه.

والله إنك لخائن:

منذ أن ولى أبو وائلة القضاء، ظهرت سعة حيلته وفرط ذكائه وقدرته الفذة في الكشف عن الحقائق.

دخل عليه رجلان، ادَّعى أحدهما أنه أودع لدى الآخر مالاً، فلما طلبه منه أنكره.

فسأل إياس بن معاوية المدعي عليه عن أمر الوديعة فجحدها وقال:

- إن كانت لصاحبي بيِّنة - دليل وحجة - فليأت بها، وإلا فليس له عليَّ إلا اليمين.

فقال للطالب:

- أين دفعت إليه المال؟

قال الطالب:

- بموضع كذا، ولم يحضرنا أحد.

قال أبو وائلة:

- فأي شيء كان في ذلك المكان؟

قال الطالب:

- شجرة.

فقال إياس بن معاويه للمدعي عليه:

- انطلق إلى هذا الموضع وانظر، فلعل الله أن يوضح لك هناك ما تبين لك بن أمرك.

فمضى الرجل.

وقال أبو وائلة للرجل الثاني:

- اجلس حتى يرجع خصمك.

وراح إياس بن معاوية يقضي بين الناس وهو يرقب الطالب من طرف خفى، حتى إذا رآه ساكنًا مطمئنًا بادره قائلاً:

- هل تعتقد أن صاحبك قد بلغ الشجرة التي أودعك عنها المال؟

فقال الرجل على الفور دون تفكر:

– لا إنها بعيدة

فقال إياس بن معاوية:

- يا عدو الله إنك لخائن خائن.

فقال الرجل:

- أقلني أقالك الله.

فأمر أن يحتفظ به حتى رجع خصمه فقال أبو وائلة:

- قد أقر لك بحقك فخذه منه.

حلقت نصف لحيتك:

رأى إياس بن معاوية المزني يومًا رجلاً فقال له:

- قد حلقت نصف لحيتك.

قال الرجل:

- نعم.

ثم تساءل الرجل:

- يا أبا وائلة: من أين عرفت ذلك؟

قال القاضي الذكي:

- باختلاف الشعر.

صدقت هو غزلها:

اختصمت إلى أبي وائلة امرأتان في غزل، كل واحدة منهما تدَّعيه.

فأخذ إياس بن معاوية الغزل منهما وقال لإحداهما:

- كيف غزلك؟

قالت الأولى:

- بالفارسية.

وسأل الأخرى:

- كيف غزلك؟

قال المرأة الثانية:

- منكوس.

فنظر إياس بن معاوية إلى الغزل وقال:

- هو بالفارسية.

فقالت المرأة الثانية:

- صدقت هو غزلها ولكنها رهنته عندي.

واختصم إلى إياس بن معاوية امرأتان في كبة غزل فأخذها، وقال لإحداهما:

- على أي شيء كببتها؟

فقالت:

- على جوزة.

وسأل أبو وائلة الأخرى:

- على أي شيء كببتها؟

فقالت:

- على خرقة.

فأمر بنقض الكبة فوجد الجوزة.

فدفع كبة الغزل إلى صاحبتها.

عدة أهل الجنة، وعدة أهل النار:

سأل رجل أبا وائلة:

- يا أبا وائلة حتى متى يبقى الناس؟ وحتى متى يتوالد الناس ويموتون؟

فنظر إياس بن معاوية إلى جلسائه وقال:

- أجيبوه.

فقلبوا أيديهم وقالوا:

- ليس عندنا جواب.

فقال إياس الذكي:

- حتى تتكامل العدتان: عدة أهل الجنة، وعدة أهل النار.

إنها مجنونة:

خاصم رجل إلى أبي وائلة رجلاً في جارية.

وقال:

- هي حمقاء.

فقال إياس بن معاوية:

- لا أعلمه يرد من حمق.

قال الرجل:

- إن حمقها كالجنون.

- فسأل أبو وائلة الجارية:

- أتذكرين يوم ولدت؟

قالت الجارية:

- نعم.

قال إياس بن معاوية:

- فأي رجليك أطول؟

قالت الجارية وهي تشير نحو رجلها اليمنى:

- هذه.

قال أبو وائلة:

- ردوها... فإنها مجنونة.

ذات القميص الأحمر:

نظر خالد الحذاء يومًا إلى امرأة فأعجبته.

فقال لها:

- يا أمه الله: أفارغة أم مشغولة؟

قالت:

- بل فارغة.

فأتبعها خالد الحذاء، فلقيه رجل فسلم عليه وكلمه فغابت المرأة عن بصره فاغتم خالد الحذاء وملأ الحزن صدره، فلقيه إياس بن معاوية فسأله:

- مالك؟

فأخبره خالد الحذاء خبر المرأة.

فقال أبو وائلة:

- انطلق بنا إلى الموضع الذي رأيتها فيه وامشِ بين يدي فإذا انتهيت إلى الموضع الذي فقدتها فيه وغابت عن بصرك فقم بمقدار ما كلمك الرجل.

وقرأ إياس بن معاوية المقدار بآيات قرأها.

ثم قال أبو وائلة لخالد الحذاء:

- امض بنا.

وأعاد إياس بن معاوية ما قرأ، فلما انتهى إلى آخره قال لخالد الحذاء:

- دخلت هذا الزقاق لا محالة.

ولم يكن للزقاق منفذ.

ودخل أبو وائلة الزقاق فوجد نسوة جلوسًا فسألهن:

- هل دخلت قبيل هذا الوقت امرأة عليها قميص أحمر وملحفة بيضاء؟

قلن:

- نعم امرأة لا بأس بها.

فتساءل إياس بن قرة:

- فلها زوج؟

قلن:

- لا.

فعاد أبو وائلة يتساءل:

- فمن وليها؟

قلن:

- فلان.

فلما سموه عرفه إياس بن معاوية فأرسل إليه، فزوجها من خالد الحذاء ودخل بها من يومه.

كان جدي أفضل من أبي:

تدارأ - تدارؤوا: تدافعوا في الخصومة - عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، وخالد بن عرفطة اليشكري.

فقال عتبه بن عمر:

– من قبلنا كان أفضل.

وقال خالد بن عرفطة:

– الناس اليوم أفضل.

فتراضيا بإياس بن معاوية حكمًا.

فقال أبو وائلة:

- أما أنا فقد أدركت أبي وجدي، وكان جدى أفضل من أبي، وأبي أفضل مني.

ولد له غلام:

ذات ضحى رأى إياس بن معاوية رجلاً يمشي متأبطًا شيئًا فقال:

– معه سكر، وقد ولد له غلام.

فأسرع جلساء أبى وائلة خلف الرجل فوجدوا معه سكرًا.

فعادوا إلى إياس بن معاوية وسألوه:

- كيف عرفت ذلك؟

قال أبو وائلة:

– رأيت الذباب قد أطاف به، فقلت: معه شيء حلو وهو يشبه أن يكون سكرًا، ورأيته نشيطًا فرحًا، فظننت أنه قد ولد له غلام.

هذا على رأس بئر:

كان أبو وائلة يومًا في برية فأعوزهم الماء، فبحثوا عنه فلم يعثروا على قطرة ماء واشتد بهم الظمأ، وأيقنوا أنهم هلكى، وجلسوا ينتظرون الموت، وسمع إياس بن معاوية نباح كلب، فقال:

- هذا على رأس بئر.

فاستقروا النباح فوجدوا الكلب على رأس البئر كما قال إياس بن معاوية فقيل له:

كيف عرفت أن الكلب على رأس بئر يا أبا واثلة؟

قال إياس بن معاوية:

– لأني سمعت الصوت كالذى يخرج من بئر.

أخبرني عن عيوبي:

ذات يوم صحب إياس بن معاوية رجلاً في سفر، فلما أراد أن يفترقا قال الرجل:

- يا أبا وائلة: أخبرني عن عيوبي.

قال إياس بن معاوية:

- سل غيري.

فقال الرجل:

- لِمَ؟

قال أبو وائلة:

- فإني كنت أراك بعين الرضى.

يشير إلى قول القائل:

وعين الرضى عن كل عيب كليلة ::: ولكن عين السخط تبدى المساويا

المرضع والبكر والثيب:

ذات يوم دخلت على إياس بن معاوية ثلاث نسوة فلما رأهن قال:

- أما إحداهن فمرضع، والأخرى بكر، والأخرى ثيب.

فقيل له:

- بِمَ علمت هذا؟

قال أبو وائلة:

- أما المرضع: فكلما قعدت أمسكت ثديها بيديها.

وأما البكر: فكلما دخلت لم تلتفت إلى أحد.

وأما الثيب: فكلما دخلت نظرت ورمت بعينها.

يا خبيث:

ذات ضحى التقى رجلان على أحدهما مطرف - المطرف من الثياب: ما جعل في طرفيه علمان - خز - صوف -، وعلى الآخر: كساء أنبجانى، فادعى صاحب الأنبجاني أن المطرف له والأنبجاني لصاحب المطرف.

ولجأ إلى إياس بن معاوية قاض البصرة.

فدعا أبو واثلة بمشط وماء فبلّ رأس كل واحد منهما وقال لأحدهما:

- سرح رأسك؟

فسرح رأسه فخرج في المشط غفر المطرف.

وسرح الآخر رأسه، فخرج في المشط عفر الانبجاني فقال أبو وائلة له:

- يا خبيث الأنبجاني لك.

فأقر الرجل.

فدفع إياس بن معاوية المطرف إلى صاحبه.

النبيذ والماء والتمر:

سأل رجل أبا وائلة عن النبيذ فقال:

- هو حرام.

فقال الرجل:

- أخبرني عن الماء.

فقال إياس بن معاوية:

- حلال.

فقال الرجل:

- فالكسور.

قال أبو وائلة:

- حلال.

قال الرجل:

- فالتمر.

قال إياس بن معاوية:

- حلال.

فتساءل الرجل:

- فما باله إذا اجتمع حرم؟

قال أبو وائلة:

- أرأيت لو رميتك بهذه الحفنة من التراب أتوجعك؟

قال الرجل:

- لا.

فتساءل إياس بن معاوية:

- فهذه الحفنة من التبن؟

قال الرجل:

- لا توجعني.

قال إياس القاضي:

- فهذه الغُرْفَة من الماء؟

قال الرجل:

- لا توجعني شيئًا.

قال أبو وائلة:

- أفرأيت إن خلطت هذا بهذا وهذا بهذا حتى صار طينًا ثم تركته حتى استحجر - صار حجرًا - ثم رميتك به أيوجعك؟

قال الرجل:

- إي والله وتقتلني.

فقال إياس بن معاوية:

- فكذلك تلك الأشياء لو اجتمعت.

القاضي وابن شبرمة:

قدم أبو وائلة مدينة واسط يومًا، فجاءه ابن شبرمة بمسائل قد أعدها له فقال:

- أتأذن لي أن أسألك؟

قال إياس بن معاوية:

- سل وقد ارتبت حين استأذنت.

فسأل ابن شبرمة أبا وائلة عن سبعين مسألة يجيبه فيها ولم يختلفا إلا في أربع مسائل رده إياس بن معاوية إلى قولهن ثم سأل أبو وائلة ابن شبرمة:

- أتقرأ القرآن؟

قال ابن شبرمة:

- نعم.

قال إياس بن معاوية:

- أتحفظ قوله تعالى:{ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا } [سورة المائدة الآية: ٣].

قال ابن شبرمة:

- نعم.

فعاد أبو وائلة يتساءل:

- وما قبلها وما بعدها؟

قال ابن شبرمة:

- نعم.

فقال إياس الذكي:

- فهل أبقت هذه الآية لآل شبرمة رأيًا.

وقال ابن سعد:

لما قدم إياس بن معاوية واسطًا جعلوا يقولون:

- قدم البصري، قدم البصري.

فأتاه ابن شبرمة بمسائل أعدها له، وجلس بين يديه وقال:

- أتأذن لي أن أسألك؟

- قال إياس بن معاوية:

- ما ارتبت بك حتى استأذنتني، إن كانت لا تعنت القائل ولا تؤذي الجليس فسل، فساله عن بضع وسبعين مسألة، فما اختلفا يومئذٍ إلا في ثلاث مسائل أو أربع رده فيها إياس بن معاوية إلى قوله ثم سأل ابن شبرمة:

- يا ابن شبرمة: هل قرأت القرآن؟

قال ابن شبرمة:

- نعم من أوله إلى آخره.

فتساءل إياس بن معاوية:

- فهل قرأت:{ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي } [سورة المائدة الآية: ٣].

قال ابن شبرمة:

- نعم وما قبلها وما بعدها.

فقال إياس بن معاوية:

- فهل وجدته بقى لآل شبرمة شيء ينظرون فيه؟

فقال ابن شبرمة:

- لا.

فقال إياس بن معاوية:

- إن للنسك فروعًا.

ذكر الصوم والصلاة والحج والجهاد.

ثم قال إياس:

- وإنى لا أعلمك تعلقت من النسك بشيء أحسن من شيء في يدك النظر في الرأي.

لم أعد بعدها:

ذكر سفيان بن حسين رجلاً بسوء عند أبي وائلة فنظر في وجهه وقال:

- أغزوت الروم؟

قال سفيان بن حسين:

- لا.

فتساءل إياس بن معاوية:

- فالسند؟

قال سفيان بن حسين:

- لا.

فقال إياس القاضي:

- فالهند؟

قال سفيان بن حسين:

- لا.

قال إياس الذكي:

- فا لترك؟

قال سفيان بن حسين:

- لا.

قال أبو وائلة:

- أفسلم منك الروم والسند والهند والترك ولم يسلم منك أخوك المسلم؟

يقول سفيان بن حسين:

- فلم أعد بعدها - لم أعد أغتب أحدًا -.

إياس بن معاوية وغيلان القدري:

اكترى أبو وائلة بعيرًا من الشام قاصدًا الحج، وركب معه غيلان القدري، ولا يعرف أحدهما صاحبه، وفي الطريق ظلا ثلاثًا لا يكلم أحدهما الآخر، فلما اقتربا من مدينة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) تحادثا فتعارفا، وتعجب كل واحد منهما من اجتماعه مع صاحبه لمباينة ما بينهما في الاعتقاد في القدر.

قال إياس بن معاوية:

هؤلاء أهل الجنة يقولون حين يدخلون الجنة:{ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ} [سورة الأعراف الآية: ٤٣].

ويقول أهل النار:{رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ} [سورة المؤمنون الآية: ١٠٦].

وتقول الملائكة:{سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ} [سورة البقرة الآية: ٣٢].

ثم ذكر أبو وائلة لغيلان القدري من أشعار العرب وأمثال العجم ما فيه إثبات القدر.

ثم اجتمع إياس الذكي وغيلان القدري مرة أخرى عند الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، فتناظر إياس وغيلان، فقهر أبو وائلة غيلان القدري، وما زال يحصره في الكلام حتى اعترف غيلان بالعجز وأظهر التوبة.

فدعا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز على غيلان إن كان كاذبًا.

فاستجاب السميع البصير من حفيد عمر بن الخطاب، فأمكن من غيلان القدري فقُتِل وصُلِب بعد ذلك ولله الحمد والمنة.

يا أبا وائلة ما عيبك!

قال إياس بن معاوية:

- كل رجل لا يعرف عيبه فهو أحمق.

قالوا:

- يا أبا وائلة ما عيبك؟

قال إياس بن معاوية:

- كثرة الكلام.

قالوا:

- فيك أربع خصال: دمامة، وكثرة كلام، وإعجاب بنفسك، وتعجيل بالقضاء.

قال إياس القاضي:

- **أما الدمامة:** فالأمر فيها إلى غيري - لله الخالق البارئ المصور -.

وأما كثرة الكلام: فبصواب أتكلم أم بخطأ؟

قالوا:

- بصواب.

فقال أبو وائلة:

- كلما كثر الحق فهو خير - فالإكثار من الصواب أمثل -.

ثم قال إياس القاضي:

- وأما إعجابي بنفسى أفيعجبكم ما ترون مني؟

قالو ا:

- نعم.

قال إياس بن معاوية:

- فإني أحق أن أعجب بنفسي.

ثم تساءل أبو وائلة:

- أما قولكم إنك تعجل بالقضاء فكم هذه؟

وأشار بيده خمسة:

فقالوا:

- خمسة.

فقال إياس الذكي:

- عجلتم ألا قلتم واحدًا واثنين وثلاثة وأربعة وخمسة؟

قالوا:

- ما نعد شيئًا قد عرفناه.

قال أبو وائلة:

- فما أحبس شيئًا قد تبين لي فيه الحكم.

ولامه بعضهم في لباسه الثياب الغليظة، فقال:

- إنَّما ألبس ثوبًا يخدمني ولا ألبس ثوبًا أخدمه.

وقيل:

قال رجل لأبي وائلة:

- إنك لتعجب برأيك.

قال إياس بن معاوية:

- لولا ذلك لم أقض به.

وقال له آخر:

- إن فيك خصالاً لا تعجبني.

فتساءل إياس القاضي:

- وما هي؟

قال الرجل:

- تحكم قبل أن تفهم ولا تجالس كل أحد وتلبس من الثياب الغليظة.

فتساءل إياس من معاوية:

- أيهما أكثر: الثلاثة أو الاثنان؟

قال الرجل:

- الثلاثة.

فقال أبو وائلة:

- ما أسرع ما فهمت وأجبت.

فقال الرجل:

- أو يجهل هذا أحد؟

قال إياس القاضي:

وكذلك ما أحكم أنا به، وأما مجالستي لكل واحد فإن أجتمع بمن يعرف قدرى أحب إلـيَّ من أن أجتمع بمن لا يعرفني، وأما الثياب الغلاظ فأنا ألبس منها ما يقيني لا ما أقيه أنا.

هذا فقيه كتاب:

ذات يوم جلس أصحاب إياس بن معاوية يكتبون عن الفراسة، فبينما هم حوله جلوس إذ نظر إلى رجل جاء فجلس على دكة حانوت - دكان - وجعل كلما مرَّ أحد ينظر إليه، ثم قام فنظر في وجه رجل ثم عاد.

فقال أبو وائلة:

- هذا فقيه كتاب قد أبق - هرب - له غلام أعور فهو يتطلبه.

فقاموا إلى ذلك الرجل فسألوه فوجدوه كما قال إياس بن معاوية.

فقالوا لإياس الذكي:

- من أين عرفت ذلك؟

قال إياس القاضي:

- لما جلس على دكة الحانوت، علمت أنه ذو ولاية، ثم نظرت فإذا هو لا يصلح إلا لفقهاء المكتب، ثم جعل ينظر إلى كل من يمر فعرفت أنه قد فقد غلامًا، ثم لما قام فنظر في وجه ذلك الرجل من الجانب الآخر، فعرفت أن غلامه أعور.

هو ابنها:

ذات ضحى سمع إياس بن معاوية صوت امرأة من بيتها فقال:

- هذه امرأة حامل بصبي.

فلما ولدت تلك المرأة ولدت صبيًا.

فسئل إياس الذكي:

- بم عرفت ذلك؟

قال أبو وائلة:

- سمعت صوتها ونفسها معه فعلمت أنها حامل، وفي صوتها ضحل - أي في صوتها نعومة ورقة - فعلمت أنه غلام.

ثم مر أبو وائلة يومًا ببعض المكاتب فإذا صبي هنالك فقال:

- إن كنت أدري شيئًا فهذا الصبي ابن تلك المرأة.

فإذا هو ابنها.

هذه دراهم ومالى دنانير:

استودع رجل رجلاً كيسًا فيه دنانير، وغاب المودع فطالت غيبته، ففتق المستودع الكيس من أسفل وأخذ الدنانير وصير مكانها في الكيس دراهم وخاطه والخاتم بحاله وقدم صاحب المال بعد خمس عشرة سنة فطلب ماله فدفع المستودع إليه الكيس بخاتمه، ولما فتح المودع الكيس لم يقبله وقال:

- هذه دراهم ومالى دنانير.

قال المستودع:

- هكذا كيسك بخاتمك.

فرافعه إلى الأمير فقال لأبي وائلة:

- انظر في أمر هذين.

فسأل إياس القاضي المودع:

- مذ كم سنة؟

قال المودع:

- مذ خمس عشرة سنة.

فقال المستودع:

- ما تقول؟

قال المستودع:

- أعطيته كيسًا بخاتمه.

ففضوا الخاتم ونظروا إلى الدراهم فوجدوا فيها دراهم ضربت بعد الوقت الذى أودع فيه كيسه بعشر سنين وخمس سنين وأقل وأكثر.

فقال إياس الذكي للمستودع:

- قد أقررت أن الكيس عندك مذ خمس عشرة سنة فاتق الله ولا تظلم الرجل.

فأقر بالدنانير فألزمه إياها.

إنَّما يعرف بالقلب:

رأى إياس بن معاوية سلم بن قتيبة بن مسلم وهو لا يعرفه ولم يكن رآه من قبل، فدنا منه وسأله:

- أأنت ابن قتيبة؟

قال سلم بن قتيبة:

- نعم.

قال أبو وائلة:

- عرفتك بشبه عمك عمرو بن مسلم.

قال سلم بن قتيبة:

- رحمك الله عمى كان ضخم أمغر - الأمغر: الأحمر الشعر والجلد الذي في وجهه حمرة في بياض صاف - وأنا رجل آدم - أسود - نحيف.

قال إياس الذكي:

- ليس بعسر هذا إنَّما يعرف بالقلب.

لم يخطئ ظني:

وفد إياس بن معاوية مكة فقال لأصحابه:

- هل لكم في سلم بن قتيبة؟ وهو إذ ذاك ببئر ميمون، هو الجالس في ظل راحلته.

فنظروا فإذا هو سلم بن قتيبة، فقال سلم لإياس بن معاوية:

- كيف علمت أنى سلم؟

قال أبو وائلة:

- حج إخوانك وألآفك جميعًا وعرفت مذهبك، فعرفت أنك ستتبعهم، ورأيت بعيرًا من إبل الملوك عليه رجل من رجال القرى، فأوقعت ظني فلم أخطئ.

في هذا الموضع حيَّة:

دخل أبو وائلة منزل رجل فرأى موضعًا من الحائط أو الأرض فقال:

- في هذا الموضع حيَّة.

فوجد الأمر كما قال.

فسُئِل عن ذلك فقال إياس بن معاوية:

- رأيت الحائط.

أو قال:

- الأرض.

يبسًا كله ورأيت هذا الموضع أقل يبسًا، فعلمت أن فيه شيئًا يتنفس.

الميت حى:

ذات يوم رأى إياس بن معاوية جنارة فقال:

- صاحبها لم يمت.

فوضعت الجنارة وعض إبهام الرجل فإذا هو حي.

فردوه.

فقلي لأبي وائلة:

- كيف علمت أنه حي؟

قال إياس الذكي:

- رأيت أصابع قدميه منتصبة والميت لا تنتصب أصابع قدميه.

وكان هذا الميت غريقًا.

هذا دجاجكم وهذه دجاج أهل القرية البعيدة:

اختصم أهل قريتين في دجاج في قفص.

فقال إياس الذكي لهم:

- خلوها.

فلما أطلقوا سراحها نظر إليها إياس بن معاوية ثم أشار بيده:

- هذا دجاجكم.

وأشار نحو أهل القرية البيعدة وقال:

- وهذا دجاجكم.

فقالوا:

- كيف علمت؟

قال أبو وائلة:

- رأيت دجاج هده القرية مطمئنة مستأنسة، ورأيت دجاج القرية البعيدة قد رفعت رؤوسها ومدت أعناقها نافرة.

ورأى إياس بن معاوية ديگا ينقر الحب ولا يقرقر فقال:

- هدا ديك هرم.

فقيل له:

- كيف عرفت؟

قال أبو وائلة:

- لأن الهرم إذا ألقى له الحب لم يقرقر والشاب يقرقر ليجمع الدجاج إليه.

الرضخ من شأنكم:

تزوج المهلب بن القاسم بن عبد الرحمن الهلالى أم شعيب بنت محمد الطاحى، وأمها عنكاء بنت أبي صفرة.

وكان المهلب بن القاسم ماجنًا فشرب يومًا وامرأته أم شعيب بين يديه - أمامه - فناولها القدح فأبت أم شعيب أن تشرب.

فقال المهلب بن القاسم:

- أنت طالق إن لم تشربيه.

وفي الدار ظبي داجن فعدا فكسر القدح.

وجحد المهلب بن القاسم طلاق أم شعيب، ولم يكن لها شهود إلا نساء.

فأرسلت أم شعيب إلى أهلها فحملوها، فاستعدى المهلب بن القاسم عدى بن أرطاة فردها عليه فخاصمت أم شعيب المهلب بن القاسم إلى إياس بن معاوية وهو قاضي لعمر ابن عبد العزيز، وشهد لها

نساء فقال أبو وائلة للمهلب بن القاسم:

- لئن قربتها لأرجمنك.

فغضب عدى بن أرطأة على إياس بن معاوية.

فقال عمر بن يزيد الأسدى - وكان عدوًا لإياس بن معاوية وذلك أنه قضى على ابنه بأرحاء كانت في يده لقوم - لأمير العراق -:

- لم لا ننظر قومًا فيشهدون على إياس أنه قذف المهلب بن القاسم؟

قال عدى بن أرطأة:

- لو تم ذلك، لأقمت عليه الحد وعزلته وفضحته.

فأتى بيزيد الرشك، وابن أبى رباط مولى بنى ضبيعة ليلاً، وأجمعوا على أن يرسل عدى بن أرطأة أمير العراق إلى إياس بن معاوية قاضي البصرة إذا أصبح فيشهدوا عليه.

وكان ربيعه بن القاسم الحوشبي حاضرًا فاستحلفه أمير العراق ألا يخبر إياسًا بما هم عليه، فحلف ربيعة بن القاسم.

وأتى ربيعة بن القاسم أبا وائلة وقال له:

- جئتك من عند عدى بن أرطاة فاحذر الناس.

ولم يذكر ربيعة بن القاسم لإياس شيئًا.

فاستراب إياس الذكي الأمر وتواري ثم خرج إلى واسط.

واغتنم عدي بن أرطاة هذه الفرصة فاستقضى الحسن البصري وعزل إياس بن معاوية.

وكتب أمير العراق إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز يعيب إياسًا ويثني على الحسن، وشنع على أبي وائلة وقال:

- إنه يقول: إذا كثرت أمطار السنة فهي وبيئة وما علمه بذلك؟

فكتب عمر بن عبد العزيز إلى أمير العراق:

ما رأيت أحدًا من أهل زماننا الثناء عليه أحسن منه على إياس، وقد بلغني وصح عندي رضخ - الرضخ: خبر تسمعه ولا تستيقنه - من شأنكم.

وأقرَّ أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الحسن البصري قاضيًا على البصرة وكان ذلك بعد أن قضى أبو وائلة سنة في قضاء البصرة.

لم أعرفك:

جلس إياس بن معاوية ذات يوم في جامع دمشق، فتكلَّم رجل من بني أمية، فرد عليه أبو وائلة، فأغلظ له الأموي، فقام إياس بن معاوية.

فقيل للأموي:

- إن هذا إياس بن معاوية المزني.

فلما عاد إياس بن معاوية إلى الجامع من الغد، اعتذر إليه الأموي وقال له:

- لم أعرفك وقد جلست إلينا بثياب السوقة وكلمتنا بكلام الأشراف فلم نحتمل ذلك.

من أقوال إياس بن معاوية:

قال أبو وائلة:

* إن من لا يعرف عيبه أحمق.
* يولد كل مائة سنة رجل تام العقل.

فكانوا يرون أن إياس بن معاوية منهم.

* ما يسرني أن أكذب كذبة يطّلع عليها أبي معاوية.

* ما خاصمت أحدًا من أهل الأهواء بعقلي كله إلا القدرية - فئة من الخوارج تجحد وتنكر القدر - قلت لهم:

- أخبروني عن الظلم ما هو؟

قالوا:

- أخذ الإنسان ما ليس له.

قلت:

- فإن الله له كل شيء.

* لأن يكون في فعال الرجل فضل عن مقاله خير من أن يكون في مقاله فضل عن فعاله.

* إن أشرف خصال الرجل: صدق اللسان، ومن عَدَمَ فضيلة الصدق فقد فجع بأكرم أخلاقه.

* إني لأكلم الناس بنصف عقلي، فإذا اختصم إليَّ اثنان جمعت لهما عقلي كله.

* لما ماتت أمه بكى عليها فقيل له في ذلك فقال:

- كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة فغلق أحدهما.

* تكون غلة الرجل - دخل الرجل في الشهر أو في السنة - ألفًا فيصلح أمره وتصلح غلته ألفين فيصلح أمره وتصلح غلته، وتكون غلته ألفين فينفق ثلاثة آلاف فيوشك أن يبيع العقار - أثاث بيته أو ما يملك - في فضل النفقة.

* قال رجل لاياس:

- أنا أعرف مثل ما تعرف.

فنظر إياس إلى صدع في الأرض فقال:

- ما هذا الصدع؟

قال الرجل:

- لا أعراف - لا أدري -.

قال أبو وائلة:

- فيه دابة.

فكان كما قال إياس بن معاوية فقال للرجل:

- يا ابن أخي: إن الأرض لا تتصدع إلا عن دابة أو نبات.

* ما يسرني أن أكذب كذبة يطلع عليها أبي معاوية لا أحاسب عليها يوم القيامة وأن لي الدنيا بحذافيرها.

* قال رجل لأبي وائلة:

- إنك لتعجب برأيك.

قاد إياس بن معاوية:

- لولا ذلك لم أقض به.

* لو صحبني رجل فقال:

اشترط على خلة واحدة - خصلة واحدة - لا تزيد عليها.

لقلت:

- لا تكذبني.

* ليس يولد من الحيوان شيء إلا ظاهر الأذنين.

قالوا عن إياس بن معاوية:

* قال محمد بن سيرين:

- إنه لفهم إنه لفهم.

* وقال محمد بن سعد والعجلي وابن معين والنسائي:

- ثقة.

وزاد ابن سعد:

وكان عاقلاً من الرجل فطنًا.

وزاد العجلي:

- وكان فقيهًا عفيفًا.

* وقال معاوية بن قرة:

- إن الناس يلدون أبناء وولدت أنا أبا.

ولما سئل معاوية بن قرة المزني عن ابنه إياس قال:

- نِعْمَ الابن كفاني أمر دنياي وفرغني لآخرتي.

* وقال شيخ من باهلة:

أتيت منزل ثابت البناني فإذا أنا برجل طويل الثوب، طويل الذراع، أحمر يلوث عمامته لوثًا قد غلب على المجلس فقلت:

- من هذا الرجل؟

فقال رجل:

- أبو وائلة.

فعرفت أنه إياس.

* لما ولى إياس بن معاوية القضاء بالبصرة، فرح بذلك العلماء فقال أيوب:

- لقد رموها بحجرها.

* وقالوا:

جلس إياس في المسجد واجتمع عليه الناس للخصومات، فلما قام حتى فصل سبعين قضية، حتى كان يشبه بشريح القاضي.

كان إياس إذا أشكل عليه شيء بعث إلى محمد بن سيرين فسأله.

إياس بن معاوية والقرآن العظيم:

قال أبو وائلة:

مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً وليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة ولا يدرون ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرؤوا في الكتاب.

وكان إياس بن معاوية إذا قرأ:{ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ} [سورة الرعد الآية: ٢].

إنها مرفوعة بغير عمد ترونها.

وقال آخرون:

لها عمد ولكن لا نراها.

العمد: قدرته التي يمسك بها السماوات والأرض، وهي غير مرئية لنا.

وسئل أبو وائلة عن قوله تعالى:{وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ} [سورة الأنعام الآية: ١٤١].

الإسراف في النفقة: التبذير.

والمقصود: زكاة الزروع.

يقول أبو وائلة:

- ما جاوزت به أمر الله فهو سرف وإسراف.

وكان إياس بن معاوية إذا قرأ قوله تعالى:{إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ} [سورة التوبة الآية: ٣٧].

قال:

كان المشركون يحسبون السنة اثنى عشر شهرًا أو خمسة عشر يومًا، فكان الحج في رمضان وفي ذى القعدة، وفي كل شهر من السنة بحكم استدارة الشهر بزيادة الخمسة عشر يومًا، فحج أبو بكر سنة تسع في ذي القعدة بحكم الاستدارة، ولم يحج النبي (صلي الله عليه وسلم)، فلما كان في العام المقبل وافق الحج ذا الحجة في العشر ووافق ذلك الأهلَّة.

وهذا القول أشبه بقول النبي (صلي الله عليه وسلم) :

(**إن الزمان قد استدار**) - أي زمان الحج عاد إلى وقته الأصلي الذي عينه الله يوم خلق السماوات والأرض بأصل المشروعية التي سبق بها علمه ونفذ بها حكمه.

ثم قال:

السنة اثنا عشر شهرًا، ينفي بذلك الزيادة التي زادوها في السنة - وهي الخمسة عشر يومًا - بتحكمهم، فتعين الوقت الأصلي وبطل التحكم الجهلي.

إياس بن معاوية وأحاديث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

روى إياس بن معاوية بن قرة المزني عن: جده مرفوعًا في الحياء عن أنس بن مالك، وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب ونافع وأبي مجلز.

ودخل الحسن البصري يومًا على إياس بن معاوية فبكى، فسأله:

- ما يبكيك يا أبا وائلة؟

قال إياس بن معاوية:

- الحديث الذي جاء:(القضاء ثلاثة: اثنان في النار وواحد في الجنه: قاض تعمّد الحق فأخطأ فهو في النار، وقاض تعمد الجور فهو في النار، وقاض تعمد الحق فأصاب فهو في الجنة).

فقال الحسن البصري:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(إن الله تعالى مع القاضي ما لم يحف - الحيف: الجور والظلم - عمدًا) (رواه الطبراني في المعجم الكبير، عن عبد الله بن مسعود).

وفاة إياس بن معاوية:

مات أبو وائلة سنة اثنتين وعشرين ومائة، بعد أن عاش ستًا وسبعين سنة.

رحم الله إياس بن معاوية القاضي الذكي، فقد كان نادرة نوادر الزمان، وأُعجوبة من أعاجيب الدهر في الفراسة والفطنة والذكاء والبحث عن الحق.

رحم الله أبا وائلة اللسن البليغ والألمعى المصيب، والمعدود مثلاً في الذكاء والفطنة، ورأس الفصاحة والرجاحة، فقد كان صادق الظن في الأمور مشهورًا بفرط الذكاء وبه ضُرب المثل في الذكاء.

* * *

أبو سليمان الداراني

مواقف ومواعظ

من حياة التابعين

[١٠]

أبو سليمان الداراني

أبو سليمان الداراني

واسمه: عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي.

وقيل:

عبد الرحمن بن عسكر.

أصله من واسط - مدينة بناها الحجاج بن يوسف الثقفي - وسكن قرية داريا وهي من قرى دمشق.

وقيل:

ضيعة إلى جنب دمشق.

وهو أحد أئمة العلماء العاملين.

الحوراء:

يقول أبو سليمان الداراني:

نمت ليلة عن وردى فإذا أنا بحوراء تقول لي:

- تنام وأنا لك في الخدور منذ خمسمائة سنة؟

يقول أحمد بن أبي الحواري تلميذ أبى سليمان الداراني:

قال عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي:

إن في الجنة أنهارًا على شاطئيها خيام فيهن الحور، ينشئ الله خلق الحوراء إنشاء، فإذا تكامل خلقها ضربت الملائكة عليهن الخيام، الواحدة منهن جالسة على كرسي من ذهب ميل في ميل، قد خرجت عجيزتها من جانب الكرسي فيجيء أهل الجنة من قصورهم يتنزَّهُون على شاطئ تلك الأنهار ما شاءوا، ثم يخلو كل رجل بواحدة منهن.

وتساءل أبو سليمان الداراني:

- كيف يكون في الدنيا حال من يريد افتضاض الأبكار على شاطئ تلك الأنهار في الجنة؟

ويقول أبو سليمان الداراني:

بينما أنا ساجد إذ ذهب بي النوم فإذا بها - الحوراء - قد ركضتني برجلها فقالت:

- حبيبى - أترقد عيناك والملك يقظان ينظر إلى المتهجدين في تهجدهم؟ بؤسًا لعين آثرت لذة نومة على لذة مناجاة العزيز، قم فقد دنا الفراق ولقى المحبون بعضهم بعضًا، فما هذه الرقادة؟

حبيبي وقرة عيني، أترقد عيناك وأنا أتهيأ لك في الخدور منذ كذا وكذا؟

يقول أبو سليمان الداراني:

فوثبت فزعًا وقد عرقت حياء من توبيخها إياي، وإن حلاوة منطقها لفي سمعي وقلبي.

يقول أحمد بن أبى الحواري:

دخلت على أبي سليمان الداراني فإذا هو يبكي فقلت له:

- مالك؟

قال عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي:

- زجرت البارحة في منامي.

فتساءل أحمد بن أبي الحواري:

- ما الذي زجرك؟

قال أبو سليمان الداراني:

* بينما أنا نائم في محرابي إذ وقفت على جارية تفوق الدنيا حسنًا، وبيدها ورقة وهي تقول:

- أتنام يا شيخ؟

فقلت:

- من غلبت عينه نام.

فقالت:

- كلا إن طالب الجنه لا ينام.

ثم قالت:

- أتقرأ؟

قلت: نعم.

فأخذت الورقة من يديها فإذا فيها مكتوب:

لهت بك لذة عن حسن عيش ::: مع الخيرات في غرف الجنان

تعيش مخلدًا لا موت فيها ::: وتنعم في الجنان مع الحسان

تيقظ من منامك إن خيرًا ::: من النوم التهجد في القرآن

حب الدنيا:

يقول أبو سليمان الداراني:

كنت ببيت المقدس مع أصحاب لي في المسجد، فإذا أنا بجارية عليها درع من شعر - صوف - وخمار من صوف فإذا هي تقول:

إلهي وسيدي:

ما أضيق الطريق على من لم تكن دليله، وأوحش خلوة من لم تكن أنيسه.

فقلت:

- يا جارية: ما قطع الخلق عن الله عز وجل؟

قالت:

- حب الدنيا، إلا أن لله عز وجل عبادًا أسقاهم من حبه شربة فولهت قلوبهم، فلم يحبوا مع الله عز وجل غيره.

ثم أنشدت:

تزود قرينـــا مـــن فعالـــك إنَّمـــا ::: قرين الفتى في القبر ما كان يعمـــل
ألا إنَّما الإنسان ضـــيف لأهلـــه ::: يقيم قلـــيلاً عنـــدهم ثم يرحـــل

كن كوكبًا:

قال أبو سليمان الداراني لتلميذه أحمد بن أبي الحواري:

- يا أحمد: كن كوكبًا فإن لم تكن كوكبًا فكن قمرًا، فإن لم تكن قمرًا فكن شمسًا.

فقال أحمد بن أبى الحواري:

- يا أبا سليمان: القمر أضوأ من الكواكب، والشمس أضوأ من القمر.

قال عبد الرحمن بن أحمد بن عطيه العنسي:

- يا أحمد: كن مثل الكوكب طلع أول الليل إلى الفجر، فقم أول الليل إلى آخره، فإن لم تقو على قيام الليل، فكن مثل الشمس تطلع أول النهار إلى آخره، **فإن لم تقدر على قيام الليل فلا تعص الله بالنهار.**

إذا اغتنمت منها زادك:

شكا أحمد بن أبي الحواري إلى أبي سليمان الداراني الوسواس فقال:

- إنى أري ذلك قد غمك يا أبا الحسن، إن أردت أن ينقطع عنك

فإن أحسست بها فافرح بها، فإنك إذا فرحت بها انقطع عنك، فإنه ليس شيء أبغض إليه - الشيطان - من سرور المؤمن، وإن اغتنمت منها - الوسواس - زادك.

ملك الدنيا فزهد فيها:

تناظر أبو سليمان الداراني وأبو صفوان في الخليفه العادل عمر بن العزيز وأُويس بن عامر القرني - منسوب إلى قرن المنازل، وهو: جبل معروف، وهو ميقات الإحرام لأهل نجد -.

فقال أبو سليمان الداراني:

- كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أُويس.

فتساءل أبو صفوان:

- لِمَ؟

قال عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي:

- لأن عمر بن عبد العزيز ملك الدنيا فزهد فيها.

فقال أبو صفوان:

- وأُويس لو ملكها لزهد فيها مثل ما فعل عمر.

قال أبو سليمان الداراني:

- أتجعل من جرَّب كمن لا يجرب؟ إن من جرَّب الدنيا على يديه وإن لم يكن لها في قلبه موضع.

لما حج أويس بن عامر القرني دخل مدينة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فلما وقف على باب المسجد قيل له: هذا قبر النبي (صلي الله عليه وسلم)... فغشى عليه ولما أفاق قال:

- أخرجوني فليس بلادي بلد محمد (صلي الله عليه وسلم) فيه مدفون.

هل رأيتم حبيباً يعذب أحبابه!

يقول أبو الحسن:

دخلت على أبي سليمان وهو يبكي فقلت له:

- ما يبكيك؟

فقال عبد الرحمن بن أحمد:

- يا أحمد: ولِمَ لا أبكي؟ وإذا جنَّ الليل ونامت العيون وخلا كل حبيب بحبيبه، وافترش أهل المحبة أقدامهم، وجرت دموعهم على خدودهم، وقطرت في محاريبهم، أشرف الجليل سبحانه فنادى جبريل - عليه السلام - بعيني من تلذذ بكلامي، فلم لا ينادى فيهم ما هذا البكاء؟ هل رأيتم حبيبًا يعذب أحبابه؟ أم كيف يجمل بي أن أعذب قومًا إذا جنَّهم الليل يتملقوني؟ فبي حلفت إذا وردوا على القيامة لأكشفن لهم عن وجهى الكريم حتى ينظروا إليَّ وأنظر إليهم.

من أدب الدعاء:

قال أحمد بن أبى الحواري:

سمعت أبا سليمان الداراني يقول:

كنت ليلة بارده في المحراب، فأقلقني البرد، فخبأت إحدى يدي من البرد وبقيت الأخرى ممدودة، فغلبتني عيني فهتف بي هاتف:

- يا أبا سليمان: قد وضعنا في هذه ما أصابها، ولو كانت الأخرى لوضعنا فيها ما أصابها.

يقول عبد الرحمن بن أحمد بن عطيه العنسي:

- فآليت لا أدعو إلا ويداي خارجتان.

لا ينفع الهالك نجاة المعصوم:

قال أبو سليمان الداراني:

رُد سبيل العجب بمعرفة النفس، وتخلص إلى إجمام القلب - راحته - بقلة الخلطاء، وتَعرّضْ لرقة القلب بمجالسة أهل الخوف، واستجلب نور القلب بدوام الحزن، والتمس باب الحزن بدوام الفكرة، والتمس وجوه الفكرة في الخلوات، وتحرر من إبليس بمخالفة هواك، وتزين لله بالإخلاص والصدق في الأعمال، وتعرض للعفو بالحياء منه والمراقبة، واستجلب زياده النعم بالشكر، واستدم النعم بخوف زوالها، ولا عمل كطلب السلامة، ولا سلامة كسلامة القلب، ولا عقل كمخالفة الهوى، ولا فقر كفقر القلب، ولا غنى كغنى النفس، ولا قوة كرد الغضب، ولا نور كنور اليقين، ولا يقين كاستصغار الدنيا، ولا معرفة كمعرفة النفس، ولا نعمة كالعافية من الذنوب، ولا عافية كمساعدة التوفيق، ولا زهد كقصر الأمل، ولا حرص كالمنافسة في الدرجات، ولا طاعة كأداء الفرائض، ولا تقوى كاجتناب المحارم، ولا عدم كعدم العقل، ولا فضيلة كالجهاد، ولا جهاد كمجاهدة النفس، ولا ذل كالطمع، ومن لم يحسن رعاية أسرع به هواه إلى الهلكة، ولا ينفع الهالك نجاة المعصوم، ومرارة التقوى اليوم حلاوة في ذلك اليوم - يوم القيامة - والهالك من هلك في آخر سفره وقد قارب المنزل، والخاسر من أبدى للناس صالح عمله وبارر بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد.

لا حول ولا قوة إلا بالله:

بات عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي ذات ليلة، فلما انتصف الليل قام ليتهيَّأ للوضوء، فلما أدخل يده في الإناء بقى على حالته حتى تنفس الصبح، وكان وقت إقامة صلاة الفجر، فخشى أحمد بن أبى الحواري أن تفوته الصلاة فقال:

- الصلاة يرحمك الله.

فقال أبو سليمان الداراني:

- لا حول ولا قوه إلا بالله العلي العظيم.

ثم قال لأبي الحسن:

- يا أحمد: أدخلت يدي في الإناء فعارضني معارض في سري - نفسي - هب أنك غسلت بالماء ما ظهر منك فبماذا تغسل قلبك؟ فبقيت متفكرًا حتى قُلت بالغموم والأحزان فيما يفوتني من الأنس بالله عز وجل.

كيف لا تستحي ممن لا تعرف!

سهر أحمد بن أبي الحواري ليلة في ذكر النساء إلى الصباح، فلما ذكر ذلك لعبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي تغيَّر وجهه وغضب عليه وقال:

- ويحك! أما استحييت منه - الله عز وجل -؟! يراك ساهرًا في ذكر النساء؟ ولكن كيف تستحي ممن لا تعرف؟

صدق النية:

قال أحمد بن أبي الحواري لأبي سليمان الداراني ذات يوم:

- إنى قد غبطت بني اسرائيل.

فتساءل عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي:

- بأي شيء؟ ويحك!

قال أبو الحسن:

- بثمان مائة سنة وبأربعمائة سنة حتى يصيروا كالشنان - القرب - البالية والحنايا وكالأوتار.

قال أبو سليمان الداراني:

- ما ظننت إلا أنك جئت بشيء، لا والله ما يريد الله منا أن تيبس

جلودنا على عظامنا، ولا يريد منا إلا صدق النية فيها عنده، هذا إذا صدق في عشرة أيام نال ذاك من عمره.

دعته بطنه إلى ما ترى:

خرج أبو الحسن مع أبي سليمان الدراني ذات ضحى فمرا على زرع فإذا طائران يلتقطان الحب، فلما شبعا أراد الذكر الأنثى.

فقال عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي:

- **يا أحمد: انظر فيها كان لما شبعا، دعته بطنه إلى ما ترى.**

لا لبيك ولا سعديك:

قال أحمد بن أبي الحواري:

خرجت مع أبي سليمان الداراني إلى الحج، فلما أراد أبو سليمان أن يلبى فغشى عليه، فلما أفاق قال:

- يا أحمد: بلغني أن الرجل إذا حج من غير حِلِّهِ.

فقال:

- لبيك اللهم لبيك.

قال له الرب:

- لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما في يديك فما يؤمنني أن يقال لي هذا؟

ثم لبَّي.

سل حاجتك:

قال أحمد بن أبي الحواري:

قال أبو سليمان الداراني:

كان شاب يختلف إلى معلم له يسأله عن الشيء فلا يجيبه فجاءه يومًا وقال له:

- إنى كنت جالسًا على سطح لنا فتفكرت فإذا أنا في البحر قد رفع على عمود من ياقوت.

فلما سمع المعلم ذلك هتف:

- سل حاجتك؟

امدحوني:

قال أبو سليمان الداراني:

قرأت في بعض الكتب يقول الله عز وجل:

بعيني ما يحتمل المتحملون من أجلي، ويكابد المكابدون في طلب مرضاتي، فكيف بهم وقد صاروا في جواري وتبحبحوا في رياض خلدي.

فهنالك فليبشر المصغون إلى أعمالهم بالنظر العجيب من الحبيب القريب، ترون أن أضيع لهم عملاً وأنا أجود على المولين - المعرضين - عني، فكيف بالمقبلين عليَّ؟ ما غضبت على أحد كغضبي على من أذنب ذنبًا فاستعظمه في جنب عفوي، فلو كنت معجلاً أحدًا وكانت العجلة من شأني لعاجلت القانطين من رحمتي.

فأنا الدَّيان الذي لا تحل معصيتى ولا أطاع إلا بفضل رحمتي، ولو لم أشكر عبادي إلا على خوفهم من المقام بين يدي لشكرتهم على ذلك، وجعلت ثوابهم الأمن مما خافوا، فكيف بعبادي لو قد رفعت قصورًا تحار لرؤيتها الأبصار، فيقولون: ربنا لمن هذه القصور؟

فأقول:

لمن أذنب ذنبًا ولم يستعظمه في جنب عفوي، ألا وإني مكافئ على المدح فامدحوني.

الله تعالى هو الذي ابتلاه به:

سأل المعلم تلميذه:

- يا أحمد: من أي وجه أزال العاقل اللائمة عمن أساء إليه؟

قال أحمد بن أبى الحواري:

- لا أدري.

قال أبو سليمان الداراني:

– **من أنه علم أن الله تعالى هو الذي ابتلاه به.**

شهوة أصبتها:

قال أحمد بن أبى الحواري لمعلمه:

- لم أوتر البارحة ولم أصل ركعتي الفجر - إدبار النجوم - ولم أصل الصبح في جماعة.

قال عبد الرحمن بن أحمد بن عطيه العنسي:

- بما كسبت يداك، والله ليس بظلام للعبيد، **شهوة أصبتها.**

عاملوا ربهم بقلوبهم:

حدَّث أبو سليمان الداراني ذات يوم جلساءه عن **صحابة رسول الله** (صلي الله عليه وسلم) فقال أحمد ابن أبى الحواري:

كان عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف موسرين.

قال عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي:

- اسكت إنَّما كان عثمان وعبد الرحمن بن عوف خازنين من خزان الله في أرضه، ينفقان في وجوه الخير.

ثم أردف أبو سليمان الداراني:

- كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يعاملون الله عز وجل بقلوبهم.

طوبى لمن!

قال أبو سليمان الداراني:

- طوبي لمن حذر سكرات الهوى، وسورة الغضب، والفرح بشيء من الدنيا فصبر على مرارة التقوى.

طوبى لمن لزم الجادة بالانكماش والحذر، وتخلص من الدنيا بالثواب والهرب كهربه من السبع والكلب.

طوبى لمن انتقل بقلبه من دار الغرور ولم يسع لها سعيها فيبرز من خطرات الدنيا وأهلها منه على بال، واضطربت عليه الأحوال.

من ترك الدنيا للآخرة ربحهما، ومن ترك الآخره للدنيا خسرهما، وكل أم يتبعها بنوها، بنو الدنيا تسلمهم إلى خزي شديد، ومقامع من حديد، وشراب من صديد.

وبنو الآخرة تسلمهم إلى عيش رغد، ونعيم الأبد، في ظل ممدود، وماء مسكوب، وأنهار تجرى بغير أخدود.

وكيف يكون حكيمًا من هو لها يهوى - الدنيا - ركون؟ وكيف يكون راهبًا من يذكر ما أسلفت يداه ولا يذوب، الفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة، وعقوبة لأهل الولاية.

والفكر في الآخرة تورث الحكمة وتحيى القلب، ومن نظر إلى الدنيا مولية صح عنده غرورها، ومن نظر إليها مقبلة بزينتها شاب في قلبه حبها، ومن تمت معرفته اجتمع همه في أمر الله وكان أمر الله شغله.

أين روحك!

قال أبو سليمان الداراني:

خرج عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا - كانا ابني خالة - عليهما السلام - يتماشيان فصدم يحيى امرأة فقال له عيسى:

- يا ابن خالة: لقد أصبت اليوم خطيئة ما أظن أن يغفر لك أبدًا.

قال يحيى - عليه السلام -:

- وما هي ابن خالة؟

قال عيسى - عليه السلام -:

- امرأة صدمتها.

قال يحيى بن زكريا - عليه السلام -:

- والله ما شعرت بها.

قال عيسى - عليه السلام -:

- سبحان الله! بدنك معي فأين روحك؟

قال يحيى - عليه السلام -:

- معلق بالعرش، ولو أن قلبي اطمأن إلى جبريل لظننت أني ما عرفت الله طرفة عين.

الصمت:

ذات يوم، سمع عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي أبا جعفر المنصور يبكي في خطبة، فاشتعلت نيران الغضب في صدر أبي سليمان الداراني، وحضرته نية في أن يقوم إلى الخليفة ويكلمه بما سمع من كلامه، وبما يعرف من فعله إذا نزل، ثم فكر أبو سليمان الداراني في القيام إلى خليفة ويعظه والناس جلوس فيرمقونه بأبصارهم فيدخله التزين فيأمر بقتله فيقتل على غير تصحيح.

يقول أبو سليمان الداراني:

- فجلست وسكت.

لكم اليوم عندي تحياتي وكرامــتي:

قال أبو سليمان الداراني:

ذهب المطيعون لله بلذيذ العيش في الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى لهم يوم القيامة:

رضيتم بي بدلاً دون خلقي وآثرتموني على شهواتكم في الدنيا، فعندي اليوم فباشروها فلكم اليوم عندي تحياتي وكرامتي فبي فافرحوا، وبقربي فتنَعَّمُوا.

فوعزتي وجلالي ما خلقت الجنات إلا من أجلكم.

ليس في الدنيا ألذ من النساء:

قال التلميذ لمعلمه:

- يتفكر الرجل في أمر الآخرة فيكون الغالب عليه منها: الحور العين.

قال المعلم:

- إن في الآخرة ما هو أكثر من الحور يخرجن من القلب.

قال أحمد بن أبي الحواري:

- وإذا رجع إلى الدنيا كان الغالب عليه النساء.

قال أبو سليمان الداراني:

- لأنه ليس في الدنيا ألذ من النساء.

عصفور اصطاد كركيا:

قال أبو سليمان الداراني:

اختلفت إلى مجلس قاصّ فأثر كلامه في قلبي، فلما قمت لم يبق في قلبي منه شيء، فعدت إليه ثانية فأثر كلامه في قلبي بعدما قمت.

وفي الطريق عدت إليه ثالثة، فأثر كلامه في قلبي حتى رجعت إلى منزلي، فكسرت آلات المخالفات ولزمت الطريق.

فحكيت هذه الحكاية ليحيى بن معاذ فقال:

- عصفور - يعنى القاص - اصطاد كركيا - طائر يشبه البجع ويعني: أبا سليمان الداراني -.

أتحبين الموت!

قال أبو سليمان الداراني ذات يوم لأم أمير المؤمنين هارون الرشيد:

- أتحبين الموت؟

قالت:

- لا.

قال أبو عبد الرحمن:

- لِمَ؟

قالت أم الرشيد:

- لو عصيت آدميًا ما اشتهيت لقاءه.. فكيف أحب لقاءه وقد عصيته؟

فقال أبو سليمان الداراني:

ولوكانت الدنيا تدوم لواحد ::: لكان رسول الله فيها مخلدًا

أين السمكة!

قال أبو سليمان الداراني:

رأيت صيادًا يصطاد السمك على بعض السواحل وإلى جنبه ابنة صغيرة له، وكلما اصطاد سمكة وضعها في دوخلة - الدوخلة: - بفتح الدال والخاء وتشديد اللام ويجور تخفيفها: وعاء من خوص

كالزنبيل يوضع فيه التمر والزاد ونحوهما - معه، وكانت ابنته كلما وضع سمكة في الدوخلة ردتها إلى الماء، فالتفت الصياد فلم ير شيئًا في الدوخلة.

فقال الصياد لابنته:

- أي شيء عملت بالسمك؟

فقالت:

- يا أبي أليس سمعتك تروى عن النبي (صلي الله عليه وسلم) أنه قال:(لا تقع سمكة في شبكة إلا أغفلت عن ذكر الله عز وجل).

فلم أحب أن نأكل شيئًا غفل عن ذكر الله تعالى.

يقول أبو عبد الرحمن:

فبكى الصياد ورمى بالصنارة.

من أقوال أبي سليمان الداراني:

كان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي يقول:

* مفتاح الدنيا الشبع، ومفتاح الآخرة الجوع، وأصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله، وأن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، لأن الجوع عنده في خزائن مدخرة، ولا يعطى - الدين - إلا من أحب خاصة، ولأن أدع من عشائي لقمة أحب إليَّ من أكلها وأقوم من أول الليل إلى آخره.

* لولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا، وما أحب البقاء في الدنيا لتشقيق الأنهار ولغرس الأشجار.

* كل ما شغلك عن الله عز وجل من أهل ومال أو ولد فهو عليك مشؤوم.

* إنَّما عصى الله عز وجل من عصاه لهوانهم عليهم، ولو كَرُموا عليه لحجزهم عن معاصيه.

* كلما ارتفعت منزلة القلب كانت العقوبه إليه أسرع.

* وسأل أبو سلميان الداراني تلميذه أحمد بن أبى الحواري يومًا:

- من أي وجه أزال العاقل اللائمة عمن أساء إليه؟

قال أحمد بن أبى الحواري:

- لا أدري.

قال عبد الرحمن بن أحمد بن أبى عطية العنسي:

- من أنه قد علم أن الله تعالى هو الذي ابتلاه به.

* ما ضرك ما غرك إذا أعقبك ما سرَّك.

* لو عرض الله على أهل الليل من ثواب أعمالهم ما يجدون من اللذة لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم.

* إن النفس إذا جاعت وعطشت صفا القلب ورَقَّ، وإذا شبعت ورويت عمى القلب.

* ما يسرني أن لي من أول الدنيا إلى آخرها أنفقه في وجوه البر وأني أغفل عن الله عز وجل طرفة عين.

* لو أن الدنيا كلها في لقمة ثم جاءني أخ لي لأحببت أن أضعها في فِيهِ - في فمه -.

* إذا كانت الآخره في القلب، جاءت الدنيا تزحمها، وإذا كانت الدنيا في القلب لم تزحمها الآخرة ا لأن الآخرة كريمة والدنيا لئيمة.

* من حَسُنَ ظنه بالله عز وجل، ثم لا يخاف الله فهو مخدوع.

* أرجو أن يكون قد رزقت من الرضا طرفًا لو أدخلني النار لكنت بذلك راضيًا.

* يوحى الله عز وجل إلى جبريل - عليه السلام -: اسلب عبدى ما رزقته من لذة طاعتي فإن افتقدها فردها عليه، وإن لم يفتقدها فلا تردها عليه أبدًا.

* وقال أبو سليمان الداراني:

إنك إن طالبتني بشرى طالبتك بكرمك، وإن أخذتني بذنوبي أتيتك بتوحيدك، وإن أسكنتني النار بين أعدائك لأخبرتهم بحبي لك.

* ما يسر العاقل أن الدنيا له منذ خلقت إلى أن تفنى، ينعم فيها حلالاً يسأل عنه يوم القيامة، وأنه حجب عن الله عز وجل ساعة واحدة فكيف بمن حجب أيام الدنيا وأيام الآخر ة؟

* لو توكلنا على الله ما بنينا الحائط ولا جعلنا لباب الدار غلقًا مخافة اللصوص.

* إرادتهم - أهل المعرفة - من الآخره غير إرادة الناس، ودعاؤهم غير دعاء الناس.

* جوع قليل وسهر قليل وبرد قليل يقطع عنك الدنيا.

* إذا استحيى العبد من ربه عز وجل فقد استكمل الخير.

* إذا أصاب الشهوة فندم ارتفعت عنه العقوبة، وإن اغتبط وحدث نفسه أن يعاودها دامت عليه العقوبة.

* إنَّما هانوا عليه فعصوه، ولو كرموا عليه لمنعهم منها.

* احذر صغير الدنيا فإنه يجر إلى كبيره.

* طوبى لمن صحت له خطوة واحدة يريد بها وجه الله تعالى.

* إنى لأخرج من منزلي، فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله عليَّ فيه نعمه، ولي فيه عبرة.

* إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان التفكر.

* ربما مثل لي رأسي بين جبلين من نار، وربما رأيتني أهوى فيها حتى أبلغ قرارها، وكيف تهنئ الدنيا لمن كانت هذه صفته؟

* إنما ارتفعوا بالخوف، فإن ضيعوا نزلوا، وينبغى لعاقل وإن بلغ أعلى درجة أن يفزع قلبه بأسفل درجة من ذكر الموت والمقابر والبعث.

* لأهل الطاعة في ليلهم ألذ من أهل اللهو بلهوهم، **ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا.**

* لو لم يبك العاقل فيما بقى سن عمره إلا على لذة ما فاته من الطاعة فيما مضى، كان ينبغي له أن يبكيه حتى يموت.

ما عمل داود - عليه السلام - عملاً قط كان أنفع له من خطيئته، ما زال منها خائفًا هاربًا حتى لحق بربه عز وجل.

* لو اجتمع الخلق جميعًا على أن يضعوني كاتضاعى عند نفسي ما قدروا على ذلك.

* من أحسن في نهاره كوفئ في ليله، ومن أحسن في ليله كوفئ في نهاره، ومن صدق في ترك الشهوه ذهب الله بها من قلبه، والله أكرم من أن يعذب قلبًا بشهوه تركت له.

* ليس في العبادة عندما أن تصف قدميك وغيرك يفت لك، ولكن ابدأ برغيفيك فأحرزهما ثم تعبّد، ولا خير في قلب يتوقع قرع الباب يتوقع إنسانًا يجيئه يعطيه شيئًا.

* إذا ذكرت الخطيئة لم أحب الموت، وقلت: أبقى لعلي أتوب.

* إذا لذت لك القراءة، فلا تركع ولا تسجد، وإذا لَذَّ لَكَ السجود فلا تركع ولا تقرأ - تقرأ القرآن -، الزم الأمر الذي يفتح لك فيه.

* من كان يومه مثل أمسه فهو في نقصان.

* ما أتى من أتى مثل إبليس وقارون وبلعام - بلعام بن باعوراء كان من الكنعانيين أوتى علم بعض كتاب الله وعرف اسم الله الأعظم الذي إذا دعى به استجاب، وهو المقصود بقوله تعالى:{ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾} [سورة الأعراف الآية: ١٧٥]، إلا أن أصل نياتهم غش فرجعوا إلى الغش الذي في قلوبهم، والله أكرم من أن يمن على عبد بصدق ثم يسلبه إياه.

* سأل رجل أبا سليمان الداراني:

- يا أبا سليمان: ما أقرب ما تقرب به إليه؟

قال عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي:

- مثلي يسأل عن هذا؟! أقرب ما تقرَّب به إليه: أن يَطّلع من قلبك على أنك لا تريد من الدنيا والآخرة إلا هو.

* أفضل الأعمال خلاف هوى النفس.

* لكل شيء صدأ وصدأ نور القلب: شبع البطن.

* لكل شيء علم وعلم الخذلان: ترك البكاء من خشية الله.

* من حَسُنَ ظنه بالله ثم لم يخفه ويطعه فهو مخدوع.

* ينبغي للخوف أن يكون على العبد أغلب الرجاء، فإذا غلب الرجاء الخوف فسد القلب.

* من رأى لنفسه قيمه لم يذق حلاوة الخدمة.

* من صدق في ترك شهوة أذهبها الله من قلبه، والله أكرم من أن قلبًا بشهوة تركت له.

* قال زاهد لزاهد: أوصني.

قال:

- لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك.

* لو شك الناس كلهم في الحق ما شككت فيه وحدي.

* ما خلق الله خلقًا أهون عليه من إبليس، ولولا أن الله أمرني أن أتعوذ منه ما تعوذت منه أبدًا.

* إن اللص لا يجيء إلى خربة ينقب حيطانها، وهو قادر على الدخول إليها من أي مكان شاء، إنما يجيء إلى البيت المعمور، كذلك إبليس لا يجيء إلا إلى كل قلب عامر ليستزلَّه وينزله عن كرسيه ويسلبه أعز شيء.

* إذا أخلص العبد انقطعت عنه الوساوس والرؤيا - الجنابة -.

* أما يستحي أحدكم أن يلبس عباءة بثلاثة دراهم وفي قلبه شهوة بخمسة دراهم؟

* إذا رأيت ضوء الفقير في لباسه فاغسل يديك من فلاحه.

* الأخ الذي يعظك برؤيته قبل كلامه.

* كان ليحى بن زكريا قدح يشرب فيه ويتوضأ، فمرَّ برجل يشرب بيده، فقال:

- أرى هذا قد اجتزى بيده.

فطرح القدح وقال:

- هذا مع ما تركه من الدنيا.

* وقال أحمد بن أبى الحواري لأبى سليمان:

- تبيت عندنا؟

قال عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي:

- ما أحبكم تشغلونى بالنهار وتريدون أن تشغلوني بالليل.

* كيف يعجب عاقل بعمله؟ وإنَّما يعد العمل نعمة من الله، إنما ينبغي له أن يشكر ويتواضع، وإنَّما يعجب بعمله القدرية الذين يزعمون أنهم يعملون، فأما من زعم أنه مستعمل فبأي شيء يعجب؟

* ليس اتخاذ الحج من بضاعة أهل الورع لا يقضي منه دين ولا يشتري منه مصحف، وما فضل يرد إلى الورثة.

* فؤادي يلدغني من الجوع، ولولا أنى أخاف أن أضعف عن أداء الفرائض ما أكلت شيئًا.

* كيف يترك الدنيا من تأمرونه بترك الدينار والدرهم، وهم إذا ألقوها أخذتموها أنتم؟

* قال لقمان لابنه:

يا بُني لا تدخل الدنيا دخولاً يضر بآخرتك، ولا تتركها تركًا تكون كلاً على الناس.

* أي شيء يزيد الفاسقون عليكم إذا اشتهيتم شيئًا أكلتموه؟

* الزاهد حقًا لا يذم الدنيا ولا يمدحها ولا ينظر إليها، ولا يفرح بها إذا أقبلت، ولا يحزن عليها إذا أدبرت.

* خير ما أكون أبدًا إذا لصق بطني بظهري.

* وجدت لكل شيء حيلة إلا هذا الذهب والفضة، فإني لم أجد لإخراجهما من القلب حيلة.

أبو سليمان الداراني والقرآن العظيم:

كان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي يقرأ القرآن ويقول:

ربما أقمت في الآيه الواحدة خمس ليال، ولولا أني بعد لم أدع الفكر فيها ما جزتها أبدًا، وربما جاءت الآية من القرآن تطير العقل، فسبحان الذي ردّه إليَّ بعد.

وقال أبو سليمان الداراني:

ربما مكثت خمس ليال لا أقرأ بعد الفاتحة بآية واحدة أتفكر في معانيها، ولربما جاءت الآية من القرآن فيطير العقل، فسبحان من يرده بعد.

وقال عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي:

من سرَّه أن يشهد يوم القيامة فليقرأ آخر الزمر - القرآن العظيم مائة وأربع عشرة سورة منها ثمانون سورة عرضت مائة وخمسين مشهدًا من مشاهد يوم القيامة -.

وسُئِلَ أبو سليمان الداراني عن معنى قوله تعالى:{ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢} [سورة البقرة الآية: ٢].

فقال:

المتقون: الذين نزع الله من قلوبهم حب الشهوات.

وسأل رجل أبا سليمان الداراني عن قوله تعالى:{ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا } [سورة العنكبوت الآية: ٦٩].

قال عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي:

ليس الجهاد في الآية قتال الكفار فقط، بل هو نصر الدين، والرد على المبطلين، وقمع الظالمين، وأفضله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنه: مجاهدة النفس في طاعه الله وهو الجهاد الأكبر.

- قيل لأبي سليمان الداراني:

ما بال العقلاء أزالوا اللوم عمن أساء إليهم؟

قال أبو عبد الرحمن:

- لأنهم علموا أن الله تعالى إنما ابتلاهم بذنوبهم، قال تعالى:{ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ } [سورة الشورى الآية: ٣٠].

وقال أبو سليمان الداراني:

إن رجلاً قال لموسى - عليه السلام -:

- يا موسى سل الله لي في حاجة يقضيها لي هو أعلم بها.

ففعل موسى.

فلما رجع موسى - عليه السلام - من لقاء ربه إذ هو بالرجل قد مزق السبع لحمه، وقتله.

فقال موسى:

- ما بال هذا يا رب؟

فقال الله عز وجل:

- يا موسى: إنه سألني درجة علمت أنه لم يبلغها بعمله فأصبته بما ترى لأجعلها وسيلة في نيل تلك الدرجة.

فكان أبو عبد الرحمن إذا ذكر هذا الحديث يقول:

سبحان من كان قادرًا على أن ينيله الدرجة بلا بلوى، ولكنه يفعل ما يشاء.

ونظير هذه الآية في المعنى، قوله تعالى:{مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ} [سورة النساء الآية: ١٢٣].

فهذا في حق المؤمنين، فأما الكافر: فعقوبته مؤخرة إلى الآخرة.

وقيل: هذا خطاب للكفار، وكان إذا أصابهم شر قالوا:

- هذا بشؤم محمد.

فردَّ عليهم:

- بل ذلك بشؤم كفركم.

وسُئِلَ أبو سليمان الداراني عن قوله تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾} [سورة الأحزاب الآية: ٥٦].

قال أبو سليمان الداراني:

من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي (صلي الله عليه وسلم)، ثم يسأل الله حاجته، ثم يختم بالصلاة على النبي (صلي الله عليه وسلم)، فإن الله تعالى يقبل الصلاتين وهو كرم من أن يرد ما بينهما.

وسُئِلَ أبو سليمان الداراني، عن قوله تعالى:{وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾} [سورة الإنسان الآية: ١٢].

فقال:

{بِمَا صَبَرُواْ} عن الشهوات.

وسأل أحمد بن أبي الحواري معلمه عن قوله تعالى:{يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖ} [سورة الشورى الآية: ٤٥].

قال أبو سليمان الداراني:

ينظرون بأبصار قلوبهم.

وسُئِلَ عن قوله تعالى:{وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾} [سورة القيامة الآيتان: ٢٢ - ٢٣].

قال أبو سليمان الداراني:

- لو لم يكن لأهل المعرفة إلا هذه الآية الواحدة لاكتفوا بها.

وسأل أحمد بن أبى الحواري أبا سليمان الداراني عن قوله تعالى:{كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ} [سورة الرحمن الآية: ٢٩].

قال أبو سليمان الداراني:

ليس من الله شيء يحدث إنّما هو تنفيذ ما قدر أن يكون في ذلك اليوم.

وكان أبو سليمان الداراني إذا قرأ قوله تعالى:{أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾} [سورة الملك الآية: ١٤].

قال:

بينما عابد في غيطه على الخلاء إذ هبت الريح فتناثر ورق الشجر فنقر إبليس قلبه، فقال:

- من يحصي هذا؟

فنودى من خلفه:{أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾} [سورة الملك الآية: ١٤].

أبو سليمان الداراني وأحاديث الرسول (صلي الله عليه وسلم) :

سمع عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي الحديث الكثير، ولقى سفيان الثوري وغيره، ولكنه اشتغل بالتعبد عن الرواية ولكن له أحاديث مسندة ومنها:

قال أبو سليمان الداراني عن على بن الحسن بن أبي الربيع عن إبراهيم بن أدهم، عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أنس قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(من صلى قبل الظهر أربعًا، غفر له ذنوب يومه ذلك) (رواه الخطيب، وأبو نعيم في الحلية، عن أنس).

وقال أبو سليمان الداراني عن الحسن بن أبى الربيع عن إبراهيم بن أدهم عن محمد ابن عجلان، عن أبيه، عن أنس، قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(من تواضع لله رفعه الله ومن تكبَّر وضعه الله) (رواه أبو نعيم في الحلية وابن ماجه، والإمام أحمد، وأخرجه أبو يعلى).

وقال أبو سليمان الداراني: حدَّثني علقمة بن يزيد بن سويد الأزدي عن جده سويد ابن الحارث قال:

وفدت على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) سابع سبعة من قومي - الأزد - فلما دخلنا عليه وكلمنا أعجبه ما رأى من سمتنا وزينتنا فقال:

(من أنتم؟).

فقلنا:

- مؤمنون.

فتبسم (صلي الله عليه وسلم) وقال:

(إن لكل قول حقيقة فما حقيقه قولكم وإيمانكم؟).

قلنا:

خمس عشرة خصلة، خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها، وخمس منها أمرتنا رسلك أن نعمل بها، وخمس منها تخلفنا بها في الجاهلية، فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئًا.

فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(وما الخمس التي أمرتكم رسلي أن تؤمنوا بها؟).

قلنا:

أمرتنا رسلك: أن نؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت.

قال عليه الصلاة والسلام:

(وما الخمس التي أمرتكم أن تعملوا بها؟).

أمرتنا رسلك: أن نقول: لا إله إلا الله، ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونصوم رمضان، ونحج البيت من استطاع إليه سبيلا.

قال (صلي الله عليه وسلم) :

(وما الخمس التي تخلقتم بها وأنتم في الجاهلية؟).

قلنا:

الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والصدق في مواطن اللقاء، والرضا بِمُرِّ القضاء، والصبر عند شماتة الأعداء.

قال النبي (صلي الله عليه وسلم) :

(علماء حكماء كادوا من صدقهم أن يكونوا أنبياء).

ثم قال صاحب الخلق العظيم (صلي الله عليه وسلم) :

(وأنا أزيدكم خمسًا، فتم لكم عشرون خصلة:

إن كنتم كما تقولون فلا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه تزولون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تُعرضون، وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون).

يقول أبو سليمان الداراني:

وقال لي علقمة بن يزيد:

فانصرت القوم من عند رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وحفظوا وصيته وعملوا بها، ولا والله يا أبا سليمان ما بقى من أولئك النفر ولا من أولادهم أحد غيري.

وفاة أبي سليمان الداراني:

يقول أحمد بن أبى الحواري:

اشتهى أبو سليمان يومًا رغيفًا حارًا بملح، فجئته به فعض منه عضة ثم طرحه، وأقبل يبكي ويقول:

يا رب: عجلت لي شهوتي، لقد أطلت جهدي وشقوتي وأنا تائب.

فلم يذق الملح حتى لحق بالله عز وجل.

واختلف في وفاة عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي

فقيل:

كانت وفاته سنة أربع ومائتين.

وقيل:

سنة خمس ومائتين.

وقيل:

سنة خمس عشرة ومائتين.

وقيل:

سنة خمس وثلاثين ومائتين.

والله أعلم.

وقد دُفِنَ أبو سليمان الداراني في قرية داريا، وقبره بها مشهور.

رؤية عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي في المنام:

يقول أحمد بن أبي الحواري:

كنت أشتهى أن أرى أبا سليمان في المنام، فرأيته بعد سنة - من وفاته - فقلت له:

- ما فعل الله بك يا معلم؟

قال:

- يا أحمد: دخلت يومًا من باب صغير فرأيت حمل شيخ - كان يحمل الحطب - فأخذت منه عودًا فما أدرى تخللت به أو رميته فأنا في حسابه إلى الآن (رواه ابن عساكر عن أحمد بن أبي الحواري).

* * *

بشر بن الحارث

مواقف ومواعظ
من حياة التابعين

[١١]

بشر بن الحارث

بشر بن الحارث

كنيته ومولده:

يكنى: أبا نصر.

ولد سنة خمسين ومائة من الهجرة.

لماذا لُقبَ بشر بن الحارث الحافي؟

جاء بشر بن الحارث ذات يوم إلى الإسكاف يطلب منه شِسْعًا لإحدى نعليه، وكان قد انقطع فقال له الإسكاف:

- ما أكثر كلفتكم على الناس!

فألقى بشر بن الحارث النعل من يده والأخرى من رجله وقال:

- والله لا ألبس نعلاً بعدها.

نسبه:

هو: أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله.

وكان اسم عبد الله بعبور، وأسلم على أمير المؤمنين على بن أبي طالب.

وكان بشر بن الحارث من كبار الصالحين، وأعيان الأتقياء المتورعين.

أصله من مرو، من قرية يُقال لها: مابرسام - بفتح الباء وسكون الراء وسين مهملة -. سكن بغداد، وكان من أولاد الرؤساء والكتَّاب.

ما كان بدء أمرك!

سأل رجل بشر بن الحارث:

- ما كان بدء أمرك؟ لأن اسمك بين الناس كأنه اسم نبي؟

قال بشر الحافي:

هذا من فضل الله، وما أقول لكم كنت رجلاً عيارًا - رجل عيار: كثير التطواف والحركة ذكي - صاحب عصبة، وجدت يومًا قرطاسًا في الطريق فرفعته فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم، فمسحته وجعلته في جيبي، وكان عندي درهمان ما كنت أملك غيرهما، فذهبت إلى العطارين فاشتريت بهما غالية - الغالية: من الطيب - ومسحته في القرطاس، فنمت في تلك الليلة فرأيت في المنام كان قائلاً يقول:

- يا بشر بن الحارث: رفعت اسمنا عن الطريق وطيبته، لأطيبنَّ اسمك في الدنيا والآخرة.

ثم كان ما كان.

وقيل:

كان سبب توبته: أنه أصاب في الطريق ورقه وفيها اسم الله تعالى مكتوب، وقد وطئتها الأقدام، فأخذها واشترى بدراهم كانت معه غالية، فطيب بها الورقه وجعلها في شق جدار، فرأى في النوم كان قائلاً يقول له:

- يا بشر: طيبت اسى، لأطيبنَّ اسمك في الدنيا والآخرة.

فلما تنبه من نومه تاب.

لو اشتريت نعلاً بدرهمين.

ذهب بشر بن الحارث يومًا إلى باب المعافى بن عمران فدقَّ الباب.

فقيل له:

- من ذا؟

قال بشر بن الحارث:

- بشر الحافي.

فقالت له بنية للمعافي بن عمران:

- لو اشتريت نعلاً بدرهمين ذهب عنك هذا الاسم.

دعوة مستجابة:

اشتكى بشر بن الحارث فعادته آمنة الرملية - من الرملة، وهي: مدينة مشهورة في فلسطين - وبينما كانت عنده دخل أحمد بن حنبل يعود بشر الحافي فتساءل ابن حنبل:

- من هذه؟

فقال بشر الحافي:

- هذه آمنة الرملية، بلغها علتي، فجاءت من الرملة تعودني.

قال أحمد بن حنبل لأبي نصر:

- فسلها تدعو لنا.

فقال آمنة الرملية:

- اللهم إن بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل يستجيرانك من النار فأجرهما.

يقول أحمد بن حنبل:

فانصرفت فلما كان من الليل، طرحت إليّ رقعة مكتوب فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم، قد فعلنا{وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} [سورة ق الآية: ٣٥].

اسمي بشر:

ذات ليله ذهب بشر بن الحارث إلى بيت أخته زبدة فوضع إحدى رجليه داخل الدار والأخرى خارج الدار، وبقى كذلك يتفكر حتى أصبح فلما أصبح، قالت له زبدة بنت ا لحا رث:

- في ماذا تفكرت طول الليلة؟

قال بشر الحافي:

تفكرت في بشر النصراني، وبشر اليهودي، وبشر المجوسي، ونفسي، واسمي بشر.

فقالت:

- ما الذي سبق منك حتى خصك؟

قال أبو نصر:

- فتفكرت في تفضّله عليَّ أن جعلني من خاصته وألبسني لباس أحبائه.

أخوات بشر:

كان لبشر بن الحارث ثلاث أخوات وهنَّ: مضغة، ومخة، وزبدة، وكن زاهدات عابدات ورعات.

وكان أكبرهن مضغة، ماتت قبل موت أخيها بشر، فحزن عليها حزنًا شديدًا، وبكى بكاءً كثيرًا فقيل له في ذلك فقال:

- قرأت في بعض الكتب: أن العبد إذا قصر في خدمة ربه، سلبه أنيسه وهذه أخرى مضغة كانت أنيستي في الدنيا.

اللهم إنك تعلم:

قال عباس بن دهقان لبشر بن الحارث:

- يا أبا نصر: أحب أن أخلو معك.

قال بشر الحافي:

- إذا شئت.

فبكرت يوما فرأيته قد دخل قبة فصلى فيها أربع ركعات لا أحسن أن أصلي مثلها.

فسمعته يقول في سجوده:

اللهم إنك تعلم فوق عرشك أنَّ الذل أحب إليَّ من الشرف.

اللهم إنك تعلم فوق عرشك أنَّ الفقر أحب إليَّ من الغنى.

اللهم إنك تعلم فوق عرشك أنِّي لا أوثر على حبك شيئًا.

يقول عباسى بن دهقان:

فلما سمعته أخذني الشهيق والبكاء.

فلما سمعني قال:

اللهم إنك تعلم أنِّي لو أعلم أنَّ هذا هاهنا لم أتكلَّم.

بين السكوت والكلام:

قال الفتح بن شحرف:

كنت جالسًا عند بشر بن الحارث إذ جاءه رجل فسأله عن مسألة، فأطرق أبو نصر مليًا ثم رفع رأسه ثم أطرق ثم رفع رأسه، وقال:

اللهم إنَّك تعلم أنِّي أخاف أن أتكلَّم.

اللهم إنَّك تعلم أنِّي أخاف أن أسكت.

اللهم إنَّك تعلم أنِّي أخاف أن تأخذني فيما بين السكوت والكلام.

سؤالها لا يحتمل التأويل:

يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل:

جاءت مخة أخت بشر الحافي إلى أبي فقالت:

- يا أبا عبد الله: رأس مالي دانقان أشتري بهما قطنًا فأغزله وأبيعه بنصف درهم - الدانق: بفتح النون وكسرها: سدس الدرهم، أي: الدرهم ستة دوانق - فأنفق دانقًا من الجمعة إلى الجمعة، وقد مرَّ الطائف ليلة ومعه مشعل فاغتنمت ضوء المشعل وغزلت طاقتين في ضوئه، فعلمت أن الله سبحانه وتعالى فِيَّ مطالبه، فخلّصني من هذا خلصك الله تعالى.

فقال أبي:

- تخرجين الدانقين ثم لا تبقين بلا رأس مال حتى يعوضك الله خيرًا منه.

يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل:

فقلت لأبي: لو قلت لها حتى تخرج رأس مالها؟

قال أحمد بن حنبل:

- يا بني: سؤالها لا يحتمل التأويل فمن هذه المرأة؟

يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل:

فقلت:

- هي مخة أخت بشر الحافي.

فقال أبي:

- من هاهنا أتيت.

طاب المسير إلى الله عز وجل:

قال عليّ الجرجرائي - نسبة إلى جرجرايا بلد بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي وهو من أستاذي بشر الحافي -:

لقيني بشر بن الحارث بجبل لبنان على عين ماء فلما أبصرني قال:

- بذنب من لقيت اليوم إنسيًا.

فعدوت خلفه وقلت له:

- أوصني.

فالتفت إليَّ وقال:

- أمستوص أنت؟ عانق الفقر، وعاشر الصبر، وعاد الهوى، وعاف - اترك - الشهوات، واجعل بيتك أحلى من لحدك يوم تنقل إليه، على هذا طاب المسير إلى الله عز وجل.

من لي سواك:

رأيت رجلاً على جبال عرفة قد ولع به الوله وهو يقول:

سبحان من سجدنا بالعيون له ::: على شبا الشوك والحمى من الإبر
لم نبلغ العشر من معشار نعمته ::: ولا العشير ولا عشرا من العشر
هو الرفيع فلا الأبصار تدركه ::: سبحانه من مليك نافذ القدر
سبحان من هو أنسى إذ خلوت به ::: في جوف ليلى وفي الظلماء والسحر
أنت الحبيب وأنت الحب يا أملي ::: من لي سواك ومن أرجوه يا ذخري

ثم أنشد أيضا:

كم قد زللت فلم أذكرك في زليلي ::: وأنت يا سيدي في الغيب تذكرني
كم أكشف الستر جهلاً عن معصيتي ::: وأنت تلطف بي حقًا وتسترني
لأبيكن بدمع العين من أسف ::: لأبكينَّ بكاء الوله الحزن

ثم غاص الرجل في خلال الناس فلم أره فسالت عنه:

- من هذا الرجل؟

فقيل لي:

- هذا أبو عبيدة الخواص، منذ سبعين سنة لم يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله عز وجل.

احذر سوء الظن:

كتب بشر الحافي إلى علي بن خشرم يقول:

السلام عليك.

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد:

فإني أسال الله أن يتم ما بنا وبكم من نعمة، وأن يرزقنا وإياكم الشكر على إحسانه، وأن يميتنا ويحيينا وإياكم على الإسلام، وأن يسلم لنا ولكم خلقًا من تلف، وعوضًا عن كل رزية.

أوصيك بتقوى الله يا على ولزوم أمره، والتمسك بكتابه، ثم اتباع آثار القوم الذين سبقونا بالإيمان وسهلوا لنا السبل، فاجعلهم نصب عينيك، وأكثر عرض حالاتهم عليك تأنس بهم في الخلاء، ويغنون عن مشاهدة الملأ، فمثّل حالهم كانك تشاهدهم، فمجالسة أصحاب النبي (صلي الله عليه وسلم) أوفق من مجالسة الموتى، ومن يرقب منك زلتك وسقطتك إن قدر عليها، فإن يقدر عليها جعل جليسًا إن رآه عندك عيبك فرماك بما لم يره الله منك.

واعلم علمك الله الخير وجعلك من أهله، إن أكثر عمرك فيما أرى قد انقضى، ومن يرضى حاله قد مضى، وأنت لاحق بهم، وأنت مطلوب ولا نعجز طالبك، وأنت أسير في يديه وكل الخلق في كبريائه صغير، وكلهم إليه فقير، فلا يشغلنك كثرة من يحبك، وتضرع إليه تضرع ذليل إلى عزيز، وفقير إلى غني، وأسير لا يجد ملجأ ولا مفرًا يفر إلا إليه، وخائف مما قدمت يداه، غير واثق على ما يقدم لا يقطع الرجاء، ولا يدع الدعاء، ولا يأمن من الفتن والبلاء، فلعله إن رآك كذلك عطف عليك بفضله، وأمدك بمعونته، وبلغ بك ما تأمله من عفوه ورحمته.

فافزع إليه في نوائبك، واستعنه على ما ضعفت عنه قوتك، فإنك

إذا فعلت ذلك قرَّبك بخضوعك له، ووجدته أسرع إليك من أبويك وأقرب إليك من نفسك.

وبالله التوفيق.

وإياه أسال خير المواهب لنا ولك.

واعلم يا علي أنه من ابتلى بالشهرة ومعرفه الناس، فمصيبته جليلة، فجبرها الله لنا ولك بالخضوع والاستكانة والذل لعظمته، وكفانا وإياك فتنتها وشر عاقبتها، فإنه تولى ذلك من أوليائه ومن أراد توفيقه.

وارجع إلى أقرب الأمرين بك، إلى إرضاء ربك، ولا ترجعن بقلبك إلى محمدة أهل زمانك ولا ذمهم، فإن من كان يتقي ذلك منه قد مات، وإنارة إحياء القلوب من صالح أهل زمانك، وإنَّما أنت في محل موتى ومقابر أحياء ماتوا عن الآخرة، ودرست عن طرقها آثارهم، هؤلاء أهل زمانك فتوار مما لا يستضاء فيها بنور الله، ولا يستعمل فيها كتابه إلا من عصم الله، ولا تبال من تركك منهم، ولا تأس على فقدهم.

واعلم، أن حظك في بُعدهم أوفر من حظهم في قربهم، وحسبك الله فاتخذه أنيسًا ففيه الخلف منهم، فاحذر أهل زمانك، وما العيش مع من يظن به من في زمانك الخير ولا مع من يسيء به الظن خير، وما ينبغي أن يكون طلعة أبغض إلى عاقل تهمه نفسه من طلعة إنسان في زمانك؛ لأن منه على شرف فتنة إن جالسته، ولا تأمن البلاء إن جانبته، وللموت في العزلة خير من الحياة وإن ظن رجل أن ينجو من الشر يأمن خوف فتنة، فلا نجاة له إن أمكنتهم من نفسك آثموك، وإن جانبهم أشركوك، فاختر لنفسك واكره لها ملابستهم، وأرى أن الفضل اليوم ما هو إلا في العزلة؛ لأن السلامة فيها، وكفى بالسلامة فضلاً، واجعل أذنك عما يؤثمك صماء، وعينك عنه عمياء،

واحذر سوء الظن فقد حذرك الله تعالى ذلك، وذلك قوله تعالى:{إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٌۖ} [سورة الحجرات الآية: ١٢].

والسلام.

محال أن تكون هذه المرأه إلا أخت بشر الحافي:

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل:

دخلت امرأة على أبي فقالت:

- يا أبا عبد الله إني امرأة أغزل في الليل على ضوء السراج، وربما انطفأ السراج فأغزل على ضوء القمر، فهل عليَّ أن أبين غزل السراج من غزل القمر؟

قال أبي:

- إن كان عندك بينهما فرق - من حيث الجودة - فعليك أن تبيني ذلك.

فقالت له:

- يا أبا عبد الله: أنين المريض هل هو شكوى؟

فقال أحمد بن حنبل:

- إني أرجو أن لا يكون شكوى، ولكن هو اشتكاء إلى الله تعالى.

ثم انصرفت.

يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل:

فقال لي أبي:

- يا بني: ما سمعت إنسانًا قط يسأل عن مثل ما سألت هذه المرأة اتبعها.

يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل:

فتبعتها.. إلى أن دخلت دار بشر الحافي، فعرفت أنها أخت بشر بن الحارث فأتيت فقلت له:

- إن المرأة أخت بشر الحافي.

فقال أحمد بن حنبل:

- هذا والله هو الصحيح، محال أن تكون هـذه المـرأة إلا أخـت بشر الحافي.

دعائك أبلغ له:

قال إبراهيم الحربي:

حملنى أبي إلى بشر بن الحارث فقال له:

- يا أبا نصر، ابنى هذا مشتهر بكتابة الحديث والعلم.

فقال بشر الحافي لإبراهيم الحربي:

- يا بني: هذا العلم ينبغي أن يعمل به، فإن لم يعمل بـه كلـه فمن مائتين خمسة مثل زكاة الدراهم؟

فقال أبي:

- يا أبا نصر: تدعو له؟

فقال بشر بن الحارث:

- دعاؤك أبلغ، دعاء الوالد لولده كدعاء النبي (صلي الله عليه وسلم) لأمته.

يقول إبراهيم الحربي:

- فاستحليت كلامه، واستحسنته، فإذا أنا مارًا إلى صلاة الجمعة، فـإذا بشر يصلي فـي قبـة الشعر، فقمت وراءه أركع إلـى أن يـؤذن بالأذان.

فقام رجل رث الحال والهيئة فقال:

- يا قوم:

احذروا أن أكون صادقًا، وليس مع الاضطرار اختيار، ولا يسع السكوت عند العدم، ولا السؤال مع الوجود، ولا فاقة رحمكم الله.

يقول إبراهيم الحربي:

فرأيت بشر الحافي أعطاه قطعة دانق - الدانق: سدس درهم -.

يقول إبراهيم الحربي:

فقمت إليه فأعطيته درهمًا وقلت له:

- أعطني القطعة.

قال الرجل:

- لا أفعل.

قلت:

- هذان درهمان.

وكان معي عشرة دراهم صحاح.

قال الرجل:

- لا أفعل.

قلت:

- هذه عشرة دراهم.

فتساءل الرجل:

- يا هذا: وأي شيء رغبتك في دانق تبذل فيه عشرة صحاحًا؟

قلت:

- هذا رجل صالح.

قال الرجل:

– فأنا في معروف هذا أرغب ولست أستبدل بالنعم نقمًا، وإلى أن آكل هذه فرج عاجل أو منية – موتة – قاضية.

يقول إبراهيم الحربي:

- انظروا معروف من آخذ؟

وقلت:

- يا شيخ: دعوة.

فقال لي:

- أحيا الله قلبك ولا أماته حتى يميت جسمك، وجعلك ممن يشتري نفسه بكل شيء ولا يبيعها بشيء.

كما أفسدته فَخُذِيه:

تخرق إزار بشر بن الحارث فقالت له أخته زبدة ذات يوم:

- يا أخي: قد تخرق إزارك وهذا البرد، فلو جئت بقطن حتى أغزل لك.

وكان القطن يجيء بالاستارين - الاستار: أربعة مثاقيل ونصف - فاشترت له قطنًا وغزلته ثم قالت:

- يا أخي: إن الغزل قد اجتمع أفلا تأخذ إزارك؟

فقال أبو نصر:

- هاتيه.

فأخرجته إليه، فوزنه، وجعل يحسب الأساتير، فلما رآها قد زادت فيه قال:

- كما أفسدته فخذيه.

الرجل الصالح:

استقبل بشر الحافي رجلٌ في طريق الشام وعليه عباءة عقدها مستوفرًا كأنه وحشي.

فقال له أبو نصر:

- رحمك الله من أين جئت؟

قال الرجل:

- جئت من عنده.

قال بشر الحافي:

- وإلى أين تذهب؟

قال الرجل:

- إليه.

قال بشر بن الحارث:

- ففيم النجاة رحمك الله؟

قال الرجل:

– في التقوى والمراقبة لمن أنت له مبتغ.

قال أبو نصر:

- أوصني.

قال الرجل:

- لا أراك تقبل.

قال بشر الحافي:

- أرجو أن أقبل إن شاء الله.

قال الرجل:

- فرّ منهم ولا تأنس بهم، واستوحش من الدنيا فإنها تعرضك للعطب.

ثم قال:

- من عرف الدنيا لم يطمئن إليها، ومن أبصر ضررها أعد لها دواءها، ومن عرف الآخرة ألح في طلبها، ومن توهمها اشتاق إلى ما فيها فهان عليه العمل.

ثم قال:

- فكيف لو توهمت من يملكها ومن زخرفها ومن قال لها: كوني فكانت، وتزيَّني فتزيَّنت؟ والتشوق إلى مالكها أولى بقلوب المشتاقين، وأطيب لعيش المستأنسين.

ثم قال:

- قد أنسوا بربهم فالأمر فيما بينهم وبينه سليم، صافوه بالعقول، ودققوا له الفطن، فسقاهم من كأس حبه شربة فظلوا في عطشهم أرْوياء وفي ربهم عِطَاشًا.

ثم قال:

- يا هذا: أتفهم ما أقول، وإلا فلا تتبعني؟

قال بشر بن الحارث:

- بلى رحمك الله إنى أفهم جميع ما قلت.

قال الرجل:

- الحمد لله الذي فهمك.

يقول بشر بن الحارث:

فرأيت في وجهه السرور.

ثم قال الرجل:

خذ إليك - اسمع ما ألقيه على أذنك من القول، وخذ مني - نعم هم الذين لا يملون كاساته من تحفه، فالحكمة إلى قلوبهم سائلة - مائلة - متواصلة؛ لأنهم الأكياس - المتصفون بالكياسة والفطنة - الذين لم تدنسهم المطامع ولم تقطعهم عن الله عز وجل القواطع، ليوث - أُسْدٌ - في تعززهم، أغنياء في توكلهم، أقوياء في تقلبهم، قد قطعتهم الخشية، وولهتهم العزة، نعيمهم اليقين، وروحهم السكون، ألين الحلق عريكة وأشد حياء، وأشرف مطلبًا، لا يركنون إلى الدنيا جزعًا، ولا يتطاولون ولا يتماوتون، فهم صفوة الله عز وجل من خلقه، وضنائن - الضنائن: الأضياء التي يضن بها لنفاستها، وضنائن الله: خواص خلقه - من خالص عباده.

ثم قال الرجل:

- إن القلوب الحيَّة من دون هذا لها مقنع، نفعنا الله وإياك بما علمنا وسلمنا وإياك بما علمنا.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فقال بشر الحافي:

- فطلبت منه المزيد من مواعظه.

فأبى عليَّ وقال:

- لست أنساك فلا تنسني.

ثم مض وترك أبا نصر.

ثم لقى بشر بن الحارث عيسى بن يونس فحدثه بقصة ذلك الرجل، فقال عيسى بن يونس:

- لقد أنس بك ذلك الرجل الصالح، إنه رجل من خيار الناس يأوى إلى الجبل، وإنَّما يدخل المدينة كل جمعة لصلاة الجمعة ويبيع في ذلك اليوم حطبًا يكفيه إلى الجمعة الأخرى، وعجبًا كيف كلمك؟

لقد حفظت عنه كلامًا حسنًا.

شغلت النفوس بالقليل الفاني:

كان أبو نصر مارًا في جبال الشام على بقال يُقال له: الأقرع، فإذا بشاب قد نحل جسمه ورق جلده، وعليه ثوب من صوف، فسلم عليه فرّ على بشر بن الحارث السلام، فقال بشر الحافي في نفسه:

- أقول له عظني وأبلغ؟

ولكن أبا نصر قبل أن يكلمه أجاب الشاب عن سر بشر بن الحارث وقال:

- عظ نفسك بنفسك، وفك نفسك من حبسك، ولا تشتغل بموعظة غيرك من جنسك، واذكر الله في الخلوات يقك السيئات، وعليك بالجد والاجتهاد.

ثم بكى وجعل يقول:

- شغلت النفوس بالقليل الفاني ونحبت - نحب القوم في سيرهم: جدوا، ونحبه السير: أجهده - الأبدان بالتسويف والأماني.

ثم قال:

- يا بشر.

يقول بشر الحافي:

- وما رآني وما عرفني قبل ذلك.

ثم تنهد وقال:

- إن لله عبادًا خالطَ قلوبهم الحزن فأسهر ليلهم، وأظما نهارهم - أي: أقاموا الليل بالتهجد وصاموا نهارهم - وأبكى عيونهم، كما وصفهم ربهم في كتابه:{كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾} [سورة الذاريات الآيتان: ١٧ - ١٨].

يا بشر ببركة مائك أسلم الطبيب:

لما مرض بشر الحافي مرضه الذي مات فيه اجتمع إليه إخوانه وقالوا له:

- نريد أن نحمل ماءك - ما تبوله - إلى الطبيب.

فقال أبو نصر:

- أنا بعين الطبيب يفعل بي ما يريد.

قالوا:

- إن فلانًا النصراني طبيب جيد ولا بد أن نحمل إليه ماءك.

فقال بشر الحافي:

- دعوني فالطبيب أمرضني.

قالوا:

- لا بد من ذلك.

فقال أبو نصر لأخته:

- إذا كان في الغدِ ادفعي إليهم الماء.

فلما أصبحوا أتوها فدفعت إليهم الماء فمضوا به إلى الطبيب فنظر إليهم وقال:

- ضعوه.

فوضعوه ثم قال:

- حرِّكُوه.

فحرَّكُوه.

حتى فعل ذلك ثلاثا فقال أحد القوم:

- ما هكذا أُخبرنا عنك.

فتساءل الطبيب:

- وما الذي أخبرتم به عني؟

قال:

- أخبرنا عنك بحسن النظر، وسرعه الإدراك، وجودة المعافاة، ونراك تردد النظر، وذلك يدل على قلة المعرفة.

فقال الطبيب:

– والله لقد علمت حاله من نظرة، ولكنني رددت النظر تعجبًا، وبعد فإن يكن هذا ماء نصراني فهو ماء راهب قد فتت الخوف من الله كبده، وإن يكن ماء مسلم فهو ماء بشر الحافي وليس له عندي دواء فعللوه فإنه ميت.

فقالوا له:

- هو والله ماء بشر الحافي.

فلما سمع الطبيب ذلك، أخذ مقراضًا - مشرط - وقطع زناره - حزام كان يشده المجوسي والنصراني على وسطه - وقال:

– أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

فأسرعوا نحو بشر الحافي ليبشروه.

ولكن أبا نصر عندما رجعوا إليه سألهم:

- أسلم الطبيب؟

قالوا في عجب:

- نعم فمن أخبرك؟

قال بشر الحافي:

- لما خرجتم من عندي أخذتنى سِنَةٌ وإذا بهاتف يقول: يا بشر: **ببركة مائك أسلم الطبيب.**

ولم يلبث أبو نصر بعد ذلك إلا ساعة... ومات.

من أقوال بشر بن الحارث:

كان أبو نصر يقول:

* ما اتقى الله من أحب الشهرة.

* قد شهرني ربي في الدنيا، فليته لا يفضحني في القيامة.

* ما أقبح بمثلى يظن في ظن وأنا على خلافه، وإنما ينبغي لي أن أكون أكثر ما يظن بي أنى أكره الموت وما يكره الموت إلا مريب، ولولا أني مريب لأي شيء أكره الموت؟

* غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه وإخفاء مكانه عنهم.

* اللهم استر واجعل تحت الستر ما تحت، فربما سترت على ما تكره.

* ونظر أبو نصر نحو أبا بكر محمد الفياض، وقال له:

- يا أخي: بادر فإن ساعات النهار والليل تذهب الأعمار.

* وقال بشر بن الحارث يوم موت أخته زبدة:

- إن العبد إذا قصر في طاعه الله سلبه الله من يؤنسه.

* ما شبعت منذ خمسين سنة.

* إني لأشتهي شواء منذ أربعين سنة ما صفا لي درهمه.

* أني لأشتهي شواء ورقاقًا - الرقاق: الخبز المنبسط الرقيق - منذ خمسين سنة ما صفا لي درهمه.

* طوبي لمن ترك شهوة حاضرة لموعد غيب لم يره.

* حادثوا الآمال بقرب الآجال.

* دخل بشر الحافي يومًا المقبرة فقال:

- الموتى داخل السور كثر منهم خارج السور.

* ليس من المودة أن تحب ما يبغض حبيبك.

* بحسبك أن أقوامًا موتى تحيا القلوب بذكرهم، وأن أقوامًا أحياء تعمى الأبصار بالنظر إليهم.

* الصدقة أفضل من الحج والعمرة والجهاد.

ثم قال:

ذاك يركب ويرجع ويراه الناس، وهذا يعطى سرًا لا يراه إلا الله عز وجل.

* ما أقبح أن يُطلب العالم:

فيُقال:

- هو بباب الأمير.

* قال بشر الحافي يومًا:

قطع الليالي مع الأيـــام في خلـــق ::: والنوم تحت رواق الهـــم والقلـــق

أحرى وأعذر لي من أن يُقال غـــدا ::: إني التمست الغنى من كف مختلـــق

قالوا: قنعت بذا، قلت: القنوع غنى ::: ليس الغنى كثرة الأموال والْــوَرِق

رضيت بالله في عسري وفي يسري ::: فلست أسلك إلا أوضح الطـــرق

الْوَرِقْ: الْفِضَّةُ.

* من أراد أن يكون عزيزًا في الدنيا سليمًا في الآخرة، فلا يحد ولا يشهد ولا يؤم قومًا ولا يأكل لأحد طعامًا.

* إذا قلَّ عمل العبد ابتلى بالهَمِّ.

* سكون النفس إلى المدح وقبل المدح لها أشد عليها من المعاصي.

* حب لقاء الناس حب الدنيا، وترك لقاء الناس ترك الدنيا.

* لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس.

* إذا كان لك صديق فلا تدل عليه الفقراء لا يكسرونه عليك.

* وقال بشر الحافي:

ذهب الرجال المرتجي لفعالهم ::: والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضهم ::: بعضًا ليدفع معور عن معور

* الصبر هو الصمت، والصمت من الصبر، ولا يكون المتكلم أورع من الصامت إلا عالم يتكلم في موضعه ويسكت في موضعه.

* انظر خبزك من أين هو ولا تعرض للنار.

* من هوان الدنيا على الله عز وجل أن جعل بيته وعرًا.

* أوثق عمل في نفسي حب أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم).

* عز المؤمن استغناؤه عن الناس، وشرفه قيامه الليل.

* من سأل الله تعالى الدنيا، فإنَّما يسأله طول الوقوف - يوم الحساب -.

* لا ينبغي أن يأمر بالمعررف وينهى عن المنكر إلا من يصبر على الأذى.

* لا تعط شيئًا مخافة ملامة الناس.

* اكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك.

* من أراد أن يلقن الحكمة فلا يعص الله.

* ما اتقى الله من أحب الشهرة.

* من عامل الله بالصدق استوحش من الناس.

* ليس أحد يحب الدنيا إلا لم يحب الموت، وليس أحد يزهد في الدنيا إلا أحب الموت حتى يلقي مولاه.

* لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى لِمَا عصوه.

* العجب أن تستكثر عملك وتستقلّ عمل الناس أو عمل غيرك.

* بقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين.

* خصلتان تقسيان القلب: كثرة الكلام، وكثرة الأكل.

* النظر إلى من يكره حس باطنة.

* النظر إلى الأحمق سخنة عين، والنظر إلى البخيل يقسي القلب، ومن لم يحتمل الغم والأذى لم يقدر أن يدخل فيما يحب.

* إذا ذكرت الموت ذهب عنك صفوة الدنيا وشهوتها، وذهبت عنك شهوة الجماع عند ذكر الموت.

* يكون الرجل مرائيًا في حياته مرائيًا بعد موته.

قيل:

- كيف يكون مرائيًا بعد موته؟

قال أبو نصر:

- يحب أن يكر الناس على جنازته.

* كان بشر الحافي إذا أراد الدخول إلى المقبرة قال:

- الموتى داخل السور أكثر منهم خارج السور.

* إذا أعجبك الكلام فاصمت وإذا أعجبك الصمت فتكلّم وإذا هممت بغلاء السعر فاذكر الموت لأنه يذهب عنك هَمُّ الغلاء.

* لا تسأل عن مسائل تعرف بها عيوب الناس، لا تقع في ألسنة الناس، إذا سألت عن مسألة فاعمله فإن لم تطق فاستعن بالله.

* ما أعلم أحدًا من الناس إلا مبتلى، رجل بسط الله تعالى له في رزقه فينظر كيف شكره، ورجل قبض الله عز وجل عنه رزقه فينظر كيف صبره.

خلت الديار فسدت غير مسود ::: ومن الشفاء تفردي بالسؤدد

* ولو أن رجلاً أنفق مثل جبل أحد - جبل أحد بالمدينة - في طاعة الله عز وجل لم يكن من المسرفين.

* تعلمت الزهد من أختي - مخة - فإنها كانت تجتهد أن لا تأكل ما لمخلوق فيه صنع.

* قيل لبشر بن الحارث:

- بأي شيء تأكل الخبز؟

قال أبو نصر:

- **أذكر العافية فأجعلها إدَامًا.**

* وقال بشر لأصحاب الحديث:

- أدوا زكاة هذا الحديث.

قالوا:

- وما زكاته؟

قال أبو نصر:

- **اعملوا من كل مائتي حديث بخمسة أحاديث.**

* من طلب الدنيا فليتهيأ للذل.

* عقوبة العالم في الدنيا أن يعمى بصر قلبه.

* ومن دعاء بشر الحافي:

اللهم إن كنت شهرتني في الدنيا لتفضحني في الآخرة فاسلبه عني.

* **بشر بن الحارث وأحاديث رسول الله** (صلي الله عليه وسلم) :

سمع بشر بن الحارث من: وكيع، وعيسى بن يونس، وشريك بن عبد الله، وأبي معاوية، وأبى بكر بن عياش، وحفص بن غياث، وإسماعيل بن علية، وحماد بن زيد، ومالك بن أنس، وأبي يوسف

القاضي، وابن المبارك، وهُشيم، والمعافي بن عمران، والفضيل بن عياض، وأبي نعيم.

غير أنه لم يتصد للرواية فلم يضبط عنه من الحديث إلا اليسير وكان يقول:

أدوا زكاة الحديث فاستعملوا من كل مائتي حديث خمسة أحاديث.

وقال أهل الحديث لأبي نصر:

حَدِّثْنَا.

فأنشدهم:

وليس من يروق لي دينه ::: إن شين الحديث أهل الحديث

يقول الحسن بن صعيد:

كنا يومًا عند بشر بن الحارث، فجاء رجل من خراسان، فبرك بين يدي أبي نصر، وقال:

- يا أبا نصر: أنا وفد خراسان، حدَّثني بخمسة أحاديث أذكرك بها بخراسان.

فلم يزل يتذلل له، وبشر يقول له:

- المحدثون كثير.

فلم يزل يداريه ويجتهد به.

فلما رأى أنه لا ينفعه شيء قال له:

- يا أبا نصر: أليس تروى عن عيسى - عليه السلام - أنه قال: من علم وعمل وعلم فذلك الذي يدَّعي عظيمًا في ملكوت السماء؟!

فقال بشر بن الحارث:

- كيف قلت؟ أعد عليَّ.

فأعاد الخراساني عليه القول:

علم وعمل وعلم فذلك الذي يدَّعي عظيمًا في ملكوت السماء.

قال له أبو نصر:

- صدقت قد علمنا حتى نعمل ثم نعلم.

ومن الأحاديث التي أسندت لأبي نصر: - فقد أسند عن أعلام رواة مع كراهيته للرواية ورغبة عنها -:

* قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن محمد بن على الصوري عن أبي نعيم قال:

جاءني بشر بن الحارث فقال:

حدَّثني بحديث النبي (صلي الله عليه وسلم) :(إن الله تعالى عند لسان كل قائل).

فقلت:

حدثنا عمرو بن ذر عن أبيه قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(إن الله عند لسان كل قائل، فليتق الله عبد ولينظر ما يقول) (رواه أبو نعيم في الحلية، عن ابن عمره والحكيم، عن ابن عباس).

* حدثنا عبد الله بن جعفر، عن يونس بن حبيب، عن أبي داود، عن حماد بن زيد، عن وهيب بن خالد، عن خيثم، عن عراك بن مالك، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(ليس في فرس المؤمن ولا في علامة صدقه) (رواه أبو نعيم في الحلية).

* وقال عيسى بن يونس عن هسام بن عروة بن الزبير عن أخيه عبد الله بن عروة ابن الزبير عن عائشة قالت:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(كنت كأبي زرع لأم زرع).

ثم أنشأ يحدث حديث أم رزع فقال:

(اجتمع إحدى عشرة نسوة...)، فذكر الحديث.

قال محمد بن المثنى لبشر بن الحارث:

يا أبا نصر: حديث أم زرع.

فقال بشر بن الحارث:

حدَّثني به عيسى بن يونس.

* قال محمد بن هارون بن عيسى الهاشمي عن أبي حفص ابن أخت بشر بن الحارث قال:

كنت عند خالي فأخرج دفترًا من قراطيس فقرأ منه فقال:

حدثنا عيسى بن يونس ثنا أشعث بن عبد الملك بن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(إذا قعد بين شعبيها الأربع واجتهد فقد وجب الغسل) (رواه أبو نعيم فى الحلية).

* رحل بشر بن الحارث إلى عيسى بن يونس ماشيًا على قدميه، فأكرمه ثم قال:

- معك شيء تسأل عنه؟

قال أبو نصر:

- نعم حديث الحسن عن عائشة.

قال عيسى بن يونس:

- نعم حدّثنا عمرر بن عبيد المحدث المذموم عن الحسن عن عائشة أنها قالت:

- يا رسول الله هل على النساء قتال؟

قال عليه الصلاه والشلام:

(نعم، جهاد لا قتال فيه، والحج والعمرة) (رواه أبو نعيم في الحلية).

* وقال أبو الطيب محمد بن القاسم بن جعفر الكوكبي عن إسحاق بن بشر المقدسي عن بشر بن الحارث، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(ثلاث لا يفطرن الصائم: الحجامة، والاحتلام، والقيء). (أخرجه الترمذي، كتاب الصوم باب: ما جاء في الصائم يذرعه القيء عن أبي هريرة وأبو نعيم في الحلية).

* وقال المعافى بن محمران عن سفيان الثوري عن الأعمش عن إبراهيم التيمى عن أبيه عن أبي ذر الغفاري قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(إذا طبخت قدرًا فأكثر المرق واغرف لجيرانك) (رواه أبو نعيم في الحلية، عن أبي ذر).

* وقال إبراهيم بن هاشم عن بشر بن الحارث عن عبد الله بن داود عن منخل بن حكيم، عن ابن عون عن ابن سيرين عن أبي هريرة، قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(سُباب المسلم فسوق، وقتاله كُفْرٌ) (رواه أبو نعيم في الحلية).

قالوا عن بشر بن الحارث الحافي:

* قال محمد بن قدامة:

لقى بشر بن الحارث رجلٌ سكران، فجعل الرجل يقبل أبا نصر ويقول:

- يا سيدى: يا أبا نصر.

ولا يدفعه بشر عن نفسه، فلما ولى الرجل السكران تغرغرت عينا بشر وقال:

- رجل أحب رجلاً على خير توهمه، لعل المحب قد نجا والمحبوب لا يدرى ما حاله.

* وقال عمر بن موسى:

رأيت بشر بن الحارث وقف على أصحاب الفاكهة فجعل ينظر فقلت:

- يا أبا نصر: لعلك تشتهي من هذا شيئًا؟

قال بشر بن الحارث:

- لا، ولكن نظرت في هذا: إذا كان يطعم من يعصيه فكيف من يطيعه؟

* قال أبو بكر المروزي:

قدم بشر الحافي ليلاً من سفر وهو مئزر بحصير.

* قال يحيى بن عثمان:

- كان لبشر بن الحارث في كل يوم رغيف.

* سُئِلَ أحمد بن حنبل عن مسألة في الورع، فقال:

أنا؟ أستغفر الله، لا يحل أن أتكلم في مسألة الورع، أنا آكل من غلة بغداد، لو كان بشر بن الحارث صلح أن يجيبك عنه، فإنه كان لا

يأكل من غلة بغداد ولا من طعام السواد، يصلح أن يتكلم في الورع.

* قال عمرو - عمر - بن موسى بن فيروز:

رأيت بشر بن الحارث ومعه رجل فتقدَّم إلى بئر ليشرب منها فجذبه بشر وقال:

- تشرب من البئر الأخرى.

حتى جاوز ثلاث آبار فقال الرجل:

- أبا نصر: أنا عطشان.

فقال له بشر الحافي:

- اسكت فهكذا ندفع الدنيا.

* قال أبو العباس السلمي:

رأيت قدمي بشر - أي: أسفل قدميه - قد اسودا من أثر التراب مما كان يمشي حافيًا.

* قال عمار:

رأيت الخضر عليه السلام فسألته عن بشر بن الحارث فقال:

مات يوم مات وما ظهر على ظهر الأرض أتقى لله منه.

وفاة بشر بن الحارث:

توفى بشر بن الحارث الحافي عشيه الأربعاء لعشر بقين من ربيع الأول.

وقيل:

لعشر خلون من المحرم سنة سبع وعشرين ومائتين.

وقد بلغ من العمر خمسًا وسبعين سنة.

وقيل:

سبعًا وسبعين.

يقول يحيى بن عبد الحميد:

رأيت أبا نصر التمار - بائع التمر - وعليَّ بن المديني في جنازة بشر بن الحارث يصيحان:

- هذا والله شرف الدنيا قبل شرف الآخرة.

وذلك أن بشرًا خرجت جنازته بعد صلاة الصبح، فلم يجعل في قبره إلا في الليل.

وكان نهارًا صائقًا، ولم يستقر في القبر إلى العتمة.

* ويقول ابن خزيمة:

لما مات أحمد بن حنبل بت ليلتي فرأيته في المنام فقلت له:

- ما فعل الله بك؟

قال أحمد بن حنبل:

- غفر لي وتوجني وألبسني نعلين من ذهب وقال: يا أحمد: هذا بقولك القرآن كلامي قلت:

- فما فعل بشر؟

قال أحمد بن حنبل:

- بخ بخ من مثل بشر؟ تركته بين يدي الجليل وبين يديه مائدة من الطعام والجليل مقبل عليه وهو يقود له: كل يا من لم يكل، واشرب يا من لم يشرب، وانعم يا من لم ينعم.

وقال الكندي:

رأيت بشر بن الحارث في النوم فقلت له:

- ما فعل الله بك؟

قال بشر بن الحارث:

- غفر لي وأقعدني على طيار - من لؤلؤ بيضاء وقال لي: سر في ملكي.

رحم الله بشر بن الحارث الذي حياه الحق بجزيل الفواتح وحماه عن وبيل القوادح بشر الحافي بكفاية الكافي اكتفى فاشتفى.

* * *

إبراهيم الخواص

مواقف ومواعظ
من حياة التابعين

[١٢]

إبراهيم الخواص

إبراهيم الخواص

هو: إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص.

يكنى: أبا إسحاق.

أصله: من سر من رأى - قرية من قرى الري بأرض العراق - وأقام بالري.

الذي جاء بك عرف بيني وبينك:

قال إبراهيم الخواص:

سلكت البادية ستة عشر طريقًا على غير الجادة، فأعجب ما رأيت فيها رجل ليس له يدان ولا رجلان، وعليه من البلاء أمر عظيم، وهو يزحف زحفًا، فتحيَّرت منه، وسلمت عليه فقال لي:

- وعليك السلام يا إبراهيم.

فقلت له:

- بم عرفتني ولم ترني قبلها؟

قال الرجل:

– **الذي جاء بك عرف بيني وبينك.**

فقلت:

- صدقت.

ثم سألته:

- إلى أين تريد؟

قال الرجل:

- إلى مكة.

قلت:

- ومن أين أنت؟

قال الرجل:

- من بخارى.

فبقيت متعجبًا وأنا أنظر إليه.

فنظر إلى شزرًا وقال:

– **يا إبراهيم: تعجب من قوى يحمل ضعيفًا ويرفق به؟**

ثم دمعت عيناه وأرسل الدموع.

فقلت:

- لا يا حبيبي.

وتركته على حالي ومضيت إلى مكة.

فلما دخلت البيت الحرام، رأيته يطوف حول الكعبة وهو يزحف زحفًا.

أعجب ما رأيت في البادية:

كان محمد بن زياد المقيم بكلواذي حريصًا على مجلس إبراهيم الخواص، وكان قد بكى حتى ذهبت عيناه، سأل إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص يومًا:

- ما أعجب ما رأيت في البادية يا أبا إسحاق؟

قال إبراهيم الخواص:

كنت ليلة من الليالى في البادية فنمت على حجر فإذا أنا بشيطان قد جاء وقال:

- قم من ها هنا.

فقلت:

- اذهب.

فقال الشيطان:

- أرفسك رفسة فتهلك.

فقلت في غير مبالاة:

- افعل ما شئت.

فرفسني، فوقعت رجله عليَّ كأنها خرقة.

فقال الشيطان:

- أنت ولى الله، من أنت؟

قلت:

- أنا إبراهيم الخواص.

قال الشيطان:

- صدقت.

ثم قال:

- يا إبراهيم: معي حلال وحرام.

فقلت:

- أين الحلال؟

قال الشيطان:

- ها هو رمان من الجبل المباح.

ثم سكت ونظر إليَّ وقال:

لم تسألني عن الحرام؟ ها هو حوت مررت على صيادين وهما يصطادان فتخاونا، فأخذت الخيانة.

ثم قدم إلى الرمان وقال:

فكل أنت الحلال ودع الحرام.

لا تغتمى فأني الذي كنت أعمل ذلك:

كان لإبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص وقت فترة - استراحة - كل يوم، فكان يخرج إلى شط نهر كبير كان حواليه الخوص، وكان أثناء تلك الفترة يقطع شيئًا من الخوص وينسجه قِفاقًا - مفرد قفة - ثم يطرحها في ذلك النهر، كان يتسلى بذلك وكأنه مطالب به، وظل على ذلك أيامًا كثيرة.

وذات يوم فكر أبو إسحاق أن يمضى خلف ما يطرحه من قفاف في الماء لينظر أين تذهب هذه القفاف؟

مضي إبراهيم الخواص على شاطئ النهر ساعات، ولم يعمل قفافًا في ذلك اليوم، فوجد عجوزًا قاعدة على شاطئ النهر وهي تبكي فسألها:

- مالك تبكين؟

قالت العجور:

- خمسة من الأيتام مات أبوهم، فأصابني الفقر والشدة، فأتيت يومًا هذا الموضع، فجاء على رأس الماء قفاف من الخوص فأخذتها وبعتها وأنفقت عليهم، وأتيت اليوم الثاني والثالث والقفاف تجيء على رأس الماء فكنت آخذها وأبيعها، واليوم ما جاءت.

يقول إبراهيم الخواص:

فرفعت يدي إلى السماء وقلت:

- اللهم لو علمت أن لها خمسة من العيال لزدت في العمل.

ثم قال أبو إسحاق للعجور:

- لا تغتمّى فإني الذي كنت أعمل ذلك.

ومضى إبراهيم الخواص مع العجوز الفقير، فقام بأمرها وبأمر عيالها اليتامى سنين.

مع الله:

يقول حامد الأسود:

كنت مع إبراهيم الخواص في سفر فدخلنا إلى بعض الغياض، فلما أدركنا الليل؛ إذ بالسباع قد أحاطت بنا، فجزعت لرؤيتها وصعدت إلى شجرة ثم نظرت إلى أبى إسحاق، وقد استلقى على قفاه فأقبلت السباع تلحسه من قرنه إلى قدميه وهو لا يتحرك ولا يلقي لها بالاً.

ثم أصبحنا وخرجنا إلى منزل آخر وبتنا في مسجد، فرأيت بَقَّةً - حشرة صغيرة - وقعت على وجه إبراهيم الخواص فلسعته فقال:

- أخ.

فقلت:

- يا أبا إسحاق أي شيء هذا التأوّه؟ أين أنت من البارحة؟

قال إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص:

- ذاك حال كنت فيه بالله، وهذا حال أنا فيه بنفسي.

اشتريت هذه الجلسة مع الله عز وجل:

بينما كان أبو إسحاق يطوف حول الكعبة، رأى شابًا مئتزرًا بعباءة، متشحًا بأخرى كثير الطواف والصلاة، فوقع في قلب إبراهيم الخواص محبته.

رزق الرزاق أبا إسحاق بأربعمائة درهم فحملها وانطلق إلى ذلك الشاب فوجده جالسًا خلف مقام إبراهيم - عليه السلام - فوضع أبو إسحاق المال على طرف عباءة الشاب، وقال له:

- يا أخي: اصرف هذه القطيعات في بعض حوائجك.

فقام الشاب وحمل الدراهم، وبددها في الحصا وقال:

- يا إبراهيم اشتريت هذه الجلسة من الله تعالى بسبعين ألف دينار عين - العين: الذهب المضروب خلاف الوَرِق: الفضة -، تريد أن تخدعني عن الله عز وجل بهذا الوسخ؟

يقول إبراهيم الخواص:

- فما رأيت أعز منه وهو ينظر، وأذلّ مني وأنا أجمعها من بين الحصى.

ثم قام الشاب ومضى.

دواء القلب:

قال إبراهيم الخواص:

دواء القلب خمسة أشياء:

قراءة القرآن بالتدبر.

وخلاء البطن.

وقيام الليل.

والتضرع عند السحر.

ومجالسة الصالحين.

الكلب:

كان أبو إسحاق جالسًا في مسجد الري وعنده جماعة؛ إذ سمع ملاهي - ملاه - من الجيران، فاضطرب من ذلك من كان في المسجد وقالوا:

- يا أبا إسحاق: ما ترى؟

فخرج إبراهيم الخواص من المسجد نحو الدار التي فيها الغناء والمنكر، فلما بلغ طرف الزقاق، إذ كلب رابض، فلما دنا أبو إسحاق منه نبح عليه وقام في وجهه.

فرجع إبراهيم الخواص إلى المسجد، وتفكر ساعة، ثم قام مبادرًا، وخرج فمرَّ على الكلب فبصبص الكلب - حرك ذنبه أي: ذيله - له.

ولما قرب أبو إسحاق من باب الدار خرج إليه شاب حسن الوجه وقال:

- أيها الشيخ: لم انزعجت؟ كنت وجهت ببعض من عندك فأبلغ لك كل ما تريد، وعلى عهد الله وميثاقه لاشربت أبدًا.

وكسر الشاب جميع ما كان عنده من الشراب وآلات الطرب.

وصار الشاب يحضر مجلس أبي إسحاق، وصحب أهل الخير، ولزم العبادة.

ورجع إبراهيم الخواص إلى مسجده، فلما جلس سئل عن خروجه في أول مرة ورجوعه، ثم خروجه في الثانية وما كان من أمر الكلب.

فقال أبو إسحاق:

- نعم، إنما نبح عليَّ الكلب لفساد كان قد دخل عليَّ في عقد بيني وبين الله لم أنتبه له في الوقت، فلما رجعت إلى الموضع ذكرته، فاستغفرت الله عز وجل منه، ثم خرجت الثانية فكان ما رأيتم، وهكذا كل من خرج لإزالة منكر فتحرك عليه شيء من المخلوقات فلفساد عقد بينه وبين الله عز وجل، فإذا وقع الأمر على الصحه لم يتحرك عليه شيء.

اليهودي:

ركب إبراهيم الخواص يومًا البحر وكان معه في المركب يهودي، فتأمَّله أيامًا كثيرة فلم يره يذوق شيئًا من طعام أو شراب، ولا يتحرك ولا ينزعج من مكانه، ولا يتطهر ولا يشتغل بشيء وكان

ملتفًا بعباءة مطروح في زاوية، ولا يفاتح أحدًا ولا ينطق، فاقترب أبو إسحاق منه وسأله وكلّمه فوجده مجردًا متوكلاً يتكلم فيه بأحسن الكلام ويأتي بأكمل بيان.

ولما أنس اليهودي بإبراهيم الخواص وسكن إليه قال له:

- يا أبا إسحاق: إن كنت صادقًا فيما تدَّعيه، فالبحر بيننا حتى نعبر إلى الساحل - وكان في اللجاج: هياج الأمواج -.

فقال إبراهيم الخواص:

- وا ذلاه إن تاخرت عن هذا الكافر.

فقال إبراهيم الخواص لليهودي:

- قم بنا.

فما كان بأسرع بأن زج اليهودي بنفسه في البحر.

ورمى أبو إسحاق بنفسه في البحر خلف اليهودي.

وعبر اليهودي وإبراهيم الخواص إلى الساحل.

فلما خرجا من الماء قال اليهودي:

- يا إبراهيم نصطحب على شريطة ألا نأوى المساجد ولا البيع ولا الكنائس ولا العمران فنعرف.

قال إبراهيم الخواص:

- لك ذلك.

وانطلفا إلى مدينة فأقاما على مزبلة ثلاثة أيام، فلما كان يوم الثالث أتى اليهودي كلب في فمه رغيفان فطرحهما أمامه وانصرف.

فأكل اليهودي الرغيفين ولم يقل لأبى إسحاق شيئًا.

وأتى إبراهبم الخواص شاب نظيف حسن الوجه والبزة، طيب الرائحة، ومعه طعام نظيف في منديل فوضعه بين يديه وقال له:

- كُل.

وغاب الشاب عن أبي إسحاق فلم ير له أثرًا.

فقال إبراهيم الخواص لليهودى:

- هلم.

فأبى ثم نطق بشهادة الحق وقال لإبراهيم الخواص:

- يا إبراهيم: أصلنا صحيح إلا أن الذي لكم - أي دينكم - أحس وأصلح وأظرف.

وحَسُنَ إسلام اليهودي وصار أحد أصحاب أبي إسحاق الصالحين.

أخوك رضوان يقرئك السلام:

ذات يوم كان أبو إسحاق في الطريق إلى مكة فعطش عطشًا شديدًا بالحاجز - الحاجز: الحائل بين الشيئين، وهو: منزل للحجاج في البادية - فسقط من شده العطش، فإذا بماء سقط على وجهه وجد برده على فؤاده، ففتح عينيه فإذا هو برجل ما رأى أحسن منه قط على فرس أشهب عليه ثياب خضر وعمامة صفراء وبيده قدح من ذهب أو من جوهر فسقاه منه شربة وقال لإبراهيم الخواص:

- ارتدف - اركب - خلفي.

فركب أبو إسحاق خلفه، فلم يبرح من مكانه حتى سأل إبراهيم الخواص:

- ما ترى؟

قال أبو إسحاق:

أرى مدينة رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

فقال الرجل:

- انزل واقرأ على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) السلام، وقل له أخوك رضوان يقرأ عليك السلام.

ما هذا التأوه!

ذات يوم كان أبو إسحاق جالسًا بين أصحابه في مسجد الري، فتأوَّه فسأله أصحابه:

- يا أبا إسحاق: ما هذا التأوّه؟

قال إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص:

- أوه كيف يفلح من يسره ما يضره؟!

ثم أنشأ يقول:

تعودت مس الضر حــتى ألفتــه ::: وأحوجني طول البلاء إلى الصـــبر
وقطعت أيامي من النــاس آيسًــا ::: لعلمي بصنع الله من حيث لا أدري

رجلٌ يمشي على الماء:

نزل إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص يومًا إلى مشرعة - المشرعة: مورد الشاربة - الساج - شجر - من بغداد وكانت الريح تلعب بالموج، فرأى رجلاً بين الموج يمشي على الماء فسجد أبو إسحاق وجعل بينه وبين السميع البصير أن لا يرفع رأسه من سجوده حتى يعلم مَن الرجل؟

فلم يطل إبراهيم الخواص في سجوده حتى أحسَّ بيد تمس كتفه، والرجل يقول له:

- قُم ولا تعاود، فأنا إبراهيم بن على الخرساني الهروي.

إنه القبر الذي رأيت في منامي:

قال إبراهيم الخواص:

كان رجل من الزهَّاد ممن يسيح في الجبال لم تكن له همَّة في شيء من الدنيا ولا لذَّة إلا لقياهم: الأبدال والزهاد.

وبينما هو ذات يوم على ساحل من سواحل البحر ليس يسكنه الناس ولا ترقى إليه السفن؛ إذا هو برجل قد خرج من تلك الجبال، فلما رآه، هرب وجعل يسعى فاتبعه يسعى خلفه فسقط على وجهه وأدركه فقال له:

- ممن تهرب رحمك الله؟

فلم يكلمه فقال:

- إنى أريد الخير فعلمني.

قال:

- عليك بلزوم الحق حيث كنت، فوالله ما أنا بحامد لنفسي فأدعوك إلى مثل عملها.

ثم صاح صيحه فسقط ميتًا.

فمكث الرجل لا يدرى كيف يصنع به؟

وهجم الليل عليهما، فتنحى الرجل ونام في ناحية عنه، فرأى في منامه أربعة نفر هبطوا عليه من السماء على خيل فحفروا له وكفنوه وصلوا عليه ثم دفنوه.

فاستيقظ الرجل فزعًا للذى رأى.

وذهبت عنه سِنَة النوم - شدة النوم وثقله - بقية الليل.

فلما شق الصبح عباءة الظلام بسيفه، انطلق إلى موضع الرجل الميت، فلم يره فيه، فما زال يطلب أثره وينظر حتى رأى قبرًا جديدًا.

إنه كان كالقبر الذي رآه في منامه.

أخوك الخضر يسلم عليك:

رجع إبراهيم بن الخواص من مكة، فما لقيه خير النساج سأله:

- يا أبا إسحاق: ما الذي أصابك في سفرك؟

قال أبو إسحاق:

- عطشت عطشا شديدًا حتى سقطت من شدة العطس، إذا أنا بماء قد رش على وجهي، فلما أحسست ببرده فتحت عيني فإذا برجل حسن الوجه والزى وعليه ثياب خضر على فرس أشهب فسقاني حتى رويت.

ثم قال:

- ارتدف خلفي.

وكنت بالحاجز - منزل للحجاج بالبادية - فلما كان بعد ساعة سألني:

- أي شيء ترى؟

قلت:

- المدينة.

فقال:

- انزل واقرأ على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) مني السلام، وقل: أخوك الخضر يسلم عليك.

اشرب هذا:

قال أبو بكر الحربي لإبراهيم الخواص:

حدثني بأحسن شيء مَرَّ عليك؟

قال أبو إسحاق:

خرجت من مكة عن طريق الجادة، واعتقدت بيني وبين الله عز وجل ألا أذوق شيئًا أو أنظر إلى القادسية، فلما صرت بالربذة - مرضع على ثلاث من المدينة -؛ إذ أنا بأعرابي يعدو وبيده سيف مسلول وبيده الأخرى قعب لبن فصاح بي:

- يا إنسان.

فلم ألتفت إليه.

فلحقني وقال لي:

- اشرب هذا وإلا ضربت عنقك.

فقلت:

- هذا شيء ليس لي فيه شيء.

فأخذت القعب وشربت اللبن، فوالله ما عارضني شيء بعد ذلك إلى أن بلغت القادسية.

الرزق ليس فيه توكل:

قال إبراهيم الخواص:

الرزق ليس فيه توكل، إنَّما فيه صبر حتى يأتي الله به في وقته الذي وعد، وإنَّما يقوى صبر العبد على قدر معرفته بما صبر أو لمن صبر.

والصبر ينال بالمعرفة، وعلى الصابر حمل مؤونة الصبر حتى يستحق ثواب الصابرين؛ لأنَّ الله تعالى جعل الجزاء بعد الصبر، قال

الله تعـــالى: {وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا}

[سورة البقرة الآية: ١٢٤].

فالجزاء إنَّما وقع له بعد ما تم حمل البلوى.

الغني والفقير:

قال أبو إسحاق:

الفقير يعمل على الإخلاص وجلاء القلب وحضوره للعمل.

والغنى يعمل على كثرة الوساوس وتفرقة القلب في مواضع الاعتدال.

والفقير ضعف بدنه في العمل قوة معرفته وصحة توكله.

والفقير يعمل على إدراك حقيقة الإيمان وبلوغ ذروته.

والغنى يعمل على نقصان في إيمانه وضعف في معرفته.

والفقير يفتخر بالله عز وجل وبصول به.

والغنى يفتخر بالمال ويصول بالدنيا.

والفقير يذهب حيث شاء.

والغنى مقيد مع ماله.

والفقير يكره إقبال الدنيا.

والغنى يحب إقبالها.

والفقير فوق ما يقول.

والغنى دون ما يقول.

لا تطلق لسانك:

سمع إبراهيم الخواص عن رجل من العرب فهم وخير، فقصده فوجده في بعض البوادي وهو يسقي بعيرًا له.

فقال أبو إسحاق:

- قل لي كلامًا أحفظه عنك يرحمك الله.

قال الرجل:

- لا تطلق لسانك - انطلق لشأنك - فإن الفعل أولى بك من القول.

قال إبراهيم الخواص:

- رحمك الله، إن دليل العمل القول، ومفتاحه المعرفة.

فأعجب الرجل بقول أبي إسحاق، وأقبل عليه وقال:

- يا أخي: إن الشفقة لم تنزل بالمؤمن حتى أوفدته على خير حال، وإن الغفلة لم تنزل بالفاجر حتى أسلمته إلى شر حال، وما خير عمر امرئ لا يدري ما عاقبة أمره؟ وما خير عيش لا يكمل ما حفظ منه؟ ولئن كانت الرغبه في الدنيا هي المسئولة عن قلوبنا كما استولت على أبداننا لقد خبنا غدًا في القيامة وخسرنا.

من أقوال إبراهيم الخواص:

* من لم يصبر لم يظفر، وإن لإبليس وثاقين وما أوثق بنو آدم بأوثق منهما: خوف الفقر والطمع.

* من أراد الله بذل له نفسه وأدناه من قربه، ومن أراده لنفسه أشبعه من جنانه وأرواه من رضوانه.

وقال:

عليل ليس يبرئه الدواء ::: طويل الضر يفنيه الشفاء
سرائره بواد ليس تبدو ::: خفيات إذا برح الخفاء

* من لم تبك عليه الدنيا لم تضحك الآخرة له.

* علم العبد بقرب قيام الله على العبد يوحشه من الخلق ويقيم له شاهد الإنس بالله، وعلم العبد بأن الخلق مسلطين مأمورين يزيل عنه خوفهم ويقيم في قلبه خوف المسلط لهم.

* على قدر إعزار المؤمن لأمر الله يلبسه الله من عزه ويقيم له العز في قلوب المؤمنين، فذلك قوله تعالى:{وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [سورة المنافقون الآية: ٨].

* عقوبة القلب أشد العقوبات، ومقامها أعلى المقامات، وكرامتها أفضل الكرامات، وذكرها أشرف الأذكار، وبذكرها تستجلب الأنوار عليها وقع الخطاب وهي المخصوصة بالتنبيه والعتاب.

* العارف بالله يحمله الله بمعرفته، وسائر الناس تحملهم بطونهم، ومن نظر الأشياء بعين الفناء كانت راحته في مفارقتها ولم يأخذ منها إلا لوقته.

* سلكت البادية إلى مكة سبعة عشر طريقًا، فيها طريق من ذهب، وطريق من فضة.

* أربع خصال عزيزة؟

عالم مستعمل لعلمه.

وعارف ينطق عن حقيقة فعله.

ورجل قائم لله بلا سبب.

ومريد ذاهب عن الطمع.

* الحكم تنزل من السماء فلا تسكن قلبًا فيه أربعه:

الركون إلى الدنيا.

وهم غد.

وحب الفضول.

وحسد أخ.

برح الخفاء وفي التلاقـــى راحـــة ::: هل يشتفى خـــل بغـــير خليلـــه

* كل مريد يتوجه إلى الله وهموم الأرزاق قائمة في قلبه، فإنه لا يفلح ولا ينفذ في توجهه.

* علامة حقيقة المعرفه بالقلب، خلع الحول والقوة وترك التملك مع الله في شيء من ملكه، ودوام حضور القلب بالحياء من الله وشدة انكسار القلب من هيبة الله، فهذه الأحوال دلائل المعارف والحقيقة، فمن لم يكن على هذه الأحوال، فإنَّما هو على الأسماء والصفات.

التوكل على ثلاث درجات:

على الصبر.

والرضى.

والمحبة.

لأنه إذا توكل وجب عليه أن يصبر على توكله لمن توكَّل عليه.

وإذا صبر وجب عليه أن يرضى بجميع ما حكم عليه.

وإذا رضى وجب عليه أن يكون محبًا لكل ما فعل به موافقة له.

وفاته:

مرض إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص بالري في مسجد الجامع وكان به علة القيام - لا يستطيع الجلوس - وكان إذا قام يدخل الكنيف - المرحاض - ويغتسل ويعود إلى المسجد فيركع ركعتين.

وتوفى بمسجد الري سنة إحدى وتسعين ومائتين.

وقيل:

سنة أربع وتسعين ومائتين.

وتولى أمره في غسله ودفنه: يوسف بن الحسين الرازى.

* * *

يوسف بن أسباط

مواقف ومواعظ
من حياة التابعين

[١٣]

يوسف بن أسباط

يوسف بن أسباط

كان العلم والخوف شعاره.

والتخلي عن فضول الدنيا دثاره.

من قرية يُقال لها: شيح.

عابدة تخاطب ربها:

خرج يوسف بن أسباط حاجًا، ولما اقترب من أم القرى وجد قومًا معهم امرأة تقول:

- أين بيت ربي؟

فقال لها يوسف بن أسباط:

- الساعة ترينه.

فلما رأى القوم بيت الله الحرام قالوا لها:

- هذا بيت ربك أما ترينه؟

فخرجت تشتد وتقول:

- بيت ربي بيت ربي.

حتى وضعت جبهتها على الكعبة.

يقول يوسف بن أسباط:

- فوالله ما رفعت جبهتها إلا ميتة.

ورأى يوسف بن أسباط بدوية دخلت الطواف فقالت:

- يا حسن الصحبة - تخاطب ربّها -.

جئتك - من بعيد.

أقبلت أسالك سترك الذي لا تخرقه الرماح ولا تزيله الرياح.

وبينما يوسف بن أسباط يطوف سمع امرأه تقول:

- يا رب: ذهبت اللذَّات وبقيت التبعات.

يا رب: سبحانك! وعزتك إنك لأرحم الراحمين.

يا رب: مالك عقوبة إلا النار.

فقالت صاحبة لها كانت معها:

- يا أُخيَّة: دخلت بيت ربك اليوم؟

فقالت المرأة وهي تشير إلى قدميها:

- والله ما أرى هاتين القدمين أهلاً للطواف حول بيت ربي، فكيف أراهما أهلاً أطأ بهما بيت ربي؟ وقد علمت حيث مشتا وإلى أين مشتا؟

ولما فرغ يوسف بن أسباط من صلاة العشاء الآخرة، سمع امرأة متعبدة في جوف الليل متعلقة بأستار الكعبة تبكي وتقول:

- يا كريم الصحبة.

ويا حسن المعونة.

أتيتك من شقة - الشقة: المسافة - بعيدة متعرضة لمعروفك الذي وسع خلقك، فأنلني من معروفك معروفًا تغنيني به عن معروف من سواك.

يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة.

يقول يوسف بن أسباط:

ثم صرخت صرخة سقط لوجهها فحملت مغشيًا عليها.

وبينما يوسف بن أسباط يطوف بالبيت إذ هو بجويرية متعبدة فإذا هي تقول:

يا رب.

كم شهوة ذهبت لذتها وبقيت تبعتها؟

يا رب.

ما كان لك عقوبة ولا أدب إلا النار؟

قال يوسف بن أسباط:

فوالله ما زال مقامها حتى طلع الفجر.

الزهد والتواضع:

وسأل المسيب بن واضح يوسف بن أسباط:

- الزهد ما هو؟

قال يوسف بن أسباط:

- أن تزهد فيما أحل الله، فأما ما حرم الله فإن ارتكبته عذبك الله.

- فقال المسيب:

- ما غاية الزهد؟

قال يوسف بن أسباط:

– لا تفرح بما أقبل، ولا تأسف على ما أدبر.

قال تميم بن سلمة:

- فما غاية التواضع؟

قال يوسف بن أسباط:

- أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحدًا إلا رأيت أنه خير منك.

الشهوات مفسدة للقلوب:

قال يوسف بن أسباط لعبد الله بن حبيق:

عجبت كيف تنام عين مع المخافة؟

أو يعقل قلب مع النفس بالمحاسبة؟

من عرف وخوف حق الله على عباده ولم يشتمل علينا عيناه إجلالاً، بإعطاء المجهود من نفسه.

خلق الله القلوب مساكن فسارت للشهوات، والشهوات مفسدة للقلوب، وتلف للأذموال، فإحلاق للوجوه لا تمحو الشهوات من القلوب إلا خوف مزعج، أو شوق مغلق.

قراء هذا الزمان:

قال يوسف بن أسباط، لعبد الله بن حبيق:

- والله، لقد أدركت أقواما فسَّاقًا، كانوا أشد إبقاء على مروءاتهم من قرَّاء هذا الزمان على أديانهم.

ثم قال يوسف، وهو ينظر نحو ابن حبيق:

- إياك أن تكون من قرَّاء السوء، مثل قرَّاء هذا الزمان، مثل: درهم ريف حتى يمر بالجهد فيبدو زيفه.

عميت الأبصار وصُمّت الآذان:

كتب يوسف بن أسباط إلى حذيفة المرعشي:

أما بعد:

فقد استقبلنا من هذه السنة أمورًا كثيرة، **الآية الواحدة منها تعمي وتصم**، وقد صرنا بين ظهراني قوم قد صيروا المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، وقد يستقام بهم ذلك جاريًا، فإن كان بينهم بصير

أعموه، عميت الأبصار وصمت الآذان، ولن ينجو في دهرنا هذا إلا ما شاء الله.

الصدق قد رُفِعَ من الأرض:

كتب أبو جعفر الحذاء إلى يوسف بن أسباط يشاوره في التحويل إلى الحجار، فكتب يوسف بن أسباط إليه:

أما ما ذكرت من تحويلك إلى الحجار، فليكن همك خيرك، وما أرى موضعك إلا أضبط للخير من غيره، وما أحب أحد يفر من شيء إلا وقع في أشد منه، وإنَّما طيب الموضع بأهله، وقد ذهب من نُوقش به ويستراح إليه، وإن علم الله منك الصدق رجوت أن يصنع الله لك، وإنْ كان الصدق قد رُفِعَ من الأرض.

منافقو هذه الأمة:

كتب جعفر الرقي إلى يوسف بن أسباط في مسائل، فكتب يوسف بن أسباط إليه جوابها:

أما ما ذكرت من أن يكون العبد عارفًا بالله عارفًا بنفسه.

فالعارف بالله: المطيع لله في جميع ما عرفه.

والعارف بنفسه: الذى يخاف من حسناته أن لا تقبل، قال الله عز وجل:{وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ} [سورة المؤمنون الآية: ٦٠]، يعطون ما أُعطوا وهم يخافون أن لا يتقبل منهم.

ثم قال يوسف بن أسباط:

اكتبوا إلى حذيفة - المرعشي -:

أما بعد:

فإني أوصيك بتقوى الله، والعمل بما علَّمك الله، والمراقبة حيث لا يراك أحد إلا الله، والاستعداد لما لا حيلة لأحد في دفعه - الموت - ، ولاينتفع بالندم عند نزوله، فاحسر عن رأسك قناع الغافلين، وانتبه

من رقدة الموتى، وشمّر الساق فإن الدنيا ممر السابقين، فلا تكن ممن قد أظهر الشك، وتشاغل بالوصف وترك العمل بالموصوت له، فإن لنا ولك من الله مقامًا يسألنا فيه عن الرمق الخفي، وعن الخليل الجافي، ولست آمن أن يكون فيما يسألني ويسألك عنه وساوس الصدور، ولحاظ الأعين، وإصغاء الأسماع، وما يصخر مثل عن صفة مثله.

اعلم أن مما يوصف به منافقو هذه الأمة أنهم خالطوا أهل الدين بأبدانهم، وفارقوهم بأهوائهم، وخففوا مما سمعوا من الحق ولم ينتهوا عن خبيث فعالهم، إذ ذهبوا إليه فنازعوا في ظاهر أعمال البر بالمحامل والرياء، وتركوا باطن أعمال البر مع السلامة والتقى، كثرت أعمالهم بلا تصحيح، فأحرمهم الله الثمن الربيح.

واعلم يا أخي أنه لا يجزينا من العمل القول، ولا من الفعل ولا من البذل العدة، ولا من التوقي التلاوم، وقد صرنا في زمان هذه صفة أهله، فمن يكن كذلك فقد تعرَّض للمهالك.

احذر القراء المصغين، والعلماء المتحرين، حيوا بطرق وصدوا الناس عن سبيل الهوى، وفقنا الله وإياك لما يحب.

وا لسلام.

شيطانان:

قال عبد الله بن حبيق:

قال لي يوسف بن أسباط:

خرجت سحرًا لأؤذن، فإذا عليَّ ليل - لم يحن بعد آذان الفجر بعد وبقيت قطعة من الليل - فقعدت فإذا أسود مقبل وفي يده حجر يريد أن يضربني ووراءه شيء أبيض بيده حجر يريد أن يصرفه عني فصرفه.

فقلت:

- هذان شيطانان يريدان أن يرياني أني رجل صالح.

فقلت:

- كلاكما شيطانان.

فطارا.

رسالة:

قال يوسف بن أسباط:

كتب إليَّ محمد بن سمرة السائح بهذه الرسالة:

أي أخي!

إليك وتأمير التسويف على نفسك وإمكانه من قلبك، فإنه محل الكلال وموئل التلف، وبه تقطع الآمال وفيه - وبه - تنقطع الآجال، فإنك إن فعلت ذلك أدلته من عزمك - جعلت له الغلبة والسلطان - فاجتمع هواك عليك فغلبا واسترجعا من بدنك من السآمة ما قد ولى عنك، فعند مراجعته إياك لا تنتفع نفسك من بدنك بنافعة.

وبادر يا أخي فإنك مبادرٌ بك، وأسرع فإنك مسروع بك، وجِدّ فإن الأمر جد، وتيقظ من رقدتك وانتبه من غفلتك، وتذكر ما أسلفت وقصرت، وأفرطت وجنيت وعملت فإنه مثبت محصى، وكأنك بالأمر قد بغتك فاغتبطت بما قدمت وندمت على ما فرطت.

فعليك بالحياء والمراقبة والاعتزال وقلة الملاقاة، فإن السلامة في ذلك موجودة.

وفقنا الله وإياك لأرشد الأمور، ولا قوة بنا وبك إلا بالله.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

من أقوال يوسف بن أسباط:

كان يوسف بن أسباط يقول:

* الزهد في الرياسة أشد من الزهد في الدنيا.

* إن طلب الحلال فريضة، والصلاة في الجماعه سنة.

* من دعا لظالم بالبقاء، فقد أحب أن يعصى الله.

* أتى يوسف بن أسباط بباكورة ثمرة فغسلها ثم وضعها بين يديه - أمامه - وقال:

- إن الدنيا لم تخلق لينظر إليها، وإنَّما خلقت لينظر بها إلى الآخرة.

* لا يقبل الله عملاً فيه مثقال حبة من رياء.

* اللهم عرفنى نفسي ولا تقطع رجاءك عن قلبي.

* لأن تقطع يدي ورجلي أحب إليَّ من أن آكل من ذي المال شيئًا - يعني عطية الأمراء -.

* بلغنى أن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم - عليه السلام -:

- تدرى لم اتخذتك خليلاً؟ لأنك تعطى الناس ولا تأخذ من أحد شيئًا.

* يجزي قليل الورع عن كثير العمل، ويجزي قليل التواضع عن كثير الاجتهاد.

* لي أربعون سنة ما حاك في صدري شيء إلا ترمته.

* تعلموا صحه العمل من سقمه، فإني تعلمته في اثنين وعشرين سنة.

* لو أن رجلاً ترك الدنيا مثل أبي ذر - الغفاري - وسلمان - الفارسي - وأبي الدرداء ما قلنا له زاهد؛ لأن الزهد لا يكون إلا في الحلال المحض، والحلال المحض لا يعرف اليوم.

* إني أخاف أن يعذب الله الناس بذنوب العلماء.

* الأشياء ثلاثة:

حلال بيِّنٌ وحرامٌ بيِّنٌ لا شك فيه، وشبهات بين ذلك.

فالمؤمن: من إذا لم يجد الحلال يتناول من الشبهات ما يقيه.

كان يُقال: اعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله، وتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كتب له.

* من خاف الله خاف منه كل شيء.

* إذا رأيت الرجل قد أشر وبطر فلا تعظه فليس للعظة فيه موضع.

* يرزق الصادق ثلاثة خصال: الحلاوة، والملاحة، والمهابة.

يوسف بن أسباط وأحاديث النذير البشير (صلي الله عليه وسلم) :

أدرك يوسف بن أسباط: حبيب بن حسان، ومحمد بن خليفة، والسري بن إسماعيل، وعابد بن شريح، وسفيان الثوري، وحبيب بن حيان، وزائدة... وغيرهم.

* قال محمد بن خنيس عن يوسف بن موسى بن عبد الله المروزي عن عبد الله بن حبيق عن يوسف بن أسباط عن حبيب بن حيان، عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ثـم يكـون علقـة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكًا ويـؤمر بـأربع كلمات ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد، ثم يـنفخ فيـه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينـه وبينهـا إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النـار، وإن الرجـل ليعمـل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينـه وبينهـا إلا زراع فيسـبق عليـه الكتـاب فيعمـل بعمـل أهـل الجنـه فيـدخل الجنـة) (رواه البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي عن ابن مسعود).

* قال أبو بكر محمد بن حميد عن أحمد بن محمد بن عبد الخـالق عن أبي همام عن أبي الأحوص عن يوسف بن أسباط عن عائذ بن شريح عن أنس بن مالك قال:

(صليت خلف رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأبي بكـر وعمـر وعثمان وعلي كانوا يفتتحـون القـراءة بالحمـد لله رب العـالمين) (رواه أبو نعيم في الحلية).

* وقال أبو محمد بن حيان، عن القاسم بن محمد بن عمر الجنيد، عن أبي همام، عن أبي الأحوص، عن يوسف بن أسباط، عن رجل من أهل البصرة عن أنس قال: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(ما الذي يعطى من سعة بأعظم أجرًا من الذي يقبـل إن كـان محتاجًـا) (رواه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية، عن أنس).

قال أبو أحمد محمد بن محمد بن إسحاق الحافظ عن محمد بن المسيب عن عبد الله بن حبيق، عن يوسف بن أسباط عن سفيان الثوري عن الأعمش عن عماره بن عمير، عن صلة بن زفر، عن حذيفة بن اليمان قال:

(كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول في ركوعه: سبحان ربي العظيم، وفي سجوده: سبحان ربي الأعلى). (رواه أبو نعيم في الحلية، عن حذيفة).

* قال أبو مسلم محمد بن معمر عن أبي بكر بن أبي عاصم عن المسيب بن واضح عن يوسف بن أسباط عن سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(مداراة الناس صدقة) (رواه ابن حبان في صحيحه والطبراني في المعجم الكبير والبيهقى في شعب الإيمان، عن جابر بن عبد الله).

* قال سليمان بن أحمد عن محمد بن عبد الباقي المصيصي عن المسيب بن واضح، عن يوسف بن أسباط عن سفيان الثوري عن ابن المنكدر عن جابر قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت) (رواه أبو نعيم في الحلية، عن جابر بن عبد الله).

* قال محمد بن المظفر، عن أحمد بن يوسف بن إسحاق البحي، عن عبد الله بن حبيق عن يوسف بن أسباط عن سفيان الثوري عن أبي إسحاق السبيعي عن سعيد بن وهب، عن عبد الله بن عمر قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزلَ على محمد (صلي الله عليه وسلم)) (رواه الإمام أحمد والحاكم في المستدرك وأبو نعيم في الحلية عن ابن عمر.

* قال الحسين بن محمد الزبيري عن محمد بن المسيب عن عبد الله بن حبيق عن يوسف بن أسباط عن العزرمي عن عبد الله بن

زحر، عن على بن يزيد، عن القاسم عن أبي أمامة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت من سخط الله فيوجب الله له بها النار إلى يوم القيامة) (رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة).

* قال أبو يعلى وإبراهيم بن محمد عن محمد بن المسيب عن عبد الله بن حبيق عن يوسف بن أسباط عن سفيان الثوري عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على بن الحسين قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(مِن حُسْنِ إسلام المرء، تركُهُ ما لا يَعْنِيه) (رواه أبو نعيم في الحلية).

* وقال إبراهيم بن محمد عن محمد بن المسيب عن عبد الله بن حبيق عن يوسف بن أسباط عن سفيان الثوري عن محمد بن عمر عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال:

سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول:

(يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بمائة عام) (رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة).

قال محمد بن علي عن الحسين بن محمد بن حماد عن المسيب بن واضح عن عبد الله بن حبيق عن يوسف بن أسباط عن مالك بن مغول عن منصور عن خيثمة عن عبد الله ابن مسعود قال:

قال النبي (صلي الله عليه وسلم) :

(الندم توبة، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له) (رواه الطبراني في المعجم الكبير وأبو نعيم في الحلية).

* قال أبو محمد بن حبان عن العباس بن أحمد السامي عن المسيب بن واضح عن يوسف بن أسباط عن سفيان الثوري عن

حجاج عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(كاد الفقر أن يكون كفرًا، وكاد الحسد أن يسبق القدر) (رواه أبو نعيم في الحلية وأورده العجلوني في كشف الخفاء ٢/ ١٠٨، ورواه الطبراني بسند فيه ضعف).

قالوا عن سفيان بن أسباط:

* قال شعيب بن حرب:

ما أقدم عليه أحدًا من هذه الأمة البر عشرة أجزاء تسعة منها في طلب الحلال وسائر البر في جزء واحد وقد أخذ يوسف بن أسباط التسعة وشارك الناس في العاشر.

* قالت زوجة يوسف بن أسباط:

كان يقول: أشتهي من ربي ثلاث خصال.

فقلت:

- وما هنَّ؟

– أشتهي أن أموت حين أموت وليس في ملكي درهم، ولا يكون عليَّ دين، ولا على عظمي لحم.

قالت امرأة يوسف بن أسباط:

فأعطى ذلك كله ولقد قال لي في مرضه:

- أبقي عندك نفقة؟

قلت:

- لا.

قال:

- فما ترين؟

قلت:

- أخرج هذه الخابية البيع.

فقال:

- يعلم الناس بحالنا ويقولون: ما باعوها إلا وثم حاجة شديدة.

فأخرج إليَّ شيئًا كان أهداه إليه بعض إخوانه فباعه بعشرة دراهم وقال:

اعزلى منها درهمًا لحنوطي، وأنفقي باقيها.

فمات وما بقى غير الدرهم.

وفاة يوسف بن أسباط:

توفى يوسف بن أسباط قبل المائتين بسنة.

رحم الله العبد الصالح ذا الجد والنشاط والمستبق إلى الصراط يوسف بن أسباط.

* * *

سفيان بن عيينة

مواقف ومواعظ
مــن حيــاة التابعيـــن

[١٤]

سفيان بن عيينة

سفيان بن عيينة

نسبه:

هو: سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي.

كنيته:

يكنى: أبا محمد.

كان مولى من بني هلال بن عامر رهط أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث.

وقيل:

مولى بني هاشم.

وقيل:

مولى الضحاك بن مزاحم.

وقيل:

مولى مسعر بن كدام.

وقيل:

مولى لعبد الله بن روبية.

مولده:

ولد بالكوفة سنة سبع ومائة للهجرة.

كان عيينة بن عمران من عمال خالد بن عبد الله القسري، فلما عزل خالد بن عبد الله عن إمارة العراق وولى يوسف بن عمر الثقفي، طلب - طارد وتعقَّب - عمال خالد بن عد الله القسري فهرب عيينة منه ولحق بأم القرى فسكن سفيان مكة.

وحج سفيان بن عيينة سبعين حجة.

وكان إمامًا عالمًا ثبتًا زاهدًا ورعًا، ومجمعًا على صحة حديثه وروايته.

وصية أبي:

قال سفيان بن عيينة:

لما بلغت خمس عشرة سنة دعاني أبي فقال لي:

- يا سفيان قد انقطعت عنك شرائع الصبا فاحتفظ من الخير تكن من أهله.

ولا يغرنك من اغتر بالله فمدحك بما يعلم الله خلافه منك.

فإنه ما من أحد يقول في أحد من الخير إذا رضى إلا وهو يقول فيه من الشر مثل ذلك إذا سخط.

فاستأنس بالوحدة من جلساء السوء، لا تنقل أحسن ظني بك - اسم تفضيل؛ أي: إن لي فيك أحسن الظن، فلا تنقله إلى سيئه - إلى غير ذلك.

ولن يسعد بالعلماء إلا من أطاعهم.

يقول سفيان بن عيينة:

فجعلت وصية أبي قبلة أميل معها ولا أميل عنها.

الأيام ثلاثة:

قال أبو محمد:

الأيام ثلاثة:

فأمس حكيم مؤدب ترك حكمته وأبقاها عليك.

واليوم صديق مودع كان عنك طويل الغيبة حتى أتاك ولم تأته وهو عنك سريع الظن - الرحيل -.

وغدا لا تدري أتكون من أهله أو لا تكون؟

وأشد الناس حسرة يوم القيامة، ثلاثة:

رجل كان له عبد فجاء يوم القيامة أفضل عملاً منه.

ورجل له مال فلم يتصدق منه فمات فورثه غيره فتصدق منه.

ورجل عالم لم ينتفع بعلمه فعلَّمه غيره فانتفع به.

أول من مات:

قال سفيان بن عيينة:

ان أول من مات: إبليس.

وذلك أنه أول من عصاني.

وأنا أعد من عصاني من الموتى.

إن الدمعة إذا خرجت استراح القلب:

تكلم منصور بن عمار في مجلس فيه سفيان بن عيينة، وفضيل بن عياض، وعبد الله ابن المبارك.

فأما سفيان بن عيينة: فتغرغرت عيناه ثم نشفتا من الدموع.

وأما عبد الله بن المبارك: فسالت دموعه على خديه.

وأما الفضيل بن عياض؟ فانتحب.

فلما قام فضيل بن عياض، وعبد الله بن المبارك، قال منصور بن عامر لسفيان بن عيينة:

- يا أبا محمد: ما منعك أن يجيء منك مثل ما جاء من صاحبيك؟

قال سفيان بن عيينة:

- هذا أكمد الحزن، إن الدمعة إذا خرجت، استراح القلب.

اللهم إليك خرجت:

رأى سفيان بن عيينة أعرابيًا جاء يطوف بالبيت فتبعه وقال لنفسه:

لعله لا يحسن - الطواف والدعاء - فأعلمه ما يقول.

فجاء الأعرابي وتعلق بأستار الكعبة وقال:

اللهم إليك خرجت وأنت أخرجتني، وإليك جئت وأنت جئت بي، وبفنائك أنخت - أناخ البعير أي: الجمل وحط رحله - وأنت حملتني.

اللهم فقد عجت - العج: رفع الصوت، الثج: سيلان الدم؛ أي: دماء الهدى - إليك الأصوات بصنوف اللغات، يسألونك الحاجات.

وحاجتى إليك: أن تذكرني على طول البلا إذ نسني أهل الدنيا.

لكل مفتر ومبتدع إلى يوم القيامة:

جلس سفيان بن عيينة ذات ضحى بين أصحابه فقال:

- ليس في الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلة تغشاه، وهي في كتاب الله.

قالوا:

- وأين هي من كتاب الله؟

قال أبو محمد:

أما سمعتم قوله تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾} [سورة الأعراف الآية: ١٥٢].

قالوا:

- يا أبا محمد: هذه لأصحاب العجل - بنو إسرائيل الذين عبدوا العجل بعد أن جمع موسى بن ظفر (السامري)، حليهم وصنع منه

عجلاً - خاصة؟

قال سفيان بن عيينة:

- كلا اتلوا ما بعدها:{وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ } [سورة الأعراف الآية: ١٥٢].

فهي لكل مفتر ومباع إلى يوم القيامة.

الزهد:

سأل أحمد بن أبي الحواري سفيان بن عيينة:

- يا أبا محمد: أي شيء الزهد في الدينا؟

قال سفيان بن عيينة:

- من إذا أنعم الله عليه نعمة فشكرها، وابتلى ببلية فصبر، فذلك الزهد.

قال أحمد بن أبي الحواري:

- يا أبا محمد: فإن أنعم عليه بنعمة فشكر وابتلى فصبر، وهو ممسك للنعمة كيف يكون زاهدًا

قال سفيان بن عيينة:

– اسكت، فمن لم تمنعه البلوى من الصبر والنعمة من الشكر فذلك الزاهد.

أحوج الناس إلى العلم:

اجتمع الناس إلى سفيان بن عيينة فقال:

- من أحوج الناس إلى هذا العلم؟

فسكتوا.

ثم قالوا:

- تكلم يا أبا محمد.

فقال سفيان بن عيينة:

- أحوج الناس إلى العلم: **العلماء**.

فقالوا:

- ولِمَ؟

قال أبو محمد:

- وذلك أن الجهل بهم أقبح، لأنهم غاية الناس وهم يسألون.

ثم قال سفيان بن عيينة:

- **أفضل العلم**: العلم بالله، والعلم بأمر الله، فإذا كان العبد عالمًا بالله وعالمًا بأمر الله، فقد بلغ، ولم تصل إلى العباد نعمة أفضل من العلم بالله والعلم بأمر الله، ولم يصل إليهم عقوبة أشد من الجهل بالله والجهل بأمر الله.

فقال أحد أصحابه:

- يا أبا محمد: **ما فضل العلم؟**

قال سفيان بن عيينة:

ألم تسمع قوله حين بدأ به، فقال:{ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ } [سورة محمد الآية: ١٩].

ثم أمره بالعمل بعد ذلك، فقال:{وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ} [سورة محمد الآية: ١٩].

وهي شهاده أن لا إله إلا الله، لا يغفر إلا بها، من قالها غفر له، قال:{ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ } [سورة الأنفال الآية: ٣٨].

وقال:{وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ } [سورة الأنفال الآية: ٣٣].

أي: **يوحدون**.

وقال: {ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا} [سورة نوح الآية: ١٠].

يقول: وحّدُوا.

والعلم قبل العمل، ألا تراه قال: { ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١} [سورة الحديد الآيتان: ٢٠ - ٢١].

وقال: { وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ} [سورة الأنفال الآية: ٢٨].

ثم قال: (احذرهم) بعد.

وقال: {وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ} [سورة الأنفال الآية: ٤١]، ثم أمرنا بالعمل به.

وقال أبو محمد: قالوا لبعض الحكماء:

- ما لكم أحرص الناس على طلب العلم؟

قالوا:

- لأنَّا أعمل الناس به.

أهل العدل:

قال سفيان بن عيينة:

إذا أظهر العبد لباسًا وسريرته مثل ما أظهر من لباسه، كتبه الله عنده من أهل العدل، فإن زل فيما بينه وبين ربه بذنب لم يطلع الناس عليه كتبه الله عنده من الجائرين؛ لأن ذنبه مخالف للباسه، فإذا أظهر العبد لباسًا وسريرته أحسن من لباسه، كتبه الله عنده من أهل الفضل، فإن زل فيما بينه وبين ربه بذنب لم يطلع الناس عليه، رده الله عن

الفضل إلى العدل ولم يكتبه من الجائرين؛ لأن ذنبه محتمل للباسه، فكم من جارين متجاورين هذا يظهر للناس التجارة يطلع الله من قلبه على أنه ذاهب في الدنيا، وهذا يظهر للناس الزهد يطلع الله من قلبه على أنه محب للدنيا.

العافية مع الشكر:

كان عمر بن السكن جالسًا ذات يوم عند سفيان بن عيينة فقام إليه رجل من أهل بغداد فقال:

- يا أبا محمد: أخبرني عن قول مطرف: لأن أعافى فأشكر أحب إلَيَّ من أن أبتلى فأصبر، أهو أحب إليك أم قول أخيه أبي العلاء: اللهم رضيت لنفسي ما رضيت لي؟

فسكت سفيان بن عيينة سكتةً ثم قال:

- قول مطرف أحب إلَيَّ.

فقال الرجل:

- كيف وقد رضى هذا لنفسه ما رضيه الله له؟

فقال أبو محمد:

إني قرأت القرآن فوجدت صفة سليمان - عليه السلام - مع البلاء الذي كان فيه:{نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ} [سورة ص الآية: ٣٠].

ووجدت صفة أيوب - عليه السلام - مع البلاء الذي كان فيه:{نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ} [سورة ص الآية: ٤٤].

فاستوت الصفتان، وهذا معافى وهذا مبتلى.

فوجدت الشكر قد قام مقام الصبر، فلما اعتدلا، كانت العافية مع الشكر أحب إلَيَّ من البلاء مع الصبر.

أهذه خير أم الأولى؟

قال سفيان بن عيينة:

ذات يوم دخل أعرابي المسجد فصلى صلاة خفيفة، فقام إليه عليّ بن أبى طالب بالدرة

- الدِّرة بالكسر: التي يُضرب بها - وقال له:

- **أعد الصلاة.**

فأعادها الأعرابي مطمئنًا.

فلما فرغ الأعرابي من صلاته سأله أبو الحسن:

- أهذه خير أم الأولى؟

قال الأعرابي:

- **الأولى.**

قال عليّ بن أبي طالب:

- لِمَ؟

قال الأعرابي:

- **لأني صليت الأولى لله عز وجل والثانية صليتها خوفًا من الدرة.**

أنت أنت يا رب!

قال سفيان بن عيينة:

قال أيوب - عليه السلام -:

اللهم إنك تعلم أنه لم يعرض لي أمران قط أحدهما لك فيه رضى والآخر لي فيه هوى إلا آثرت الذي لك فيه رضى على الذي لي فيه هوى.

قيل:

فنودي من غمامة من عشرة آلاف صوت:

- يا أيوب: من فعل ذلك بك؟

فوضع أيوب - عليه السلام - التراب على رأسه ثم قال:

- أنت أنت يا رب.

خلت الديار:

خرج سفيان بن عيينة يومًا إلى أصحاب الحديث فتساءل:

- أفيكم أحد من أهل مصر؟

فقالوا:

- نعم.

فقال أبو محمد:

- ما فعل الليث بن سعد؟

قالوا:

- توفى.

فقال سفيان بن عيينة:

- أفيكم أحد من أهل الرملة؟

قالوا:

- نعم.

فتساءل أبو محمد:

- ما فعل ضمرة بن ربيعة الرملي؟

قالوا:

- توفى.

فقال سفيان بن عيينة:

- هل فيكم أحد من أهل حمص؟

قالوا:

- نعم.

فتساءل أبو محمد.

- ما فعل بُقْية بن الوليد؟

قالوا:

- توفى.

فقال سفيان بن عيينة:

- هل فيكم أحد من أهل دمشق؟

قالوا:

- نعم.

فتساءل أبو محمد:

- ما فعل الوليد بن مسلم؟

قالوا:

- توفى.

فتساءل سفيان بن عيينة:

- هل فيكم أحد من أهل قيسارية؟

قالوا:

- نعم.

فقال أبو محمد:

- ما فعل محمد بن يوسف الفرياني؟

قالوا:

- توفى.

فبكى سفيان بن عيينة طويلاً.

ثم أنشد:

خلت الديار غير مسود ::: ومن الشقاء تفردي بالسؤدد

كنا إخوة أربعة:

جاء رجل فقال:

- يا أبا محمد: أشكو إليك من فلانة - يعنى: امرأته - أنا أذل الأشياء عندها وأحقرها.

فأطرق سفيان بن عيينة مليًا ثم رفع رأسه وقال:

- لعلك رغبت إليها لتزداد عزًا.

فقال الرجل:

- نعم يا أبا محمد.

فقال سفيان بن عيينة:

- من ذهب إلى العز ابتلى بالذل، ومن ذهب إلى المال ابتلى بالفقر، ومن ذهب إلى الدين يجمع الله له العز والمال مع الدين - اظفر بذات الدين تربت يداك -.

ثم قال أبو محمد:

- كنا إخوة أربعة: محمد وعمران وإبراهيم وأنا، فمحمد أكبرنا، وعمران أصغرنا، وكنت أوسطهم، فلما أراد محمد أن يتزوج رغب في الحسب فتزوج من هي أكبر منه حسبًا، فابتلاه الله بالذلّ، وعمران رغب في المال فتزوج من هي أكبر منه حسبًا فابتلاه الله بالفقر، أخذوا ما في يديه ولم يعطوه شيئًا.

ثم قال سفيان بن عيينة:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(تُنكَح المرأة على أربع خلال: على مالها، وعلى دينها، وعلى جمالها، وعلى حسبها ونسبها فاظفر بذات الدين تربت يداك) (رواه أبو داود، وابن ماجه، والنسائي، عن أبي هريرة).

وقال أبو محمد:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(أعظم النساء بركة: أيسرهن مؤنة) (رواه الخطيب في المتفق والمفترق، عن عائشة).

ثم قال أبو محمد:

فاخترت لنفسي ذات الدين وتخفيف الظهر اقتداءً بسنة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فجمع الله لي العز والمال والدين.

المطيع والعاصي:

سُئلَ سفيان بن عيينة:

- كيف القدوم على الله؟

قال أبو محمد:

أما المطيع: فكقدوم الغائب على أهله المشتاقين إليه.

وأمَّا العاصي: فكقدوم الآبق - الهارب - على سيده الغضبان.

أول من صيرني محدثًا:

يقول أبو محمد:

دخلت الكوفة ولم يتم لي عشرين سنة، فقال أبو حنيفة لأصحابه ولأهل الكوفة:

- جاءكم حافظ علم عمرو بن دينار.

فجاء الناس يسألوني عن عمرو بن دينار.

فأول من صيرني محدثًا: أبو حنيفة.

فذاكرته فقال لي:

- يا بني: ما سمعت من عمرو بن دينار إلا ثلاثة أحاديث، يضطرب في حفظ تلك الأحاديث.

خير الناس:

قال سفيان بن عيينة:

قال لقمان: خير الناس الحيي الغنيّ.

قيلَ:

- الغنى في المال؟

قال:

- لا: ولكن الذي إذا احتيجَ إليه نفع، وإذا استغنى عنه نفع.

قيل:

- من شر الناس؟

- من لا يبالي أن يراه الناس مسيئًا.

ذكر الله في الغافلين:

قال سفيان بن عيينة:

قال الصادق المصدوق (صلي الله عليه وسلم) :

(ذاكر الله في الغافلين مثل شجرة خضراء في وسط شجر يابس، وذاكر الله في الغافلين يريه الله مقعده في الجنة وهو حي، وذاكر الله في الغافلين كالمقاتل خلف الفارين، وذاكر الله في الغافلين ينظر الله إليه نظرة لا يعذبه بعدها أبدًا، وذاكر الله في الغافلين مثل المصباح في بيت مظلم، وذاكر الله في الغافلين يغفر الله له بعدد كل فصيح وأعجم - أي: بعدد البهائم وبنى آم -، وذاكر الله في السوق له بكل شعرة نور يوم القيامة).

من أولى بالعفو منك!

بينما كان أبو محمد يطوف بالبيت وإلى جانبه أعرابي يطوف وهو ساكت، فلما أتم الأعرابي طوافه جاء إلى المقام - مقام إبراهيم - عليه السلام - الذي يقف عنده الإمام - فصلى ركعتين ثم جاء فقام بحذاء البيت فقال:

إلـهي:

من أولى بالزلل والتقصير مني؟ وقد خلقتني ضعيفًا.

ومن أولى بالعفو منك وعلمك في سابق وقضاؤك في محيط؟

أطعتك بإذنك والمنتهى لك، وعصيتك بعلمك والحجة لك.

فأسألك بوجوب حجتك عليَّ وانقطاع حجتي، وفقري إليك وغناك عني إلا ما غفرت لي.

يقول سفيان بن عيينة:

ففرحت فرحًا ما أعلم أني فرحت مثله حين سمعته يتكلم بهؤلاء الكلمات.

الإيمان:

جاء رجلٌ أبا محمد فقال له:

- يا أبا محمد: ما تقول في الإيمان يزيد وينقص؟

قال سفيان بن عيينة:

- يزيد ما شاء الله وينقص حتى لايبقى معك منه شيء.

وعقد بثلاثة أصابع وحلق بالإبهام والسبابة ثم قال:

فإن قومًا يقولون: الإيمان كلام، وكان القول قولهم قبل أن تنزل أحكام الإيمان وحدوده، بعث النبي (صلي الله عليه وسلم) إلى الناس أن يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها حقنوا بها دماءهم وأموالهم

إلا بحقها، وحسابهم على الله، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم بأن يقيموا الصلاة فأمرهم ففعلوا ولو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول، فلما علم الله تعالى صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم أن يهاجروا إلى المدينة، فأمرهم ففعلوا، ولو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا الصلاة، فلما علم الله عز وجل صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم أن يرجعوا إلى مكة فيقاتلوا آباءهم وأبناءهم حتى يقروا بمثل إقرارهم ويشهدوا بمثل شهادتهم، حتى أن الرجل ليجيء بالرأس فيقول:

- يا رسول الله: هذا رأس الشيخ الضال.

فأمرهم ففعلوا، ولو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا الصلاة والهجرة، فلما علم الله عز وجل صدق ذلك في قلوبهم أمرهم أن يطوفوا بالبيت تعبدًا ويحلقوا رءوسهم تذللاً ففعلوا، ولو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا الصلاة ولا الهجرة ولا الرجوع إلى مكة، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم أن يؤدوا الزكاة قليلها وكثيرها فأمرهم ففعلوا ولو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا الصلاة ولا الهجرة ولا الرجوع إلى مكة ولا طوافهم بالبيت ولا حلقهم رءوسهم، فلما علم الله عز وجل ما تتابع عليهم من الفرائض ومثولهم لها قال له:

قل لهم: {ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا} [سورة المائدة الآية: ٣]، فمن ترك شيئًا من ذلك كسلاً أو مجونًا أدبناه عليه، وكان عندنا ناقص الإيمان، ومن تركها عامدًا كان بها كافرًا، هذه السنه أبلغ عني من سألك من المسلمين.

هذا الخضر:

بينما كان سفيان بن عيينة يطوف بالبيت إذ هو برجل مشرف على الناس، حسن الشيب فقال بعضهم لبعض:

- ما أشبه هذا الرجل أن يكون من أهل العلم.

فاتبعوه حتى قضى طوافه، وصار إلى المقام فصلى ركعتين، فلما سلَّم أقبل على القبلة فدعا بدعوات، ثم التفت إليهم وقال:

- **تدرون ماذا قال ربكم؟**

قالوا:

- وماذا قال ربنا؟

- قال ربكم: **أنا الملك أدعوكم أن تكونوا ملوكًا.**

ثم أقبل على القبلة فدعا بدعوات ثم التفت إليهم فقال:

- **تدرون ماذا قال ربكم؟**

قالوا:

- وماذا قال ربنا يرحمك الله؟

قال:

- قال ربكم: أنا الحى الذي لا يموت، أدعوكم إلى أن تكونوا أحياء لا تموتون.

ثم أقبل على القبلة فدعا بدعوات ثم التفت إليهم فقال:

- **تدرون ماذا قال ربكم؟**

قالوا:

- وماذا قال ربنا يرحمك الله؟

- قال ربكم: **أنا الذي إذا أردت شيئًا كان**، أدعوكم إلى أن تكونوا بحال إذا أردتم شيئًا كان لكم.

يقول سفيان بن عيينة:

ثم ذهب فلم نره.

فلقى سفيان بن عيينة الثوري فأخبره بذلك فقال:

ما أشبه أن يكون هذا الخضر أو بعض هؤلاء - يعنى: الأبدال -.

إن حزن يوم القيامة ورثني دموعًا غزارًا:

قال أبو محمد:

كان أمية - الشامي - رجلاً من أهل الشام يقوم فيصلي هناك - في البيت الحرام - مما يلي باب بني سهم.

فأرسل إليه الأمير - أمير مكة -.

- إنك تفسد - لتفسد - على المصلين صلاتهم بكثرة بكائك وارتفاع صوتك، فلو أمسكت قليلاً.

فبكى أمية الشامي ثم قال:

- إن حزن يوم القيامة ورثني دموعًا غزارًا، فأنا أستريح إلى ذريها - انسيابها - أحيانًا.

وكان أمية الشامي يقول:

- ألا إن المطيع لله ملك في الدنيا والآخرة.

وكان يدخل في الطواف فيأخذ في البكاء والنحيب.

وربما سقط مغشيًا عليه.

خذ أجرك ممن أحببت أن يراك:

قال سفيان بن عيينة:

أصابتني ذات يوم رقة فبكيت فقلت في نفسي:

لو كان بعض أصحابنا الرق معي.

ثم غفوت فأتاني آت في منامي فرفسني وقال:

- يا سفيان: خذ أجرك ممن أحببت أن يراك.

إني على طريق السبيل:

قال أبو محمد:

كان عيسى - عليه السلام - يقول:

- إن للحكمة أهلاً فإن وضعتها في غير أهلها ضيعت، وإن منعتها من أهلها ضيعت، كن كالطبيب يضع الدواء حيث ينبغي.

وكان ابن مريم - عليه السلام - لا يخبأ غداء لعشاء ولا عشاء لغداء ويقول:

- مع كل يوم وليلة رزقها، ليس له - لي - بيت يخرب.

فقيل له:

- ألا تتزوج؟

قال:

- أتزوج امرأة تموت.

فقيل له:

- ألا تبني بيتًا؟

قال:

- إني على طريق السبيل.

وكان عيسى ويحيى - ابنا الخالة - عليهما السلام - يأتيان القرية فيسأل عيسى عن شرار الناس، ويسأل يحيى عن خيار أهلها.

فقال يحيى:

- لم تنزل على شرار الناس؟

قال عيسى - عليه السلام -:

- إنَّما أنا طبيب أداوي المرضى.

ثم قال عيسى - عليه السلام -:

- إنَّا أعلمكم لتعلموا ليس لتعجبوا يا ملح الأرض لا تفسدوا فإن الشيء إذا فسد فإنَّما يصلح بالملح، فإن الملح إذا فسد لم يصلح بشيء، ولا تأخذوا الأجر ممن تعلمون إلا مثل الذي أخذت منكم.

ثم قال كلمة الله وروحه:

- كونوا أوعية الكتاب، وينابيع العلم، وسلوا الله رزق يوم بيوم، ولا يضركم أن يكثر لكم.

قال سفيان بن عيينة:

نزل محمد بن المنكدر على محمد بن سوقة بالكوفة فحمله على حمار فسألوه:

- يا عبد الله أي العمل أحب اليك؟

قال محمد بن المنكدر:

- إدخال السرور على المؤمن.

قالوا:

- فما بقى مما يستلذ؟

- الأفضال على الأحزان.

هذا الغلام يصلح لصحبة هؤلاء:

خرج أبو محمد يومًا إلى من جاءه يسمع منه وهو ضجر فقال:

أليس الشقاء أن أكون جالست ضمرة بن سعيد، وجالس هو أبا سعيد الخدري، وجالست عمرو بن دينار، وجالس هو عبد الله بن عمر، وجالست الزهري، وجالس هو أنس بن مالك - خادم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) -؟

حتى عدد جماعة.

ثم أردف:

- حتى أجالسكم؟

فقال غلام حدث في المجلس:

- أتُنْصِفُ يا أبا محمد؟

قال سفيان بن عيينة:

إن شاء الله تعالى.

فقال الغلام:

والله، لشقاء أصحاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بك أشد من شقائك بنا.

فأطرق أبو محمد وأنشد قول أبي نواس:

خـــل جنبيـــك لـــرام ::: وامـــض عنـــه بســـلام

مـــت بـــداء الصـــمت خـــير ::: لـــك مـــن داء الكـــلام

إنمـــا الســـالم مـــن ألـــ ::: ـــجم فـــاه بلجـــام

فتفرق الناس وهم يتحدثون برجاحة عقل الغلام الحدث.

وكان ذلك الغلام هو يحيى بن أكثم التميمي.

فقال سفيان بن عيينة:

هذا الغلام يصلح لصحبة هؤلاء - يعني: السلطان وقد صدقت فراسة أبي محمد فقد صار يحيى بن أكثم قاضيًا مشهورًا -.

يقول أبو محمد:

أدركت لفيفًا وثمانين نفسًا من التابعين، فكنت أخرج إلى المسجد فأتصفح وجوه الخلق، فإذا رأيت مشيخة وكهولة جلست إليهم، وأنا اليوم قد اكتنفني هؤلاء الصبيان.

ثم ينشد:

خلت الديار فسدت غير مسوّد ::: ومن الشقاء تفرّدي بالسؤدد

قالوا عن سفيان بن عيينة:

* قال الشافعي:

ما رأيت أحدًا من آلة الفتيا ما في سفيان، وما رأيت أكف عن الفتيا منه.

* قال رجل:

كنت أمشي مع سفيان بن عيينة إذ أتاه سائل فلم يكن معه ما يعطيه، فبكى.

فقلت:

- يا أبا محمد: ما يبكيك - ما الذي أبكاك -؟

قال:

- مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيرًا فلا يصيبه؟

من أقوال سفيان بن عيينة:

كان سفيان بن عيينة يقول:

* من تزين للناس بشيء يعلم الله منه غير ذلك شانه الله.

* إذا كان نهاري نهار سفه وليلى ليل جاهل فما أصنع بالعلم الذي كتبت؟

* من زيد في عقله نقص من رزقه.

* أرفع الناس منزلة: من كان بين الله وبين عباده وهم الأنبياء والعلماء.

* من رأى أنه خير من غيره، فقد استكبر، وذلك أن إبليس إنَّما منعه من السجود لآدم - عليه السلام - ا ستكباره.

* من كانت معصيته في الشهوة - أي في ساعة من ساعات الضعف الذي ينتاب البشر - فأرج له التوبة، فإن آدم عصى مشتهيًا فغفر له، فإذا كانت معصيته في كبر فاحش على صاحبه اللعنة، فإن إبليس عصى مستكبرًا فلُعِنَ.

* إنَّما منزلة الذي يطلب العلم ينتفع به بمنزلة العبد يطلب كل شيء يرضي سيده، يطلب التحبب إليه والتقرب إليه والمنزلة عنده لئلا يجد عنده شيئًا يكرهه.

* إذا وافقت السريرة العلانية فذلك العدل، وإذا كانت السريرة أفضل من العلانية فذلك الفضل، وإذا كانت العلانية أفضل من السريرة فذلك الجور.

* إذا ترك العالم لا أدى أصابت مقاتله.

* كان سفيان يتمثل بهذا البيت:

يعمر واحد فيغر قوما ::: وينسى من يموت من الصغار

* لولا أن الله عز وجل طمأن ابن آدم بثلاث ما أطاقه شيء وإنهن لقيه وإنه على ذلك لوثاب: الفقر، والمرض، والموت.

* ليس يضر المدح من عرف نفسه.

* من توقير الصلاة: أن تأتي قبل الإقامة.

* اسلكوا سبيل الحق ولا تستوحشوا من قلة أهلها.

* سُئِلَ سفيان بن عيينة عن حد الرضا عن الله تعالى.

فقال:

- الراضي عن الله لا يتمنى سوى المنزلة التي هو فيها.

* إذا جمعت هاتين كل أمري إذا صبرت على البلاء ورضيت بالقضاء.

* إنَّما أرباب العلم الذين هم أهله الذين يعملون به.

* لا إله إلا الله في الآخرة بمنزلة الماء في الدنيا، ولا يحيي شيء في الدنيا إلا الماء.

قال تعالى:{وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ} [سورة الأنبياء الآية: ٣٠].

فلا إله إلا الله بمنزلة الماء في الدنيا، من لم تكن معه لا إله إلا الله فهو ميت، ومن كانت معه لا إله إلا الله فهو حي.

* الزهد في الدنيا: الصبر وارتقاب الموت.

* ليس من حب الدنيا طلبك منها ما لابد منه.

* كأنك بالدنيا ولم تكن، وكأنك بالآخرة ولم تزل، وكأنك بآخر من يموت وقد مات.

*** ليس العالم الذي يعرف الخير والشر، إنما العالم الذي يعرف الخير فيتبعه ويعرف الشر فيتجنبه.**

* أول العلم: الاستماع، ثم الإنصات، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر.

* كنت أخرج إلى المسجد فأتصفح الخلق، فإذا رأيت كهولاً، ومشيخة جلست إليهم، فانا اليوم قد اكتنفتنى هولاء الصبيان.

ثم أنشد:

خلت الديار فَسُدتُ غير مسود ::: ومن الشقاء تفردي بالسؤدد

* لا تدخل هذه المخابر - المحبرة: إناء صغير يوضع فيها الحبر - بيت رجل إلا أشقى أهله وولده.

* خلقت النار رحمة يخوف بها عباده لينتهوا.

إذا ما رأيت المرء يقتاده الهوى ::: فقد ثكلته عند ذاك ثواكله

وقد أشمت الأعداء جهلاً بنفسه ::: وقف وجدت قيه مقالاً عواذله

ولن ينزع اللحوح عن الهوى ::: من الناس إلا وافر العقل كامله

* العلم إن لم ينفعك ضرك.

* إن العاقل إذا لم ينتفع بقليل الموعظة لم يزدد على الكثير منها إلا شرًا.

* لا تبلغوا ذروة هذا الأمر إلا حتى لا يكون شيء أحبّ إليكم من الله عز وجل، ومن أحب القرآن قد أحب الله افقهوا ما يُقال لكم.

* اللهم إني أسالك حسن الظن وشكر العافية.

* من طلب الحديث فقد بايع الله.

* أتدرون ما مثل العلم؟

مثل العلم: مثل دار الكفر ودار الإسلام، فإن ترك أهل الإسلام الجهاد جاء أهل الكفر فأخذوا الإسلام، وإن ترك الناس العلم صار الناس جهالاً.

* دع الكبر والفخر واذكر طول الثواء في القبر.

* كان يُقال: جالس الحكماء فإن مجالستهم غنيمة، وصحبتهم سليمة، ومؤاخاتهم كريمة.

* إنما سموا المتقين لأنهم اتقوا ما لا يُتَّقَى.

* لأن يُقال فيك الشر وليس فيك، خير من أن يُقال فيك الخير وهو فيك.

ثم تلا قوله تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ} [سورة النور الآية: ١١].

* عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة.

* من أكثر ذكر القبر، وجده روضة من رياض الجنة، ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار.

* لا تكن مثل العبد السوء لا يأتي حتى يدعى ائت الصلاة قبل النداء - الأذان -.

* ليس من عباد الله أحد إلا ولله الحجة عليه، إما في ذنب، وإما في نعمة مقصر في شكرها.

* إنَّما تطيب المجالس بخفة الجلساء.

* قال إسحاق بن أبي إسرائيل لأبي محمد:

- يا أبا محمد: أجدب الناس من الدين والدنيا.

فقال سفيان بن عيينة:

- أجدبوا فلا مرتع ولا مفزع.

* لو أن رجلاً استقبل القبلة ثم ذكر الحديث لرجوت أن لا يقوم حتى يُغفر له.

* تحضر الحكمة بثلاث:

الإنصات والاستماع والوعي.

وتلقح الحكمه بثلاث خصال:

الإنابة إلى دار الخلود.

والتجافي عن دار الغرور.

والاستعداد للموت قبل الموت.

* الغل هو الحسد فما خرج منه الشر، وما بقى منه فهو الغل، وليس يسلم أحد أن يكون فيه شيء من الحسد.

* الجهاد عشرة أجزاء – فجهاد العدو واحد، وجهادك نفسك تسعة.

سفيان بن عيينة وأحاديث الصادق المصدوق (صلي الله عليه وسلم) :

أسند سفيان بن عيينة عن الجماهير من التابعين، وأدرك ستة وثمانين نفسًا من أعلام التابعين وأركانهم: عمرو بن دينار، محمد بن المنكدر، عبد الله بن دينار، زيد بن أسلم، أبو حازم، الزهري، يحيى بن سعيد الأنصاري.

ومن الكوفيين: أبو إسحاق، عبد الملك بن عمير، والأعمش، والشيباني، ومنصور، وإسماعيل بن أبي خالد.

ومن البصريين: أيوب، سليمان التيمي، داود بن أبي هند، على بن زيد بن جدعان، حميد الطويل.

وحدَّث عنه: الأئمة سفيان الثوري، شعبة بن الحجاج، الأعمش، والأوزاعي.

* قال محمد بن المظفر عن عمر بن محمد بن عثمان بن معارك الجوهري عن الحسين ابن عمر الميمونى، عن يحيى بن السكن عن شعبة بن الحجاج عن عتيبة عن الزهري، عن سالم عن أبيه قال:

(إن النبي (صلي الله عليه وسلم) وأبو بكر وعمر كانوا يمشون أمام الجنازة) (رواه أبو نعيم في الحية).

* قال محمد بن على بن حبيش عن عليّ بن يوسف بن أيوب عن فضيل بن محمد الملطي عن شعبة بن الحجاج عن سفيان بن عيينة عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال:

إن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال:

(لا يدخل الجنة قاطع رحم) (رواه الطبراني في المعجم الكبير وأبو نعيم في الحلية عن جبير بن مطعم).

* قال محمد بن أحمد بن الحسن عن بسر بن موسى عن عبد الله بن الزبير الحميدي عن سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(دخلت الجنة فرأيت قصرًا من ذهب أعجبني حسنه فقلت: لمن هذا؟

قيل:

- لعمر.

فما منعني أن أدخله إلا ما علمت من غيرتك يا عمر.

فقال عمر:

أعليك أغار يا رسول الله؟) (رواه ابن عساكر، وأبو نعيم في الحلية).

* قال محمد بن أحمد، عن بشر بن موسى، عن الحميدي عن سفيان بن عيينة عن الزهري عن أنس بن مالك قال:

جاء رجلٌ إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) فسأله عن الساعة فقال:

- وما أعددت لها؟

فلم يذكر كبيرًا إلا أنه قال:

- إني أحب الله ورسوله.

فقال النبي (صلي الله عليه وسلم) :

(أنت مع من أحببت). (صحيح متفق عليه).

* قال محمد بن أحمد عن بشر، عن الحميدي عن سفيان بن عيينة عن علي بن زيد ابن جدعان عن أنس بن مالك قال:

كان أبو طلحة - روج أم سليم أم أنس بن مالك - ينثل كنانته بين يدي - أمام - رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ويجثو على ركبتيه ويقول:

- وجهى لوجهك الوفاء ونفسي لنفسك الفداء.

فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(لصوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة) (رواه الإمام أحمد، والحاكم في المستدرك، عن أنس بن مالك).

* قال أحمد بن عبد الله، عن أبي عن سفيان بن عيينة عن عبد الله بن أبي بكر عن أنس بن مالك قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(يتبع الميت ثلاثة: أهله وماله وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يرجع أهله وماله ويبقى عمله) (أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، والترمذي، والنسائي، عن أنس بن مالك).

* قال محمد بن إسحاق بن أيوب عن إبراهيم بن هاشم عن أحمد بن حنبل عن سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(أخنع – الخانع: الذي يضع رأسه للسوءة أو الفاجر أو الدليل الخاضع – اسم – الأسماء – عند الله يوم القيامة رجل تسمى ملك الأملاك) (أخرجه أبو داود كتاب الأدب، وأبو نعيم في الحلية، عن أبي هريرة).

* قال محمد بن أحمد عن بشر عن الحميدي عن سفيان بن عيينة عن مطرف عن عطية بن أبي سعيد قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(كيف أنعم وصاحب القرن - الصور - قد التقم القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه - السمع - ينتظر متى يؤم).

قالوا:

- يا رسول الله، فما تأمرنا؟

قال عليه الصلاة والسلام:

(قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا) (رواه الإمام أحمد، والترمذي، والحاكم في المستدرك، والطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية).

* قال أبو إسحاق بن حمزة عن أبى الحسن محمد بن شعيب الآيلي عن أبى الأشعث، عن سفيان بن عيينة عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال:

سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بأذني هاتين وإلا فصمتا يقول:

(يخرج الله قومًا من النار ويدخلهم الجنة) (رواه أبو نعيم في الحلية، وأخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة، والإمام أحمد، عن جابر بن عبد الله).

* قال القاضي أبو أحمد محمد بن أحمد عن إبراهيم الحسين بن إسماعيل عن إسحاق بن بهلول عن يحيى بن الحسين عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(أسلم - قبيلة أسلم - سلمها الله، وغفار - قبيلة غفار - غفر الله لها، ما أنا قلته ولكن الله قاله) (رواه الإمام أحمد، ومسلم، والحاكم في المستدرك، والطبراني في المعجم الكبير، عن جابر بن عبد الله).

* قال سليمان بن أحمد عن محمد بن محمد التمار، عن إبراهيم بن بشار، عن سفيان بن عيينة، عن يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) (رواه البخاري، وأبو نعيم في الحلية، عن أبي موسى الأشعري.

قال سفيان بن عيينة:

توفى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعًا من شعير.

سفيان بن عيينة والقرآن العظيم:

سأل رجل أبا محمد عن قوله تعالى:{وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا} [سورة الفرقان الآية: ٤٨].

فقال:

حدَّثونا عن زيد بن أسلم عن أبيه قال:

لما كنا بالشام - يوم فتح بيت المقدس - أتيت عمر بن الخطاب بماء فتوضأ منه، فقال:

- من أين جئت بهذا الماء؟ ما رأيت ماء عذبًا ولا ماء سماء أطيب منه.

فقلت:

- جئت به من بيت هذه العجور النصرانية.

فلما توضأ أتاها فقال:

- أيتها العجور: أسلمي تسلمي، بعث الله محمدًا (صلي الله عليه وسلم) بالحق.

- فكشفت عن رأسها فإذا مثل الثغامة - نبات ذو ساق جماحته مثل هامة الشيخ - فقالت:

- عجوز كبيرة، وإنَّما أموت الآن.

فقال عمر بن الخطاب:

- اللهم أشهد. (أخرجه الدارقطني).

وسُئل سفيان بن عيينة عن فضل العلم، فقال:

ألم تسمع قوله حين بدأ به:{ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ} [سورة محمد الآية: ١٩].

فأمر بالعمل بعد العلم، وقال:{ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾} [سورة الحديد الآيتان: ٢٠ - ٢١].

وقال:{ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ} [سورة الأنفال الآية: ٢٨]، ثم قال بعد:{فَٱحۡذَرُوهُمۡ} [سورة التغابن الآية: ١٤].

وقال تعالى:{وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ} [سورة الأنفال الآية: ٤١].

وكان سفيان بن عيينة إذا قرأ:{إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾} [سورة النحل الآية: ٩٠].

قال:

إن معنى العدل في هذا الموضع استواء السريرة والعلانية من كل عامل لله عملاً.

وإن معنى الإحسان: أن تكون سريرته أحسن من علانيته، وإن الفحشاء والمنكر تكون علانيته أحسن من سريرته.

وكان أبو محمد إذا قرأ قول الحق:{تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا} [سورة القصص الآية: ٨٣].

قال:

مرَّ عليٌّ بن الحسين وهو راكب على مساكين يأكلون كسرًا - من الخبز - لهم، فسلَّم عليهم، فدعوه إلى طعامهم، فتلا هذه الآية:{تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا} [سورة القصص الآية: ٨٣].

ثم نزل وأكل معهم.

ثم قال:

- قد أجبتكم فأجيبوني.

فحملهم إلى منزله فأطعمهم وكساهم وصرفهم.

وسأل رجل سفيان بن عيينة، عن قوله تعالى:{وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ} [سورة سبأ الآية: ١٣].

فقال أبو محمد:

- إن المراد بالشكر: الصلوات الخمس.

تقول عائشة:

إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كان يقوم الليل حتى تقطر قدماه.

فقالت عائشة:

أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

فقاله عليه الصلاة والسلام:

(أفلا أكون عبدًا شكورًا) (رواه مسلم).

فظاهر القرآن والسنة: أن الشكر بعمل الأبدان دون الاقتصار على عمل اللسان، فالشكر بالأفعال عمل الأركان، والشكر بالأقوال عمل اللسان.

وسُئِلَ أبو محمد عن قوله تعالى:{وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ} [سورة الرحمن الآية: ٩].

قال سفيان بن عيينة:

- الإقامة باليد والقسط بالقلب.

وسأل رجل سفيان بن عيينة عن قوله تعالى:{فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ} [سورة الواقعة الآية: ٥٥].

قال أبو محمد:

الهيم: الأرض السهلة ذات الرمل.

وقيل:

الهيم: الإبل العطاش التي لا تروى لداء يصيبها.

وقيل:

الهيم: الإبل يصيبها داء تعطش منه عطشًا شديدًا.

وكان أبو محمد إذا قرأ:{وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾} [سورة الحاقة الآية: ٣].

قال:

- كل شيء قال فيه:{وَمَآ أَدْرَىٰكَ} فإنه أخبر به، وكل شيء قال فيه:{وَمَا يُدْرِيكَ} فإنه لم يخبر به.

وسأل رجل أبا محمد:

يا أبا محمد: لماذا سميت فاتحة الكتاب الوافية؟

قال سفيان بن عيينة:

- سـميت فاتحـة الكتـاب الوافيـة، لأنهـا لا تنصـف ولا تحتمـل الاختزال، ولو قرأ من سائر السور نصفها في ركعة ونصفها الآخر في ركعة لأجزأ، ولو نصفت الفاتحة في ركعتين لم يجز.

وسُئِلَ سفيان بن عيينة عن معنى قوله تعالى:{ٱلسَّٰٓئِحُونَ} [سورة التوبة الآية: ١١٢].

فقال:

السائحون: الصائمون.

ومنه قوله تعالى:{عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ} [سورة التحريم الآية: ٥].

فقيل:

- ولِمَ قيل للصائم سائح؟

قال سفيان بن عيينة:

- إنما قيل للصائم سائح لأنه يترك اللذات كلها من المطعم والمشرب والمنكح.

قال الشاعر:

وبالسائحين لا يـذوقون قطـرة ::: لـربهم والـذاكرات العوامـل

وكـان سفيان بـن عيينـة إذا قـرأ:{ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ} [سورة البقرة الآية: ٢٩].

قال:

قصد إليها أي: بخلقه واختراعه.

وسأل رجل سفيان بن عيينة:

يا أبا محمد، لقد صليت لغير القبلة، ثم استبان لي بعد ذلك أني صليت في الغيم لغير القبلة فهل أصلي مرة أخرى؟

قال أبو محمد:

{فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ} [سورة البقرة الآية: ١١٥].

إنك صلاتك جائزة.

وكان سفيان بن عيينة إذا قرأ: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ} [سورة البقرة الآية: ١٨٦].

قال:

لا يمنعن أحدًا من الدعاء ما يعلمه من نفسه، فإن الله قد أجاب دعاء شر الخلق إبليس، قال:

{رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾} [سورة الحجر الآيات: ٣٦ - ٣٨].

وللدعاء أوقات وأحوال يكون فيها الإجابة؟ وذلك: كالسَّحَر، ووقت الفطر - عندما يكون الإنسان صائمًا - وما بين الأذان والإقامة، وما بين الظهر والعصر- في يوم الأربعاء، وأوقات الاضطرار، وحالة السفر، والمرض، وعند نزول المطر، والصف في سبيل الله - وقت لقاء العدو -.

وفاته:

قال سفيان بن عيينة في آخر سنة حج:

قد وافيت هذا الموضع سبعين مرة، وأقول كل مرة: اللهم لا تجعله آخر عهدي من هذا المكان، وإني استحييت من الله كثرة ما أسأله ذلك.

فرجع فتوفى في العام القابل.

توفى يوم السبت آخر يوم من جمادى الآخرة.

وقيل:

أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة للهجرة بمكة.

ودفن بالحجون - جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها -.

رؤيا سفيان بن عيينة في المنام بعد وفاته:

وسُئِلَ أبو محمد:

- ما فعل بك؟

قال سفيان بن عيينة:

- خيرًا لم ير مثل الكريم إذا حل به مطيع.

* * *

أبو يزيد البسطامي

مواقف ومواعظ

من حياة التابعين

[١٥]

أبو يزيد البسطامي

أبو يزيد البسطامي

اسمه: طيفور بن عيسى بن سروشان - وكان سروشان مجوسيًا فأسلم -.

وكان لعيسى بن سروشان ثلاثة أولاد: أبو يزيد وهو أوسطهم، وآم وهو أكبرهم، وعلي وهو أصغرهم، وكانوا كلهم عبادًا زهَّادًا.

وبسطام: بكسر الباء ثم السكون: بلدة كبيرة على جادة الطريق إلى نيسابور بعد دامغان بمرحلتين.

يا بني قم الليل:

لما كان طيفور بن عيسى صغيرًا في المكتب يحفظ القرآن ووصل إلى سورة (المزمل) قال لأبيه عيسى بن سروشان:

- من هذا الذي أمره الله عز وجل بقيام الليل؟

قال عيسى بن سروشان:

- يا بُني: هو محمد (صلي الله عليه وسلم).

قال طيفور بن عيسى:

- فلِمَ لا نفعل كما فعل محمد (صلي الله عليه وسلم)؟

قال عيسى بن سروشان:

- ذاك أمر شرف الله به محمدًا.

فلما قرأ طيفور بن عيسى:{وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ} [سورة المزمل الآية: ٢٠].

قال:

- يا أبت: من هؤلاء؟

قال عيسى بن سروشان:

- أصحاب محمد (صلي الله عليه وسلم).

قال طيفور بن عيسى:

– يا أبت: لا خير فيمن لا يقتدى بمحمد (صلي الله عليه وسلم) وأصحابه.

فصار عيسى بن سروشان يصلي في جوف الليل فقال له طيفور:

- يا أبت: علمني صلاة الليل.

قال عيسى بن سروشان:

- يا بُني: أنت صغير.

قال طيفور بن عيسى:

- إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة وأمر بأصحاب الليل إلى الجنة، أقول: يا رب أردت الصلاة بالليل فمنعني أبي؟

فقال عيسى بن سروشان:

- يا بُني: قم الليل.

رأيت رب العزة تبارك وتعالى:

قال أبو يزيد البسطامي:

رأيت رب العزة تبارك وتعالى في المنام فقلت:

- يابا رخدا - كلمتان فارسيتان مسبوقتان بأداه النداء، أي: يا عظمة الله، أو: يا الله العظيم، بار: عظمة، خدا: الله - كيف الطريق إليك؟

قال:

- اترك نفسك ثم تعال.

يقول أبو يزيد البسطامي:

دعوت نفسي إلى الله فأبت عليّ واستعصت، فتركتها ووجهت وجهي إلى الله عز وجل.

أبو يزيد في السماء الرابعة:

يقول أبو يزيد البسطامي:

رأيت في المنام كأني في السماء الرابعة فاستقبلتني الملائكة يقطر منها نور تبرق منه السماوات فسلموا عليَّ فرددت عليهم السلام.

ثم التمع نور شوقي إلى ربي فأضاءت منه السماوات كلها، فصار نور الملائكة مع نور شوقي كسراج مع الشمس.

يا عبدي:

كان أبو يزيد البسطامي يقول:

- الناس كلهم يهربون من الحساب ويتجافون عنه، وأنا أسأل الله تعالى أن يحاسبني.

فقيل له:

- لِمَ؟.

قال أبو يزيد البسطامي:

- لعله أن يقول لي فيما بين ذلك: يا عبدى.

فاقول:

- لبيك.

فقوله لي:

- عبدى أعجب إليَّ من الدنيا وما فيها.

ثم بعد ذلك يفعل بي ما شاء.

أهل الغفلة:

قال أبو يزيد البسطامي:

قمت ليلة أصلي فتذكرت أهل الغفلة من النائمين، فكوشفت بأن الرحمة تنزل عليهم كالقائمين، فتعجبت من ذلك فهتف بي هاتف:

يا أبا يزيد: هؤلاء ذكروا عذابي فقاموا، وهؤلاء طمعوا في رحمتي فناموا.

بِمَ وصلت إلى هذه المنزلة!

ذات يوم طلبت أم طيفور بن عيسى ماء، فملأ كوزًا وجاءها به فوجدها نائمة، فقام ينظر يقظتها، فلما استيقظت قالت:

- أين الماء؟

فقال طيفور بن عيسى:

- ها هو.

وأعطاها الكوز وقد كان سال الماء على أصبعه فجمد عليها من شد البرد، فلما أخذت الكوز انسلخ جلد أصبعه فسال الدم فتساءلت الأم:

- ما هذا؟

فأخبرها فقالت:

- اللهم إنى راضية عنه فارض عنه.

وكانت مدة حملها به لا تمد يدها إلى طعام فيه شهية.

ولما كان طيفور بن عيسى ابن عشرين سنة دعته أمه للنوم معها ليلة من الليالى وقد تعلق قلبه بقيام الليل فأجابها وجعل يده تحتها والأخرى تمسح بها ظهرها ويقرأ: {قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾} [سورة الإخلاص الآيات: ١ - ٤]، حتى خدرت يده فقال في نفسه:

- اليد لي وحق الوالدة لله.

فصبر على ذلك كله حتى طلع الفجر وقد قرأ: {قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾} إحدى عشر ألف مرة.

يقول طيفور بن عيسى:

- ولم أنتفع بعد ذلك بيدي التي خدرت - شلت -.

فلما مات طيفور بن عيسى رآه بعض أصحابه في المنام وهو يطير في الجنان ويسبح الرحمن.

فقال له:

- بِمَ وصلت إلى هذه المنزلة؟

قال طيفور بن عيسى:

- بر الوالدين والصبر على الشدائد.

أبو يزيد البسطامي يعظ نفسه:

كان أبو يزيد البسطامي يعظ نفسه فيصيح عليها فيقول:

يا مأوى كل سوء.

المرأة إذا حاضت طهرت بثلالة أيام أو أكثره بعشرة.

أنت يا نفس قاعدة منذ عشرين وثلاثين سنة بعدُ - ظرف مبني على الضم - ما طهرت فمتى تطهرين؟

إن وقوفك بين يدي طاهر ينبغي أن تكون طاهرة.

الصدق ينجيك:

لما أراد أبو يزيد البسطامى الذهاب إلى بغداد لطلب العلم، أعطته أمه أربعين دينارًا هي ميراثه من أبيه وقالت له أمه:

- ضع يدك في يدي وعاهدني على: التزام الصدق فلا تكذب أبدًا.

فعاهدها أبو يزيد على ذلك.

وخرج مع قافلة يريد بغداد، وفي الطريق خرج لصوص ونهبوا كل ما في القافلة، ورأوا أبا يزيد رث الثياب فقالوا له:

- هل معك شيء؟

قال أبو يزيد البسطامي:

- معي أربعون دينارًا.

فسخروا منه وحسبوا أنه أبله وتركوه.

ولما رجع اللصوص إلى كهفهم حيث كان زعيمهم ينتظر ما يأتون به، فلما رآهم سألهم:

- هل أخذتم كل ما في القاقلة؟

قالوا:

- نعم إلا رجلاً سألناه عما معه فقال: معي أربعون دينارًا، فتركناه احتقارًا لشأنه.

فقال كبير اللصوص:

- هل ظننتم أن به خبلاً؟

قالوا:

- نعم.

قال زعيم اللصوص:

- عليَّ به.

فلما أحضروا أبا يزيد البسطامي ووقف بين يدي - أمام - زعيم اللصوص سأله:

- هل معك شيء؟

قال أبو يزيد البسطامي:

- نعم أربعون دينارًا.

فقال كبير اللصوص:

- أين هي؟

فأخرجها أبو يزيد من بين طيات ثيابه الرثة وقدمها إليه.

فقال زعيم اللصوص:

- أمجنون أنت يا رجل؟ كيف ترشد عن نقودك وتسلمها باختيارك؟

قال أبو يزبد البسطامي:

- لما أردت الخروج من بلدي - بسطام - عاهدت أمي على الصدق، فأنا لا أنقض عهد أمي.

فتنهَّد كبير اللصوص وضرب كفًا بكف وقال:

– لا حول ولا قوة إلا بالله، أنت تخاف أن تخون عهد أمك، ونحن لا نخاف أن نخون عهد الله؟

ثم أمر برد جميع ما سُلِبَ من القافلة وقال:

- أنا تائب على يديك يا رجل.

فقال اللصوص الذين معه:

- أنت كبيرنا في قطع الطريق، واليوم أنت كبيرنا في التوبة، تبنا جميعًا إلى الله.

وتابوا وحسنت توبتهم.

مفتاح الجنة:

ذات ليلة كان أبو يزيد البسطامي نائمًا، وإذا به يسمع هاتفًا ينادي:

- يا أبا يزيد: إن الليلة عيد النصارى، فاذهب إليهم في ديرهم وبلغهم رسالة نبيك محمد (صلي الله عليه وسلم).

فقام أبو يزيد من نومه ليلبِّي نداء هذا الهاتف.

وذهب أبو يزيد البسطامي إلى دير من أديره النصارى، فلما جلس بينهم ظن أنهم لن يعرفوه، وإذا بقسيسهم ينظر إليه وقال:

- لن يكلم حتى يخرج هذا الرجل المحمدي من بيننا.

وأشار بسبابته كسيف مسلول نحو أبي يزيد.

فقالت النصارى:

- وما أدراك أنه محمدي؟

قال القسيس:

- لأن أصحاب محمد سيماهم في وجوههم من أثر السجود والوضوء.

فقالوا لأبي يزيد البسطامي:

- اخرج من ديرنا.

فقال أبو يزيد:

- ما أنا بخارج حتى يحكم الله بيني وبينكم وهو خير الفاتحين.

فقال القسيس:

إني سائلك أسئلة إن أجبتنا عنها كلها آمنا بأن الله واحد وأن محمدًا رسول الله، وإذا عجزت عن الإجابة عن سؤال واحد فليس بيننا وبينك إلا ضرب عنقك.

فقال أبو يزيد البسطامي:

سل ما شئت، فإن الله تعالى يقول:{وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ} [سورة البقرة الآية: ٢٨٢].

فاقترب القسيس من أبي يزيد وراح يسأله:

* من هو الواحد الذي لا ثاني له؟

وما هما الاثنان اللذان لا ثالث لهما؟

وما هي الثلاثة التي لا رابع لها؟

وما هي الأربعة التي لا خامس لها؟

وما هي الخمسة التي لا سادس لها؟

وما الستة التي لا سابع لها؟

وما هي السبعة التي لا ثامن لها؟

وما هي الثمانية التي لا تاسع لهم؟

وما هي العشرة القابلة للزيادة؟

ومن هم الأحد عشر؟

وما هي المعجزة المكونة من اثنى عشر شيئًا؟

وما هو القبر الذي سار بصاحبه؟

وما هو الشيء الذي تنفس ولا روح فيه؟

وما هو الشيء الذى خلقه الله وأنكره؟

ومن هم الذين صدقوا ودخلوا النار؟

ومن هم الذين كذبوا ودخلوا الجنة؟

وما هي الأشياء التي خلقها وليس لها أب ولا أم؟

وما هي الشجرة التي تشتمل على ثلاثين ورقة في كل ورقة خمس ثمرات، ثلاث منها في الظل واثنتان منها في الشمس؟

ثم دار القسيس حول نفسه دوره كاملة وأشار بيديه في حركة مسرحية وقال:

- أجب عن هذه الأسئلة يا أبا يزيد.

فوقف أبو يزيد البسطامي مستعينًا بالقوى المتين الذي يقول للشيء كن فيكون وقال:

أما الواحد الذي لا ثاني له: فقل هو الله أحد.

وأما الاثنان اللذان لا ثالث لهما:{وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ} [سورة الإسراء الآية: ١٢].

وأما الثلاثة التي لا رابع لها: فأعذار موسى مع الخضر وهي: خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقام الجدار، وبعدها قال له:{هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ} [سورة الكهف الآية: ٧٨].

وأما الأربعة التي لا خامس لها: فهي التوراة والزبور والإنجيل والقرآن المنزل على خاتم النبيين (صلي الله عليه وسلم).

وأما الخمسة التي لا سادس لها: فهي خمس صلوات كتبهن الله عز وجل على العباد في اليوم والليلة.

وأما الستة التي لا سابع لها: فهي الأيام التي خلق الله تبارك وتعالى فيها السماوات والأرض.{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾} [سورة ق الآية: ٣٨].

فتساءل القسيس:

- لماذا ختم الله الآية بقوله:{وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ } [سورة ق الآية: ٣٨]؟

قال أبو يزيد البسطامي:

- أي: ما مسنا من تعب حتى نستريح،{إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾} [سورة يس الآية: ٨٢].

وأما السبعة التي لا ثامن لها:{ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴿٣﴾} [سورة الملك الآية: ٣].

وأما الثمانية التي لا تاسع لها: فهم حملة العرش يوم القيامة.{وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ} [سورة الحاقة الآية: ١٧].

قال القسيس:

- فما هي المعجزات التسع؟

قال أبو يزيد البسطامي:

أما المعجزات التسع، فهي: معجزات موسى - عليه السلام - اليد، والعصا، والطمس، والسنون، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفاع، والدم.{ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ} [سورة الأعراف الآية: ١٣٣].

وأمّا العشرة التي تقبل الزيادة:{مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا} [سورة الأنعام الآية: ١٦٠].

وأمّا الأحد عشر: فهم إخوة يوسف - عليه السلام -:{إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا} [سورة يوسف الآية: ٤].

قال القسيس:

ما هي المعجزة الكونية من اثنى عشر أمرًا؟

قال أبو يزيد البسطامي:

اقرأ قول العليم الخبير:{وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ} [سورة البقرة الآية: ٦٠].

وأمَّا الشيء الذي تنفس ولا روح فيه: فاقرأ قوله تعالى:{وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾} [سورة التكوير الآية: ١٨].

وأمَّا القبر الذي سار بصاحبه: فهو حوت يونس بن متى - عليه السلام -:{فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾} [سورة الصافات الآيات: ١٤٢ - ١٤٤].

وأمَّا الذين صدقوا ودخلوا النار، فهم: اليهود والنصارى.

قال القسيس:

- صدقوا في أي شيء؟

قال أبو يزيد البسطامي:

- اقرأ قول السميع البصير:{وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ} [سورة البقرة الآية: ١١٣].

صدقوا في هذا، وهم من أهل النار، قال تبارك وتعالى:{إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ} [سورة آل عمران الآية: ١٩]، وقال تعالى:{وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾} [سورة آل عمران الآية: ٨٥].

وأمّا الذين كذبوا ودخلوا الجنة، فهم: إخوة يوسف - عليه السلام -: {إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ} [سورة يوسف الآية: ١٧].

ولم يأكله الذئب.

وبعد ذلك قال لهم يوسف - عليه السلام -: {لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ} [سورة يوسف الآية: ٩٢].

وقال لهم يعقوب - عليه السلام -: {سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ} [سورة يوسف الآية: ٩٨].

قال القسيس:

- ما هو الشيء الذي خلقه الله وأنكره؟

قال أبو يزيد البسطامي:

- اقرأ قول الحق جل وعلا: {إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ} [سورة لقمان الآية: ١٩].

فقال القسيس:

- ما هي الأشياء التي خلقها الله وليست لها أب ولا أم؟

قال أبو يزيد البسطامي:

- هي: الملائكة أجسام نورانية لا تأكل ولا تشرب ولا تنام ولا تتزوج ولا تتناسل تسبيحهم بالليل والنهار كالتنفس عندنا، وآدم - عليه السلام - ليس له أب ولا أم: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾} [سورة آل عمران الآية: ٥٩].

وكبش إسماعيل - رضي الله عنه -: { وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾} [سورة الصافات الآية: ١٠٧]، وناقة صالح - عليه السلام -، وعصا موسى: {فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾} [سورة طه الآية: ٢٠].

وأمَّا الشجرة المكونة من اثنى عشر غصنًا، في كل غصن ثلاثون ورقة، في كل ورقة خمس ثمرات، ثلاث منها في الظل واثنان منها في الشمس:

إن هذه الشجرة هي: السنة فيها اثنا عشر غصنًا، أي: اثنا عشر شهرًا في كل غصن ثلاثون ورقة، أي: في كل شهر ثلاثون يومًا، في كل ورقة خمس ثمرات، أي: في كل يوم خمس صلوات، ثلاث منها في الظل - الليل - وهي: المغرب، والعشاء، والفجر، واثنان منها في الشمس. أي: في النهار؛ أي: في الشمس، وهي: الظهر والعصر.

وتبسم أبو يزيد البسطامي وقال للقسيس:

- إنى سائلك سوالاً واحداً.

فقال القسيس:

- وما هو السوال يا محمدي؟

قال أبو يزيد البسطامي:

- ما هو مفتاح الجنة؟

فلما سمع القسيس سؤال أبي يزيد انتفض وكأن عقربًا لدغته ثم وقف واجمًا جامدًا.

فقالت النصارى:

- يا أبانا: سألته كل هذه الأسئة فأجابك عنها، ويسألك سؤالاً واحدًا فتعجز عن الإجابة عنه؟

قال القسيس وهو يتنهد لهبًا:

- يا أبنائي: إننى أعرف الإجابة ولكني أخاف منكم.

فقالت النصارى:

أجب ولا عيك بأس يا أبانا.

فتنهد القسيس وكأنه يزيح صخرة عن صدره وقال بأعلى صوته:

- مفتاح الجنة: **لا إله** إلا الله محمد رسول الله.

فقام أتباع القسيس جميعًا وقالوا:

- **لا إله** إلا الله محمد رسول الله.

وحوّلوا الدير إلى مسجد يُعبد فيه الواحد الأحد.

العلم والخلق الجميل:

سأل رجل أبا يزيد البسطامي:

- بِمَ شرف الإنسان أبتعاطي الطعام؟

قال أبو يزيد البسطامي:

- كلا فالخنزير أكثر أكلاً منه.

قال الرجل:

- فباللباس والزينة؟

قال أبو يزيد:

- كلا فالطاوس، أجمل زينة منه.

قال الرجل:

- فبالقوة والغلبة؟

قال أبو يزيد البسطامي:

- كلا فالأسد أشد قوة منه.

قال الرجل:

- فبعظم الجثة؟

قال أبو يزيد البسطامي:

- كلا فالفيل أعظم منه.

فتساءل الرجل:

- فبماذا إذًا؟

قال أبو يزيد البسطامي:

- بالعلم والخُلق الجميل قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم)
:

(أثقل شيء في ميزان المؤمن: خلق حسن، إن الله يبغض الفاحش المتفحش البذيء) (رواه البيهقى قال في السنن، عن أبي الدرداء).

من تفل تجاه القبلة:

وصف لأبي يزيد البسطامي عابد، فقصد زيارته، فرآه قد بصق جهة القبلة، فرجع أبو يزيد عن زيارته لأنه غير مأمون على أدب من آداب الشريعة، فكيف يكون مأمونا على الأسرار؟

قال الصادق المصدرق (صلي الله عليه وسلم) :

(من تفل تجاه القبلة، جاء يوم القيامة وتفلته بين عينيه) (رواه أبو داود، والطبراني عن أبي أمامة).

وقال عليه الصلاة والسلام:

(من بزق في القبلة ولم يوارها، جاءت تفلته يوم القيامة أحمى ما يكون حتى تقع ما بين عينيه).

هل في دينكم هذا الاحتياط!

خرج أبو يزيد البسطامي إلى الجامع يوم الجمعة في الشتاء، فزلقت رجله فأمسكت يده بجدار بيت، فذهب إلى صاحب هذا الجدار فإذا هو مجوسي فقال أبو يزيد البسطامي:

- قد استمسكت بجدارك فاجعلني في حل.

قال المجوسي:

- أوَفِي دينكم هذا الاحتياط؟

قال أبو يزيد البسطامي:

- نعم.

فقال المجوسي:

- والله إن دينًا مثل هذا خسر من تركه وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

العارف والمعرفة:

سال رجل أبا يزيد البسطامي:

- ما علامة العارف؟

قال أبو يزيد البسطامي:

- أن لا يفتر من ذكره، ولا يمل من حقه، ولا يستأنس بغيره.

فقال الرجل:

- بما نالوا المعرفة؟

قال أبو يزيد البسطامي:

- بتضييع ما لهم، والوقوف مع ما له.

وقال أبو يزيد:

- اطلع الله على قلوب أوليائه فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفًا، فأشغلهم بالعبادة.

فقال الرجل:

- يا أبا يزيد: دلني على عمل أتقرب به إلى ربي عز وجل.

فقال أبو يزيد البسطامي:

- أحبب أولياء الله تعالى ليحبوك، فإن الله تعالى ينظر إلى قلوب أوليائه فلعله أن ينظر إلى اسمك في قلب وليه فيغفر لك.

قال الرجل:

- من أصاحب؟

قال أبو يزيد البسطامي:

– من إذا مرضت عادك وإذا أذنبت تاب عليك.

أبو يزيد البسطامي والشيطان:

خرج أبو يزيد البسطامي ذات ضحى في بعض سياحته فوقف على نهر دجلة، فالتقى به الشيطان، فحول وجهه ثم قال:

- وعزتك إنك تعلم أني ما عبدتك قط لهذا، فلا تحجبني به عنك.

أشد المحبوبين على الله ثلاثة:

قال أبو يزيد البسطامي:

أشد المحبوبين على الله ثلاثة بثلاثة:

فأولهم: الزاهد بزهده.

والثاني: العباد بعبادته.

والثالث: العالم بعلمه.

ثم قال:

مسكين الزاهد قد ألبس زهده وجرى به في ميدان الزهد، ولو علم المسكين أن الدنيا كلها سماها الله قليلاً، فكم ملك من القليل، وفي كم زهد مما ملك؟

ثم قال:

إن الزاهد: هو الذي يلحظ إليه بلحظة فيبقى عنده ثم لا ترجع نظرته إلى غيره ولا إلى نفسه.

وأما العابد: فهو الذي يرى منة الله عليه في العبادة أكبر من العبادة، حتى تعرف عبادته في المنة.

وأمَّا العالم: فلو علم هذا العالم أن جميع ما أبدى الله من العلم سطر واحد من اللوح المحفوظ، فكم علم هذا العالم من ذلك السطر؟ وكم عمل فيما علم؟

لأن صاحبي لا يسافر:

قال أبو يزيد البسطامي:

غبت عن الله عز وجل ثلاثين سنة، وكانت غيبتي عنه ذكره إياه، فلما خنست عنه - خنس عنه: تأخر وتنحى وانقبض - وجدته في كل حال.

فقال له رجل:

- ما لك لا تسافر؟

قال أبو يزيد البسطامي:

- لأن صاحبي لا يسافر وأنا معه مقيم.

قال الرجل:

– إن الماء القائم – قام الماء: ثبت متحيرًا لا يجد منفذًا، فهو قائم، أي: راكد ساكنٌ – قد كره الوضوء منه.

فقال أبو يزيد:

- لم يروا بماء النهر بأسًا هو الطهور ماؤه الحِلُّ ميتته.

ثم قال:

قد ترى الأنهار تجري لها دوى وخرير، حتى إذا دنت من البحر وامتزجت به، سكن خريرها وحدتها، ولم يحس بها ماء البحر، ولا ظهرت فيه زيادة، ولا إن خرجت منه استبان فيه نقص.

أوصني:

ذات يوم جاء رجل إلى أبي يزيد البسطامي فقال له:

- أوصني.

فقال له أبو يزيد البسطامي:

- انظر إلى السماء.

فنظر إلى صاحبه في السماء.

فقال له أبو يزيد:

- أتدري من خلق هذا؟

قال الرجل:

- الله.

قال أبو يزيد البسطامي:

- إن من خلقها لمطَّلِعٌ عليك حيث كنت فاحذره.

فقال الرجل:

- بلغني أنك تمر في الهواء.

قال أبو يزيد:

– وأى أعجوبة في هذه؟ طير يأكل الميتة يمر في الهواء، والمؤمن أشرف من الطير.

طلقت الدنيا ثلاثًا:

وجه أحمد بن خرب إلى أبي يزيد حصيرًا وكتب معه:

- صل عليه الليل.

فكتب أبو يزيد البسطامي إلى أحمد بن خرب:

- إني جمعت عبادات أهل السماوات والأرضين السبع فجعلتها في مخدة ووضعتها تحت خدي.

ثم قال أبو يزيد البسطامي:

طلقت الدنيا ثلاثًا بتاتًا لا رجعة فيها وصرت إلى ربي وحدي فناديته بالاستغاثة:

- إلهي أدعوك دعاء من لم يبق له غيرك.

فلما عرف صدق الدعاء من قلبي والإياس من نفسي.

كان أول من ورد عليّ من إجابة هذا الدعاء أن أنساني نفسي- بالكلية ونصب الخلائق بين يديّ مع إعراضي عنهم.

يا مسكين:

قال رجل:

بينما أنا جالس خلف أبي يزيد يومًا إذ شهق شهقة فرأيت أن شهقته تخرق الحجب بينه وبين الله فقال:

- يا أبا يزيد: رأيت عجبًا.

فتساءل أبو يزيد البسطامي:

- يا مسكين: وما ذاك العجب؟

قال الرجل:

- رأيت شهقتك تخرق الحجب حتى وصلت إلى الله تعالى.

قال أبو يزيد البسطامي:

- يا مسكين: إن الشهقة الجيدة هي التي إذا بدت لم يكن لها حجاب تخرقه.

فسأله رجل:

- يا أبا يزيد: العارف يحجبه شيء عن ربه؟

قال أبو يزيد البسطامي:

- يا مسكين: من كان هو حجابه أي شيء يحجبه؟!

أبو يزيد البسطامي والقرآن العظيم:

سُئِلَ أبو يزيد البسطامي عن قوله تعالى:{هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾} [سورة البقرة الآية: ٢].

كتاب الله فيه هدى للمتقين.

المتقي: من إذا قال قال لله ومن إذا عمل عمل لله.

وسُئِلَ عن:{ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ } [سورة الأعراف الآية: ٤٠].

فقال:

الجمل: من الإبل، وهو زوج الناقة.

ولكن المقصود هاهنا بالجمل: هو حبل السفينة الذي يُقال له: القلْس: وهو حبال مجموعة جمع: جملة.

وقيل:

الجمل: هو الحبل الغليظ من القنب.

وقيل:

هو الحبل الذي يصعد به في النخل.

وبذلك يكون هناك تناسب بينه وبين سم الخياط، وهو ثقب الإبرة.

فالجمل لا يدخلها البتة كذلك الكفار لا يدخلون الجنة.

وسُئِلَ عن:{وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦} [سورة الرحمن الآية: ٦].

النجم: هو النبات بغير ساق.

والمعنى: أن النباتات الصغيرة والأشجار تسجد بالانقياد والاستسلام لله عز وجل **وقد يكون سجودهما دوران الظل معهما.**

ولما قرأ أبو يزيد البسطامي قوله تعالى:{وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ} [سورة الحشر الآية: ٩].

قال:

ما غلبني أحد ما غلبني شاب من أهل بلخ، قدم علينا حاجًا فقال لي:

- يا أبا يزيد: **ما حد الزهد عندكم؟**

- **إن وجدنا أكلنا، وإن فقدنا صبرنا.**

فقال الشاب البلخي:

- هكذا كلاب بلخ عندنا.

- ما حد الزهد عندكم؟

قال الشاب البلخي:

- **إن فقدنا شكرنا، وإن وجدنا آثرنا.**

وسُئل أبو يزيد عن قوله تعالى:{إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ} [سورة البقرة الآية: ١٥٦].

قال أبو يزيد:

{إِنَّا لِلَّهِ} أقرار لله بالملك،{وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ} إقرار على اليقين بالملك.

وقال رجل لأبي يزيد:

- **علمني اسم الله الأعظم** - الذي إذا دعى به أجاب -.

قال أبو يزيد البسطامي:

- ليس له حد محدود، إنَّما هو فراغ قلبك لوحدانيته، فإذا كنت كذلك فارفع إلى أي اسم شئت، فإنك تصير به إلى المشرق والمغرب ثم تجيء وتصف.

من أقوال أبي يزيد البسطامي:

قال أبو يزيد البسطامي:

* عملت في المجاهدة ثلاثين سنة، فما وجدت شيئًا أشد عليَّ من العلم ومتابعته، ولولا اختلاف العلماء لتعبت، واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد.

* لا يعرف نفسه مَنْ صَحِبَتْهُ شهوته.

* إن الله أمر العباد ونهاهم فأطاعوا، فخلع من خلعه، فاشتغلوا بالخلع عنه، وإني لا أريد من الله إلا الله.

* لو صَفَت لي تهليلة - لا إله إلا الله... ما بليت بعدها بشيء.

* هذا فرحي بك، وأنا أخافك، فكيف فرحي بك إذا أمِنْتك؟

* ليس العجب من حبي لك وأنا عبد فقير، بل إنما العجب من حبك لي وأنت ملك قدير.

* لم أزل ثلاثين سنة كلما أردت أن أذكر الله أتمضمض وأغسل لساني إجلالاً لله أن أذكره.

* ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر.

* من عرف الله كان على النار عذابًا، ومن جهله كانت النار عليه عذابًا.

* لو رأتني جهنم لخمدت.

* إن لله شرابًا في الدنيا ادَّخَرَه في كنوز ربوبيته ليسقيه أولياءه في ميدان محبته على منابر كرامته، فإذا شربوا طربوا فإذا طربوا طاشوا فإذا طاشوا عاشوا فإذا عاشوا طاروا وإذا طاروا وصلوا فإذا وصلوا اتصلوا، فهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

* كتب يحيى بن معاذ إلى أبي يزيد البسطامي:

- قد سئمت مما شربت من المحبة.

فقال أبو يزيد البسطامي:

- غيرك لو شرب بحار السماء والأرض ما روى.

شربت الحب كأسًا بعد كأس ::: فلا نفد الشراب ولا رويت

* سأل رجل أبا يزيد:

- من أصحب؟

قال أبو يزيد.

- من لا تحتاج أن تكتمه شيئًا مما علمه الله منك.

* أبعد الخلق من الله أكثرهم إشارة إليه.

* عرج قلبي إلى السماء فطاف ودار ورجع، فقلت:

- بأي شيء جئتك معك؟

قال:

- المحبة والرضا.

* نظرت فإذا الناس في الدنيا متلذذون بالنكاح والطعام والشراب، وفي الآخرة بالمنكوح والملذوذ، فجعلت لذتي في الدنيا ذكر الله عز وجل، وفي الآخرة النظر إلى الله تعالى.

* إن في الطاعات من الآفات ما لا تحتاجون معه إلى أن تطلبوا المعاصي.

* الجنة لا خطر لها عند المحبين، وأهل المحبة محجوبون بمحبتهم.

* المعرفة في ذات الحق جهل، والعلم في حقيقة المعرفة جناية، والإشارة من المشير شرك في الإشارة.

* العارف همه ما يأمله، والزاهد همه ما يأكله.

* طوبى لمن كان همه همًا واحدًا ولم يشغله قلبه بما رأت عيناه وسمعت أذناه، ومن عرف الله فإنه يزهد في كل شيء يشغله عنه.

* سأل رجل أبا يزيد:

ما علامة العارف؟

قال أبو يزيد:

-{إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا} [سورة النمل الآية: ٣٤].

عجبت لمن عرف الله كيف يعبده؟

* قال رجل لأبي يزيد البسطامي:

- متى يبلغ الرجل حد الرجال في هذا الأمر؟

قال أبو يزيد البسطامي:

- إذا عرف عيوب نفسه، فحينئذٍ يبلغ مبلغ الرجال.

* إن لله عبادًا لو حجبوا عنه طرفة عين ثم أعطوا الجنان كلها ما كان لهم إليها حاجة، وكيف يركنون إلى الدنيا وزينتها؟

* **إن لله خواصًا من عباده لو حجبهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا بالخروج من الجنة، كما يستغيث أهل النار بالخروج من النار.**

* أقربهم من الله أوسعهم على خلقه.

* من سمع الكلام ليتكلم مع الناس، رزقه الله فهمًا يكلم به الناس، ومن سمعه ليعامل الله رزقه الله فهمًا يناجي به ربه.

* رب أفهمني عنك فإني لا أفهم عنك إلا بك.

* العارف فوق ما يقول، والعالم دون ما يقول، والعارف ما فرح بشيء قط ولا خاف من شيء قط، والعارف يلاحظ ربه، والعالم يلاحظ نفسه بعلمه، والعابد يعبده بالحال، والعارف يعبده في الحال، وثواب العارف من ربه هو، وكمال العارف احترافه فيه له.

* انظر أن يأتي عليك ساعة لا ترى في السماء غيره ولا في الأرض غيرك.

* **إن الصادق من الزاهدين إذا رأيته هبته، وإذا فارقته هان عليك أمره، والعارف إذا رأيته هبته وإذا فارقته هبته.**

* لأن يقال لي: لِمَ لا تفعل؟ أحب إليَّ من أن يقال لي: لِمَ فعلت؟

* الذي يمشي على الماء ليس بعجب، لله خلق كثير يمشون على الماء لهم عند الله قيمة.

* **الجوع سحاب فإذا جاع العبد مطر القلب حكمة.**

* من لم ينظر إلى شاهد بعين الاضطرار، وإلى أوقاتي بعين الاغترار، وإلى أحوالي بعين الاستدراج، وإلى كلامي بعين الإفتراء، وإلى عباراتي بعين الاجتراء، وإلى نفسي بعين الازدراء، فقد أخطأ النظر إليَّ.

* لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرفع في الهواء فلا تغتروا به، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة؟

* إذا وقفت بين يدي الله فاجعل نفسك كأنك مجوسي تريد أن تقطع الزنار - ما على وسط المجوسي والنصراني - بين يديه - أمامه -.

* إنك لن تصبح في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك، وسيكون له أهل بعدك، وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة، وغذاء يوم فلا تهلك في أكلة، وصم عن الدنيا وأفطر على الآخرة، فإن رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار.

* لم أزل أجول في ميدان التوحيد حتى خرجت إلى دار التفريد، ثم لم أزل أجول في دار التفريد خى خرجت إلى الديمومية فشربت بكأسه شربة لا أظما من ذكره بعدها أبدًا.

* اللهم إنك خلقت هذا الخلق بغير علمهم وقلدتهم أمانة من غير إرادتهم فإن لم تعنهم فمن يعينهم؟

* عالجت كل شيء فما عالجت أصعب من معالجة نفسي، وما شيء أهون عليَّ منها.

* إن الله تعالى ليرزق عبده الحلاوة، فمن أجل فرحه يمنعه من حقائق القرب.

* عرفت الله بالله، وعرفت ما دون الله بنور الله.

* قال رجل لأبي يزيد:

- بماذا يُستعان على العباده؟

قال أبو يزيد:

- بالله، إن كنت تعرفه!

* من تكلم في الأزل يحتاج أن يكون معه سراج الأزل.

* وكتب يحيى بن معاذ إلى أبي يزيد البسطامي:

- سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته.

فكتب أبو يزيد إليه:

- سكرت وما شربت من الدرر وغيري قد شرب بحور السماوات والأرض وما روى بعد ولسانه مطروح من العطش ويقول هل من مزيد؟

أبو يزيد البسطامي ورواية أحاديث خاتم النبيين (صلي الله عليه وسلم) :

قال أبو يزيد البسطامي عن أبي سعيد الخدري:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(إن من ضعف اليقين: أن ترضي الناس بسخط الله تعالى، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره إليك حرص حريص، ولا يرده كراهة كاره – لا يرده كره كاره – وإن الله بحكمته وجلاله جعل الروح والفرج في الرضا باليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط) (رواه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في شعب الإيمان، عن أبي سعيد الخدري).

وفاة أبى يزيد البسطامي:

توفى أبو يزيد البسطامي سنة إحدى وستين ومائتين من الهجرة، وله ثلاث وسبعون سنة.

* * *

يزيد بن أبان الرقاشي

مواقف ومواعظ

من حياة التابعين

[١٦]

يزيد بن أبان الرقاشي

يزيد بن أبان الرقاشي

كان يزيد يعرف بالرجل الصالح الباكي والصائم الظامي.

قيل:

عطش يزيد الرقاشي نفسه أربعين سنة في حر البصرة ثم قال لأصحابه:

- تعالوا حتى نبكي علي الماء البارد.

يقول عبد الخالق بن موسى اللقيطي:

- جوع يزيد نفسه لله عز وجل ستين سنة حتى ذبل جسمه ونهك بدنه وتغير لونه.

وكان يقول:

- غلبني بطني فما أقدر له على حيلة.

يقول أشعب بن سوار:

دخلت على يزيد الرقاشي في يود شديد الحر فقال:

- يا أشعث تعال نبكي على الماء البارد في يوم الظمأ.

كان يتمثل:

إنـــا لنفـــرح بالأيـــام نقطعهـــا ::: وكل يوم مضى يدني من الأجـــل

يا معشر اليتامى:

دخل يزيد بن أبان الرقاشي يومًا على عابد بالبصرة، وإذا أهل بيته حوله، فإذا هو مجهود قد أجهده الاجتهاد - في العبادة - فبكى أبوه، فنظر العابد إليه وقال:

- أيها الشيخ: ما الذي يبكيك؟

قال الشيخ:

- يا بنى: أبكي فقدك وما أرى من جهدك.

فبكت أم العابد فقال لها:

- أيتها الوالدة الشفيقة الرفيقة: ما الذي يبكيك؟

قالت الأم:

- يا بني: أبكي فراقك وما أتعجل من الوحشة بعدك.

فبكى أهل العابد وصبيانه.

فنظر العابد إليهم ثم قال:

- يا معشر اليتامي - بعد قليل -: ما الذي يبكيكم؟

قالوا:

- يا أبانا نبكي فراقك وما نتعجل من اليتم بعدك.

فقال العابد:

- أقعدوني أقعدوني.

فأ قعدوه.

فقال العابد:

ألا أرى كلكم يبكي لدنياي أما فيكم من يبكي لآخرتي؟

أما فيكم من يبكي لما يلقاه في التراب وجهي؟

أما فيكم من يبكي لمساءلة منكر ونكير إياي؟

أما فيكم من يبكي لوقوفي بين يدي ربِّي؟

يقول يزيد بن أبان الرقاشي:

ثم صرخ صرخة.. فمات.

إني أقسمت على الله ألا يحرقه:

قال يزيد بن أبان الرقاشي:

احترقت أخصاص - الخص: الكوخ الذي بني من الخوص وهو ورق النخل - بالبصرة وبقى في وسطها خص لم يحترق، وكان أمير البصرة يومئذٍ عبد الله بن قيس - أبو موسى الأشعري - فقال له يزيد بن أبان الرقاشي:

- يا أبا موسى: احترقت أخصاص وبقى في وسطها خص لم تقربه النار.

فبعث عبد الله بن قيس إلى صاحب الخص، فجاء شيخ يتوكأ على عصا.

فسأله أبو موسى الأشعري:

- يا شيخ: ما بال خصكم لم يحترق وكان في وسط الأخصاص التي احترقت؟

قال الشيخ:

- إنى أقسمت على ربي أن لا تحرقه النار.

فنظر عبد الله بن قيس إلى يزيد بن أبان الرقاشي وقال:

- أما إني سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول:

(يكون في أمتي رجال طلس - طلس: تساقط شعره ووبره - رءوسهم، دنس ثيابهم، لو أقسموا على الله لأبرَّهُم) (رواه الديلمي، عن أبي موسى الأشعري).

فنظر يزيد الرقاشي إلى الشيخ وقال:

قال خاتم الأنبياء (صلي الله عليه وسلم) :

(ربَّ أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره) (رواه الخطيب، عن أنس).

صفة الخائفين:

خرج يزيد بن أبان الرقاشي ذات ليلة فقعد عند باب صغير، فإذا بصوت شاب يبكي ويقول:

وعزتك وجلالك! ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وقد عصيتك حين عصيتك وما أنا بنكالك - النكال: العذاب والعقوبة - جاهل ولا لعقوبتك متعرض، ولا بنظرك مستخف، ولكن سولت لي نفسي وغلبتني شقوتي، وغرني سترك المرخي عليَّ.

عصيتك بجهلي وخالفتك بجهدي.

فالآن من عذابك من ينقذني؟

وبحبل من أتصل إن قطعت حبلك عني؟

واسوأتاه على ما مضى من أيامي في معصية ربي.

يا ويلي كم أتوب، وكم أعود؟

قد حان لي أن أستحيي من ربي عز وجل.

فلما سمع يزيد بن أبان الرقاشي كلام الشاب قال:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: بسم الله الرحمن الرحيم:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦} [سورة التحريم الآية: ٦].

يقول يزيد بن أبان الرقاشي:

فسمعت صوتًا واضطرابًا شديدًا... فمضيت لحاجتي.

فلما كان الصباح رجع يزيد بن أبان الرقاشي عند ذلك الباب فوجد جنارة وعجور تذهب وتجيء فسألها:

- من الميت؟

قالت العجور:

- إليك عني، لا تجدد عليَّ أحزاني.

فقال يزيد بن أبان الرقاشي:

- إنى رجل غريب.

قالت العجور:

– هذا ولدي مرَّ بنا البارحة رجل لا جزاه الله خيرًا، فقرأ آية فيها ذكر النار، فلم يزل ولدى يضطرب ويبكي حتى مات.

فقال يزيد بن أبان الرقاشي:

– هكذا والله صفة الخائفين.

إنى لست أعصيه:

مرَّ يزيد بن أبان الرقاشي يومًا برجل يأكل كل يوم نصف رغيف، وكان قاعدًا لا يضطجع، ويضع جبهته على ركبتيه من صلاة إلى صلاة، ولا يتطوع بشيء غير الفرائض، ولا يتكلم البتة.

فقال له يزيد بن أبان الرقاشي:

- لو تطوعت.

فقاطعه وقال:

- افهم ما أُلقيه إليك: إنى لا أعصيه.

ويحك يا يزيد!

إن يزيد الرقاشي كان يقول لنفسه:

ويحك يا يزيد!

من ذا يصلي عنك بعد الموت؟

من ذا يصوم عنك بعد الموت؟

من ذا يترضي عنك ربك بعد الموت؟

ثم يقول:

أيها الناس:

ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم؟ من الموت طالبه، والقبر بيته، والتراب فراشه، والدود أنيسه، وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر، كيف يكون حاله؟

ثم يبكي حتى يسقط مغشيًا عليه.

وقيل:

كان يزيد الرقاشي يقول في قصصه:

ويحك يا يزيد!

من يترضى عنك ربك؟

ومن يصوم لك أو يصلي لك؟

ثم يقول:

- يا معشر مَنِ القبرُ بيته والموت موعده، ألا تبكون؟!

فبكى حتى سقطت أشفار عينيه.

أتعرف الذي يقول!

قال يزيد الرقاشي:

كان أبو العباس عبد الله السفاح يعجبه مسامرة الرجال، وإنى سمرت عنده ذات ليلة، فقال:

- يا يزيد! أخبرنى بأظرف - بأطرب ما سمعته من حديث - ما سمعته من الأحاديث؟

فقلت:

- يا أمير المؤمنين: وإن كان في بنى هاشم؟

قال السفاح:

- ذلك أعجب لي.

قلت:

- يا أمير المؤمنين:

نزل رجل من تنوخ بحي من بني عامر بن صعصعة، فجعل لا يحط شيئًا من متاعه إلا تمثهَل بهذا البيت:

لعمرك ما تبلي سرائر عامر ::: من اللؤم ما داست عليها جلودها

فخرجت إليه جارية من الحى، فحادثته وآنسته، وسألته حتى أنس بها، ثم قالت:

- ممن أنت مُتِّعْتُ بك؟

قال: رجل من بني تميم.

فقالت:

- أتعرف الذي يقول:

تميمٌ بطُرْقِ اللؤم أهْدَى من القطا ::: ولو سلكت سُبْلَ المكارم ضَلّتِ
ولو أَن برغوثًا على ظهر قَمْلة ::: يكر على جَمْعَيْ تميِ لولتِ
ذبحنا فسمينا فتم ذبيحنا ::: وما ذبحت يومًا تميم فسمت
أرى الليل يَجْلوه النهار ولا أرى ::: عظام المخازي عن تميم تجلت

فقال: لا، والله ما أنا منهم.

قالت: فمن أنت؟

قال: رجلٌ من عِجْلٍ.

قالت: أتعرف الذي يقول:

أرى الناس يُعْطَونَ الجزيل وإنما ::: عطاء بني عجل ثلاث وأربَعُ
إذا مات عجليٌّ بأرض فإنما ::: يشق له منها ذارع وإصبع

قال: لا والله ما أنا من عجل.

قالت: فممن أنت؟

قال: رجل من بني يشكر.

قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا يشكريٌّ مسَّ ثوبَكَ ثَوبه ::: فلا تذكرن الله حتى تطهَّرَا

قال: لا، والله ما أنا من يشكر.

قالت: فممن أنت؟

قال: رجل من بني عبد القيس.

قالت: أتعرف الذي يقول:

رأيت عبـد القـيس لاقـت ذلا ::: إذا أصـابوا بصـلا وخَـلاّ

ومالحًـا مصـنعًا قـد طـلا ::: بـاتوا يسـلون النسـاء سـلا

سل النبيط القصَب المبتلا

قال: لا والله ما أنا من عبد القيس.

قالت: فممن أنت؟

قال: رجل من باهلة.

قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا ازدحم الكرام على المعـالي ::: تنحَّـي البـاهليُّ عـن الزحـام

فلـو كـان الخليفـة باهليًـا ::: لقصـر عـن منـاوأَة الكـرام

وعِـرْضُ البـاهلي وإن تَـوَقّى ::: عليـه مثـل منـديل الطعـام

قال: لا، والله ما أنا من باهلة.

قالت: فممن أنت؟

قال: رجل من بني فَزَارَةَ.

قالت: أتعرف الذي يقول:

لا تـأمننَّ فزاريًـا خَلَـوْتَ بـه ::: على قَلُوصِكَ واكْتُبْهَـا بأسـيار

لا نـأمننَّ فزاريًـا علـى حمـر ::: بعد الذي امتلَّ أير العير في النـار

قوم إذا نزل الأضياف سـاحتهم ::: قالوا لأمهم: بُـولي علـى النـار

قال: لا والله ما أنا من فزارة.

قالت: ممن أنت؟

قال: أنا رجل من ثقيف.

قالت: أتعرف الذي يقول:

أضــل الناســبون أبــا ثقيــف ::: فمـــا لهـــمُ أبٌ إلا الضـــلال

فإن نُســبَتْ أو انتســب ثقيــف ::: إلى أحـــد فـــذاك هـــو المحـــال

خنـــازير الخشـــوش فقتّلوهـــا ::: فـــإن دماءهـــا لكـــم حـــلال

قال: لا والله ما أنا من ثقيف.

قالت: فممن أنت؟

قال: رجل من بني عبس.

قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا عَبْسِـــية ولـــدت غلامًـــا ::: فبشّـــرها بلـــؤم مســـتفاد

قال: لا، والله ما أنا من عبس.

قالت: فممن أنت؟

قال: رجل من غنيّ.

قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا غَنَوِيـــة ولـــدت غلامًـــا ::: فبشـــرها بخيـــاط مجيـــد

قال: لا والله ما أنا من غنيٍّ.

قالت: فممن أنت؟

قال: رجل من بني ثعلبة.

قالت: أتعرف الذي يقول:

وثعلبـــة بـــن قـــيس شـــر قـــوم ::: وألأمهـــم وأغـــدرهم بجـــار

قال:

- لا والله ما أنا من ثعلبة.

قالت: فمن أنت؟

قال: أنا رجل من بني مرة.

قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا مُرِّيَّـــة خضـــبت يـــداها ::: فزوجهـــا ولا تـــأمن زناهـــا

قال: لا والله ما أنا من بني مرة.

قالت: فممن أنت؟

قال: رجل من بني ضبة.

قالت: أتعرف الذي يقول:

لقد زَرِقت عيناك يا ابـــن مكعـــبر ::: كما كل ضَبِّيٍّ مـــن اللـــؤمِ أزرق

قال: لا والله ما أنا من بني ضبة.

قالت: فممن أنت؟

قال: رجل من بجيلة.

قالت: أتعرف الذي يقول:

سألنا عـــن بجيلـــة حـــين حَلـــت ::: لنخـــبر أيـــن قَـــرّ بهـــا القـــرار؟

فما تدرى بجيلـــة حـــين تُـــدعى ::: أقحطـــان أبوهـــا أم نـــزار؟

فقد وقَعـــت بجيلـــة بـــين بـــين ::: وقد خلعت كمـــا خلـــع العـــذار

قال: لا والله ما أنا من بجيلة.

قالت: فممن أنت ويحك؟

قال: رجل من الأزد.

قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا أزديـــة ولـــدت غلامًـــا ::: فبشـــرها بمـــلاح مجيـــد

قال: لا والله ما أنا من الأزد.

قالت: فممن أنت ويلك؟ أما تستحى؟

قال: رجل من بنى خُزَاعة.

قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا افتخـرت خزاعـة في قـديم ::: وَجَدْنَا فخرها بشـرب الخمـور

وباعت كعبة الـرحمن جهـرًا ::: بِـزِقّ بـئس مفتخـر الفخـور

قال: لا، والله ما أنا من خزاعة.

قالت: فممن أنت؟

قال: رجل من لقيط.

قالت: أتعرف الذي يقول:

لعمرك مـا البحـار ولا الفيـافي ::: بأوْسعَ مـن فِقَـاح بـني لقـيط

لقيطٌ شـر مَـنْ ركـب المطايـا ::: وأنذل من يدب علـى البسـيط

ألا لعـن الإلـه بـنى لقـيط ::: بقايـا سـبية مـن قـوم لـوط

قال: لا والله ما أنا من لقيط.

قالت: فممن أنت؟

قال: رجل من كندة.

قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا مـا افتخـر الكنـديُّ ::: ذو البهجـةِ والطّـرَّهْ

فبالنسـج وبـالخف ::: وبالسـدل وبـالحفرهْ

فـدع كِنْـدَة للنسـج ::: فـأعلى فخرهـا عُـرَّهْ

قال: لا والله ما أنا من كِنْدَةَ.

قالت: فممن أنت؟

قال: رجل من خَثعَم.

قالت: أتعرف الذي يقول:

وخَثعَم لو صَـفَرت بهـا صـفيرًا ::: لطَارتْ في الـبلاد مـع الجـراد

قال: لا، والله ما أنا من خَثعَم.

قالت: فممن أنت؟

قال: رجل من طيئ.

قالت: أتعرف الذي يقول:

وما طيء إلا نبيطٌ تجمَّعتْ ::: فقالت طيانا كلمة فاستمرت
ولو أن حُرقْوصا يمدُّ جناحه ::: على جبلَيْ طي إذا لاستظلت

قال: لا والله ما أنا من طيء.

قالت: فممن أنت؟

قال: رجل من مُزَينة.

قالت: أتعرف الذي يقول:

وهل مزينة إلا من قبيِّلَة ::: لا يُرْتَجَى كرم فيها ولا دين

قال: لا، والله ما أنا من مزينة.

قالت: فممن أنت؟

قال: رجل من النَّخَع.

قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا النخع اللئام غدوْا جميعًا ::: تأذَى الناس من وفر الزحام
وما تسمو إلى مجد كريم ::: وما هم في الصميم من الكرام

قال: لا والله ما أنا من النَّخَع.

قالت: فممن أنت؟

قال: رجل من أوْدٍ.

قالت: أتعرف الذي يقول؟

إذا نَزَلْتَ بأوْدٍ في ديارهمُ ::: فاعلم بأنك منهم لست بالناجي
لا تركَنَنَّ إلى كهل ولا حَدَث ::: فليس في القوم إلا كل عفَّاجِ

قال: لا والله ما أنا من أوْدٍ.

قالت: فممن أنت؟

قال: أنا رجل من لخم.

قالت: أتعرت الذي يقول:

إذا ما انتمى قوم لفخر قديمهم ::: تبَاعَدَ فخر القوم من لخم أَجمعا

قال: لا والله ما أنا من لخم.

قالت: فممن أنت؟

قال: أنا رجل من جذام.

قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا كأسُ الْمُدَام أَديرَ يومًا ::: لمكرمة تنحَّى عن جُذَامِ

قال: لا والله ما أنا من جُذَام.

قالت: فممن أنت ويلك؟!! أما تستحي؟! أكثرت من الكذب!!

قال: أنا رجل من تَنُوخ وهو الحقّ.

قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا تَنُوخٌ قَطَعَت مَنْهلاً ::: في طلب الغارات والثار

آبَتْ بِخِزْيٍ من إلهِ العلى ::: وشهرة في الأهل والجار

قال: لاَ والله ما أنا من تَنُوخَ.

قالت: فممن أنت ثكلتكَ أمك؟!

قال: أنا رجل من حِمْيَر.

قالت: أتعرف الذي يقول:

نُبِّئْت حِمْير تهجونى فقلت لهم: ::: ما كنت أحسبهم كانوا ولا خُلقوا

لأن حِمْيَر قومٌ لا نصاب لهم ::: كالعود بالقاع لا ماء ولا وَرَقُ

لا يكثرون وإن طالت حياتُهُمُ ::: ولو يبول عليهم ثعلب غرقوا

قال: لا والله ما أنا من حِمْيَر.

قالت: فممن أنت؟

قال: أنا رجل من يُحَابر.

قالت: أتعرف الذي يقول:

ولو صَرَّ صَـرَّار بـأرض يُحَـابر ::: لما ماتوا وأضْحُوا في التراب رميمًا

قال: لا، والله ما أنا من يُحَابر.

قالت: فممن أنت؟

قال: رجل من أُمية.

قالت: أتعرف الذي يقول:

وَهَـى مـن أميـة بنيانُهَـا ::: فهـان علـى الله فقـدانُهَا

وكانـت أميـة فيمـا مضـى ::: جـريء علـى الله سـلطانُهَا

فلا آلُ حرب أطَـاعوا الرَّسُـول ::: ولم يَتَّـقِ الله مَرْوَانُهَـا

قال: لا، والله ما أنا من بني أمية.

قالت: فممن أنت؟

قال: رجل من بنى هاشم.

قالت: أتعرف الذي يقول:

بنى هاشم عُـودُوا إلى نَخَلاتِكُـم ::: فقد صار هذا التمر صاعًا بـدرهم

فإن قُلـتمُ رَهْـطُ الـنبي محمـد ::: فإن النصارى رهط عيسى ابن مريم

قال: لا، والله ما أنا من بنى هاشم.

قالت: فممن أنت؟

قال: رجل من هَمْدَان.

قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا هَمْـــدَانُ دارت يـــوم حَـــرْبِ ::: رحاها فَـــوْقَ هامـــات الرجـــال

رأيتـــــهمُ يحثُّـــــون المطايـــــاً ::: ســـراعًا هـــاربين مِـــنَ القتـــال

قال: لا والله ما أنا من هَمدَانَ.

قالت: فممن أنت؟

قال: رجل من قُضاعة.

قالت: أتعرت الذي يقول:

لا يفخـــرنّ قضـــاعيٌّ بأســـرته ::: فليس من يَمَنٍ محضًـــا ولا مُضَـــر

مذَبْذَبين فـــلا قَحْطَـــانُ والـــدهم ::: ولا نـــزار فخلـــوهم إلى ســـقر

قال: لا والله ما أنا من قُضَاعَة.

قالت: فممن أنت؟

قال: رجل من شيبان.

قالت: أتعرف الذي يقول:

شـــيبان قـــومٌ هـــم عديـــدٌ ::: فكلـــــهم مُقْـــرِف لئـــــيم

مـــا فـــيهمُ ماجـــدٌ حســـيب ::: ولا نجيـــــب ولا كـــــريم

قال: لا والله ما أنا من شَيْبَان.

قالت: فممن أنت؟

قال: رجل من بني نُمَيْر.

قالت: أتعرف الذي يقول:

فغضَّ الطرف إنـــك مـــن نمـــير ::: فـــلا كعبًـــا بلغـــت ولا كلابـــاَ

فلو وضعت فِقَـــاحُ بـــني نُمَـــير ::: على خَبَـــثِ الحديـــد إذًا لَـــذَاباَ

قال: لا، والله ما أنا من نُمَيْر.

قالت: فممن أنت؟

قال: أنا رجل من تغلب.

قالت: أتعرف الذي يقول:

لا تطلــبنَّ خؤولــة في تغلــب ::: فــالزنجُ أكْــرَمُ منــهمُ أخــوالا
والــتغلبيُّ إذا تنحــنح للقِــرَى ::: حَــكَّ اسْــته وتمثَّــلَ الأمثــالا

قال: لا والله ما أنا من تغلب.

قالت: فممن أنت؟

قال: رجل من مُجَاشِع.

قالت: أتعرف الذي يقول:

تبكي الْمغِيبَةَ من بنــات مُجَاشــع ::: ولهــا إذا سُــمِعت نهيــقُ حمــارِ

قال: لا والله ما أنا من مُجَاشِع.

قالت: فممن أنت؟

قال: رجل من كَلْب.

قالت: أتعرف الذي يقول:

فلا تَقْرَبًا كلبا ولا بــاب دارهــا ::: فما يطمع الساري يرى ضوء نارها

قال: لا، والله ما أنا من كَلْب.

قالت: فممن أنت؟

قال: أنا رجل من تَيْم.

قالت: أتعرف الذي يقول:

تَيْمِيَّة مثلُ أنــف الفيــل مقبلــها ::: تهدي الرحا ببنــان غــير مخــدوم

قال: لا والله ما أنا من تَيْمٍ.

قالت: فممن أنت؟

قال: رجل من جَرْم.

قالت: أتعرف الذي يقول:

تُمَنِّـــيني سَـــويقَ الكَـــرْم جَـــرْمٌ ::: وما جَـــرْم ومـــا ذاك الســـويق؟

فمـــا شـــربوه لمـــا كَـــان حِـــلاً ::: ولا غَـــالَوْا بـــه في يـــوم ســـوق

فلمَّـــا أنـــزل التحـــريمُ فيهـــا ::: إذا الجرمِـــيُّ منـــها لا يفيـــق

قال: لا والله ما أنا من جَرْم.

قالت: فممن أنت؟

قال: رجل من سُلَيْم.

قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا مـــا سُـــلَيْم جئتَهـــا لغـــدائها ::: رَجَعتْ كما قد جئت غَرْثانَ جائعًا

قال: لا والله ما أنا من سُلَيْم.

قالت: فممن أنت؟

قال: رجل من الموالي.

قالت: أتعرت الذي يقول:

ألا من أراد الفَحْشَ واللّؤمَ والخنا ::: فعند المـــوالي الجيـــدُ والطّرَفـــانِ

قال: أخطاتُ نسبى ورب الكعبة.

- أنا رجلٌ من الخوز.

قالت: أتعرف الذي يقول:

لا بـــارك الله رَبِّـــي فِـــيكُم أبـــدًا ::: يا معشر الْخُوزِ إن الخوز في النـــار

قال: لا والله ما أنا من الخوز.

قالت: فممن أنت؟

قال: أنا رجل من أولاد حام.

قالت: أتعرف الذي يقول:

فلا تنكحَن أولاد حام فإنهم ::: مَشَاويهُ خلق الله حَاشَا ابن أكْوَع

قال: لا والله ما أنا من ولد حام، لكني من ولد الشيطان الرجيم.

قالت: فلعنك الله ولعن أباك الشيطان معك.

أفتعرف الذي يقول:

ألا يا عباد الله هذا عدوكم ::: وهذا عَدُوٌّ الله إبليس فاقتلوا

فقال لها: هذا مقام العائذ بك.

قالت: قم فَارْحَلْ خاسئًا مذمومًا، وإذا نزلت بقوم فلا تنشد فيهم شعرًا حتى تعرف مَنْ هم، ولا تتعرض للمباحث عن مساوى الناس، فلكل قوم إساءة وإحسان، إلا رسول رب العالمين، ومن اختاره الله على عباده، وعَصَمَه من عدوه، وأنت كما قال جرير للفرزدق:

وكُنْتَ إذَا حَلَلْتَ بدار قوم ::: رحلْتَ بِخَزْيَةٍ وتركت عَارًا

فقال لها: والله لا أنشدت بيت شعر أبدًا.

فقال السفاح:

- لئن كُنْتَ عملت هذا الخبر ونظمت فيمن ذكرت هذه الأشعار فلقد أحسنت، وأنت سيد الكذابين، وإن كان الخبر صدقًا وكنت فيها ذكرته محقًا فإن هذه الجارية العامرية لِمَنْ أَخْضَرَ الناس جوابًا، وأبصرهم بمثالب الناس.

من أقوال يزيد بن أبان الرقاشي:

* غلبني بطني فما أقدر له على حيلة.
* يا إخوتاه: ابكوا فإن لم تجدوا البكاء فارحموا كل بكَّاء.
* ابك يا يزيد على نفسك قبل البكاء.
* يا يزيد! من يصلي لك بعدك؟ أو من يصوم؟

يا يزيد! من يضرع لك إلى ربك بعدك؟ ومن يدعو؟

* أيها المقبور في حفرته، المتخلي في القبر بوحدته، المستأنس في بطن الأرض بأعماله، ليت شعري بأي أعمالك استبشرت، وبأي أحوالك اغتبطت؟

ثم بكى حتى يبل عمامته ويقول:

استبشر - والله - بأعماله الصالحة، واغتبط - والله - بإخوانه المعاونين له على طاعة الله.

وكان إذا نظر إلى القبر صرخ كما يصرخ الثور.

* قالوا ليزيد الرقاشي:

- أما تسأم من كثرة البكاء؟

قال يزيد بن أبان الرقاشي:

- والله لوددت أن أبكي بعد الدمع الدماء وبعد الدماء الصديد.

يزيد بن أبان الرقاشي والقرآن العظيم:

قرأ رجلٌ: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} [سورة الأعراف الآية: ٣٢]، أمام جماعة من العلماء ويزيد بن أبان الرقاشي، فقال أحدهم:

- هذه الآية دلّت على لباس الرفيع من الثياب والتجمل بها في الجمع والأعياد وعند لقاء الناس ومزاورة الإخوان.

وقال آخر:

- كان المسلمون إذا تزاوروا تجملوا.

وقال يزيد الرقاشي:

سمعت أنس بن مالك - رضي الله عنه - يقول:

(كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يكثر دهن رأسه ويسرح لحيته بالماء).

وسأل رجلٌ يزيد الرقاشي عن سبب سقوط البسملة من أول سورة التوبة:

فقال يزيد بن أبان الرقاشي:

قال لنا ابن عباس - رضى الله عنهما -:

قلت لعثمان - عثمان بن عفان - ما حملكم إلى أن عمدتم إلى (الأنفال) وهي من المثاني، وإلى (براءة) وهي من المئين فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال، فما حملكم على ذلك؟

قال عثمان - رضي الله عنه -:

إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده ويقول:

(ضعوا هذا في السورة التي فيها كذا وكذا). وتنزل عليه الآيات فيقول:

(ضعوا هده الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا). وكانت (الأنفال) من أوائل من أنزل، (براءة) من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، وقبض رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ولم يبين لنا أنها منها فظننت أنها منها، فمن ثم قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم - عثمان بن عفان هو الذي جمع القرآن في مصحف واحد واتفق عليه -.

وبينما يزيد بن أبان الرقاشي يقرأ قوله تعالى:{تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ} [سورة الإسراء الآية: ٤٤].

فأقبل الحسن البصري وقدم الخوان ووضع الطعام فقال يزيد الرقاش للحسن:

- أيسبح هذا الخوان يا أبا سعيد؟!

قال الحسن البصري:

قد كان يسبح مرة يريد أن الشجرة في زمن ثمرها واعتدالها كانت تسبح - وأما الآن فقد صارت خوانًا مدهونًا -.

وكان يزيد الرقاشي إذا قرأ قوله تعالى:{وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾} [سورة مريم الآية: ٥٤].

قال: صادق الوعد محمود وهو خلق النبيين والمرسلين - عليهم السلام -، وقد انتظر الذبيح إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - رجلاً اثنين وعشرين يومًا.

وسأل رجل يزيد بن أبان الرقاشي عن قوله تعالى:{وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾} [سورة ص الآيتان: ٢١ - ٢٢].

الخَصم: يقع على الواحد والاثنين والجماعة؛ لأن أصله المصدر.

تسوروا المحراب: أتوه من أعلى سوره.

قال يزيد بن أبان الرقاشي:

سمعت أنس بن مالك - رضي الله عنه - يقول:

سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول:

(إن داود – عليه السلام – حين نظر إلى المرآة، فهم بها قطع على بني إسرائيل بعثًا وأوصى صاحب البعث، فقال:

إذا حضر العدو قرب فلانًا

وسماه.

فقربه بين يدي التابوت، وكان ذلك التابوت في ذلك الزمان يستنصر به فمن قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم عنه الجيش الذي يقاتله، قدم فقتل زوج المرأة ونزل الملكان على داود فقصا عليه القصة) (رواه الترمذي، والحكيم في نوادر الأصول، عن يزيد الرقاشي).

وكان يزيد الرقاشي إذا قرأ:{فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ} [سورة الدخان الآية: ٢٩].

قال:

قال أنس بن مالك - رضي الله عنه -:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(ما من مؤمن إلا وله في السماء بابان: باب ينزل منه رزقه، وباب يدخل منه كلامه وعمله، فإذا مات فقداه فبكيا عليه.

ثم تلا:{فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ}).

يعني: أنهم لم يعملوا على الأرض عملاً صالحًا تبكي عليهم لأجله، ولا صعد لهم إلى السماء عمل صالح فتبكى فقدَ ذلك.

وسُئلَ يزيد بن أبان الرقاشي عن قوله تعالى:{وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ} [سورة الزمر الآية: ٦٨].

قالوا:

يا نبى الله: من هم الذين استثنى الله تعالى؟

قال عليه الصلاه والسلام:

(هم: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت).

قال يزيد الرقاشي:

قال أنس بن مالك - رضي الله عنه -، عن النبي (صلي الله عليه وسلم) في قوله عز وجل:{فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ} [سورة الزمر الآية: ٦٨].

قال:

(جبريل وميكائيل وحملة العرش وملك الموت وإسرافيل).

وفي هذا الحديث:

(إنَّ آخرهم موتًا: جبريل عليه وعليهم السلام).

وكان يزيد بن أبان الرقاشي إذا قرأ قوله تعالى:{إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءً} [سورة الواقعة الآية: ٣٥].

قال:

قال أنس بن مالك - رضي الله عنه -: سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول:

({إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ}: هن العجائز العمش الرمص كن في الدنيا عمشًا رمصًا).

وقيل:

هن عجائز الدنيا أنشأهن الله خلقًا جديدًا كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارًا.

وقال رجل ليزيد الرقاشي:

- هل من قرأ آخر سورة الحشر ومات من يومه أو ليلته مات شهيدًا؟

قال يزيد بن أبان الرقاشي:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(من قرأ آخر سوره الحشر:{لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [سورة الحشر الآيات: ٢١ - ٢٤]، **فمات من ليلته، مات شهيدًا)** (أخرجه الثعلبي).

وكان يزيد الرقاشي إذا قرأ قوله تعالى:{وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩)} [سورة القيامة الآية: ٩].

أي: جمع بينهما في ذهاب ضوئهما، فلا ضوء للشمس كما لا ضوء للقمر بعد خسوفه.

قال يزيد بن أبان الرقاشي:

سمعت خادم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أنس بن مالك - رضي الله عنه - يقول:

سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول:

(إن الشمس والقمر ثوران عقيران في النار) (رواه أبو يعلى في مسنده، والطيالسي، عن أنس بن مالك).

قالوا عن يزيد بن أبان الرقاشي:

* قال أشعث بن سوار:

دخلت على يزيد بن أبان الرقاشي فقال:

- يا أشعث: تعالى نبكي على الماء البارد في يوم الظمأ.

وجعل يقول:

- سبقني العابدون وقطع بي، والهفاه!

صام يزيد بن أبان الرقاشي اثنتين وأربعين سنة.

* قال ثابت البناني:

ما رأيت أحدًا أصبر على طول القيام والسهر من يزيد بن أبان الرقاشي.

* قال عبد الخالق بن موسى اللقيطي:

جَوَّعَ يزيد نفسه لله عز وجل ستين عامًا حتى ذبل جسمه ونهك بدنه وتغير لونه، وكان يقول:

غلبني بطني فما أقدر له حيلة.

* قال زهير السلولي:

كان يزيد الرقاشي قد بكى حتى تناثرت أشفاره وأحرقت الدموع مجاريها من وجهه.

* وسأل سلمة بن سعيد بن يزيد الرقاشي:

- أما تسأم من كثرة البكاء؟

فبكى يزيد الرقاشي وقال:

- والله لوددت أن أبكي بعد الدموع الدماء وبعد الدماء الصديد.

يزيد بن أبان الرقاشي وحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

أسند يزيد بن أبان الرقاشي عن أنس بن مالك خادم رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

وروى عن: الحسن البصري، وغيره.

إلا أن التعبد شغل يزيد الرقاشي عن حفظ الحديث، فأعرضت النقلة عما يروي.

* * *

محمد بن صبيح بن سماك

مواقف ومواعظ

من حياة التابعين

[١٧]

محمد بن صبيح بن سماك

محمد بن صبيح بن سماك

نسبه:

هو: محمد بن صبيح بن سماك.

كنيته:

يكنى أبا العباس.

وابن سماك: نسبة إلى بيع السمك وصيده.

وهو: مولى بني عجل.

كان قاضيًا كوفيًا زاهدًا مشهورًا.

وكان أبو العباس يتثمل بهذين البيتين:

الأجـــل في القبـــور في خطـــر ::: فرده يومًـــا وانظـــر إلى خطـــره

أبـــرزه المـــوت مـــن منكبـــه ::: ومـــن معاصـــيره ومـــن حجـــره

وكان يقول:

- الأخذ بالأصول وترك الفضول من فعل ذوي العقول.

وكان أبو العباس يتردد على مجلس أمير المؤمنين هارون الرشيد، وكان الرشيد يسأله كثيرًا في تفسير آيات الذكر الحكيم.

وذات ليلة سأله:

- ما تقول يا أبا العباس في:{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾} [سورة النازعات الآيتان: ٤٠ - ٤١].

قال ابن السماك:

- يا أمير المؤمنين: ترك الهوى مفتاح الجنة.

ثم قال:

- أبشر يا أمير المؤمنين: فإنك من أهل الجنة.

فتساءل أمير المؤمنين هارون الرشيد:

- ومن أين لك هذا؟

قال أبو العباس:

من قوله تعالى:{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾} [سورة النازعات الآيتان: ٤٠ - ٤١].

فسُر هارون الرشيد بذلك.

أنا من أهل الجنة:

حلف أمير المؤمنين هارون الرشيد أنه من أهل الجنة، فاستفتى العلماء، فلم يفته أحد بأنه من أهلها، فقيل له:

- يا أمير المؤمنين: سل ابن سماك.

فاستحضره وسأله، فقال أبو العباس:

- هل قدر أمير المؤمنين على معصية فتركها خوفًا من الله تعالى؟

فقال أمير المؤمنين هارون الرشيد:

- نعم، كان لبعض ألزامي جارية فهويتها وأنا إذ ذاك شاب، ثم إني ظفرت بها مرة وعزمت على ارتكاب الفاحشة معها، ثم فكرت في النار وهولها وأن الزنا من الكبائر، فأشفقت من ذلك، وكففت عن الجارية مخافة من الله تعالى.

فقال محمد بن صبيح:{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ} [سورة النازعات الآيتان: ٤٠].

قلوب الواصلين:

خرج محمد بن صبيح بن سماك ذات يوم من العراق يريد بعض الثغور، فبينما هو يسير في جبل مظلم، إذ نظر إلى عابد على رأس الجبل قد انفرد من المخلوقين واستأنس برب العالمين جل جلاله، فسلم عليه، فردَّ السلام، ثم قال:

- من أين أقبلت؟

قال أبو العباس محمد بن صبيح بن سماك:

- من العراق، أريد بعض الثغور.

فقال:

- إلى أمر توقنونه أو إلى أمر لا توقنونه؟

قال ابن سماك:

- لا، بل إلى أمر لا توقنه.

ثم قال العابد:

- آه.

فقال محمد بن صبيح بن سماك:

- مم يتأوَّه العابد؟

قال العابد:

- ذكرت عيش المستريحين، وفرحة قلوب الواصلين.

فقال أبو العباس:

- إني رجل مهمومٌ.

قال العابد:

- مم همك؟

قال محمد بن صبيح:

- في ثلاث.

قال العابد:

- وما هذه؟

قال ابن سماك:

- ما دليل الخوف؟

قال العابد:

- الحزن.

فتساءل أبو العباس:

- فما دليل الشوق؟

قال العابد:

- الطلب.

فقال محمد بن صبيح بن سماك:

- فما دليل الرجاء؟

قال العابد:

- العمل.

فتساءل ابن سماك:

- فمن أين ضعفنا؟

قاله العابد:

- لأنكم وثقتم بعفو الله عنكم، ولو عاجلكم بالعقوبة لهويتم من معصية طاعته، ولكن حلمه وستره على معصيته.

ثم أنشأ يقول:

إن كنت ما أقول وتعقل ::: فارحل بنفسك قبل أن لربك ترحل

وذر التشاغل بالذنوب وخلها ::: حتى متى وإلى متى تتململ

ابن سماك يكتب إلى هارون الرشيد:

ذات ضحى بعث أمير المؤمنين هارون الرشيد إلى أبي العباس محمد بن صبيح ابن سماك، فدخل وعنده يحيى بن خالد البرمكي فقالى يحيى:

إن أمير المؤمنين أرسل إليك لما بلغه من صلاح حالك في نفسك وكثرة ذكرك لربك عز وجل ودعائك للعامة.

فقال أبو العباس:

أما ما بلغ أمير المؤمنين من صلاحنا في أنفسنا، فذلك بستر الله علينا، فلو اطلع الناس على ذنب من ذنوبنا لما أقدم قلب لنا على مودة، ولا جرى لسان لنا بمدحه، وإني لأخاف أن أكون بالستر مغرورًا، وبمدح الناس مفتونًا، وإني لأخاف أن أهلك بهما وبقلة الشكر عليهما.

فدعا بدواة وقرطاس.

فكتبه أمير المؤمنين هارون الرشيد:

فقال أبو العباس محمد بن صبيح بن سماك في حضرة الرشيد:

بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي (صلي الله عليه وسلم) :

ما يساوى ألف من الخلف واحدًا من السلف، بين الخلف خلف بينهم السلف هؤلاء قوم آمنوا من خوف ربهم، وآمنت آباؤنا وأجدادنا من خوف أسيافهم.

يا أبا بكر: بلغت غاية الائتمار حيث مدحك الملك الجبار، فقال سبحانه:{إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ } [سورة التوبة الآية: ٤٠].

يا عمر: لم تكن واليًا، إنَّما كنت والدًا.

يا عثمان: قتلت مظلومًا، ولم تزل مدفونًا.

وما قولك فيمن وحَّد الله طفلاً صغيرًا - يعني: عليّ بن أبي طالب - حتى توفى كهلاً كبيرًا؟

فهذا صاحب الغار، وهذا إمام الأعصار، وهذا أحد الأخيار، مدحهم الملك الجبار وأسكنهم دار الأبرار.

خرجت والله من معدن:

كان رجل من ولد الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود يجلس في مجلس أبى العباس محمد بن صبيح بن سماك، فكان يطيل السكوت، فسأله محمد بن صبيح بن سماك:

- يا فتى: ألا تخوض فيما يخوض فيه القوم من الحديث؟

فقال الفتى:

- إنَّما قعدت لأسمع، وأنصت لأفهم، وما كان من الحديث لغير الله، فعاقبته الندم.

فقال أبو العباس:

- خرجت والله من معدن:{ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ} [سورة آل عمران الآية: ٣٤].

والله لأجتهدنَّ حتى ألحق بهم:

وذات ضحى، كان محمد بن صبيح بن سماك جالسًا عند باب داره، إذ جاءه رجل مع بعض إخوانه فقال له:

- يا أبا العباس: لي ولد من المبرزين في العبادة، والمخلصين في الزهادة، يقوم الليل، ويصوم النهار، ومع ذلك لا يفتر من البكاء وقد أضر ذلك ببدنه، وأنا خائف عليه أن يهلك، فأحب أن تسأله الرفق بنفسه، فلعله ينام في الليل نومة واحدة يقوى بها على عبادة الله عز وجل.

فقال ابن سماك:

- نعم: إن شاء الله تعالى.

وبينما الرجل يخاطب أبا العباس، إذ طلع عليهما شاب كأنه عود بان له نور كالبدر ووجهه قد علاه اصفرار، ناحل الجسم فقال:

- يا أبا العباس: هذا ولدي.

فقال محمد بن صبيح بن سماك للشاب:

- حبيبي! إن الله قد فرض عليك طاعة أبيك ونهاك عن معصيته، وتنام في الليل نومة، فإنك تقوى بذلك على عبادة ربك.

قال الشاب:

- أما والله لقد طلب مني التقصير في العمل قبل حلول الأجل.

يا أبا العباس إنى بايعت إخوانًا على السباق، فأخشى أن تعرض أعمالي وأعمالهم فيوجد في أعمالي دون أعمالهم تقصيرًا، فيسوء حالي إن بادرني أجلي قبل أن أبلغ ما بلغوا.

يا أبا العباس! لو رأيت إخواني الذي بايعتُ وقد تجافت جنوبهم عن المضاجع وركبوا رواحل الظلام، وقطعوا عليها الليل والناس نيام، قد وصلوا الكلال بالكلال - الإعياء والتعب - اشتياقًا إلى ذي الجلال، أفتشير عليَّ يا شيخ بالتقصير؟ والله لأجتهدن ثم لأجتهدنَّ حتى ألحق بهم.

ثم أنشد:

وحياة من ملكت يداه قيادي ::: لأخالفنَّ على الهوى حسادي

ولأعصين عواذلي في حبه ::: ولأهجرنّ لذاتي ورقادي

ولأجعلن نزاهتي فيه البكاء ::: ولأكحلنَّ محاجري بسهادي

ولأحفرن بسره ضمن الحشا ::: قبرًا لم يعلم بذاك فؤادي

القبر:

حضر أبو العباس يومًا جنارة، فلما نظر إلى القبور بكى، وقال لأصحابه:

- يا معشر الإخوان: ألا متأهب لموت يوصف له ويراه أمامه؟

ألا مستعد ليوم فقره ونزوله إلى حفرته وقبره؟

ألا شاب عازم قد بارز لمنيته؟

ألا من ليس بغيره شباب منيته ولا شد قوته؟

ألا شيخ فد بادر لانقضاء مدته فشمر السير فيما بقى من رمقه؟

ماذا ينتظر من دفن أباه وقبر أمه وأخاه؟

ما فرح من القبر مأواه والتراب فراشه وغطاه.

ثم أنشد:

ألا إنَّما الدنيا بلاء وفتنة ::: وبيت الفنى فيها مهاب مسود

إذا انقلبت عنه وزال نعيمها ::: فأصبح من ترب القبور يمهد

فكن خائفًا للموت والقبر بعده ::: ولا تك ممن غرَّه اليوم أو غد

ودخل ابن سماك على مريض وهو في شدة سكرات الموت فقال له:

رحلت عن الدنيا وقامت قيامتي ::: غداة أقل الحاملون جنازتي

وعجل أهلي حفر قبري وصيروا ::: خروجي وتعجيلي إليه كرامتي

كأنهم لم يعرفوا قط صورتي ::: غداة أتى يومي عليّ وساعتي

فقال أبو العباس:

إخواني:

ما هذا لمن مضى، بل الله لمن مضى ولمن بقى.

لا بد للقبر ووحشته، ومن الموت وسكرته.

فانظروا لأنفسكم ما دام النظر ينفعكم.

وتفكروا في وحشة القبر ما دام التفكر يباح لكم، من قبل وقوع السكرة ونزول الحسرة.

الحمامة:

دخل محمد بن صبيح بن سماك يومًا على أمير المؤمنين هارون الرشيد وبين يديه حمامة تلتقط حبًا فقال له:

- صفها وأوجز.

فقال ابن سماك:

كأنَّما تنظر من ياقوتتين، وتلتقط بدرتين، وتطأ على عقيقتين.

وأنشد:

هتفـــــــــت هاتفـــــــــة آ	:::	ذَنَهـــــا إلْـــــفٌ بــــــين
ذات طـــوق مثـــل عطـــف	:::	النـــــون أقـــــنى الطــــرفين
وتراهـــــا نــــاظرة نحـــــــ	:::	ـــــوك مـــــن يـــــاقوتين
ترجـــــــــع الأنفـــــــاس	:::	مــــن ثقــــبين كـــــالؤلؤتين
وتـــــرى مثـــل البساتيــــــ	:::	ــــن لهــــا قـــــادمتين
ولهـــــا لحيـــــان كالصــــــد	:::	غـــــين مـــــن عرعــــرتين
ولهـــــا ســـــاقان حمـــــرا	:::	وان مثـــــــل الـــــــوردتين
نســـجت فـــوق جناحيـــــــ	:::	ــــها لهـــا برنـــو ســـتين
وهـــــي طاووســـــية اللـــــــ	:::	ـــــون بنــــان المنكــــبين
تحـــت ظـــل مـــن ظـــلال	:::	الأيـــــك صـــــافي الكـــــتفين
فقـــــدت إلفًـــــا فناحـــــت	:::	مـــــن تبــــاريح وبــــين
فهـــي تبكيــــه بــــلا دمـــــــ	:::	ــــع جمـــــود المقلـــــتين
وهــــي لا تصـــــبغ عينــــا	:::	همـــا كمـــا تصـــبغ عـــيني

لا شيء يعدل العافية:

دخل محمد بن صبيح بن سماك يومًا على أمير المؤمنين هارون الرشيد، فوافق أن وجده يرفع إلى فمه قدحًا به ماء ليشرب فقال:

- ناشدتك الله يا أمير المؤمنين أن تنتظر به قليلاً.

فوضع أمير المؤمنين قدح الماء جانبًا.

فقال أبو العباس:

- أستحلفك بالله تعالى يا أمير المؤمنين: لو أنك منعت هذه الشربة من الماء فبكم كنت تشتريها؟

قال أمير المؤمنين هارون الرشيد:

- بنصف ملكي.

قال محمد بن صبيح بن سماك.

- اشرب هنأك الله.

فلما شرب أمير المؤمنين فقال ابن سماك:

أستحلفك بالله تعالى، لو أنك منعت خرجها من جوفك بعد هذا، فبكم كنت تشتريها؟

قال أمير المؤمنين هارون الرشيد:

- بملكي كله.

فقال أبو العباس:

- يا أمير المؤمنين، إن ملكًا تربو عليه شربة ماء، وتفضله بولة واحدة، لخليق ألا ينافس فيه.

فبكى هارون الرشيد حتى ابتلت لحيته.

فقال الفضل بن الربيع أحد وزراء أمير المؤمنين:

- مهلاً يا ابن سماك، فأمير المؤمنين أحق من رجا العافية عند الله بعدله في ملكه.

فقال محمد بن صبيح بن سماك:

- يا أمير المؤمنين، إن هذا ليس معك في قبرك غدًا، فانظر لنفسك فأنت بها أخبر وعليها أبصر.

ثم نظر أبو العباس نحو وزير أمير المؤمنين وقال له:

- وأما أنت يا فضل: فمن حق الأمير عليك أن تكون يوم القيامة من حسناته لا من سيئاته فذلك أكفأ ما تؤدى به حقه عليك لا شيء أجلّ من العافية، ولا يدوم ملك إلا بالعدل، ولا ينفع نفسًا إلا بالعدل، ولا ينفع نفسًا إلا ما قدمت: {يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا} [سورة الدخان الآية: ٤١]، و{لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ} [سورة الروم الآية: ٥٧].

الواعظ والطبيب:

يقول ابن سماك:

كنت كثيرًا ما أطلب الزهاد والعُبَّاد، فذكر لي رجل من الزهَّاد بعبادان - بلدة بإيران اليوم - فخرجت في طلبه حتى أتيت عبادان فسألت عن منزله فرشدت إليه، فقرعت عليه الباب فخرجت جارية وسألتني:

- ما شأنك أيها الطارق؟

قلت:

- أريد منزل فلان.

قالت الجارية:

- عليه وقعت، فما حاجتك؟

قلت:

- أحب أن تستأذنيه لي في الدخول عليه.

فدخلت، فإذا برجل قد احتفر قبرًا ووضع فيه رجليه وبيده خوص يصنعه وهو يتلو هذه الآية:{أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ }

[سورة الجاثية الآية: ٢١].

فسلمت عليه فرد على السلام وقال:

- ما اسمك؟

قلت:

- محمد.

قال:

- ابن من؟

قلت:

- ابن السماك.

قال:

- لعلك الواعظ؟

قلت:

- أجل.

قال:

- إن الواعظ عندي بمنزلة الطبيب، وبي داء أعيا المعالجين قبلك، فعسى أن تناله برفقك وتلصق عليه بعض مراهمك مما تعلم أنه يلائمه منها.

فقلت:

- يا أخي: إن العمر قد ولّى، والضعف قد تولىّ، وإن كاتبيك قد حفظا عليك ما سلفك من قبح العمل، ولعل المنية تعاجلك قبل إدراك الأمل.

قال ابن سماك:

فلما سمع ذلك لم يتمالك أن شهق شهقة وخر مغشيًا عليه.

فأقبلت امرأته وابنته تبكيان من خلف الستر، وبقى كذلك طويلاً حتى أفاق وقال:

- يا ابن السماك قد وافق دواؤك دائي، ولصق مرهمك بجلدي، زدني فإن المرهم إذا خف اندمل الجرح والْتَأَم.

فقلت:

- يا أخي: نحن على يقين من ذنوب سلفت، وفي شك من قبول توبة، فإن جاد بالفضل فأين ذبول الخجل خشية العتاب؟ وإن قضى بالعدل فاين تحول الرجل خيفة العقاب؟

فصرخ الرجل صرخة عظيمة وخرَّ مغشيًا عليه.

ومكث طويلاً ثم أفاق وقال:

- أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله.

ثم سكن طويلاً فحركته... فإذا هو ميت.

فقهت في أول أمرها وبدء ظهورها:

قال أبو العباس:

إن نفرًا وردوا على عجور في بعض البوادي يسألونها بيع شاة.

فقالت العجور:

- ما كنت لأبيع ابن السبيل شيئًا، ولكن خذوها على ما عند الله.

ثم بكى محمد بن صبيح بن سماك وقال:

- رحمها الله فقهت في بدوها - في أول أمرها وبدء ظهورها -.

قبرت نفسك قبل أن تُقْبَر:

لما مات داود بن نصر الطائي قال ابن سماك:

يا أيها الناس:

إن أهل الدنيا تعجَّلوا غموم القلب وهموم النفس وتعب الأبدان مع شدة الحساب، فالرغبة متعة لأهلها في الدنيا والآخره، والزهادة راحة لأهلها في الدنيا والآخرة، وإن داود نظر بقلبه إلى ما بين يديه - أمامه - فأعشى بصر قلبه بصر العيون، فكأنه لم يبصر ما إليه تنظررن، وكأنكم لا تبصرون ما إليه ينظر، فأنتم منه تعجبون، وهو منكم يتعجب، فلما نظر إليكم راكبين مغرورين، قد ذهبت على الدنيا عقولكم، وماتت من حبها قلوبكم، وعشقتها أنفسكم، وامتدت إليها أبصاركم، استوحش الزاهد منكم، فكنت إذا نظرت إليه عرفت أنه من أهل الدنيا وحش، وذلك أنه كان حيا وسط موتى.

يا داود:

ما أعجب شأنك، وقد يزيد في عجبك أنك من أهل زمانك ألزمت نفسك الصمت حتى قومتها على العدد، أهنتها وإنَّما تريد كرامتها، وأذللتها وإنَّما تريد إعزازها، ووضعتها وإنما تريد تشريفها، وأتعبتها وإنما تريد راحتها، وأجعتها وإنما تريد شبعها، وأظمأتها وإنَّما تريد ريَّها، وخشنت الملبس وإنَّما تريد لينه، وأمتَّ نفسك قبل أن تموت، وقبرتها قبل أن تُقْبَر، وعذبتها قبل أن تعذب، وغيبتها عن الناس كي لا تذكر، ورغبت بنفسك عن الدنيا، فلم تر قدرًا ولا خطرًا، ورغبت بنفسك عن الدنيا، عن أزواجها ومطامعها وملابسها إلى الآخرة، وأزواجها ولباسها وسندسها وحريرها واستبرقها، فما أظنك إلا قد ظفرت بما طلبت، وظفرت بما فيه رغبت.

إن ربك لا يضيع مطيعًا، ولا ينسى صنيعًا، يشكر لخلقه ما صنع فيما أنعم عليهم أكثر من شكرهم إياه.

فسبحانه شاكرًا مجازيًا مثيبًا.

قتلتم ولدي:

يقول محمد بن صبيح بن سماك:

دخلت البصرة، فقلت لرجل كنت أعرفه:

- دلني على عُبَّادِكم.

فأدخلني على رجل عليه لباس الشعر، طويل الصمت لا يرفع رأسه إلى أحد.

فجعلت أستنطقه الكلام فلا يكلمني.

فخرجت من عنده فقال صاحبي:

- هاهنا ابن عجوز هل لك فيه؟

قلت:

- نعم.

فدخلنا عليه، فقالت العجوز:

- لا تذكروا لابنى شيئًا من ذكر جنة ولا نار فتقتلوه على فإنه ليس لي غيره.

فدخلنا على شاب عليه اللباس نحو ما على صاحبه منكس الرأس طويل الصمت، فرفع رأسه فنظر إلينا ثم قال:

- أما إن للناس موقفًا لابد أن يقفوه.

فقال أبو العباس:

- بين يدي من رحمك الله؟

فشهق الشاب شهقة فمات.

فجاءت العجور فقالت:

- قتلتم ولدي.

يقول ابن سماك:

فكنت فيمن صلى عليه.

بين يدي أمر المؤمنين:

أراد محمد بن صبيح بن سماك يومًا أن يدخل على أمير المؤمنين هارون الرشيد فلقيه يحيى بن خالد البرمكي وقال له:

- إذا دخلت على هارون أمير المؤمنين فأوجز ولا تكثر عليه.

فلما دخل أبو العباسي على أمير المؤمنين وقام بين يديه قال:

- يا أمير المؤمنين: إن لك بين يدي الله تعالى مقامًا، وإن لك من مقامك منصرفًا، فانظر إلى أين منصرفك، إلى الجنة أم إلى النار؟

فبكى أمير المؤمنين هارون الرشيد حتى كاد يموت.

ما أنت قائل!

سال أبو عبد الله الخرزى أبا العباس:

- أخبرني عن أعجب شيء رأيته من الخائفين؟

قال محمد بن صبيح بن سماك:

اشتقت إلى عباد البصرة فأتيت الربيع بن صبيح فنزلت عليه ثم قلت له:

- هل تعرف هاهنا أحدًا من الخائفين؟

قال الربيع بن صبيح:

- نعم هاهنا زاهد يُقال: إنه من الخائفين.

فقال أبو العباس:

- فبكر بنا إذا صلينا.

فبكرنا إلى بعض زوايا البصرة، فدق الربيع بن صبيح بابًا فخرجت عجوز فسلَّم عليها ثم قال:

- ماذا فعل ابنك؟

قالت العجوز:

- إن ابنى قد نسى الدنيا.

قال الربيع بن صبيح:

- أتأذنين لنا أن ندخل عليه؟

فقالت الأم:

- بشرط أن لا تذكروا له القيامة.

فأذنت لنا فدخلنا، فإذا شاب عليه مدرعة شعر، وفي عنقه طوق وسلسلة مشدودة بسارية البيت، فإذا قبر محفور وإذا هو جالس على شفير القبر ينظر في لحده.

فقال الربيع بن صبيح:

- يا هذا: أخوك محمد بن سماك المُذكِّر أتاك زائرًا.

فالتفت الشاب إلى أبي العباس وقال له:

- ما أنت قائل؟

فتلجلج لساني وهبت فجهدت الجهد أن أنطق فما قدرت.

فخرجنا يومئذٍ.

ثم عدت في اليوم الثاني، فإذا هو على حافة القبر التي رأيناه بالأمس فالتفت إليَّ وتساءل:

- ما أنت قائل؟

فتلجلج لساني ثم قلت:

- إن للعبَّاد مقامًا.

فقال الشاب:

- ويحك! عند من؟

قلت:

- عند مالك الملوك.

فشهق الشاب شهقة فإذا هو ميت في قبره.

لِمَ تشغلونا عن ربنا!

قال صالح المري:

قدم علينا ابن سماك مرة فقال لي:

- أرني بعض عجائب عبَّادكم.

فذهب صالح المري بابن سماك إلى رجل في بعض الأحياء في خص له فاستأذنا عليه فدخلا، فإذا رجل يعمل خوصًا لي فقرأ صالح المري:

{ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ﴿٧٢﴾} [سورة غافر الآيات: ٧١ - ٧٢].

فشهق الرجل، فإذا هو قد يبس مغشيًا عليه.

فخرجا من عنده وتركاه على حاله.

وذهب أبو العباس وصالح المري إلى آخر فاستأذنا عليه فقال:

- ادخلوا إن لم تشغلونا عن ربنا.

فدخلا فإذا رجل جالس في مصلى له، فقرأ صالح المري:

{ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ } [سورة إبراهيم الآية: ١٤].

فشهق الرجل شهقة بدر - أسرع - الدم من منخريه ثم جعل يتشحط في دمه - تشحط الدم: تضرج به - حتى يبس.

فخرجا من عنده وتركاه على حاله.

وصحب صالح المري أبا العباس إلى ستة أنفس، كل يخرجا من عنده وهو على هذه الحاله.

ثم أتى صالح المري بابن سماك إلى عابد سابع، فاستاذن فإذا امرأة له من وراء خص تقول:

- ادخلو ا.

فدخلا فإذا شيخ فانٍ جالسٌ في مصلاه.

فسلما عليه فلم يعقل سلامهما.

فقال صالح المري بصوت عال:

- إن للخلق غدًا مقامًا.

فقال الشيخ:

- بين يدي - أمام - من ويحك؟

ثم بقى مبهوتًا فاتحًا فاه شاخصًا بصره يصيح بصوت له ضيف حتى انقطع.

فقالت امرأته:

- اخرجوا عنه فإنكم ليس تنتفعون به الساعة.

فلما كان بعد ذلك سأل صالح المرى عن القوم - العبَّاد - فإذا ثلاثة قد أفاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله عز وجل.

وأما الشيخ فإنه مكث ثلاثة أيام على حالته مبهوتًا متحيرًا لا يؤدي فرضًا، فلما كان بعد ثالثة عقل.

أبو العباس يكتب إلى أخ له:

كتب محمد بن صبيع بن سماك.

أما بعد:

أوصيك بتقوى الله الذي هو نجيُّك في سريرتك، ورقيبك في علانيتك، فاجعله من بالك على حالك، خَفْه بقدر قربه منك وقدرته عليك، واعلم أنك بعينه - أي تحت مراقبته ونظره - ليس تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره، فليعظم منه حذرك وليكثر منه وجلك - الوجل: الخوف -، واعلم أن الذنب من العاقل أعظم منه من الأحمق - ومن العالم أعظم من الجاهل - وقد أصبحنا أدلاء بزعمنا، والدليل لا ينام في البحر، وقد كان عيسى - عليه السلام - يقول:

حتى متى تصفون الطريق للدالجين - دلج: سار من أول الليل - وأنتم مقيمون في محلة المتحيرين؟

تصفون البعوض من شرابكم وتشترطون - سرط الشيء واسترطه: ابتلعه - الجمال بأحمالها.

أي: أخي كم من مذكر بالله ناس لله، وكم من مخوف بالله جريء على الله وكم من داع إلى الله فار من الله، وكم قال - قارئ - لكتاب الله منسلخ من آيات الله.

والسلام.

السوط:

قال محمد بن صبيع بن سماك:

أذنب غلام امرأة من قريش ذنبًا فسعت المرأة إليه بالسوط، فلما قربت منه رمت بالسوط وقالت:

- ما تركت التقوى أحدًا يشفي غيظه.

كان حيا وسط موتى:

حين مات العارف بالله داود الطائي قال محمد بن صبيح بن سماك:

يا أيها الناس:

إن أهل الدنيا تعجَّلوا غموم القلب وهموم النفس وتعب الأبدان مع شدة الحساب، فالرغبة متعبة لأهلها في الدنيا والآخرة، والزهادة راحة لأهلها في الدنيا والآخرة، وإن داود الطائي نظر بقلبه إلى ما بين يديه - أمامه - فأعشى بصر قلبه بصر العيون، فكأنه لم يبصر ما إليه تنظرون، وكأنكم لا تبصرون ما إليه ينظر، فأنتم منه تعجبون وهو منكم يتعجب، فلما نظر إليكم راكبين راغبين مغرورين قد ذهبت على الدنيا عقولكم وماتت من حبها قلوبكم وعشقتها أنفسكم، وامتدت إليها أبصاركم، استوحش الزاهد منكم؛ لأنه كان حيًا وسط موتى.

يا داود:

ما أعجب شأنك، ألزمت نفسك الصمت حتى قومتها على العدل، أهنتها وإنما تريد كرامتها، وأذللتها وإنما تريد إعزارها، ووضعتها وإنما تريد تشريفها، وأتعبتها وإنَّما تريد راحتها، وأجعتها وإنَّما تريد شبعها، وأظمأتها وإنَّما تريد ريها، وخشنت الملبس وإنَّما تريد لينه، وجشبت المطعم - جعلته غليظًا - وإنَّما تريد طيبه، وأمت نفسك قبل أن تموت، وقبرتها قبل أن تُقبر، وعذبتها قبل أن تعذب، وغيبتها عن الناس كي لا تذكر، وغبت بنفسك عن الدنيا إلى الآخرة، فما أظنك إلا قد ظفرت بما طلبت كأن سيماك في عملك وسرك ولم يكن سيماك في وجهك فقهت في دينك ثم الناس يفتون، وسمعت الأحاديث ثم تركت الناس يحدثون ويروون، وخرست عن القول وتركت الناس ينطقون، لا تحسد الأخيار ولا تعجب الأشرار ولا تقبل من السلطان

عطية ولا من الإخوان هدية، آنس ما تكون إذا كنت بالله خاليًا وأوحش ما تكون إذا كنت مع الناس جالسًا، فأوحش ما تكون آنس ما يكون الناس، وآنس ما تكون أوحش ما يكون الناس جاوزت حد - جهد - المسافرين في أسفارهم، وجاوزت حد المسجونين في سجونهم، فأما المسافرون فيحملون من الطعام والحلاوة ما يأكلون، فأما أنت فإنَّما هي خبزتك أو خبزتان في شهرك ترمي بها في دن - إناء أو وعاء – عندك، فإذا أفطرت أخذت منه حاجتك فجعلته في مطهرتك ثم صببت عليه من الماء ما يكفيك، ثم اصطنعت به ملحًا فهذا إدامك وحلواك، فمن سمع بمثلك صبر صبرك أو عزم عزمك، وما أظنك إلا قد لحقت بالماضين، وما أظنك إلا قد فضلت الآخرين، ولا أحسبك إلا قد أتعبت العابدين، وأما المسجون فيكون مع الناس محبوسًا فأنس بهم، وأما أنت فسجنت نفسك في بيتك وحدك، فلا محدث ولا جليس معك، ولا أدرى أي الأمور أشد عليك: الخلوة في بيتك تمر بك الشهور والسنون أم تركك المطاعم والمشارب، لا ستر على بابك، ولا فراش تحتك، ولا قلة يبرد - تبرد - فيها ماؤك، ولا قصعة يكون فيها غذاؤك وعشاؤك؟ مطهرتك قلتك وقصعتك تورك - التور: إناء صغير - وكل أمرك يا داود عجب، أما كنت تشتهي من الماء بارده ولا من الطعام طيبه ولا من اللباس ليِّنه؟

بلى ولكنك زهدت فيه لما بين يديك فما أصغر ما بذلت، وما أحقر ما تركت، وما أيسر ما فعلت في نجنب ما أملت، أما أنت فقد ظفرت – فزت – بروح العاجل وسعدت إن شاء الله في الأجل، عزلت الشهرة عنك في حياتك لكي لا يدخلك عجبها ولا يلحقك فتنتها، فلما مت شهرك ربك بموتك وألبسك رداء عملك، فلو رأيت اليوم كثرة تبعك عرفت أن ربك قد أكرمك.

ولما دُفِنَ داود الطائي قام أبو العباس على قبره وقال:

يا داود كنت تسهر ليلك إذ الناس نائمون - ينامون -.

فقال القوم جميعًا:

- صدقت.

فقال محمد بن صبيح بن سماك:

وكنت تسلم إذ الناس يخوضون، وكنت تربح إذ الناس يخسرون.

فقال الناس جميعًا:

- صدقت.

حتى عدد أبو الفضل فضائل داود الطائي كلها.

محمد بن صبيح وأحاديث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

أسند محمد صبيح بن سماك عن عدة من التابعين، منهم: إسماعيل بن أبي خالد، والأعمش، وهشام.

قال محمد بن صبيح بن سماك عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس عن جرير قال:

قال رسول الله:

(من لا يَرْحَم لا يُرْحَم، ومن لا يغفر لا يُغْفَرُ له، ومن لا يتب لا يتوب الله عليه) (رواه الطبراني في المعجم الكبير عن جرير).

قال محمد بن صبيح بن سماك عن هشام بن عروة عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(إذا حضر العشاء وأُقيمت الصلاة، فابدؤا بالعشاء) (رواه أبو نعيم في الحلية، عن عائشة).

وقال محمد بن صبيح بن سماك عن الأعمش عن سفيان عن عبد الله بن مسعود قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(ما من عبد يخطو خطوة إلا سُئِلَ عنها ما أراد بها) (رواه أبو نعيم في الحلية، عن ابن مسعود).

وقال محمد بن صبيح بن سماك، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبى هريرة قال:

قال رسول لله (صلي الله عليه وسلم) :

(لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في جسده وماله وولده، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة) (رواه الإمام أحمد، وابن حبان، والحاكم في المستدرك، عن أبي هريرة).

وقال محمد بن صبيح بن سماك، عن محمد بن عمرر، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم بيوم مقداره ألف عام) (رواه أبو نعيم في الحلية، عن أبي هريرة).

وقال محمد بن صبيح بن سماك عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(المراء في القرآن كفر) (رواه أبو داود، والحاكم في المستدرك عن أبى هريرة).

المراء: الجدل.

وقال محمد بن صبيح بن سماك عن جبير عن الحسن عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) عن ربه عز وجل:

(ابن آم، اذكرني بعد الفجر وبعد العصر أكفك ما بينهما) (رواه أبو نعيم في الحلية، عن أبي هريرة).

وقال محمد بن صبيح بن سماك، عن العوام بن حوشب، عن أبى هريرة قال:

(أوصاني خليلي بصوم ثلاثة أيام من كل شهر - الثلاثة البيض -، وأن أوتر قبل النوم - لا أنام إلا على وتر - وبصلاة الضحى فإنها صلاة الأوابين) (رواه أبو نعيم في الحلية، عن أبى هريرة).

وقال محمد بن صبيح بن ساك عن إبراهيم بن أبي يحيى عن أبان عن أنس قال:

(رأيت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يدعو رافعًا يديه باطنهما مما يلي وجهه) (رواه أبو نعيم في الحلية، عن أنس).

وفال أبو العباس محمد بن صبيح عن إبراهيم بن أبي يحيى عن جبر بن عبد الله عن عكرمة، عن عبد الله بن عباس قال:

(رأيت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) عشية عرفة يدعو ويديه عند صدره كاستطعام المسكين). (رواه أبو نعيم في الحلية، عن ابن عباس).

وقال أبو العباس محمد بن صبيح بن سماك عن يزيد بن أبي زياد عن المسيب بن رافع عن عبد الله بن مسعود قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(لا تشتروا السمك في الماء فإنه غرر) (رواه الإمام أحمد والبيهقى في السنن عن عبد الله بن مسعود).

وقال محمد بن صبيح بن سماك، عن عبد الله بن مسعود، قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(ليتق أحدكم وجهه من النار ولو بشق تمرة) (رواه الإمام أحمد، وأبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن مسعود).

وقال محمد بن صبيح بن سماك، عن سفيان الثوري، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب قال:

كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إذا أوى إلى فراشه وضع يده اليمنى تحت الأذن وقال:

(اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك) (رواه أبو نعيم في الحلية عن البراء بن عازب).

وقال أبو العباس محمد بن صبيح بن سماك عن أشعث بن سعد عن يعلى بن عطاء، عن عبد الله بن عمر، قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(رضاء الرب في رضاء الوالدين، وسخطه في سخطهما) (رواه الطبراني في المعجم الكبير، عن ابن عمر).

وقال محمد بن صبيح بن سماك عن عائذ بن بشير عن عطاء عن عائشة قالت:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(من بلغ الثمانين من هذه الأمة، لم يعرض ولم يحاسب
وقيل: ادخل الجنة). (رواه أبو نعيم في الحلية عن عائشة).

قال ابن سماك، عن الهيثم، عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(ما من صوت أحب إلى الله من صوت لهفان، عبد أصاب ذنبًا فكلما ذكر ذنبه امتلأ قلبه فرقًا - خوفًا من الله فقال: يا رباه) (رواه الحكيم وأبو نعيم في الحلية والديلمى، عن أنس).

وقال أبو العباس محمد بن صبيح بن سماك عن مبارك بن فضالة عن الحسن عن سمرة، عن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال:

(من سرَّه أن يعلم ما له عند الله، فليعلم ما لله عنده) (رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة وسمرة).

وقال محمد بن صبيح بن سماك، عن الأجلح عن نافع، عن ابن عمر قال:

قال النبي (صلي الله عليه وسلم) :

(من أتى الجمعة - من الرجال والنساء - فليغتسل) (رواه الإمام أحمد، والنسائي، وابن ماجه).

وقال أبو العباس محمد بن صبيح بن سماك عن أبى سلمة عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(إنَّ أصدق كلمة قالها الشاعر - لبيد بن ربيعة -:

ألا كل شيء ما خلا الله باطلٌ ::: وكل نعيم لا محالة زائل

* وقد أسند أبو العباس محمد بن صبيح بن سماك عن عدة من التابعين منهم: إسماعيل بن أبى خالد، والأعمش سليمان بن مهران، وهشام بن عروة بن الزبير.

وروى عنه من الأئمة: حسين الجعفي، ويحيى بن يحيى النيسابوري، وأحمد بن حنبل.

أبو العباس محمد بن صبيح يقرأ القرآن ويتفكر ويتدبر:

قرأ الخليفة المأمون سورة مريم وعنده جماعة من الفقهاء، فمرَّ بقوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾} [سورة مريم الآيات: ٨٣ - ٨٤].

فطلب منهم أن يفسروا ذلك، فقالوا:

تزعجهم إزعاجًا من الطاعة إلى المعصية وتغـريهم إغـراء بالشر حتى توقعهم في النار.

فقال الخليفه المأمون:

{إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا }.

قالوا:

آجالهم يعني: الأيـام، والليـالي، والشـهور، والسـنين إلى انتهـاء أجـل العذاب والأنفاس والخطوات واللّذّات، فلا تعجل علـيهم فـإنما نـؤخرهم ليزدادوا إثمًا.

فأشار المأمون برأسه نحو أبي العباس محمد بن صبيح أن يعظه.

فقال ابن سماك:

إذا كانت الأنفاس بالعدد، ولم يكن لها مدد، فما أسرع ما تنفد.

حياتــك أنفــاس تعــد فكلمــا ::: مضى نفس منك انتقصت به جزءاً

يميتك ما يحييــك في كــل ليلــة ::: ويحدوك حاد ما يريد بــه الهــزءا

سُئل ابن السماك:

لو أقامك الله عز وجل يوم القيامة بين يديه، فقال لك:{مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ} [سورة الانفطار الآية: ٦]، ماذا كنت تقول؟

قال محمد بن صبيح بن سماك:

كنت أقول:

غرَّنِي حمقي وجهلي، وإمهاله لي وستره فهو الكريم الستار.

ثم أنشأ يقول:

يا كــاتم الــذنب أمــا تســتحى ::: والله في الخلــــوة ثانيكمــــــا

غــــرَّك مـــن ربـــك إمهالـــه ::: وســـتره طـــول مســـاويكا

وسأل رجل أبا العباس عن قوله تعالى:{ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾} [سورة فاطر الآية: ٦].

قال محمد بن صبيح بن سماك:

يا عجبًا لمن عصى المحسن بعد معرفته بإحسانه، وأطاع اللعين بعد معرفته بعداوته.

وقرأ ابن سماك قوله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ} [سورة التحريم الآية: ٨].

فقال لأصحابه:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(النصوح: الصادقة الناصحة).

وقيل:

الخالصة.

ثم قال أبو العباس محمد بن صبيح بن سماك:

أن تنصب الذنب الذي أقللت فيه الحياء من الله أمام عينيك وتستعد لمنتظرك.

من أقوال محمد بن صبيح بن سماك:

قال أبو العباس محمد بن صبيح بن سماك:

* يا ابن آدم: إنَّما تغدو في كسب الأرباح فاجعل نفسك فيما تكسبه فإنك لم تكسب مثلها.

* من امتطى الصبر قوى على العبادة، ومن أجمع اليأس استغنى عن الناس، ومن أهمته نفسه لم يول مرمتها - أي: لم يتول إصلاحها أحد غيره - غيره، ومن أحب الخير وفق له، ومن كره الشر جنبه، ومن رضى الدنيا من الآخرة حظًا فقد أخطأ حظ نفسه.

* إن استطعت أن تكون كرجل ذاق الموت وعاش ما بعد، فسأل الرجعة فاسعف بطلبه وأعطى حاجته فهو متأهب مبادر، فافعل فإن المغبون - غبن خدع، المغبون: المخدوع - من لم يقدم من ماله شيئًا ومن نفسه لنفسه.

* **الآخذ بالأصول وترك الفضول من فعل ذوي العقول.**

* إن الله ملأ الدنيا من اللّذات، وحشاها بالآفات، ومزج حلالها بالمؤونات وحرامها بالتبعات.

* تكلم ابن سماك يومًا وجاريته تسمع كلامه فقال لها:

- كيف سمعت كلامي؟

فقالت:

- هو حسن لولا أنك تردده.

فقال أبو العباس:

- أردده كي يفهمه من لم يفهمه؟

فقالت:

- إلى أن يفهمه من لم يفهمه؟

* كتب رجل من أهل بغداد إلى أبي العباس:

- صف لي الدنيا؟

فقال محمد بن صبيح بن سماك:

أما بعد:

فقال حفها بالشهوات وملأها بآفات، ومزج حلالها بالمؤونات وحرامها بالتبعات، حلالها حساب وحرامها عذاب.

والسلام.

* الناس عندنا ثلاثة:

زاهد، وراكب، وصابر.

فأما الزاهد: فلا يفرح بما يؤتى منها - الدنيا -، ولا يحزن على ما فاته منها.

والصابر: القلب منها مثلان، فهو في الظاهر زاهد، وفي الباطن صابر، ما أشبهه بالزاهد وليس هو به.

وأمَّا الراغب: فأولئك في خوض يلعبون، مفصحون لا يشعرون.

* همَّة العاقل في النجاة والهرب، وهمَّة الأحمق في اللهو والطرب.

* دخل على بعض الرؤساء يشفع إليه في رجل فقال له:

- إني أتيتك في حاجه، وإن الطالب والمطلوب منه عزيزان إن قضيت الحاجة، ذليلان إن لم تقضها، فاختر لنفسك عز البذل عن ذل المنع، واختر لي عز النجع على ذل الرد.

فقضى حاجته.

* من جرعته الدنيا حلاوتها بميله إليها جرعته الآخرة مرارتها بتجافيها عنه.

* عجبًا لعين تلذ بالرقاد وملك الموت معه على وساد.

* اعلم أن للموعظة غطاء، وكشف غطائها التفكر، ولحاجتك إلى العظة أكثر من حاجتك إلى الصلة، وأخاف أن لا تجد لها موضعًا في عقلك مع ما فيها من هموم الدنيا.

* لا تسأل من يفر منك إن تساله ::: ولكن سل من أمرك أن تسأله

وفاة محمد بن صبيح بن سماك:

لما حضرت ابن سماك الوفاة قال:

اللهم إني وإن كنت عصيتك لقد كنت أحب فيك من يطيعك، فحسبي من ثوابك النجاة من عقابك.

وتوفى أبو العباس محمد بن صبيح بن سماك في الكوفة، سنة ثلاث وثمانين ومائة بالكوفة.

* * *

طلحة بن مصرف الأيامي

مواقف ومواعظ
من حياة التابعين

[١٨]

طلحة بن مصرف الأيامي

طلحة بن مصرف الأيامي

نسبه:

هو طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب الأيامي.

كنيته:

يكنى أبا عبد الله.

وقيل:

يكنى أبا محمد.

كان قارئ أهل الكوفة يقرأون عليه القرآن.

فلما رأى كثرتهم عليه ذلك فمشى إلى الأعمش - سليمان بن مهران - وقرأ عليه فمال الناس إلى سليمان بن مهران وتركوا طلحة بن مصرف.

والله لا أسبه أبداً:

قال العلاء بن كريز:

بينما أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك جالس إذ مر به رجل عليه ثياب يخيل في مشيته فقال:

- هذا ينبغي أن يكون عراقيًا، وينبغي أن يكون كوفيًا، وينبغي أن يكون من همدان.

ثم قال:

- علي بالرجل.

فأتى به فتساءل سليمان بن عبد الملك:

- ممن الرجل:

- قال الرجل:

- ويلك دعني حتى ترجع إليّ نفسي.

فتركه هنيهة ثم عاد يسأله:

- ممن الرجل؟

قال الرجل:

- من أهل العراق.

قال أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك:

- من أيهم؟

قال الرجل:

- من أهل الكوفة.

قال سليمان بن عبد الملك:

- أي أهل الكوفة؟

قال الرجل:

- من همدان.

فازداد أمير المؤمنين عجبًا وقال:

- ما تقول في أبي بكر؟

قال الرجل:

- والله ما أدركت دهره ولا أدرك دهري، ولقد قال الناس فيه فأحسنوا وهو إن شاء الله كذلك.

فعاد سليمان بن عبد الملك يستاءل:

- فما تقول في عمر؟

فقال الرجل كما قال في الصديق.

فقال أمير المؤمنين:

- فما تقول في عثمان؟

قال: والله ما أدركت دهره ولا أدرك دهري، ولقد قال فيه الناس فأحسنوا، وقال فيه ناس فأساءوا وعند الله علمه.

فقال سليمان بن عبد الملك:

- فما تقول في علي؟

قال الرجل:

- هو والله مثل ذلك.

قال أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك في لهجة آمرة:

- سب عليًا.

قال الرجل في إصرار:

- لا أسبه.

قال أمير المؤمنين:

- والله لتسبنه.

قال الرجل:

- والله لا أسبه.

قال أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك:

- والله لتسبنه أو لأضربن عنقك؟

قال الرجل في غير مبالاة:

- والله لا أسبه.

فأمر سليمان بن عبد الملك بضرب عنق الرجل.

فقام رجل في يده سيف فهزه حتى أضاء في يده كأنه شهاب، وقال:

- والله لتسبنه أو لأضربن عنقك.

قال الرجل في عزم وإصرار:

- والله لا أسبه.

ثم نادى:

- ويلك يا سليمان ادنني منك.

فدعا به.

فقال الرجل:

- يا سليمان: أما ترضى مني بما رضى به من هو خير منك ممن هو خير مني فيمن هو شر من علي؟

قال أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك:

- وما ذاك؟

قال الرجل:

- الله رضى من عيسى وهو خير مني إذ قال في بني إسرائيل وهم شر من علي:{ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [سورة المائدة الآية: ١١٨]

يقول العلاء بن كريز:

فنظرت إلى الغضب ينحدر من وجهه أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك حتى صار في أرنبته - أرنبة أنفه - ثم قال مشيرًا نحو الرجل:

- خلوا سبيله.

فعاد الرجل العراقي الكوفي الهمداني إلى مشيته.

فما رأيت رجلاً قط خيراً من ألف رجل غيره.

وإذا هو طلحة بن مصرف.

قالوا عن طلحة بن مصرف:

* قال الأعمش:

ما رأيت مثل طلحة، إن كنت قائمًا فقعدت قطع القراءة، - وإن كنت محتبيًا فحللت حوبتي قطع القراءة - مخافة أن يكون أملَّنِي.

* قال الفضيل بن عياض:

بغلني عن طلحة أنه ضحك يومًا، فوثب على نفسه وقال:

- فيم الضحك؟! إنما يضحك من قطع الأهوال وجاز الصراط.

ثم قال:

- آليت أن أفتر ضاحكًا حتى أعلم بك تقع الواقعة.

فما رئي ضاحكًا حتى صار إلى الله عز وجل.

* قال ليث:

كنت أمشي مع طلحة فقال:

- لو علمت أنك أسن - أكبر - مني بليلة ما تقدمتك.

* قال عبد الملك بن هانئ:

خطب زبيد إلى طلحة ابنته فقال:

- إنها قبيحة.

قال زبيد بن الحارث الأيامي.

- قد رضيت.

قال طلحة بن مصرف.

- إن بعقبها أثرًا.

قال زبيد:

- قد رضيت.

* قال الشعبي وإبراهيم النخعي:

- ما رأيت أحدًا أملك للسانه من طلحة بن مصرف.

* قال حريش بن سليم:

سألت زبيدًا: من أعجب من أدركت إليك؟

قال زبيد بن الحارث الأيامي:

- ما أدركت أحدًا أعجب إليَّ من طلحة.

* قال عبد الله بن أحمد بن حنبل:

- يعجبني أخلاق طلحة بن مصرف وزبيد وقد جرحتهما.

* قال فضيل:

دخلنا على طلحة بن مصرف نعوده.

فقال أبو كعب:

- شفاك الله.

فقال طلحة:

- أستخير الله.

* قال ليث:

حدثت طلحة في مرضه الذي مات فيه أن طاوس بن كيسان كان يكره الأنين، فما سُمع طلحة يئن حتى مات.

* قال ابن أبي عتبة:

- أرسل إليَّ طلحة بن مصرف أني أريد أن أوتد في حائط - أجعل وتدًا في جدارك - وتدا.

قلت:

- نعم وافتح فيه كوة.

* قال الفضيل بن غزوان:

قيل لطلحة بن مصرف: لو ابتعت طعامًا ما فربحت فيه؟

قال أبو محمد:

- إني أكره أن يعلم الله من قلبي غلاء على المسلمين.

* قال حريش بن سليم:

- كان طلحة بن مصرف يقول في دعائه: اللهم اغفر ريائي وسمعتي.

* قال السري بن مصرف:

سمع طلحة بن مصرف رجلاً يعتذر إلى رجل فقال:

- لا تكثر الاعتذار إلى أخيك أخاف أين يبلغ بك الكذب.

* قال الأعمش:

كان طلحة يقرأ عليَّ، فإذا أخذت عليه الحرف قال:

- هكذا قرأنا.

فإن حركت يدي أو رجلي قال:

- السلام عليكم.

* وقال سليمان بن ميمون:

كان طلحة يجيء فيجلس على الباب فتخرج الجارية وتدخل لا يقول لها شيئًا حتى أخرج فيجلس ويقرأ:

- فما ظنكم برجل لا يخطئ ولا يلحن.

فإن استندت على الحائط قال:

- السلام عليكم.

ويذهب.

وقال الأعمش أيضًا:

بتنا ليلة سبع وعشرين من رمضان في مسجد الأياميين عند

طلحة وزبيد، فأما زبيد فختم القرآن بليل ثم رجع إلى أهله، وأما طلحة فكرر فيه حتى ختم مع الفجر.

* قال موسى الجهني:

كان طلحة إذا ذكر عنده الاختلاف قال:

- لا تقولوا الاختلاف، ولكن قولوا السعة.

* وقال مالك بن مغول:

شكى أبو معشر ابنه إلى طلحة بن مصرف فقال أبو محمد:

- استعن عليه بهذه الآية: {رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ} [سورة الأحقاف الآية: ١٥].

* قال مخلد بن خداش:

أخبرت أن طلحة بن مصرف وسلمة بن كهيل اجتمعوا على طعام فأتوا بنبيذ فشرب سلمة ثم ناوله طلحة وهو عن يمينه فأخذه وشمه ثم ناوله الذي عن يمينه، فقال سلمة:

- ما منعك أن تشربه؟

قال طلحة:

- خفت التخمة.

فقال سلمة بن كهيل:

- تخمة الدنيا أو تخمة الآخرة؟

* قال عبد الرحمن بن عبد الملك بن أبجر عن أبيه:

ما رأيت طلحة بن مصرف في ملإ إلا رأيت له الفضل عليهم.

طلحة بن مصرف والقرآن العظيم:

كان أبو عبد الله قارئ أهل الكوفة، فكانوا يقرأون عليه القرآن، وكان يقول:

قال البراء بن عازب قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(زينوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنًا) (رواه الحكام في المستدرك عن البراء، وروى صدر الحديث الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان والدارقطني، والطبراني في المعجم الكبير عن عائشة).

سئل طلحة بن مصرف عن قوله تعالى:{ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا } [سورة النور الآية: ٦٣].

فقال:

- يصيح من بعيد: يا أبا القاسم.

بل عظموه كما قال في سورة الحجرات:{إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ } [سورة الحجرات الآية: ٣].

والمعنى قولوا:

- يا رسول الله في رفق ولين ولا تقولوا: يا محمد بتجهم.

وكان طلحة بن مصرف إذا قرأ:{يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ } [سورة آل عمران الآية: ١٥٤].

قال:

هذه آية تجمع حروف المعجم ليس في القرآن غيرها وغير آية{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾} [سورة الفتح الآية: ٢٩].

وسئل طلحة بن مصرف عن قوله تعالى:{فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ} [سورة الحج الآية: ٣٦].

أي كلوا من الذبيحة - النسيكة -.

القانع: السائل المتذلل والخارج من مكان إلى مكان، وخادم القوم وأجيرهم.

والقنع: أي الرضى بما قسم الله.

المعتر: المعترض بسؤال.

وقيل:

هو السائل، المعترض للسؤال من غير طلب.

وقيل:

هو الضيف الزائر.

من أقوال طلحة بن مصرف:

قال أبو عبد الله:

* لولا أني على وضوء لحدثتكم عن كرسي المختار.

* لولا أني على وضوء لأخبرتك بما يقول الرافضة.

* يستحب من الدعاء أن يقول العبد: اللهم اجعل صمتي تفكرا، واجعل نظري عبرا، واجعل منطقي ذكرا.

* لقد أدركت أقوامًا لو رأيتهم لاحترقت كبدك.

* إذا أكلنا بالدين ابتدأنا بالخل، وإذا لم نأكل بالدين أكلنا الإدام.

* إني لأكره الخروج يوم النيروز، وإني لأراها شعبة من المجوسية، وأرى إنسانًا أو أرجوحة.

طلحة بن مصرف وأحاديث طبيب القلوب والعقول والنفوس (صلي الله عليه وسلم) :

أدرك أبو عبد الله عدة من أصحاب خاتم الأنبياء (صلي الله عليه وسلم) وسمع من خادم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أنس بن مالك، وعبد الله بن أبي أوفى، وعبد الله بن الزبير.

ومن كبار التابعين والخضارمة منهم: سويد بن غفلة، وزر بن حبيش، وخيثمة، وعلقمة، ومسروق، وأبو معمر، وزيد بن وهب، وهزيل بن شرحبيل، ومرة الهمذاني، وهلال بن يساف، وسعيد بن جبير، وأبو بردة بن أبي موسى، ومصعب بن سعد بن أبي وقاص، وعميرة بن سعد، وعبد الرحمن بن عوسجة.

ومن الحجازيين: مجاهدًا، وأبا صالك، وكريبًا مولى بن عباس، ويحيى بن سعد.

* حدثنا عبد الله بن جعفر ثنا يونس بن حبيب ثنا أبو داود ثنا الحريش بن سليم الكوفي ثنا طلحة بن مصرف قال:

سألت عبد الله بن أبي أوفى: هل أوصى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ؟

فقال:

- لا.

قلت:

- فلم أمر بالوصية ولم يوص؟

قال عبد الله بن أبي أوفى:

- أوصى بكتاب الله عز وجل (رواه أبو نعيم في الحلية).

* حدثنا سليمان بن أحمد ثنا إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرزاق، وحدثنا سليمان بن أحمد ثنا أبو نعيم، وحدثنا سليمان بن أحمد ثنا حفص ابن عمر ثنا قبيصة بن عقبة قالوا: ثنا سفيان الثوري عن منصور بن طلحة بن مصرف بن أنس بن مالك قال:

إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كان يمر بالتمرة في الطبيق فيقول:

(لولا أني أخشى أن تكون من الصدقة لأكلتها).

ومر ابن عمر بتمرة فأكلها (رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس).

* حدثنا عبد الله بن محمد ثنا ابن سعيد الواسطي ثنا محمد بن حرب الواسطي ثنا نصر بن حماد ثنا همام ثنا محمد بن جحادة عن طلحة بن مصرف قال:

سمعت خيثمة بن عبد الرحمن يحدث عن ابن مسعود قال: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(من وافق موته عند انقضاء رمضان دخل الجنة، ومن وافق موته عند انقضاء عرفة دخل الجنة، ومن وافق موته عند انقضاء صدقة دخل الجنة) (رواه أبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن مسعود).

* حدثنا سليمان بن أحمد ثنا جبر بن عرفة ثنا عروة بن مروان الرقي، ثنا إسماعيل بن غباش عن ليث بن أبي سليم عن طلحة بن مصرف عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**) (رواه الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن ابن مسعود).

* حدثنا أبو بكر الآجري في جماعة قالوا: ثنا جعفر الفرياني ثنا أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، ثنا الحكيم بن يعلى عن عطاء المحاربي ثنا محمد بن طلحة بن مصرف عن أبيه عن أبي معمر عن أبي بكر الصديق قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**من بنى لله مسجدًا ولو مفحص قطاة – عش عصفور – بنى الله له بيتًا في الجنة**) (رواه ابن أبي شيبة وأبو نعيم في الحلية).

* حدثنا عبد الله بن جعفر ثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود الطيالسي، ثنا الحريش عن طلحة بن مصرف عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**كل مسكر حرام، وإن عليّ لعهدًا لمن شرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال عرق أهل النار**) (رواه مسلم والإمام أحمد).

* حدثنا إبراهيم بن محمد بن يحيى ثنا محمد بن إسحاق، ثنا أبو بكر بن أبي النضر، ثنا أبو النضر الأشجعي عن مالك بن مغول عن طلحة بن مصرف عن أبي صالح عن أبي هريرة قال:

كنا مع النبي (صلي الله عليه وسلم) فقال:

(أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله، لا يلقي بهما عبد غير شاك إلا دخل الجنة) (صحيح متفق عليه).

* حدثنا عبد الله بن محمد ثنا ابن شعيب التاجر ثنا محمد بن عاصم الرازي، ثنا هشام بن عبيد الله عن محمد يعني ابن جابر عن ليث بن طلحة بن مصرف عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقاص قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(من ختم القرآن أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي ومن ختمه آخر النهار صلت عليه الملائكة حتى يصبح) (رواه أبو نعيم في الحلية عن سعد).

* حدثنا محمد بن عبد الله الكاتب قال: ثنا محمد بن عبد الله الخضرمي ح وحدثنا محمد بن علي بن حبيش قال: ثنا الحسين بن محمد قال: ثنا عبيد العجلي، قال ثنا محمد بن العلاء قال: ثنا إبراهيم بن يوسف بن أبي إسحاق عن أبيه أبي إسحاق قال: ثنا طلحة أنه سمع عبد الرحمن بن عوسجة يقول:

سمعت البراء بن عازب يقول: سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول:(من منح منيحة لبن أو هدى زقاقا فهو كعتق نسمة) (رواه الترمذي كتاب البر والصلة باب ما جاء في المنحة والإمام أحمد وابن ماجه عن البراء).

* حدثنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم ثنا موسى بن إسحاق القاضي الأنصاري ثنا عيسى بن عثمان ثنا عمي يحيى بن عيسى ثنا الأعمش عن طلحة عن مسروق عن عائشة قالت:

أهدي لنا شاة مشوية فقسمتها إلا كتفها، فلما جاء رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ذكرت له فقال:(**بقي لكم إلا كتفها – بقي كلها إلا كتفها –**) (رواه الترمذي عن عائشة).

* حدثنا محمد بن عمر بن سالم ثنا محمد بن جرير ح وحدثنا نصر بن أبي نصر الطوسي ثنا أحمد بن سعيد قالا: ثنا يعقوب بن يوسف أبو نصر ثنا علي بن قادم عن أبي الجارود عن طلحة بن مصرف عن علقمة بن قيس عن عبد الله بن مسعود قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**من قتل دون ماله فهو شهيد**) (رواه أبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن مسعود).

* حدثنا حبيب بن الحسن ثنا عمر بن حفص السدوسي ثنا عاصم بن علي ثنا محمد بن طلحة عن طلحة بن مصرف عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: رأى سعد أن له فضلاً عليّ من دونه - يوم بدر - فقال النبي (صلي الله عليه وسلم) :

(**إنما ينصر الله هذه الأمة بضعفائها، بدعواتهم وإخلاصهم**) (رواه أبو نعيم في الحلية عن سعد).

وفاة طلحة بن مصرف:

توفي أبو عبد الله سنة اثنتي عشرة ومائة من الهجرة.

* * *

خالد بن معدان

مواقف ومواعظ
من حياة التابعين

[١٩]

خالد بن معدان

خالد بن معدان

نسبه:

هو خالد بن معدان بن كرب الكلاعي.

من فقهاء الشام.

أدرك سبعين من الصحابة.

كنيته:

يكنى أبا عبد الله.

إنما أبحث على طول الريّ والشبع في الآخرة:

قال خالد بن معدان:

كانت امرأة متعبدة في غنى، فكانت لا تنام من الليل إلا يسيرًا.

فعوتبت في ذلك.

فقالت:

- كفى بالموت وطول الرقدة في القبور للمؤمنين رقادًا.

وكانت تصوم في شدة الحر حتى اسود لونها وتغير وجهها.

فقيل لها في ذلك.

فقالت:

- إنما أبحث على طول الريّ والشبع في الآخرة.

ما تركت التقوى أحداً يشفي غيظه:

قال أبو عبد الله:

أذنب غلام امرأة من قريش ذنبًا فأقسمت أن تؤدبه بالسوط، فلما سعت إليه بالسوط ودنت منه - قربت منه - رمت بالسوط.

وقالت:

- ما تركت التقوى أحدًا يشفي غيظه.

وكفرت عن يمينها.

صفة الخائفين:

يقول خالد بن معدان:

خرجت ذات ليلة فظننت أني قد أصبحت فإذا الليل لم ينته كله وبقي منه جزء، فجلست عند باب صغير، فإذا بصوت شاب يبكي ويقول:

وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وقد عصيتك حين عصيتك وما أنا بنكالك - النكال: العذاب والعقوبة - جاهل ولا لعقوبتك متعرض، ولا بنظرك مستخف.

ولكن سولت لي نفسي وغلبتني شقوتي، وغرني سترك المرخي عليّ.

عصيتك بجهلي وخالفتك بجهدي.

فالآن من عذابك من يستنقذني؟ وبحبل من اتصل أن قطعت حبلك عني؟

واسوأتاه على ماضي من أيامي في معصية ربي.

يا ويلي كم أتوب وكم أعوده؟

وقد حان لي أستحيي من ربي عز وجل.

قال أبو عبد الله:

فلما سمعت كلامه امتلأت عيناي دمعًا حارًا فقلت:

بســم الله الــرحمن الــرحيم:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ} [سورة التحريم الآية: ٦].

فسمعت صوتًا واضطرابًا شديدًا داخل الدار، فمضيت لحاجتي.

فلما أصبحت رجعت وأنا بجنازة على الباب الصغير وعجوز تذهب وتجيء.

فسألتها:

- من الميت؟

قالت:

- إليك عني، لا تجدد عليَّ أحزاني.

فقلت:

- إني رجل غريب.

فقالت:

- هذا ولدي، مر بنا البارحة رجل لا جزاه الله خيرًا، قرأ آية فيها ذكر النار، فلم يزل ولدي يضطرب ويبكي حتى مات.

فقلت في نفسي وأنا أوليها ظهري:

- هكذا والله صفة الخائفين.

خالد بن معدان والقرآن العظيم:

كان أبو عبد الله إذا قرأ سورة (البقرة) قال:

هذه السورة فضلها عظيم وثوابها جسيم.

ويقال لها: فسطاط القرآن.

وذلك لعظمها وبهائها، وكثرة أحكامها ومواعظها.

تعلمها عمر بن الخطاب بفقهها وما تحتوي عليه في اثنتي عشرة سنة، وابنه عبد الله في ثماني سنين.

وسأل رجل خالد بن معدان:

- يا أبا عبد الله: من أول من وضع الكتاب العربي.

قال أبو عبد الله:

اختلف في أول من تكلم باللسان العربي، فقال كعب الأحبار:

- إن أول من وضع الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها بالألسنة كلها آدم عليه السلام.

وقيل:

- أول من تكلم بالعربية جبريل عليه السلام وهو الذي ألقاها على لسان نوح عليه السلام وألقاها نوح على لسان ابن سام.

وروي عن النبي (صلي الله عليه وسلم) أنه قال:

-(أول من فتق لسانه بالعربية المبينة إسماعيل وهو ابن عشر سنين – وقيل: ابن أربع عشرة سنة –) (رواه الشيرازي في الألقاب عن علي، وذكره المناوي في الفيض ٩٢/٣، وابن حجر).

وقد روى أيضًا:

أن أول من تكلم بالعربية يعرب بن قحطان.

فقال الرجل:

- وأنت ماذا تقول يا أبا عبد الله؟

قال خالد بن معدان:

- أن أول من تكلم باللغات كلها من البشر آدم عليه السلام والقرآن يشهد بذلك له فقد قال تعالى:{ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا } [سورة البقرة الآية: ٣١]، واللغات كلها أسماء فهي داخلة تحته وبهذا جاءت السنة، فقد قال (صلي الله عليه وسلم) :

(وعلم آدم الأسماء كلها حتى القصعة والقصيعة).

ويحتمل أن يكون المراد به أول من تكلم بالعربية من ولد إبراهيم عليه السلام إسماعيل عليه السلام.

وسأل رجل أبا عبد الله عن{وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ} [سورة النساء الآية: ٣٦].

فقال خالد بن معدان:

{وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ} أي الغريب الذي لا قرابة بينك وبينه - مسلمًا كان أو مشركًا، يهوديًا أو نصرانيًا -.

{وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ} أي الرفيق في السفر، الصاحب في السفر، الرفيق الصالح.

وقيل:

الذي معك في المنزل.

وقيل:

هي امرأة الرجل التي تكون معه إلى جنبه.

وقال ابن مسعود:

هي الزوجة.

وسئل خالد بن معدان عن قوله تعالى:{ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ } [سورة البقرة الآية: ٥٠].

فقال:

{فَرَقْنَا} فلقنا فكان كل فرق كالطود العظيم أي الجبل العظيم.

وأصل الفرق: الفصل ومنه فرق الشعر، ومنه الفرقان: لأنه يفرق بين الحق والباطل والحديث هنا إلى بني إسرائيل الذين خرجوا مع موسى عليه السلام من مصر.

{ٱلْبَحْرَ} البحر معروف وسبي بذلك لاتساعه، والبحر: الماء الملح.

والبحر: البلدة، فيقال هذه بحرتنا أي بلدتنا.

وفي الخبر:

إن لله ملكًا يقال له صدفاييل البحار كلها في نقرة إبهامه.

وكان أبو عبد الله الحمصي إذا قرأ:{ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ } [سورة البقرة الآية: ١٢٩].

قال:

محمد (صلي الله عليه وسلم).

فإن نفرًا من أصحاب النبي (صلي الله عليه وسلم) قالوا له:

- يا رسول الله: أخبرنا عن نفسك.

قال عليه الصلاة والسلام:

-(نعم أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى بن مريم) (رواه ابن سعد عن خالد بن معدان مرسلاً).

وسأل رجل أبا عبد الله عن قوله تعالى:{ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ } [سورة الأعراف الآية: ٣٢].

قال خالد بن معدان:

كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يسافر بالمشط والمرآة والدهن والسواك والكحل{وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ} الطيبات اسم علم لما طاب كسبًا وطمعًا.

وكان أبو عبد الله إذا قرأ:{وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾} [سورة مريم الآية: ٧١].

قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها - النار - فتكون على المؤمنين بردًا وسلامًا كما كانت على إبراهيم.

وسأل رجل خالد بن معدان عن فضل قراءة سورة (السجدة) فقال:

كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لا ينام حتى يقرأ:{الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾} [سورة السجدة الآيتان: ١ - ٢] ،{تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ} [سورة الملك الآية: ١].

فاقرأوا المنجية وهي:{الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ} فإنه بلغني أن رجلاً كان يقرأها ما يقرأ شيئًا غيرها، وكان كثير الخطايا، فنشرت جناحيها عليه وقالت:

- رب اغفر له فإنه كان يكثر قراءتي.

فشفعها الرب فيه وقال:

- اكتبوا له بكل خطيئة حسنة وارفعوا له درجة (رواه الدارمي عن خالد بن معدان).

وسئل أبو عبد الله الحمصي عن قوله تعالى:{فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾} [سورة القمر الآية: ٥٥].

قال خالد بن معدان:

بلغنا أن الملائكة يأتون المؤمنين يوم القيامة فيقولون:

- يا أولياء الله: انطلقوا.

فيقولون:

- إلي أين؟

فيقولون:

- إلى الجنة.

فيقول المؤمنون:

- إنكم تذهبون بنا إلى بغيتنا.

فيقولون:

- فما بغيتكم؟

فيقولون:

- مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وسئل خالد بن معدان عن قوله تعالى:{وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا} [سورة نوح الآية: ١٧].

فقال أبو عبد الله:

خلق الإنسان من طين، فإنما تلين القلوب في الشتاء.

وكان خالد بن معدان إذا قرأ:{فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥} [سورة النازعات الآية: ٥].

قال:

هي الملائكة:

وهي الكواكب السبعة.

وفي تدبيرها الأمر وجهان: أحدهما تدبير طلوعها وأفولها.

الثاني تدبيرها ما قضاء الله تعالى فيها من تقلب الأحوال.

وسئل أبو عبد الله الحمصي عن قوله تعالى:{أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ} [سورة المجادلة الآية: ١٩].

قال خالد بن معدان:

الشيطان كل متمرد وخارج عن طاعة الله، وكل من غلب واستعلى أي بوسوسته في الدنيا وقوي عليهم فهم من حزبه وهم الخاسرون لأنهم باعوا الجنة بجهنم وباعوا الهدي بالضلالة.

من أقوال خالد بن معدان:

قال أبو عبد الله:

* ما من عبد إلا وله أربع أعين: عينان في وجهه - جبهته - يبصران بهما أمر الدنيا، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر الآخرة، فإذا أراد الله بعبد خيرًا فتح عينيه اللتين في قلبه فيبصر بهما ما وعد بالغيب - وهما غيب فآمن الغيب بالغيب - وإذا أراد الله بعبد غير ذلك تركه على ما هو عليه، ثم قرأ:{أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ} [سورة محمد الآية: ٢٤].

* إياكم والخطران فإنه قد تنافق يد الرجل من سائر جسده.

قيل:

- وما الخطران؟

قال خالد بن معدان:

- ضرب الرجل بيده إذا مشى.

* خلقت القلوب من طين وإنها تلين في الشتاء.

* قرأت في بعض الكتب أجِعْ نفسك وعَرِّها لعلها ترى الله عز وجل.

* ما أحب أن دابة في بر أوبحر تفديني من الموت، ولو كان الموت غاية يسبق إليها ما سبقني أحد إليها إلا سابق يسبقني بفضل قوته.

* والله لو كان الموت في مكان موضوعًا لكنت أول من يسبق إليه.

* إن أدنى حالات المؤمن أن يكون قائمًا وخير حالات الفاجر أن يكون نائمًا.

* إذا فتح أحدكم باب خير فليسرع إليه فإنه لا يدري متي يغلق عنه؟

* من قال: سبحان الله وبحمده من غير تعجب ولا سمعها من أحد، جعل الله لها عينين وجناحين ثم طارت تسبح من المسبحين.

* إنه ليشكر للعبد إذا قال: الحمد لله وإن كان على فراش وطئ وعنده شابة حسناء.

* كان إبراهيم خليل الله عليه السلام إذا أتى بقطف من العنب أكل حبة حبة وذكر اسم الله تعالى على كل حبة.

* العين مال، والنفس مال، وخير مال المرء ما أنفع به وابتذله، وشر أموالكم ما لا تراه ولا يراك - أي تكنزه ولا تنفق منه - وحسابه عليك ونفعه لغيرك.

* سبقوكم بثلاث: كانوا لا يعوزهم الفقر، ولا يشكون لمن صلى، ولم يجبنوا وإذا لقوا - العدو -.

* أكل وحمد خير من أكل وصمت.

* لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى الناس في جنب الله أمثال الأباعر، ثم يرجع إلى نفسه فيكون أحقر حافر.

* قال الله تعالي:(إن أحب عبادي إليَّ المتحابون بحبي، المعلقة قلـوبهم بالمساجد، والمستغفرون بالأسحار، أولئـك الـذين إذا أردت أهـل الأرض بعقوبة ذكرتهم فصرفت العقوبة عنهم).

* إذا دخل أهل الجنة الجنة قالوا:

- ألم يعدنا ربنا أن نرد النار؟

قالوا:

– بلى، ولكن مررت بها وهي خامدة.

* ما من عبد إلا وله شيطان متبطن فقار ظهره، لاوٍ عنقه على عاتقه، فاغر فاه على قلبه، فإذا ذكر الله خنس، وإذا غفل وسوس.

* دعاء الإجابة - أومن أراد الإجابة - إذا سجد قلب يديه ودعا.

* إن الله تعالى يقول: إني لست كلام الحكيم أتقبل، إنما أتقبل همه وعمله، فإن كان همه فيما يحب ويرضى جعلت همه وعمله حمدًا لله ووقارًا وإن لم يتكلم.

* قال داود عليه السلام: إن الله تعالى يقول: لأعطين الشاغلين بذكري أفضل ما أعطي السائلين.

* من التمس المحامد في مخالفة الحق رد الله تلك المحامد عليه ذمًا، ومن اجترأ على الملام في موافقة الحق رد الله تلك الملاوم عليه حمدًا.

* يطلع الله إلى الزرع في أول ليلة من نيسان - شهر إبريل -.

فيقول:

- ليلحق آخر أولك.

* في السماء ملك نصفه نار ونصف ثلج يقول:

- سبحانك اللهم وبحمدك كما ألفت بين هذه النار وبين هذا الثلج فألف بين قلوب المؤمنين ليس له تسبيح غيره.

* إن لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب، فإذا انقضى أجل عبد من الدنيا ضرب رأسه بتلك الحربة وقال:

- الآن يزاد بك عسكر الأموات.

* ما من فراش لا ينام عليه إنسان إلا نام عليه شيطان.

* قال الله تعالى:(يا ابن آدم إن ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي، وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير من الملأ الذي ذكرتني فيهم وإن ذكرتني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلم أمحقك فيمن أمحق.

خالد بن معدان وأحاديث المبعوث للناس كافة (صلي الله عليه وسلم) :

أسند أبو عبد الله عن أبي عبيدة ومعاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبي ذر الغفاري والمقدام بن معدي كرب وأبي أمامة الباهلي، وأبي هريرة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو، ومعاوية، وعبد الله بن بسر، وثوبان، وواثلة بن الأسقع، وعتبة بن عبيد السلمي.

وأكثر رواياته عن جبير بن نقير، وعبد الرحمن بن غنم، وأبي بحيرة، وكثير بن مرة، وعبد الرحمن بن عمرة السلمي، وعمرو بن الأسود، وربيعة الجرشي.

وروى عنه ثور بن يزيد الكلاعي.

* حدثنا محمد بن علي بن حبيش ثنا موسى بن هارون ثنا إسحاق بن راهوية أنبانا بقية بن الوليد قال أخبرني بحير بن سعيد عن خالد بن معدان عن أبي عبيدة بن الجراح عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال:

(قلب ابن آدم مثل العصفور يتقلب في اليوم سبع مرات) (رواه البيهقي في شعب الإيمان، وأبو نعيم في الحلية عن أبي عبيدة بن الجراح).

* حدثنا محمد بن علي بن حبيش ثنا موسى بن هارون ثنا سلم بن قادم ثنا بقية بن الوليد ثنا بحير بن سعيد عن خالد بن معدان قال: قال أبو ذر الغفاري:

إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال:(قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان وجعل قلبه سليمًا، ولسانه صادقًا، ونفسه مطمئنة، وحقيقته مستقيمة، وأذنه مستمعة، وعينه ناظرة) (رواه الإمام أحمد عن أبي ذر).

* حدثنا أبو إسحاق بن حمزة عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معدي كرب عن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال:

(كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه) (رواه البخاري، والإمام أحمد عن المقدام بن معد كرب، وابن ماجه عن أبي أيوب).

* حدثنا سليمان بن أحمد ثنا عبد الله بن أحمد ثنا سويد بن سعيد ثنا الوليد بن محمد الموقري عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاوية بن أبي سفيان قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(إن الله تعالى يُغلَبُ ولا يَخلَبُ - الخلابة: الخديعة باللسان - ولا ينبأ بها لا يعلم) (رواه الطبراني في المعجم الكبير عن معاوية).

* حدثنا محمد بن علي بن حبيش ثنا موسى بن هارون الحافظ ثنا أبو همام وأبو طالب قالا: ثنا بقية بن الوليد عن بحير بن سعيد عن خالد بن معدان عن عتبة بن عيد عن النبي (صلي الله عليه وسلم) :(لو أن رجلاً يُجرُّ على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرمًا – الهرم: كبر السن – في مرضات الله تعالى لحقرهُ يوم القيامة) (رواه الإمام أحمد، والبخاري في التاريخ، والطبراني في المعجم الكبير عن عتبة بن عبد).

* حدثنا أبو غانم سهل بن إسماعيل الواسطي قال: ثنا محمود بن محمد ثنا محمد بن إبراهيم ثنا بقية عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن وائلة بن الأسقع قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(المتعبد بغير فقه كالحمار في الطاحونة) (رواه أبو نعيم في الحلية عن واثلة).

* حدثنا عبد الله بن محمد قال ثنا محمد بن زكريا ثنا عمر بن يحيى ثنا شعبة بن الحجاج عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(قلوب بني آدم تلين في الشتاء وذلك أن الله تعالى خلق آدم من طين والطين يلين في الشتاء) (رواه أبو نعيم في الحلية عن معاذ بن جبل).

* حدثنا فاروق الخطابي ثنا أبي خالد عبد العزيز بن معاوية القرشي وأبو مسلم الكشي قالا: ثنا سعيد بن سلام العطار ثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود) (رواه العقيلي في الضعفاء، وابن عدي في الكامل، والبيهقي في شعب الإيمان عن معاذ بن جبل، والطبراني في المعجم الكبير عن معاذ).

* حدثنا محمد بن علي بن حبيش ثنا موسى بن هارون ثنا سعيد بن يعقوب وأحمد بن إبراهيم الموصلي قالا: ثنا إسماعيل بن عياش عن بحير بن سعيد عن خالد بن معدان عن عبد الله بن أبي بلال الخزاعي عن العرباض بن سارية قال:

سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول:(يختصم الشهداء والمتوفون على فرشهم إلى ربنا في الذين يتوفون من الطاعون فيقول الشهداء:

- إخواننا قتلوا كما قتلنا.

ويقول المتوفون على فرشهم:

- إخواننا ماتوا على فرشهم كما مُتْنا على فراشنا.

فيقضي الله بينهم فيقول ربنا تبارك وتعالى:

- انظروا إلى جراحهم فإن أشبه جراحهم جراح المقتولين فإنهم منهم ومعهم.

فينظرون إلى جراح المطعونين فإذا جراحهم قد أشبهت جراح الشهداء فيلحقون بهم) (رواه الإمام أحمد، والنسائي عن العرباض بن سارية).

* حدثنا أبو عمرو بن حمدان ثنا الحسن بن سفيان قال: ثنا علي بن حجر ومحمد بن مصفى قالا: ثنا بقية قال: بحير بن سعيد عن خالد بن معدان عن أبي حرية عن معاذ بن جبل قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) : (الغزو غزوان: فأما من غزا ابتغاء وجه الله تعالى وأطاع الإمام وأنفق الكريمة، وياسر الشريك، واجتنب الفساد في الأرض فإن نومه ونبهه - النبه: بضم النون وسكون الباء: الانتباه من النوم - أجر كله.

وأما من غزا فخرا ورياء وسمعة وعصا الإمام وأفسد في الأرض فإنه لين يرجع بالكلف) (رواه أبو داود، والإمام أحمد، والنسائي، والحاكم في المستدرك، وشعب الإيمان للبيهقي عم معاذ).

* حدثنا محمد بن علي بن حبيش ثنا موسى بن هارون ثنا داود بن عمرو الضبي وسعيد بن يعقوب الطالقاني وحدثنا أبو عمرو بن حمدان ثنا الحسن بن سفيان ثنا علي بن حجر وعبد الوهاب بن الضحاك قالوا:

ثنا إسماعيل بن عياش ثنا بحير بن سعيد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة عن معاذ بن جبل قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :**(لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين:**

- لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل أوشك أن يفارقك إلينا) (رواه أبو نعيم في الحلية عن معاذ).

قالوا عن خالد بن معدان:

* قال صفوان بن عمرو:

كان خالد بن معدان إذا عظمت حلقته - حلقة العلم - قام وانصرف.

* قال سلمة:

كان خالد بن معدان يسبح في اليوم أربعين ألف تسبيحة، سوى ما يقرأ من القرآن فلما مات ووضع على سريره لغسل جعل بأصبعه كذا يحركها - يعني التسبيح -.

* قال عبد الله بن خالد بن معدان:

مات خالد بن معدان وهو صائم.

* قالت عبدة بنت خالد بن معدان:

ما كان خالد يأوي إلى فراش مقيله إلا وهو يذكر فيه شوقه إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار، ثم يسميهم ويقول:

- هم أصلي وفصلي، وإليهم يحن قلبي، طال شوقي إليهم، فاجعل ربي قبض إليك حتى يغلبه النوم وهو في بعض ذلك.

وفاة خالد بن معدان:

توفي أبو عبد الله سنة ثلاث ومائة من الهجرة.

وقال عفير بن معدان:

توفي خالد سنة أربع ومائة.

* * *

أبو عمران الجوني

مواقف ومواعظ
من حياة التابعين

[٢٠]

أبو عمران الجوني

أبو عمران الجوني

نسبه:

هو عبد الملك بن حبيب الجوني.

كنيته:

يكنى أبا عمران.

التسبيحة:

قال عبد الملك بن حبيب.

مر سليمان بن داود عليهما السلام في موكبه والطير تظله، والإنس والجن عن يمينه وعن شماله، فمر بعابد من عباد بني إسرائيل فقال:

- والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكًا عظيمًا.

فسمع سليمان عليه السلام كلامه.

فقال:

- لتسبيحة في صحيفة أفضل مما أوتي ابن داود، إن ما أوتي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى.

وكان نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام يطعم المحذومين واليتامى ويأكل الشعير ولم يدع يوم مات دينارًا ولا درهمًا.

الحاضر الغائب:

قال أبو عمران الجوني:

قال أحد الصالحين لصاحبه:

- ألا تشتاق إلى ربك؟

قال:

- لا.

فتساءل الرجل الصالح:

- ألا تشتاق إلى ربك؟

قال في لهجة الواثق المطمئن:

- لا.

فعاد العارف بالله يتساءل في عجب:

- ألا تشتاق إلى ربك؟

قال:

- لا.

فقال الرجل الصالح:

- كيف لا تشتاق إلى ربك؟

قال:

- إنما نشتاق إلى الغائب ولكن الله عز وجل معنا.

أهل الجنة:

قال أبو عمران الجوني:

بغلنا أنه إذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى بكل جبار وكل شيطان وكل من يخاف الناس من شره في الدنيا، فيوثقون في الحديد، ثم يؤمر بهم إلى النار ثم يوصد عليهم - أي تطبق عليهم - فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبدًا، ولا والله ما ينظرون إلى أديم سماء أبدًا، ولا والله لا تلتقي جفون أعينهم على غمض نوم أبدًا، ولا والله لا يذوقون فيها بارد ولا شراب أبدًا.

ثم يقال لأهل الجنة:

يا أهل الجنة: افتحوا اليوم الأبواب فلا تخافوا شيطانًا ولا جبارًا، وكلوا اليوم واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية.

من أقوال أبي عمران الجوني:

قال عبد الملك بن حبيب:

* لا يغرنكم من ربكم عز وجل طول النسيئة - التأجيل - والتأخير - ولا حسن الطلب، فإن أخذه أليم شديد، حتى متى تبقى وجوه أولياء الله بين أطباق التراب؟ وإنما هم محبوسون ببقية آجالكم أيتها الأمة حتى يبعثهم الله عز وجل إلى جنته وثوابه.

* وعظ موسى عليه السلام قومه فشق رجل من بني إسرائيل قميصه فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام:

- قل لصاحب القميص: لا يشق قميصه ولكن ليشرح - الشرح: الكشف - لي عن قلبه.

* تصعد الملائكة بالأعمال فينادي الملك:

- ألق تلك الصحيفة ألق تلك الصحيفة.

فتقول الملائكة:

- ربنا قالوا خيرًا وحفظناه عليهم.

فيقول تبارك وتعالى:

- لم يرد به وجهي.

وينادي الملك:

- اكتب لفلان كذا وكذا مرتين.

فيقول:

- يا رب إنه لم يعلمه.

فيقول الله جل وعلا:

- إنه نواه نواه.

* تكون الأرض زمانًا نارًا فماذا أعددتم لها؟ وذلك قوله تعالى:{وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾} [سورة مريم الآية: ٧١].

* لم ينظر الله تعالى إلى إنسان قط إلا رحمه، ولو نظر إلى أهل النار لرحمهم، ولكنه قضى ألا ينظر إليهم.

* أدركت أربعة هم أفضل من أدركت، كانوا يكرهون أن يقولوا:

- اللهم اعتقنا من النار.

ويقولون:

- إنما يعتق منها من دخلها.

وكانوا يقولون:

نستجير بالله من النار، ونعوذ بالله من النار.

* وهبك تنجو بعد كم تنجو؟

* اهتبلوا - ابغوا - غفلة الحمقى، وامضوا حيث أعلم لكم، وكلوا ما لا تعلمون إلى عالمه قبل يأتي حضور ما لا تستطيعون دفعه من الموت وجلائل الأمور.

* زرع الله في قلوبنا وقلوبكم المودة على ذكره، وجعل قلوبنا وقلوبكم أوطانًا تحن إليه، وأجرى علينا وعليكم المغفرة كما جرت علينا وعليكم الذنوب، إن الله تعالى لم يستودع شيئًا قط إلا حفظه وأنا مستودع الله ديننا ودنياكم وخواتيم أعمالنا وخواتيم أعمالكم، كما استودعت أم موسى موسى، وكما استودع يعقوب عليه السلام يوسف، وودائع الله لا تضيع في السماوات ولا وفي الأرض.

وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله.

* والله لئن ضيعنا، إن الله عبادًا آثروا طاعة الله تعالى على شهوة أنفسهم، ومضوا من الدنيا على مهل مهل - سهل سهل - حتى مشوا على الأسنة - الرماح - حتى خرج علق الأجواف منهم على الأسنة يبتغون بذلك روح الآخرة.

* ما من ليلة تأتي إلا وتنادي: اعملوا في ما استطعتم من خير فلن أرجع إليكم إلى يوم القيامة.

* إنه ليس بين الجنة والنار طرق ولا فياف ولا منزلة هنالك لأحد، من أخطأته الجنة صار إلى النار.

* حدثت أن البهائم إذا رأت بني آدم قد تصدعوا من بين يدي الله تعالى صنفين: صنف إلى الجنة وصنف إلى النار.

تناديهم البهائم:

- يا بني آدم: الحمد لله الذي لم يجعلنا اليوم مثلكم لا جنة نرجو ولا عقابًا نخاف.

* والله لقد صرف إلينا ربنا عز وجل في هذا القرآن ما لو صرفه إلى الجبال لحتها وحناها.

* وهل أبكى العيون بكاء إلا الكتاب السابق.

* ليت شعري أي شيء علم ربنا من أهل الأهواء حين أوجب لهم النار؟

* من قرب الموت من قلبه استكثر ما في يديه.

* قال داود عليه السلام: إلـــهي كيف أصبح اليوم؟ عدوك الشيطان يعيرني يقول:

يا داود: أين كان رأيك حين واقعت الخطيئة.

* إذا كان يوم القيامة انقطع كل وصل ليس وصلاً في الله عز وجل.

أبو عمران الجوني والقرآن العظيم:

سأل رجل أبا عمران الجوني عن قوله تعالى:{ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ} [سورة الزمر الآية: ٢٣].

قال عبد الملك بن حبيب:

بين السميع البصير أن أحسن ما يُسمع ما أنزله الله عز وجل وهو القرآن:{وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا} [سورة النساء الآية: ٨٧].

{كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا} [سورة الزمر الآية: ٢٣]} كتاب يشبه بعضه بعضا في الحس والحكمة ويصدق بعضه بعضا، ليس في تناقض ولا اختلاف ويشبه كتب الله تبارك وتعالى المنزلة على أنبيائه، لما يتضمنه من أمر ونهي وترغب وترهيب وإن كان أهم وأعجز.

{مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ} [سورة الزمر الآية: ٢٣] أي تنثني فيه القصص والمواعظ والأحكام وثني للتلاوة فلا يمل، تضطرب وتتحرك بالخوف مما فيه من الوعيد أي عند آية الرحمة وإلى العمل بكتاب الله والتصديق به.{إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ} إلى الإسلام.

فقال الرجل:

- يا أبا عمران: ما بال الرجل من أهل القرآن إذا قرئ عليه القرآن سقط؟

قال عبد الملك بن حبيب:

قال عبد الله بن عمر:

- إنا لنخشى الله وما نسقط.

وقال محمد بن سيرين:

- بيننا وبينهم - الذين يسقطون ويصرعون إذا قرأ عليهم القرآن - أن يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطًا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره فإن رمى بنفسه فهو صادق.

فعاد الرجل يتساءل:

- وأنت ماذا تقول يا أبا عمران؟

قال أبو عمران الجوني:

- وعظ موسى عليه السلام بني إسرائيل ذات يوم فشق رجل قميصه فأوحى الله إلى موسى: قل لصاحب القميص: لا يشق قميصه فإني لا أحب المبذرين، يشرح لي - يكشف لي - عن قلبه.

وكان أبو عمران إذا قرأ:{وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾} [سورة البلد الآية: ٣].

قال:

هو أقسام بآدم عليه السلام والصالحين من ذريته.

وقيل:

الوالد إبراهيم عليه السلام{وَمَا وَلَدَ} ذريته.

قال جعفر بن سليمان:

سمعت أبا عمران الجوني يقول في قوله عز وجل:{سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾} [سورة الرعد الآية: ٢٤].

قال:

سلام عليكم بما صبرتم على دينكم فنعم ما أعقبكم من الدنيا الجنة.

وقال جعفر بن سليمان:

سمعت أبا جعفر تلا هذه الآية:{إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾} [سورة المزمل الآية: ١٢].

قال:

قيودا والله لا تحمل أبدا.

وكان أبو عمران الجوني إذا قرأ:{إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾} [سورة الدخان الآية: ٤٣].

قال:

بلغنا أن ابن آدم لا ينهش منها نهشة إلا نهشت منه مثلها.

وسئل أبو عمران الجوني:

- لماذا سميت الأرض أرضًا؟

فقال:

- لأنها تتأرض ما في بطنها - تأكل ما فيها.

وسئل أبو عمران الجوني عن قوله تعالى:{مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾} [سورة الضحى الآية: ٣].

فقال:

أبطأ جبريل عليه السلام على النبي (صلي الله عليه وسلم) حتى شق عليه فجاء وهو اضع جبهته على الكعبة يدعو فنكت بين كتفيه وأنزل عليه:{مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾} [سورة الضحى الآية: ٣].

وكان عبد الملك بن حبيب إذا قرأ:{يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾} [سورة الحاقة الآية: ١٨].

قال:

كالماء في الزجاجة إلا ما ستر الله عز وجل:

وسئل أبو عمران الجوني عن قوله تعالى:{ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾} [سورة الحاقة الآية: ٤٦].

قال:

الوتين: حبل القلب.

وقرأ أبو عمران الجوني:{وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا} [سورة الإسراء الآية: ٨]، فقال:

حصيرا: سجنا.

وسأل رجل أبا عمران الجوني عن قوله تعالى:{أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ} [سورة ص الآية: ٤٥].

فقال عبد الملك بن حبيب:

الأيدي: القوة في العبادة.

والبصر: في الهدى.

وقرأ أبو عمران الجوني:{وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} [سورة طه الآية: ٣٩].

فقال:

تربى بعين الله تعالى:

قالوا عن أبي عمران الجوني:

* قال الحارث بن سعيد:

كان أبو عمران الجوني إذا سمع الآذان تغير لونه وفاضت عيناه.

* قال محمد بن حيان:

كان أبو عمران الجوني إذا قام يصلي كأنه شيء ملقي لا يتحرك.

* قال سلام بن يونس:

كان أبو عمران الجوني من عقلاء الرجال.

من دعاء أبي عمران الجوني:

اللهم اغفر لنا علمك فينا، فإنك تعلم منا ما لا يعلمه أحد.

وكفى بعلمك فينا استكمالاً لكل عقوبة إلا ما عفيت ورحمت.

اللهم اجعل الموت خير غائب ننتظره، واجعل القبر خير بيت نسكنه.

أبو عمران الجوني وأحاديث الرحمة المهادة (صلي الله عليه وسلم) :

أسند أبو عمران الجوني عن أنس بن مالك وجندب بن عبد الله وعائذ بن عمرو وأبي برزة في آخرين.

* حدثنا سليمان بن أحمد قال ثنا علي بن عبد العزيز قال: ثنا أبو نعيم قال ثنا الحارث بن عبيد أبو قدامة وحدثنا أبو عمرو حمدان قال: ثنا الحسن بن سفيان قال ثنا إسحاق بن إبراهيم قال عبد العزيز بن عبد الصمد العمي قال ثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عبد الله بن قيس أبي موسى الأشعري قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(جنتان من فضة وما فيهما من ذهب، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن).

وقال الحارث:

جنان الفردوس أربع ثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما، وثنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما (أخرجه البخاري ومسلم).

* حدثنا حبيب بن الحس قال ثنا خلف بن عمرو العكبري، وحدثنا سهل بن عبد الله التستري قال: ثنا الحسين بن إسحاق التستري قالا: ثنا سعيد بن منصور قال ثنا الحارث بن عبيد الله أبو قدامة عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(بينا أنا جالس إذ جاء جبريل فوكز بين كتفي فقمت إلى شجرة فيها مثل كوكري الطائر - عش الطائر - فقعد في أحدهما وقعدت في الآخر فنمت فارتفعت حتى سدت الخافقين - المشرق والمغرب - وأنا أقلب بصري ولو شئت أن أمس السماء لمسست، فالتفت إليَّ جبريل فإذا هو كأنه - حلس - حلس البيت: كساء يبسط تحت حر الثياب - وفي الحديث: كن حلس بيتك أي لا تبرح - لا طئ -، فعرفت فضل علمه بالله عليَّ، وفتح لي باب من السماء ورأيت النور الأعظم، ولط دوني الحجاب رفرفه الدر والياقوت، ثم أوحى الله إليَّ ما شاء أن يوحي) (رواه ابن سعد، والبزار، وابن خزيمة، والطبراني في الأوسط، وابن الشيخ في العظمة، والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس، وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى).

* حدثنا جعفر بن محمد بن عمرو الأحمسي قال: ثنا أبو حصين الوادعي قال ثنا يحي بن عبد الحميد الحمائي قال ثنا جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجوني عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري عن أبي موسى الأشعري، سمعته يقول بحضرة العدو:

سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول:(إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف).

فقام رجل من القوم رث الهيئة فقال:

- يا أبا موسى: أنت سمعت هذا الحديث من رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ؟

فقال عبد الله بن قيس:

- نعم.

فرجع الرجل إلى أصحابه فقال:

- أقرأ عليكم السلام.

ثم كسر جفن سفيه، ومضى فضرب بسيفه حتى قتله العدو (أخرجه مسلم في صحيحه).

* حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن قال: ثنا بشر بن موسى، قال: ثنا عفان وحدثنا الحسن بن محمد بن كيسان ومحمد بن محمد وعلي بن هارون قالوا: ثنا موسى بن هارون قال ثنا عبد الرحمن بن سلام الجمحي قال: ثنا حماد بن سلمة قال: ثنا ثابت وأبو عمران الجوني عن أنس بن مالك قال:

إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال:(يخرج من النار.

قال أبو عمران الجوني:

- أربعة.

وقال ثابت:

- رجلان.

فيعرضون على ربهم فيؤمر بهم إلى النار فيلتفت أحدهم فيقول:

- يا رب: قد كنت أرجو إذا أخرجتني منها - النار - أن لا تعيدني فيها.

فينجيهم الله تعالى منها) (أخرجه مسلم في صحيحه، والإمام أحمد في مسنده عن عفان بن حماد).

وفاته:

توفي خالد بن معدان سنة أربع ومائة.

* * *

شقيق بن سلمة

مواقف ومواعظ
من حياة التابعين

[٢١]

شقيق بن سلمة

شقيق بن سلمة

نسبه:

هو شقيق بن سلمة الأسدي.

كنيته:

يكنى أبا وائل.

إني لأستحي من ذي العرش:

قال أبو وائل:

خرجنا في ليلة مخوفة فمررنا بأجمة - الأجمة: منبت الشجر أو الشجر الكثيف الملتف - فيها رجل نائم وقد قيد فرسه فراحت ترعى عند رأسه.

فأيقظناه وقلنا له:

- تنام في مثل هذا المكان؟

فرفع رأسه وقال:

- **إني لأستحي من ذي العرش أن يعلم أني أخاف شيئًا دونه.**

ثم وضع رأسه فنام.

شر على شر:

قال شقيق بن سلمة:

دخلت على عبيد الله بن زياد بالبصرة مع مسروق بن الأجدع فإذا بين يديه - أمامه - تل من ورق - فضة - ثلاثة الألف ألف من خراج أصبهان فقال:

- يا أبا وائل: ما ظنك برجل يموت ويدع مثل هذا؟

فقلت:

- فكيف إذا كان من غلول - يغل: يخون، الغلول: من المغنم خاصة لا من الخيانة ولا من الحقد -؟

قال:

- فذاك شر على شر.

فقال عبيد بن زياد والي البصرة لي:

- يا أبا وائل: إذا أتيت الكوفة فأتني لعلي أصيبك بمعروف.

فلما رجعت قلت:

- لو أني شاورت علقمة بن قيس في ذلك.

فأتيته وقلت له:

- يا أبا شبل: إني دخلت على ابن زياد فقال لي: كذا وكذا فكيف ترى؟

قال علقمة بن قيس:

- يا أبا وائل: لو أتيته قبل أن تستأمرني لم أقل لك شيئًا، فأما إذا استأمرتني فإني حقيق أن أنصحك، ووالله ما يسرني أن لي ألفين فإني أكره الناس عليه.

فقلت:

- لم يا أبا شبل؟

قال علقمة بن قيس:

- إني أخاف أن ينقصوا مني أكثر مما أنتقص منهم.

عندما يصبح الذهب نحاساً:

قال أبو وائل لعاصم بن سليمان:

- أتدري ما أشبه قراء أهل زماننا؟

قال أبو عبد الرحمن:

- ومن يشبههم؟

قال شقيق بن سلمة:

- أشبهه برجل أسمن غنمًا فلما أراد أن يذبحها وجدها غثا لا تنقى، أو رجل عمد إلى دراهم فلوس فألقاها في زئبق ثم أخرجها فكسرها فإذا هي نحاس.

قالوا عن شقيق بن سلمة:

* قال عصام:

كان أبو وائل له خص - بيت من قصب أو شجر - وكان يقيم فيه هو وفرسه فإذا غزا نقضه وتصدق به، وإذا رجع أنشأ بناءه.

كان أبو وائل لا يلتفت في صلاة ولا في غيرها، ولا سمعته يسب دابة قط، إلا أنه ذكر الحجاج بن يوسف الثقفي يومًا فقال:

- اللهم أطعم الحجاج من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع - يعني طعام أهل النار -.

ثم تداركها فقال:

- إن كان ذاك أحب إليك.

فقلت:

- وتستثني في الحجاج؟

فقال:

- نعدها ذنبًا.

* قال الزبرقان:

كنت عن أبي وائل فجعلت أسب الحجاج وأذكر مساوئه فقال شقيق بن سلمة:

- لا تسبه وما يدريك لعله قال: اللهم اغفر لي - قالها عند موته - فغفر له.

قال أبو عبيدة:

- أبو وائل أعلم أهل الكوفة بحديث عبد الله بن مسعود.

* قال عاصم:

كان عبد الله بن مسعود إذا رأى الربيع بن خيثم قال:

- وبشر المخبتين.

وإذا رأى أبا وائل قال:

- وبشرا التائب.

وكان أبو وائل يكره أن يقول الرجل:

- اللهم اعتقني من النار.

فإنه إنما يعتق من رجا الثواب أو تصدق عليّ بالجنة، فإنه إنما يتصدق عليَّ من يرجو الثواب.

وسمعت شقيق بن سلمة يقول وهو ساجد:

- رب اغفر لي، ورب اعف عني، إن تعف عني فطولا من فضلك، وإن تعذبني غير ظالم ولا مبسوق.

ثم يبكي حتى أسمع نحيبه من وراء المسجد.

* قال المعلي بن عرفان:

جاء رجل إلى أبي وائل فقال:

- ابنك استعمل على السوق.

فقال شقيق بن سلمة:

- والله لو جئتني بموته كان أحب إليَّ من إن كنت لأكره أن يدخل بيتي من عمل عملهم - كان ابنه يحيى يعمل قاضيًا على الكناسة -.

* تقول بركة جارية شقيق بن سلمة:

قال لي أبو وائل:

يا بركة: إذا جاء يحيى بشيء فلا تقبليه، وإذا جاء أصحابي بشيء فخذيه.

* قال الأعمش - سليمان بن مهران -:

سمعت شقيقًا يقول:

اللهم إن كنت كتبتنا عندك أشقياء فامحنا واكتبنا سعداء، وإن كنت كتبتنا سعداء فاثبتنا، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب.

* قال عصام:

قلت لأبي وائل:

- إن قومًا يقولون إن الله يدخل المؤمنين النار.

قال شقيق بن سلمة:

- لعمرك إن لها لحشوا غير المؤمنين.

* قال الأعمش:

قال لي أبو وائل:

- يا سليمان: نعم الرب ربنا لو أطعناه ما عصانا.

* قال إبراهيم النخعي:

ما من قرية إلا فيها من يدفع عن أهلها به، وإني لأرجو أن يكون أبا وائل منهم.

* قال عاصم:

ما رأيت أبا وائل يلتفت في صلاة ولا في غيرها قط ولا قائلاً لأحد:

- كيف أصبحت وكيف أمسيت؟

أبو وائل وأحاديث سيد الأولين والآخرين (صلي الله عليه وسلم) :

أسند شقيق بن سلمة عن علية الصحابة وجماهيرهم منهم: علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وحذيفة بن اليمان، وخباب بن الأرت، وأبو مسعود، وأسامة بن زيد، وأبو الدرداء، والبراء بن عازب، وسهل بن حنيف، وكعب بن عجرة، وعبد الرحمن بن صخر - أبو هريرة - وعبد الله بن عباس، وجرير بن عبد الله البجلي، وقيس بن أبي برزة، وأم المؤمنين أم سلمة.

وعن كبار التابعين: مسروق بن الأجدع، وسلمان بن ربيعة، وعلقة بن قيس، وعمرو بن شرحبيل.

وأكثر حديثه عن الأعمش، ومنصور، وحماد بن أبي سليمان، وعاصم بن بهدلة، ومغيرة بن مقسم، وحبيب بن أبي ثابت، وزيد بن الحارث، وحصين بن عبد الرحمن، وسلمة بن كهيل، والحكم بن عتيبة، وعبدة بن أبي لبابة، وعمرو بن مرة، وواصل الأحدث، والعلاء بن خالد، ومسلم البطين، ومعلي بن عرفان، ومحمد بن سوقة وآخرين.

* حدثنا أبو بكر بن خلاد ثنا الحارث بن أبي أسامة ح، وحدثنا علي بن أحمد المصيصي ثنا أحمد بن خليد الحلبي - خالد الحلبي - قالا: ثنا أبو نعيم ثنا الأعمش عن شقيق أبي وائل قال: قال عبد الله بن مسعود:

كنا إذا صلينا خلف رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قلنا:

- السلام على الله دون عباده، والسلام على جبريل وميكائيل، والسلام على فلان.

فقال النبي (صلي الله عليه وسلم) :

-(لا تقولوا هكذا إن الله هو السلام، ولكن قولوا: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنكم إذا قلتم ذلك أصابت كل عبد صالح لله في السماء والأرض، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله) (رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود).

* حدثنا أبو بكر بن خلاد ثنا الحارث بن أبي أسامة ثنا عبد الله بن موسى ثنا الأعمش عن شقيق أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجي اثنان دون الثالث فإن ذلك يحزنه) (رواه مسلم في صحيحه، والبيهقي في شعب الإيمان، وأخرجه البخاري من حديث منصور عن شقيق).

* حدثنا أبو إسحاق بن حمزة وسليمان بن أحمد ومحمد بن عبد الله الكاتب قالوا: ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ثنا عون بن سلام ثنا أبو بكر الهشلي عن الأعمش عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود:

أنه ارتقى الصفا فأخذ بلسانه فقال:

- يا لسان قل خيرًا تغنم، واسكت عن الشر تسلم مكن قبل أن تندم.

ثم قال:

سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول:(أكثر خطايا ابن آدم من لسانه) (رواه الطبراني في المعجم الكبير، والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود).

* حدثنا أبو بكر بن مالك وسليمان بن أحمد ثنا عبد الله بن حنبل ثنا أحمد بن محمد بن أيوب ثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(من يرد الله به خيرا يفقه في الدين ويلهمه رشده) (أخرجه الترمذي كتاب العلم باب إذا أراد الله بعبد خيرا، والإمام أحمد والنسائي، وأبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود).

* حدثنا أبو إسحاق بن حمزة حدثني أبو بكر محمد بن جعفر الصابوني الرافقي أخبرني محمد بن هارون بن محمد بن بكار ح، وحدثنا محمد بن سليمان القشيري قال:

سمعت ابن سماك يقول: أخبرني الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(ما من عبد يخطو خطوة إلا سئل عنها ما أراد بها) (رواه أبو نعيم في الحلية عن عبد لله بن مسعود).

* حدثنا أحمد بن إبراهيم بن علي الكندي البغدادي بمكة ثنا الحسن بن علي بن الوليد الفسوي ثنا سعيد بن سليمان ثنا مسهر بن عبد الملك بن سلع عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا) (رواه الطبراني في المعجم الكبير عن ثوبان، وأبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود).

* حدثنا أبو إسحاق بن حمزة ثنا محمد بن سليمان ح وحدثنا محمد بن حميد ثنا عبدان بن أحمد قالا: ثنا هشام بن عمار ثنا الربيع بن بدر عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(القرآن شافع مشفع وما حل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار) (رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود).

* حدثنا محمد بن حميد ثنا إبراهيم بن محمد بن سعيد الدستوائي ثنا إبراهيم بن حماد الأزدي ثنا عبد الرحمن بن حماد البصري قال: ثنا الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(تجافوا عن ذنب السخي فإن الله تعالى آخذ بيده كلما عثر) (رواه الدارقطني في الأفراد عن عبد الله بن مسعود).

* حدثنا محمد بن عمر بن سلم ثنا عمر بن أيوب بن مالك - وما سمعته إلا منه - ثنا الحسن بن حماد الضبي ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(لشبر من الجنة خير من الدنيا وما فيها) (رواه ابن ماجة عن أبي سعيد، وأبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود).

* حدثنا أبو القاسم إبراهيم بن أبي حصين ثنا الحسن بن الطيب ثنا محمد بن صدران ثنا بزيغ أبو الخليل عن الأعمش عن شقيق بن سلمة عن ابن مسعود قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(سيأتي على الناس زمان يقعدون في المساجد حلقًا حلقًا إنما همتهم الدنيا فلا تجالسوهم فإنه ليس لله فيهم حاجة) (رواه أبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن مسعود).

* حدثنا سليمان بن أحمد ثنا علي بن عبد العزيز ثنا أبو حفص عمر بن يزيد الرفا البصري ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(ما بال أقوام يشرفون المترفين ويستخفون بالعابدين، ويعملون بالقرآن ما وافق أهواهم وما خالف أهواهم تركوه، فعند ذلك يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، يسعون فيما يدرك بغير السعي من القدر المقدور ولأجل المكتوب والرزق المقسوم، ولا يسعون فيما لا يدرك إلا بالسعي من الجزاء الموفور والسعي المشكور والتجارة التي لا تبور) (رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود).

* حدثنا أبو بكر الطاحي قال ثنا عبيد بن غنام ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ح وحدثنا أبو بكر بن مالك قال ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبي قال ثنا أبو خالد الأحمر قال سمعت عمرو بن قيس عن عاصم عن شقيق بن سلمة عبد الله بن مسعود قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحج المبرور ثواب إلا الجنة) (رواه الإمام أحمد والترمذي، والنسائي عن ابن مسعود).

* حدثنا أبو القاسم بن أبي حصين وأبو بكر الطلحي وسليمان بن أحمد قالوا: ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي قال ثنا علي بن حكيم الأزدي قال ثنا شريك عن جامع بن أبي راشد عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال:

كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يعلمنا هذا الكلام:(**اللهم أصلح ذات بيننا، وألف بين قلوبنا، واهدنا سبل السلام، ونجنا من الظلام إلى النور، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، اللهم بارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها قابلين لها وأتمها علينا**) (رواه الطبراني في المعجم الكبير، والحكام في المستدرك عن عبد الله بن مسعود).

* حدثنا محمد بن علي بن حبيش ثنا محمد بن هارون بن مجمع ثنا غالب بن جبريا السمرقندي ثنا أحمد بن عبد الله إمام مسجد سمرقند عن أبي حمزة السكري عن الأعمش عن أبي وائل عن علي بن أبي طالب قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**) (رواه أبو نعيم في الحلية عن علي).

* حدثنا أحمد بن جعفر النسائي وأبو سعيد عبد الرحمن بن محمد حسكا القاضي النيسابوري قالا:

ثنا محمد بن عبدة القاضي البغدادي ثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ثنا قيس عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة بن اليمان قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**ويل لمن لا يعلم وويل لمن علم ثم لا يعمل**) (رواه أبو نعيم في الحلية عن حذيفة).

* حدثنا محمد بن عمر بن سلم ثنا محمد بن جعفر بن حبيب ثنا أبو نعيم ثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي وائل قال:

كنت مع عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري فقالا:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(إن بين يدي الساعة لأيامًا ينزل فيها الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج – القتل –) (رواه أبو نعيم في الحلية، وأخرجه مسلم كتاب العلم يرفع عن ابن مسعود وأبي موسى الأشعري).

من أقوال شقيق بن سلمة:

* يقول الله تعالى:(يا ابن آدم ادن – اقترب – مني شبرًا ادن منك ذراعا، ادن مني ذراعًا ادن منك باعًا، امش إليَّ أهرول إليك).

* إن أهل بيت يضعون على مائدتهم رغيفًا حلالاً لأهل بيت غرباء.

* يستر الله العبد يوم القيامة بيده فيقول:

- أتعرف أتعرف؟

فيقول:

- نعم.

فيقول:

- قد غفرت لك.

* مثل قراء أهل الزمان كمثل غنم ضوائن ذات صوف فغبط شاة منها فإذا هي لا تنفي، ثم غبط أخرى فإذا هي كذلك.

فقال:

- أف لك سائر اليوم.

* لأن يكون لي ولد يقاتل في سبيل الله أحب إليَّ من مائة ألف درهم.

* مر أبو وائل على عبد الله بن مسعود بمصحف مزين بالذهب فقال:

إن أحسن ما زين به المصحف تلاوة بالحق.

أبو وائل والقرآن العظيم:

سأل رجل أبا وائل عن قوله تعالى:{وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ} [سورة البقرة الآية: ١٨٥].

فقال شقيق بن سلمة:

لا اعتبار برؤية هلال شوال يوم الاثنين من رمضان نهار بل هو لليلة التي تأتي فقد جاءنا كتاب عمر بن الخطاب ونحن بخانقين قال في كتابه: إن الأهلة بعضها أكبر من بعض فإذا رأيتم الهلال نهارًا فلا تفطروا حتى يشهد شاهدان أنهما رأياه بالأمس (رواه الدارقطني عن شقيق).

وكان أبو وائل إذا قرأ:{وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ٣} [سورة البلد الآية: ٣].

قال:

هو إقسام بآدم عليه السلام والصالحين من ذريته.

وقيل:

الوالد إبراهيم عليه السلام وما ولد من ذريته.

وسئل أبو وائل عن قوله تعالى:{لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ} [سورة الحجرات الآية: ١].

فقال:

لا تقدموا قولاً ولا فعلاً بين يدي الله وقول رسوله وفعله فيما سبيله أن تأخذوه عنه من أمر الدين والدنيا.

وترك التعرض لأقوال النبي (صلي الله عليه وسلم) وإيجاب اتباعه والاقتداء به.

ففي مرض خاتم النبيين (صلي الله عليه وسلم) قال:

-(مروا أبا بكر فليصل بالناس).

فقالت عائشة لحفصة بن عمر:

- قولي له: إن أبا بكر رجل أسيف وأنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس من البكاء، فمر عمر فليصل بالناس.

فقال النبي (صلي الله عليه وسلم) :

-(إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس).

وكان شقيق بن سلمة إذا قرأ:{لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [سورة النمل الآية: ١٨].

قال:

كان نمل ذلك الوادي كهيئة الذباب في العِظَم.

وسأل رجل شقيق بن سلمة عن قوله تعالى:{إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾} [سورة يس الآية: ٥٥].

فقال أبو وائل:

شغلهم افتضاض العذارى.

وسئل أبو وائل عن قوله تعالى:{فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾} [سورة النجم الآية: ٩].

فقال:

قدر ذراعين، والقوس: الذراع يقاس بها كل شيء.

وكان أبو وائل إذا قرأ:{قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾} [سورة الإخلاص الآيتان: ١ - ٢].

قال:

{ٱلصَّمَدُ}: هو السيد الذي قد انتهى سؤدده في أنواع الشرف والسؤدد.

وقال أبو هريرة:

الصمد: إنه المستغني عن كل أحد، والمحتاج إليه كل أحد.

قال منصور:

قال أبو وائل في قوله تعالى:{وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ} [سورة المائدة الآية: ٣٥].

القربة في الأعمال.

وسأل رجل أبا وائل في قوله تعالى:{وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ} [سورة البقرة الآية: ٢٥١].

قال:

قال ابن عباس رضي الله عنهما:

- ولولا دفع الله العدو بجنود المسلمين لغلب المشريكن فقتلوا المؤمنين وخربوا البلاد والمساجد.

وقال سفيان الثوري:

- هم الشهود الذين تستخرج بهم الحقوق.

وقيل:

لولا أن الله يدفع بمن يصلي عمن لا يصلي وبمن يتقي عمن لا يتقي لأهلك الناس بذنوبهم.

وقيل:

ولولا دفع الله المؤمنين الأبرار عن الفجار لفسدت الأرض.

واختلف العلماء في الناس المدفوع بهم الفساد من هم؟

فقيل:

هم الأبدال وهم أربعون رجلاً كلما مات واحد بدله الله آخر، فإن كانوا يوم القيامة ماتوا كلهم: اثنان وعشرون منهم بالشام وثمانية عشر بالعراق.

قال علي رضي الله عنه:

سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول:(إن الأبدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلاً كلما مات منهم رجل أبدل الله مكانه رجلاً يسقى بهم الغيث وينصر بهم على الأعداء ويصرف بهم عن أهل الأرض البلاء) (ذكره الترمذي، الحكيم في نوادر الأصول).

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه:

- إن الأنبياء كانوا أوتاد الأرض، فلما انقطعت النبوة أبدل الله مكانهم قومًا من أمة محمد (صلي الله عليه وسلم) يقال لهم الأبدال لم يفضلوا الناس بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بحسن الخلق وصدق الورع وحسن النية وسلامة القلوب لجميع المسلمين، والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر وحلم ولب وتواضع في غير مذلة فهم خلفاء الأنبياء، قوم اصطفاهم الله لنفسه واستخلصهم بعلمه لنفسه وهم أربعون صِدْيقًا.

وفاة شقيق بن سلمة:

توفي أبو وائل سنة اثنتين وثمانين من الهجرة.

* * *

مواقف ومواعظ
من حيـاة التابعيـــن

[٢٢]

عبد الله بن محيريز

عبد الله بن محيريز

كان من عباد أهل الشام.

كنيته:

كان يكني أبا محيريز.

لسنا نشتري بديننا:

قال بشير بن صالح:

خرج عبد الله بن محيريز إلى بزاز ومعه دانق، وهو يريد أن يشتري ثوبًا فدخل حانوتًا والبزاز لا يعرفه، وكان في الحانوت رجل يعرف ابن محيريز.

قال أبو محيريز:

- بكم هذا الثوب؟

قال صاحب الحانوت:

- بكذا وكذا.

فقال الرجل لصاحب الحانوت:

- هذا ابن محيريز فأحسن بيعه.

فغضب عبد الله بن محيريز وقال:

- إنما جئت لأشتري بمالي ولم أجيء أشتري بديني.

وقام ولم يشتر منه شيئًا.

الجارية:

قال أبو زرعة:

بعث أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان إلى عبد الله بن محيريز بجارية، فترك ابن محيريز منزله فلم يكن يدخله.

فقيل:

- يا أمير المؤمنين: تغيب ابن محيريز عن منزله - نفيت ابن محيريز عن منزله -.

فتساءل عبد الملك بن مروان:

- ولم؟

قيل:

- من أجل الجارية التي بعثت بها إليه.

فبعث أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فأخذها.

فرجع أبو محيريز إلى منزله.

الزم الصمت:

قال عبد الله بن جعفر:

لقي عبد الله بن محيريز قبيصة بن ذؤيب - كان على خاتم أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان - فقال: يا أبا إسحاق عطلتم - يعني بن مروان بن عبد الملك - الثغور وأغزيتم الجيوش إلى الحرم - لمحاربة عبد الله بن الزبير الذي كان أميرًا للمؤمنين على الحجاز - وإلى مصعب بن الزبير.

فقال قبيصة بن ذؤيب:

- احذر من لسانك فوالله ما فُعل.

فأرسل إليه عبد الملك بن مروان فأتى بابن محيريز متقنعًا فأوقف بين يديه فقال:

- ما كلمة قلتها نُغض لها - تحرك لها - ما بين الفرات إلى العريش - يعني عريش مصر - ؟

ثم لان أمير المؤمنين وقال لان محيريز:

- الزم الصمت فإن من رأى البقية في قريش والحلم عنها

فرأى بن محيريز أنه قد غنم نفسه يومئذ.

قالوا عن عبد الله بن محيريز:

* قال رجاء بن حيوة.

أتانا نعي عبد الله بن عمر ونحن في مجلس ابن محيريز.

فقال عبد الله بن محيريز:

- والله إن كنت لأعد بقاء ابن عمر أمانًا لأهل الأرض.

فقال رجاء بن حيوة - كان كوزير وكاتب لعمر بن عبد العزيز -
:

وأنا والله إن كنت لأعد بقاء ابن محيريز أمانًا لأهل الأرض.

وقال أيضًا:

كان ابن محيريز يجيء بالكتاب إلى عبد الملك بن مروان فيه النصيحة فيقرئه إياه ثم لا يقره في يده.

* قال يحيى بن أبي عمرو الشيباني:

كان ابن محيريز إذا مُدح قال:

- وما يدريك؟ وما علمك؟

* قال عمرو بن عبد الرحمن بن محيريز:

كان جدي يختم القرآن كل سبع.

* قال عبد الله بن عوف القارئ:

لقد رأيتنا برودس - جزيرة رودس كانت للروم تجاه الإسكندرية - وما في الجيش أحد أكثر صلاة من ابن محيريز في العلانية.

ثم أقصر عن ذلك حين شُهر وعُرف.

* قال الأوزاعي:

كان ابن أبي زكريا يقدم فلسطين فيلقي ابن محيريز فتتقاصر إليه نفسه لما يرى من فضل ابن محيريز.

* قال خالد بن دريك:

كانت في ابن محيريز خصلتان ما كانت في أحد ممن أدركت في هذه الأمة:

كان أبعد الناس أن يسكت عن حق بعد أن تبين له، يتكلم فيه غضب من غضب، ورضى من رضى، وكان أحرص الناس أن يكتم من نفسه أحسن ما عنده.

* قال ضمرة بن عمر بن عبد الملك الكناني:

صحب ابن محيريز رجلاً في الساقة في أرض الروم، فلما أردنا أن نفارقه قال له ابن محيريز:

- أوصني.

قال الرجل:

- إن استطعت أن تعرف ولا تعرف فافعل.

وإن استطعت أن تمشي ولا يمشى إليك فافعل.

وإن استطعت أن تسأل ولا تسأل فافعل.

* قال أبو زرعة:

لم يكن بالشام أحد يظهر عيب الحجاج بن يوسف إلا ابن محيريز وأبو الأبيض العنسي.

فقال له الوليد:

- لتنتهين عنه أو لأبعثن بك إليه.

* قال موسى بن عقبة:

سمعت ابن محيريز ونحن معه في جنازة بالرملة يقول:

- أدركت الناس إذا مات فيهم الميت من المسلمين قالوا: الحمد لله الذي توفانا على الإسلام ثم انقطع ذلك فلست أسمع اليوم أحدًا يقول ذلك.

* قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن:

قال لي ابن محيريز:

- إذا رأيت خيرًا فاحمد الله، وإذا رأيت منكرًا فالطأ بالأرض، وسل الله أن يخفف البلاء عن أمة محمد (صلي الله عليه وسلم).

* قال الأوزاعي:

كان ابن محيريز يشرب الماء ويقول:

- وأها لي - وهي كلمة أعجمية لا تصدع الرأس ولا تسرع في الكيس -.

* قال رجاء بن أبي سلمة:

كان ابن محيريز يجيء إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان بصحيفة فيها النصيحة يقرئه ما فيها فإذا فرغ منها أخذ الصحيفة.

* قال أبو زرعة:

مر ابن محيريز برجل يكلم امرأة فهم أن يكلمهما.

فقال:

- الله أعلم بما يقولان:

فمضى ولم يكلمها.

وبلغني أنه لم يكن أحد أشد استتارًا بعلمه من ابن محيريز.

* قال رجاء بن أبي سلمة:

كان ابن محيريز إذا غزا كان أعجب النفقة إليه في علف الدواب.

* قال ضمرة الشيباني:

كان عبد الله بن الديلمي من أبصر الناس لإخوانه، فذكر ابن محيريز في مجلس هو فيه.

فقال رجل:

- كان بخيلاً.

فغضب ابن الديلمي وقال:

- كان جوادًا حيث يحب الله، بخيلاً حيث تحبون.

* عبد الله بن محيريز وأحاديث خاتم النبيين (صلي الله عليه وسلم) :

أسند عبد الله بن محيريز عن عدة من الصحابة منهم: أبو سعيد الخدري، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبو محذورة، وفضاله بن عبيد، وأبو جمعة حبيب بن سباع وغيرهم.

وحدث عنه من التابعين: مكحول الشامي، وابن شهاب الزهري، ومحمد بن يحيى بن حبان، وخالد بن دريك.

* حدثنا فاروق الخطابي وسليمان قالا: ثنا الكشي ثنا إبراهيم بن محمد الطويل، ثنا صالح بن أبي الأخضر، وحدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف الصرصري، ثنا يوسف القاضي، ثنا عبد الله بن محمد بن أسماء، ثنا جويرية عن مالك عن الزهري عن ابن محيريز عن أبي سعيد الخدري أنه أخبره قال: أصبنا سبايا كنا نعزل عنها، ثم سألنا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) عن ذلك فقال:

(لو أنكم تفعلون ذلك لا عليكم أن تفعلوا ذلك، فإنها ليست نسمة كتب الله أن تخرج إلا هي خارجة) (رواه البخاري ومسلم وابن ماجة عن أبي سعيد).

* حدثنا فاروق الخطابي وحبيب بن الحسن قالا: ثنا أبو مسلم الكشي، ثنا حجاج بن المنهال، ثنا حماد بن سلمة، عن جبلة بن عطية عن عبد الله بن محيريز، عن معاوية بن أبي سفيان عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال:

(إذا أراد الله بعبد خيرًا فقهه في الدين، وزهده في الدنيا، وبصره عيوبه) (رواه البيهقي في شعب الإيمان عن معاوية).

* حدثنا أبو بكر بن خلاد، ثنا الحارث بن أبي أسامة، قال: ثنا العباس بن الفضل، ثنا همام، ثنا عامر الأحول، ثنا مكحول الشامي عن عبد الله بن محيريز عن أبي محذورة قال:

علمني رسول الله (صلي الله عليه وسلم) الأذان تسع عشرة كلمة والإقامة سبع عشرة كلمة، (رواه ابن جريج وأبو نعيم في الحلية عن أبي محذورة).

* حدثنا سليمان بن أحمد قال: ثنا حارثة بن أبي عمران، قال: ثنا ابن أبي عمران، ثنا محمد بن يحيى بن حبان عن ابن محيريز عن فضالة بن عبيد قال:

كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إذا نزل منزلاً في سفر أو دخل بيته لم يجلس حتى يركع ركعتين (رواه أبو نعيم في الحلية عن فضالة بن عبيد).

من أقوال عبد الله بن محيريز:

قال ابن محيريز:

* اللهم إني أسألك ذكرًا خاملاً.

* من مشى بين يدي أبيه - أمام أبيه - فقد عقه، إلا أن يمشي فيميط له الأذى عن طريقه، ومن دعا أباه باسمه، أو بكنيته فقد عقه، لا أن يقول:

- يا أبه.

* لأن يكون في جلدي برص أحب إليَّ من أن ألبس ثوب حرير.

* كلكم يلقى الله غدًا ولقيه كذبته، وذلك أن أحدكم لو كانت أصبعه من ذهب يشير بها، وإن كان بها شلل لجعل يواريها.

* يقول هشام بن مسلم الكناني:

سألت ابن محيريز فأكثرت عليه فقال:

- يا هشام: ما هذا؟

قال هشام:

- ذهب العلم.

قال عبد الله بن محيريز:

- إن العلم لن يذهب ما دام كتاب الله عز وجل، ورجل سأل عن أمر حتى إذا عرف ما عليه فيه مما أتاه وهو يعرفه كرجل أتاه وهو لا يعرفه؟

* قال ابن محيريز لصاحب نفقته:

- ما بقى عندك من نفقتنا؟

قال:

- بقي كذا وكذا.

قال ابن محيريز:

- أجل الرزق للرزق.

* كل كلام في المسجد لغو إلا كلام ثلاثة:

مصلٍ، أو ذاكر، أو سائل حق، أو معطيه.

* ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا.

فقال العباس بن نعيم:

- كيف يكون ذلك؟

قال ابن محيريز:

- يمنعه كثرة حادة أن يلحق بملاحقه.

عبد الله بن محيريز والقرآن العظيم:

كان ابن محيريز يختم القرآن كل سبعة أيام.

وسئل عبد الله بن محيريز عن قوله تعالى:{وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ} [سورة المائدة الآية: ٣٨].

فقال ابن محيريز:

سألت فضالة بن عبيد عن تعليق يد السارق في عنقه أمن السنة هو؟

فقال:

جيء رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بسارق فقطعت يده، ثم أمر بها فعلقت في عنقه (أخرجه الترمذي).

وسأل رجل ابن محيريز عن قوله تعالى:{فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ} [سورة يونس الآية: ٩٤].

قال:

إن هذه آية قد كثر سؤال الناس عنها وخوضهم فيها، وفي السورة ما يدل على بيانها فإن الله عز وجل يخاطب حبيبه (صلي الله عليه وسلم) وذلك الخطاب شامل للخلق.

والمعنى:

إن كنتم في شك فاسألوا، والدليل عليه قوله في آخر السورة: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٤} [سورة يونس الآية: ١٠٤].

أعلم الله تعالى نبيه (صلي الله عليه وسلم) ليس في شك وإنما أراد الله سبحانه كفار مكة أن كانوا في شك وريب في دين الإسلام الذي أدعوهم إليه فلا أعبد من الأوثان التي لا تعقل ولكن أعبد الله الذي يميتكم ويقبض أرواحكم وأمرت أن أكون من المصدقين بآيات ربهم.

وقيل:

إن أمر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فأراد أن يؤكد عليهم بصحة القرآن وحجة نبوة محمد (صلي الله عليه وسلم).

وكان ابن محيريز إذا قرأ:{قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ٤} [سورة ق الآية: ٤].

قال:

أي ما تأكل الأرض من أجسادهم فلا يضل عنا شيء حتى تتعذر علينا الإعادة.

وفي التنزيل:{قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ٥١ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ٥٢} [سورة طه الآيتين: ٥١ - ٥٢].

وفي الصحيح:

(كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب).

وسئل ابن محيريز عن قوله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡ} [سورة التغابن الآية: ١٤].

قال ابن محيريز:

يقول ابن عباس:

سأله رجل عن هذه الآية فقال: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي (صلي الله عليه وسلم) فأبى أزواجهم وأولادهم، فأنزل الله تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡ } [سورة التغابن الآية: ١٤].

لذلك قال تعالى:{ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ} [سورة التغابن الآية: ١٥].

أي بلاء واختبار ويحملكم على كسب المحرم، ومنع حق الله تعالى فلا تطيعوهم في معصية الله.

وفي الحديث:

(يؤتى برجل يوم القيامة فيقال أكل عياله حسناته).

وكان ابن محيريز إذا قرأ:{ مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٥ } [سورة الحشر الآية: ٥].

قال:

لما نزل النبي (صلي الله عليه وسلم) على حصون بني النضير وهي البؤيرة حين نقضوا العهد بمعونة قريش في ربيع الأول أول السنة الرابعة من الهجرة فأمر بقطع نخيلهم وإحراقها فشق عليهم ذلك وقالوا:

- يا محمد: ألست تزعم أنك نبي تريد الصلاح؟ أفمن الصلاح قطع النخل، وحرق الشجر؟ وهل وجدت فيما أنزل الله عليك إباحة الفساد في الأرض؟

فشق ذلك على النبي (صلي الله عليه وسلم).

ووجد - حزن - المؤمنون في أنفسهم حتى اختلفوا فقال بعضهم:

- لا تقطعوا مما أفاء الله علينا.

وقال بعضهم:

- اقطعوا لنغيظهم بذلك.

فنزل قوله تعالى:{ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا }

[سورة الحشر الآية: ٥].

وذلك بتصديق من نهى عن القطع وتحليل من قطع من الإثم وأخبر أن قطعه وتركه بإذن الله.

وفاة ابن محيريز:

توفي عبد الله بن محيريز في ولاية أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان.

* * *

المراجـع

المراجـــع

القرآن العظيم

الجامع لأحكام القرآن	القرطبي
البداية والنهاية	ابن كثير
حلية الأولياء	أبو نعيم الأصبهاني
صفة الصفوة	ابن الجوزي
صحيح البخاري	
صحيح مسلم	
صحيح ابن حبان	
كنز العمال	الهندي
المسند	الإمام أحمد
الجامع الصحيح	الترمذي
شعب الإيمان	البيهقي
كتاب جمل من أنساب الأشراف	ابن جابر البلاذري
مسند الفردوس	الديلمي
سنن أبي داود	
لسان العرب	ابن منذور
الطبقات الكبرى	ابن سعد كتاب الواقدي
دلائل النبوة	البيهقي
بستان الواعظين	ابن الجوزي

من وصايا القرآن — البلتاجي
المواعظ والمجالس — ابن الجوزي
الموطأ — الإمام مالك
الزهد — الإمام أحمد
سنن النسائي — السيوطي
سنن ابن ماجه
سنن الدارقطني
الكامل في التاريخ — ابن الأثير
الكامل — ابن عدي
المستدرك على الصحيحين — الحاكم النيسابوري
شعب الإيمان — البيهقي
وفيات الأعيان وأبناء الزمان — ابن خلكان
السنن — البيهقي
مروج الذهب ج٣ — المسعودي

* * *

الفهـرس

مواقف ومواعظ
من حيـاة التابعيـن

الفهـرس

الفهــرس